



كلية الآداب
قسم اللغات الشرقية وآدابها
فرع اللغة الفارسية وآدابها

فكرة الجامعة الإسلامية وقضية الحروف

في أدب كل من محمد إقبال ومحمد عاكف
دراسة مقارنة

رسالة مقدمة من

محمد السباعي محمد السباعي

للحصول على

درجة الماجستير في الآداب

إشراف

الدكتور

محمد محمد محمد شلبي

مدرس اللغة التركية وآدابها

بقسم اللغات الشرقية

بكلية الآداب بسوهاج

بجامعة جنوب الوادي

الأستاذ الدكتور

شعبان ربيع طرطور

استاذ اللغة الفارسية وآدابها

رئيس قسم اللغات الشرقية وآدابها

وكيل كلية الآداب بسوهاج

بجامعة جنوب الوادي

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أرى من باب إعطاء كل ذي حق حقه ونسبة الفضل لأهله أن أقدم أعمق
الشكر وأية العرفان إلى استاذي الكبير الأستاذ الدكتور/ نعبان ربيع طرطور
فقد تفضل مشكوراً بالإشراف على هذا البحث فهو نعم الأستاذ الذي لم يدخر
جهداً ولم يحزن بعلم ولم يتوان عن إهداء مشورة . طه مني الشكر والتقدير
ومن العلى التقدير حسن الجزاء .

كما أشكر استاذي الدكتور / محمد محمد محمد ثلبي لمعاونته ومشاركته
في الإشراف على البحث وتقديم المشورة والتوجيه وإعطائي من وقته الكثير
لسرعة إنجاز البحث .

كما لايفوتني أن أعبر عن الشكر والثناء لأستاذي الدكتور / ثوقي حسن
نعبان لما قدمه لي من صادق العون .

وأقدم الشكر لمركز الدراسات الشرقية لالتاحة الفرصة لي بالاطلاع على
مكتبة المركز والإفادة منها وما قدمه العاملون به من عون ومساعدة .

والله من وراء القصد

المقدمة :

يتناول هذا البحث قضية شغلت العالم الإسلامى حقبة طويلة من الزمن ولا زالت ، تلك هى الجامعة الإسلامية وتكوين إتحاد إسلامى يضم كل الشعوب الإسلامية . وقد راودت تلك الفكرة الكثير من زعماء العالم الإسلامى وأدبائه ومفكره خاصة بعد أن ضعف العالم الإسلامى وتدهورت الدولة العثمانية مما دفع الكثيرين للمناداة بإقامة جامعة إسلامية تضم كل الشعوب الإسلامية فى وحدة واحدة ، حتى يمكنها الوقوف فى وجه الهجمات الصليبية الشرسة وإنقاذ العالم الإسلامى مما إعتراه من ضعف وهوان ، ولقد تبلورت هذه الفكرة بشكل عملى بعد أن قام جمال الدين الأفغانى بالدعوة لها وحاول إقناع السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى وتنقل بين بلدان العالم الإسلامى المختلفة ، ولقد اختلف أدياء المسلمين فى تناولهم لهذه الفكرة ما بين مؤيد ومعارض .

كما واکب تلك الفكرة وارتبط بها ظهور قضية الخلافة كما عبر عن ذلك كثير من أدياء العالم الإسلامى ومفكره فكانت هناك بعض الآراء التى ترى فى الخليفة رمزا للإسلام بينما رأى آخرون أن مفهوم الخلافة وجود الخليفة أمر قد عفى عليه الزمن وأنه يجب أن يحاول كل بلد إسلامى أن ينهض بنفسه أولا ثم يأتى بعد ذلك الإتحاد الإسلامى القوى .

نتج عن هذه الآراء المتباينة والأفكار المتصارعة ظهور تيارات فكرية وقومية كثيرة؛ فظهر التيار الطوراني الذى كان ينادى بضرورة أن يفض الترك إيديهم عن فكرة الإتحاد الإسلامى وتكوين امبراطورية طورانية خالصة ، وهناك من نادى بما يعرف باسم التيار العثماني ومحاولة إبقاء الدولة العثمانية كزعيمة لكل الشعوب الإسلامية وظهر كذلك التيار الذى يدعوا إلى الإتحاد الإسلامى وإنشاء جامعة إسلامية تضم كل الشعوب الإسلامية ولقد قابل هذا التيار تيارا آخر فى البلاد العربية كان ينادى بضرورة إتحاد الشعوب العربية والقومية العربية .

ولقد اختلف أدياء المسلمين فى معالجتهم وتبنيهم لهذه التيارات ما بين مؤيد ومعارض ، من هنا كان دافعى لاختيار هذا الموضوع ودراسته عند كل من محمد إقبال ومحمد عاكف محارلاً لإيجاد أوجه التشابه والاختلاف بينهما فى نهاية دراستى .

وقد عاشا - كل من محمد إقبال ومحمد عاكف - فى فترة تكاد تكون واحدة ما بين المولد والمات رغم اختلاف البيئات .

ولد محمد إقبال فى مدينة سيالكوت - وهى مدينة من مدن البنجاب الغربية - فى التاسع من نوفمبر عام ١٨٧٧ م ، وتوفى فى ٢١ إبريل عام ١٩٣٨ ودفن فى لاهور ، وخلف إقبال نتاجا أدبيا غزيرا وفكراً متميزاً ما بين شعر ونثر .

أما الشاعر التركى محمد عاكف فقد ولد فى حى الفاتح بإستانبول عام ١٨٧٣ م لأب البانى وأم من أهل بخارى وتوفى فى ٢٧ ديسمبر عام ١٩٣٦ م .

وترك محمد عاكف نتاجا ادبيا كبيرا من شعر ونثر ، وجمعت اشعاره في ديوانه المعروف باسم صفحات . هذا بالإضافة الى العديد من المقالات والترجمات التي نشرها عاكف في مجلتي الصراط المستقيم وسبيل الرشاد .

وجمعت بينهما الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي فكان تجسيدا وتعززا للرأى القائل بأن أمة الإسلام واحدة .

ولقد اتصل محمد عاكف بمعظم زعماء العالم الإسلامي آنذاك ومفكره وأدبائه وكان اتصاله مباشرا ببعضهم وغير مباشر ببعضهم الآخر : وتم التعارف بين محمد عاكف ومحمد إقبال عبر الكتب .

التقى محمد عاكف باحد مسلمي الهند في استانبول وسمع منه عن إقبال وأعجابه بشعر جلال الدين الرومي ما جعله في شوق لمعرفة المزيد فارسل له ديوانه " صفحات " ومن هنا حدث تبادل المؤلفات والأفكار بين الأدبيين المسلمين ^(١) .

وكان عاكف يقرأ لإقبال ويترجم له حتى انه كان يقرأ يوما في ديوان إقبال پیام مشرق فأصابه الرجد وانتابته جذبه من فرط إعجابه بالاشعار الموجودة في الديوان ^(٢) .

ولقد عاصر هذان الأدبيان الاحداث التي واكبت فكرة الجامعة الإسلامية وقضية الخلافة والتي تعاقبت بعد فشل حركة الجامعة الإسلامية وانهيار الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة ومجىء اتاتورك واحداث الثورة الكمالية والمبادئ التي أوستها والتغيرات التي قامت بها ومن هنا تبرز أهمية هذا الموضوع وضرورة معالجة هذه الفكرة بالدرس والبحث عند كل من منهما بصفتها يمثلان تراثين أدبيين متباينين في إطار الثقافة الإسلامية ألا وهما الأدب الفارسي والأدب التركي .

هــدـف الـدراسة والمشكلات البحث :

تهدف هذه الدراسة الى معالجة فكرة الجامعة الإسلامية وقضية الخلافة وكيف تناولها محمد إقبال ومحمد عاكف وأن تكون الخاتمة دراسة مقارنة لرؤية وموقف كلا الشاعرين .

اما المشكلات التي تواجه الباحث في هذا الموضوع فتتركز في كثرة المؤلفات التي تناولت الموضوع باللغات الإسلامية المختلفة من عربية وفارسية وتركية ، فضلا عن تعدد جوانب الموضوع وحساسيته فهو يتطلب معرفة عميقة بالخلفية التاريخية والسياسية والفكرية والدينية لتلك الفترة ، والدراسات النقدية ومناهج النقد وأصول الدراسات المقارنة.

١ - محمد عبد اللطيف هريدي : الأدب التركي الإسلامي . الرياض عام ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م ص

Mehmed Akif Ersoy'a Armagan - K onya 1986 .

رأى أيضا : ص ٢٤٣ من الرسالة .

الدراسات السابقة :

على الرغم من كثرة الاعمال التى تناولت محمد إقبال ومحمد عاكف بالبحث والدراسة إلا ان هذه الابحاث والدراسات كلها كانت تعرض فقط للمحتوى الأدبى لاعمال الشاعرين ولم يحدث ان تناول أى من الباحثين هذه القضية بالبحث والدراسة سواء عند إقبال أو عند عاكف ولم يتم أحد حسب علمى بعمل دراسة مقارنة لهذه القضية فى الادبين الفارسى والتركى .

وتتمثل تلك البحوث السابقة التى تعرضت للمفكرين موضوع الدراسة فى بعض الرسائل التى ألفت عنهما وبيانها كالتى :

- ١ - سمير عبد الحميد ابراهيم : ارمغان حجاز للشاعر محمد إقبال دراسة وترجمه . القاهرة ١٩٧٠ (رسالة ماجستير) .
- ٢ - فتحى عبد المعطى النكلاوى : محمد عاكف حياته وآثاره - عين شمس ١٩٧١ (رسالة ماجستير)
- ٣ - محمد السعيد جمال الدين : جاويد نامه - تحليل ونقد - عين شمس ١٩٧٢ (رسالة دكتوراه)
- ٤ - فوزيه عبد العزيز صباح : بانك درا لمحمد إقبال - دراسة وترجمه القاهرة ١٩٨٣ (رسالة ماجستير) .

مادة الدراسة ومصادرها :

تعتمد هذه الدراسة فى المقام الأول على النتاج الفكرى لكل من محمد إقبال فى الفارسية ومحمد عاكف فى التركية ، شعراً ونثراً . هذا بالإضافة الى الاعمال الأخرى التى كتبت عن هذين الادبيين .

فلقد ترك لنا إقبال نتاجاً أدبياً باللغة الفارسية واللغة الأردية وهو على النحو التالى :

اسرار الذات ١٩١٥ (اسرار خودى) - رموز نفى الذات ١٩١٨ (رموز بيهودى) - رسالة المشرق ١٩٢٣ (پیام مشرق) - اناشيد فارسية ١٩٢٧ (زبور عجم) - رسالة الخلود ١٩٣٢ (جاويد نامه) - المسافر ١٩٣٦ (مسافر) - ماذا ينبغى أن نفعل يا أمم الشرق ١٩٣٦ « پس چه باید کرد ای اقوام شرق » - هدية الحجاز ١٩٣٨ « ارمغان حجاز » .

أما عاكف فقد ترك لنا ديوان شعر ضخيم يعرف باسم « صفحات » يحتوى على سبعة كتب هى : الكتاب الأول « صفحات » ، الكتاب الثانى « على منبر السليمانية » ،

الكتاب الثالث « أصوات الحق » ، الكتاب الرابع « الفاتح » ، الكتاب الخامس «
خاطرات » ، الكتاب السادس « عاصم » ، الكتاب السابع « الظلال » .

كما أن لعاكف بعض المقالات المنشورة في الصراط المستقيم وسبيل الرشاد ، ولكن هذه
المقالات في جملتها تراجم عن العربية لمفكرين إسلاميين على رأسهم جمال الدين الأفغانى
والإمام محمد عبده ، وهى رغم قيمتها إلا أنها تعبر عن آراء مؤلفيها . أما آراء عاكف
فتوجد بين طيات ديوانه « صفحات » وهى التى اعتمدت عليها فى دراستى .

المنهج والإجراءات :

سأتبع فى دراستى منهج الدراسة التحليلية المقارنه بغية الوصول الى اسباب الفكرة
ومحتواها عند كل من هذين المفكرين وقد يقتضى الأمر اتباع المنهج التكاملى الشامل فى
بحث عدد من النقاط اوضحتها فى خطة البحث والتى سارت على النحو التالى : -

القسم الأول

الباب الأول : وجعلته بعنوان

الأوضاع السياسية والعقائدية والأدبية فى العالم الإسلامى فى النصف
الثانى من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وقسم إلى ثلاثة فصول

الفصل الأول :

الخلفية السياسية :

- الوضع السياسى فى شبه القارة الهندية .
- الوضع السياسى فى إيران .
- الوضع السياسى فى الدولة العثمانية .

الفصل الثانى :

الخلفية المذهبية :

- التيارات العقائدية فى العالم الإسلامى .
- المذهب الشيعى والامامة ، المذهب السنى والخلافة .

الفصل الثالث :

التيارات القومية والحياة الأدبية :

- فكرة القومية فى الأدب الفارسى فى تلك الفترة .
- فكرة القومية فى الأدب التركى فى تلك الفترة .

الباب الثانى :

فكرة الجامعة الإسلامية وصلتها بقضية الخلافة

الفصل الأول :

ظهور فكرة الجامعة الإسلامية ودعوة جمال الدين
الأفغانى ومظاهر لحاج الفكرة .

الفصل الثانى :

قضية الخلافة وموقف السلطان العثمانى عبد الحميد الثانى .

الفصل الثالث :

موقف أوروبا من فكرة الجامعة الإسلامية وقضية الخلافة .

الفصل الرابع :

تعثر فكرة الجامعة الإسلامية وانقضائها .
الغاء الخلافة وردود الفعل في العالم الإسلامي

القسم الثاني

الباب الأول :

فكرة الجامعة الإسلامية وقضية الخلافة في أدب إقبال بعامة
والفارسي بخاصة

الفصل الأول :

موقف إقبال من حركة الجامعة الإسلامية .

الفصل الثاني :

موقف إقبال من قضية الخلافة

الباب الثاني :

فكرة الجامعة الإسلامية وقضية الخلافة في أدب محمد عاكف في
ديوان " صفحات " ومقالاته التي نشرت في جريدتي الصراط
المستقيم وسبيل الرشاد .

الفصل الأول :

موقف عاكف من حركة الجامعة الإسلامية

الفصل الثاني :

موقف عاكف من قضية الخلافة .

الخاتمة :

والتي تضمنت أهم ما توصلت إليه في الدراسة مركزاً على
أهم نقاط التشابه والاختلاف بين المفكرين من خلال متابعة
فكرة الجامعة الإسلامية وقضية الخلافة عند كليهما .

وقبل أن أختتم هذه المقدمة أرى من باب إعادة الفضل لأهله ، أن أقدم
عظيم الشكر والتقدير لأستاذى الكبير الأستاذ الدكتور / شعبان ربيع الذى
تفضل مشكوراً بالإشراف على هذا البحث وتقديم كل عون وإرشاد علمى لى
إبان عملى ، والدكتور / محمد طبى الذى لم يتوان عن تقديم النصيح ،
وقراءته للرسالة حتى خرجت على هذا النحو .

آملًا أن أكون قد وفقت فى عرض ما قصصته إليه وعلى الله قصد السبيل

القسم الأول

الباب الأول :

الأوضاع السياسية والعقائدية والأدبية

في العالم الإسلامي

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر

ومطلع القرن العشرين

الفصل الأول

الخلفية السياسية

- الوضع السياسى فى شبه القارة الهندية
- الوضع السياسى فى إيران .
- الوضع السياسى فى الدولة العثمانية .

الوضع السياسى فى شبه القارة الهندية

مرت الهند بظروف سياسية صعبة ، فلقد كانت الهند مطمحاً للدول الاستعمارية وأخذت تتوافد عليها الحملات الأجنبية للسيطرة عليه وبخاصة الحملات الإنجليزية التى كانت ترى فى الهند مخزناً للثروات ، وأخذت وفود الإنجليز التجارية تتوافد على الهند فى بداية القرن السابع عشر الميلادى ، وكان يحكم الهند فى تلك الفترة سلاطين المغول . كانت البعثات الفرنسية والبرتغالية قد وصلت إلى الهند قبل البعثات الإنجليزية ولكن هذا لم يضعف عزيمته الإنجليزية ودخلوا إلى الهند وأسسوا شركة الهند الشرقية ، وبدأ النفوذ الإنجليزي يزداد فى هذه المنطقة واستطاعوا الحصول على تصريح من سلاطين المغول بإقامة وكالات تجارية فى سورات فى الغرب ، وهوجلى فى الشرق وزادوا من تقربهم إلى سلاطين الهند حتى عاونوهم فى حربهم ضد البرتغاليين وبهذه المساعدة التى قدمها الإنجليز لسلاطين الهند نالوا المزيد من الامتيازات وازداد نفوذهم وازدادت ثروتهم حتى تمكنوا من شراء مباح من البرتغاليين وفى مقابل الإنجليز كان الفرنسيون يفرضون نفوذهم فى إمارة حيدر آباد بفضل سياسة دويلكس مدير شركة الدكن الذى استطاع بذلك أن يصبح الحاكم الفعلى لجميع الأراضى الواقعة جنوب نهر كرشنا . كل هذه الأحداث كانت زمن أكبر شاه الثانى (١) .

وفى عام ١٨٣٧م خلف بهادر شاه الثانى أباه أكبر شاه ، الذى عاش بدوره على الرزق من الإنجليز ولم يكن يقلقه أى شىء سوى تعيين ولى العهد ، إلى أن انتهى حكم سلاطين المغول على الهند عام ١٨٥٧م ١٢٧٤هـ بالثورة الوطنية الكبرى التى يعرفها الإنجليز بثورة سپاهى أى العصيان (٢) .

الثورة الوطنية الكبرى عام ١٢٧٤هـ ١٨٥٧م

عمل الإنجليز على إدخال نظمهم فى كل جزء ينقلون إليه حتى ظن الإنجليز أنهم يحين هذا الجزء ويجب على أهل الهند أن يقدروا هذا لهم ، وكانت شركة الهند الشرقية تعمل على استغلال ثروات البلاد .

لذا قامت ثورة عارمة كادت تقضى على نفوذ البريطانيين فى الهند ، فنشبت الثورة الوطنية فى وقت واحد فى البنغال ، دهللى ، وجونپور والبنجاب وكان أخطر أدوار الثورة فى البنغال حيث الجيش الرئيسى الذى يعتمد عليه البريطانيون .

وقد تزعم الثورة الوطنية الكبرى المسلمون بعض أبناء السلطان وكان فى خطة الشوار إخراج المستعمرين من البلاد وإعادة المسلمين إلى سابق سلطانهم ، وفى تلك الأثناء انطلقت الشائعات بزحف الروس والفرس والأفغان لشد أزر الشرار .

١ - انظر : أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ج ٢ ص ٢٧٨ - ٢٧٩ القاهرة ١٩٧٠ .

٢ - أحمد محمود الساداتى : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٧

كان البريطانيون قد منوا بخسائر فادحة وهزائم كثيرة فى بداية الثورة ولكن سرعان ما اقرروا الامور فى البنجاب لينطلقوا بعد ذلك ليقضوا على الثوار فى كل مكان بقسوة بالغة ثم يدفعون السلطان المغولى بهادر شاه البالغ من العمر اثنين وثمانين إلى محاكمة صورية ادانوه فيها بسبب وقوفه وراء ولديه محمد بهت خان وميرزا مغول فى تزعمهما للشوار ومسؤوليته عن مقتل تسعة واربعين من البريطانيين بدهلى وثورته على الحكومة البريطانية بوصفه احد رعاياها وإعلانه الحرب عليها ولقد حكم البريطانيين على السلطان المسن بهادر شاه بنفيه مع افراد أسرته الى رانچون . واعلنوا ضم به شبه القارة الهندية الى امبراطوريتهم لتمارس الحكومة البريطانية حكمها بنفسها حكماً مباشراً^(١).

وبعد فشل الثورة وما ترتب على هذا الفشل من سيطرة المجلزية على الهند ، ودمار الاقتصاد الهندى وادخال نظام الحكم البريطانى فى البلاد تصاعد الشعور المعادى للمجليز فى كل ارجاء البلاد^(٢).

وقد اصبح المسلمون غرباء فى بلادهم فقد عمل البريطانيون على اقضاء المسلمين من كل وظائف الدولة ، كما عملوا على تقويض كل اوضاعهم الاقتصادية والثقافية ثم اصدر المجليز قانون الاصلاح الزراعى الذى اعطى لهم حق امتلاك الاراضى الكثيرة والضباع الواسعة ، كما اخذ المجليز يزيغون تاريخ الحكم الاسلامى فى الهند ويصفون سلاطين المسلمين وعمالهم بالطغاة فى مقابل ذلك أخذ المجليز يدعون الهنادكة الى احياء ماضيهم القديم واثارتهم على مواطنيهم المسلمين^(٣).

من أجل هذا قام سير سيد احمد خان^(٤) بدعوة الى ازالة الجفوة بين المسلمين والمجليز وقام بدعوة المسلمين الى الاقبال على التعليم المدنى الذى ادخله المجليز ، وقد اعلن عن تأسيس مدرسة حديثة تعلم ابناء المسلمين العلوم المدنية ، هذه المدرسة تدعى مدرسة عليكره نسبة الى بلدة صغيرة تقع على بعد ستين ميلاً فى الجنوب الشرقى

١ - أحمد محمود الساذاتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتها ج ٢ ص ٢٩٥

٢ - Muslims in india - Zafar Iman p.23 - New Delhi 1975

٣ - د / عبد المنعم النمر : كفاح المسلمين فى تحرير الهند ص ٣٧ القاهرة ١٩٩٠.

* - السيد أحمد خان : ولد السيد أحمد خان عام ١٢٣٢ هـ / ١٨١٧ م وتلقى تعليمه الدينى وهو فى سن صغيرة وقام بتربيته والده تقى خان وأنشأ تنشئة دينية على عادة أهل زمانه ونال حظاً من الثقافة العامة وعين فى الحكومة وتدرج فى الوظيفة حتى عين قاضياً فى محكمة بچينرر بشمال الهند وفى عام ١٨٥٧م قامت الثورة الهندية الكبرى ولم يكن على وفاق مع الثوار إذ كان يرى عدم فائدة الثورة مادام التكافؤ بين القوتين معدوم ، وأنشأ السيد أحمد خان جامعة عليكره للنهوض بمستوى تعليم الشعب الهندى وتوفى السيد أحمد خان عام ١٣١٥ هـ ١٨٩٨م

انظر كفاح المسلمين فى تحرير الهند : عبد المنعم النمر ص ٣٧ .

لدهلى - وقد دعا اغنياء المسلمين فى تبنى فكرته وقد ساعدوه فعلا حتى تمكن من انشائها والتي تطورت فيما بعد الى جامعة عليكره والتي اعترفت بها الحكومة عام ١٩١٢ م .

وقد رسم السيد أحمد خان لقومه المنهج الواجب اتباعه حتى يحققوا النهضة كما نبههم إلى أن نفورهم من البريطانيين لا يعنى التزام العزلة والتخلف بل دعاهم الى المشاركة فى ركب الحياة ، والاطلاع على المدنية الحديثة وعلومها واقتباس الصالح منها واجب على المسلمين ولا يتعارض ابداً مع التفقه فى أمور دينهم والتمسك باداب الاسلام وتقاليده ثم اتجه الى البريطانيين بصارحهم بتبعاتهم ويؤكد لهم عدول المسلمين عن عداوتهم لهم حتى يخففوا من حدة اضطهادهم لهم . كما أوضح لهم أن عصف شركتهم البريطانية وسوء ادارتها هو الذى ادى إلى ثورة ١٨٥٧ م . ثم وضع للمسلمين ضرورة الاعتراف من علوم الغرب كما أخذ ينقض أحوال المسلمين فى مجلته « تهذيب الأخلاق » التى أدت إلى زوال مجدهم ^(١) وقد أتهم بعض الرجعيين السيد أحمد خان بمالأة المستعمرين والخروج عن الدين . ولكنى أرى أن السيد أحمد خان كان وطنياً متحمساً للنهوض بوطنه وكان يرى أن شعبه يجب عليه معرفة علوم الغرب ومعرفة تقدمه حتى يستطيع أن يقف فى وجه الاستعمار لأن معرفة كل شئ عن العدو يتطلب معرفة حضارته ، وعلومه حتى يستطيع معرفة طرق تفكيره وبهذا يمكن الوقوف أمامه .

وقد نادى السيد أحمد خان بضرورة تمثيل المسلمين فى المجالس التشريعية الهندية بنواب مستقلين حتى لا تطفئ طائفة الأغلبية على طائفة الأقلية .
حزب المؤتمر الهندى :-

لقد لعب الطلبة الهندوس والمسلمون الذين تعلموا فى مدراس الحكومة بالهند وأتموا تعليمهم فى إنجلترا دوراً كبيراً لدى عودتهم ، فلقد تمكنوا بسبب دراستهم فى الخارج من التعرف على مجريات الأمور الدستورية وكيف يحترمها الإنجليز وقارنوا بين موقف الإنجليز فى بلادهم وموقفهم فى الهند . لهذا ظهرت الحركات الاجتماعية التى تهدف إلى تحسين حال الهند من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية فتأسست الجمعيات الإصلاحية فى برمهاى وكلكتا ومدراس ، وأندلعت المظاهرات الشعبية المصاحبة بالإحتجاج على تقييد الصحافة .

فحين وجد الإنجليز هذه الشورات والفضب الذى عم الشعب عملوا على تأسيس جمعية وطنية من أبناء الهند يحمل أعضاؤها المظالم إلى الحاكم ، هذه الجمعية هى نواة حزب المؤتمر الهندى ، لأن هذه الجمعية تطورت فيما بعد إلى أن أصبحت حزب المؤتمر الهندى .

١ - انظر : أحمد محمود الساداتى تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتها ص

وقد أجمع المؤتمر لأول مرة في بومباي عام ١٨٨٥ م وفي هذا المؤتمر أعلن أحد زعمائه أن بريطانيا قد فعلت الكثير من أجل الهند ، وكان هذا المؤتمر برئاسة رحمة الله وهو تاجر مسلم معروف في بومباي ، كان أعضاء هذه الجلسة ثمانية وسبعين عضوا ، بعد ذلك زاد الأقبال على الدخول في حزب المؤتمر الهندي حين وأى أهل الهند ولا سيما المسلمون أن الإنجليز لم يعترضوا على إجتماعهم وبدأوا يدخلون في هذا الحزب حتى صاروا في الجلسة الثانية التي عقدت في كلكتا عام ١٨٨٦ م إلى (٤٣٦) أربعمائة وستة وثلاثين عضوا منهم ٨٣ ثلاثة وثمانين مسلما ، وفي الجلسة الثالثة التي عقدت في مدراس زاد عدد الأعضاء إلى ٦٠٤ ستمائة وأربعة ، ولكن نلاحظ أن عدد المسلمين ظل كما هو ٨٣ ثلاثة وثمانين عضوا (١).

وبما سبق ندرك أن حزب المؤتمر الهندي كان في بدايته متواضعا ولكنه سرعان ما أخذ يقوى ويشتد حتى أصبح قوة معبرة عن مطالب الهند .
الموقف بين المسلمين والهندوس :-

كان المسلمون يرحلون تحت عنت وتعسف الإنجليز ، فلقد أخذ الإنجليز يعملون على وثارة أحقاد الهندوس على المسلمين وذلك بواسطة الكتب التاريخية التي كانوا يكتبونها للمدارس وللشعب والتي كانوا يشوهون فيها تاريخ الحكم الإسلامي ، وكانوا يصورون المسلمين فيها حكاما متعنتين متعصبين ضد الأكثرية الهندوسية .

كل هذه التصرفات أتاحت للهندوس أن يفعلوا ما يشاؤون بالمسلمين في نفس الوقت الذي حفظ فيه المسلمون للهندوس كل ضغينة .

كما عمل الإنجليز على تفجير الصراع داخل المسلمين عن طريق الأنشقاق والانتقسام ، على سبيل المثال إحتضانهم للسيد أحمد خان وجماعته فكان من الواجب أن تظهر جماعة أخرى للوقوف أمام السيد أحمد خان ، كانت تلك الجماعة هم علماء جامعة (دهونيد) الدينية وبذلك تفرق المسلمون وحارب بعضهم البعض الآخر حربا فكرية عنيفة زادت من فرقتهم وأضعفتهم ، في حين نجد الهندوس يقومون بحركة قوية للقضاء على اللغة الأوردية - التي أوجدها المسلمون في الهند ، والتي تعتبر لغتهم ولغة ثقافتهم بجانب اللغة الفارسية - ويطالبون بأحلال اللغة الهندية بدلا منها .

كانت هذه الدعوات تشير الفزع في نفوس المسلمين وكان من الطبيعي أن يدفع هذا التعصب الهندوسي قيام جماعة من المسلمين لتكتل أمام تكتل الهندوس وبناءا على هذا تم تأليف الرابطة الإسلامية (٢) .

ولقد تعالت الأصوات تطالب بوحدة المسلمين وخاصة بعد قرار تقسيم البنغال ، وبالفعل تم تكوين الرابطة الإسلامية .

١ - د / عبد المنعم النمر : كفاح المسلمين في تحرير الهند ص ٤٥ - ٤٨ القاهرة ١٩٩٠ .

٢ - المرجع السابق ص ٥٠ .

تقسيم البنغال :-

فى عام ١٩٠٥م اتخذ اللورد (كيرزون) حاكم الهند الإنجليزى قرارا بشأن تقسيم البنغال إلى منطقتين ، منطقة إسلامية يكثر فيها المسلمون ويتيح لهم هذا التقسيم ظهور شخصيتهم فى هذه المنطقة الخاصة بهم ، منطقة هندوسية يكثر فيها الهندوس وهى البنغال الغربية [أرى أن هذا التقسيم هدفه الأساسى القضاء على أى وحدة من الممكن أن تنشأ بين الهندوس والمسلمين] .

ولقد سر المسلمون بهذه الفكرة وعدوها مقدمة لإتشاء ولايات خاصة بهم ، فى حين أن الهندوس ثاروا ورأوا فى ذلك تشجيعا للمسلمين لكى يقتطعوا بعض المناطق منهم . ولقد وقف حزب المؤتمر الهندى فى ذلك الوقت وعارض التقسيم بشدة ^(١) .

ذلك لأن محمد على جناح كان يعمل على التوحيد بين المسلمين والهندوس حتى أطلق عليه رسول الوحدة . ولقد فرح المسلمون بهذا التقسيم ولكن فرحتهم لم تدم طويلا فلقد صار الهندوس على قرار التقسيم يساندهم حزب المؤتمر وحين رأى الإنجليز هذا الوضع تراجعوا عن قرار التقسيم عام ١٩١١م ^(٢) .

ونتيجة لهذا شعر المسلمون بالظلم الذى حل بهم ، وبقسوة الضربة التى وجهها الهنادكة إليهم ، وشعروا بأنهم مضطهدون ، مما دفع (سليم الله خان) وهو زعيم مسلم كبير فى البنغال إلى جمع زعماء الهند المسلمين ومنهم على سبيل المثال سيد على محمد خان ، ومولانا محمد على ، وأتفقوا جميعاً على تشكيل رابطة إسلامية عام ١٩٠٦م ، وهى تعد بداية لتاريخ جديد فى حياة المسلمين بعد زوال الحكم الإسلامى فى الهند ^(٣) .

الرابطة الإسلامية :-

كان لسوء أحوال المسلمين فى الهند فى تلك الفترة الباعث القوى لتشكيل حزب الرابطة الإسلامية وايضا ليكون لهم منظمة سياسية قوية لتدافع عن مصالح المسلمين . وقد أشارت إلى ذلك مذكرة محسن المالك التى تأسست بموجبها الرابطة الإسلامية وعقدت أول إجتماع لها فى ٣٠ ديسمبر عام ١٩٠٦م ^(٤) .

وكانت أهم أهداف الرابطة الإسلامية :-

- ١ - المرجع السابق ص ٥٦
- ٢ - عباس محمود العقاد : محمد على جناح ص ١٢٥ .
- ٣ - محمد حسن الأعظمى : القائد الأعظم ولغة الباكستان ص ٢٤ .
- ٤ - سميع عبد الحميد إبراهيم : ارمغان حجاز للشاعر محمد إقبال رسالة ماجستير منشورة لاهور باكستان ١٩٧٦ ص ١٣ .

- حماية حقوق المسلمين والتقدم بمطالبهم الى الحكومة
- تقريب وجهة لنظر بينهم وبين المستعمر وإزالة الجفوة التي كانت قائمة حتى يستطيع المسلمون الحصول على حقوقهم .

وكان تكوين الرابطة الإسلامية بعد تكوين حزب المؤتمر الهندي بنحو عشرين عاماً .
ولقد طالب المسلمون بأن يكون لهم نسبة في وظائف الحكومة ، ولقد أشد نشاط الرابطة الإسلامية حين أصدرت السلطات البريطانية تشريع (مورلى منتر) (Morley Minto) عام ١٩٠٩م الذى يرى أن فكرة النظام الديموقراطى البرلمانى لاتصلح للهند لعدم توافر الضمانات اللازمة المتمثلة فى لجانس الشعب فى ثقافته ودينه وإتجاهاته .

على عكس ذلك كان المسلمون يرون أن الضمان الوحيد لمصالحهم هم التمثيل النيابى على أساس طائفى بمعنى أن يخصص عدد من الكراسى لكل طائفة تنتخب له من تشاء . من أفرادها ولكن هذا لم يطبق . ولكن أتخلت خطوات فى سبيل الحكم البرلمانى بأن زيد عدد الأعضاء المنتخبين فى المجالس التشريعية الإقليمية وأصبح لهذه المجالس حق بحث الميزانية دون إقرارها أو رفضها ، ولهم حق التصويت على الشئون الادارية كما عين عضواً ينوب عن كل مقاطعة فى المجلس التنفيذى العام ، وقد بدأت الأمور فى التحسن ولكن بقيام الحرب العالمية الأولى تعطلت كل هذه الاصلاحات ، وجدير بالذكر أن الهند قدمت الكثير من مواطنيها الذين توفوا فى الحرب العالمية بجانب القوات البريطانية ، وقد قيل أن بريطانيا كسبت الحرب بدماء الهنود وقد أعلنت بريطانيا أنها ستمشى فى طريق إصلاح الهند وأنها ستعمل على أن يكون حكم الهند حكماً ذاتياً داخل الامبراطورية البريطانية^(١).

الوحدة الإسلامية الهندوسية :-

مع بداية الحرب العالمية الأولى عبر مظهر الحق عن حزن المسلمين لدخول تركيا الحرب . فقال " انه لشيء محزن لنا أن حكومة خليفتنا سوف تصبح فى حالة حرب مع حكومة امبراطورية ملكنا وكان ينبغى أن تكون جميعاً مسرورين لو رأينا اخواننا فى الإيمان يحاربون جنباً إلى جنب مع جنود الامبراطورية البريطانية " .

فلقد كان مسلمو الهند لا يرغبون مطلقاً فى وجود عداوة بين بريطانيا والحكومة الاسلامية ، وكان كثير من الهندوس يوافقون المسلمين فى هذا الرأى ولكن مع الاختلاف لأن المسألة بالنسبة للهندوس^(٢) كانت عبارة عن تعاطف مع دولة أجنبية ، أما بالنسبة للمسلمين كان جزءاً من الواجب الدينى ونوعاً من الدفاع عن فكرة الجامعة الإسلامية^(٣) .

١ - انظر محمد عبد المنعم الشرقاوى - د/ محمد محمود الصياد: ملامح الهند وباكستان ص ١٧٣ .

٢ - هندوسى أو هندوكى : لاتحمل هذه الكلمة معنى عرقياً وإنما تطلق على كل من ليس مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً أو مجوسياً ، أى تطلق على كل من ينتمى إلى إحدى الديانات الهندية القديمة مثل البرهمانية والجنية والبوذية .

٣ - سمير عبد الحميد إبراهيم : ارمغان حجاز للشاعر محمد إقبال رسالة ماجستير منشورة لاهور باكستان ١٩٧٦ ص ١٦ .

كانت مدرسة عليكره التى أسسها السيد أحمد خان جعلت مسلمى الهند ينسبون لفترة سيطرة فكرة الخلافة ولكن معاداة المسلمين للبريطانيين بدأ ينعش فكرة الخلافة من جديد ولكنه أيضا كان عاملاً لخلق نوع من الوحدة لفترة قصيرة بين المسلمين والهندوس .

فحين نادى غاندى بأن يكون يوم ١٦ أبريل عام ١٩٠٩م يوماً عاماً لإغلاق المحلات ووقف كل المعاملات والأنشطة لجد أن المسلمين قد أستجابوا مع الهندوس لمطلب غاندى بل تطور الأمر إلى أن المسلمين دعوا زعماء الهندوس فى مساجدهم لحضور اجتماعهم وارتبط المسلمون والهندوس وقاموا بالإضراب العام هذا الإضراب الذى قوبل من جانب الإنجليز بنيران المدفعية وكان آخر اتحاد بين المسلمين والهندوس عام ١٨٥٧م أثناء الثورة الوطنية الكبرى وهكذا أصبح الاتحاد بين المسلمين والهندوس حقيقة مؤكدة ، وقد نصع محمد على جناح المسلمين بالاتحاد مع الهندوس والمؤتمر الهندى وصار غاندى زعيماً للمسلمين والهندوس على السواء . ولكن سرعان ما بدأت العلاقات تنشأ بين المسلمين والهندوس حين عادت فكرة الخلافة كرد فعل لمعاملة بريطانيا لتركيا بعد الحرب العالمية الأولى ، وتأسيس جمعية الخلافة وارتباط المسلمين بفكرة الجامعة الإسلامية .

ومن الأسباب التى أدت إلى توسيع هوة الخلاف بين المسلمين والهندوس فاجعة تسمى فاجعة (مويلا) كان صرت المناهدين بالخلافة انطلق حتى أقصى الشمال حتى وصل إلى تلال (مالابار) فأوحى ذلك إلى أهالى مويلا أن ينظموا تمرداً وعصياناً ضد السلطة البريطانية وقضى على الاحتلال البريطانى لعدة إيام وأقيمت مملكة باسم الخليفة تحت سلطنة الخليفة (محمد حاجى) ولكن سرعان ما اختفت هذه الخلافة بسبب تعصب الأهالى الذين عملوا القتل فى الهندوس الموجودين ولكن البريطانيين عملوا سريعا على تنظيم صفوفهم حتى استطاعوا فرض سيطرتهم على المنطقة من جديد برغم ما تكبدوه من خسائر فادحة^(١).

كل هذا أدى إلى إنفصال الوحدة القائمة بين المسلمين والهندوس .

حركة الخلافة

كانت حركة الخلافة التى تكونت مع بداية الحرب العالمية الأولى تهدف إلى الوحدة بين جماعة الأحرار فى الهند التى شملت (جماعة عليكره ورابطة الوحدة والتقدم) . وعندما أعلنت كل من بريطانيا وتركيا الحرب فيما بينهما أستقال مولانا شوكت على من وظيفته وكون حركة عرفت باسم [خدام الكعبة] التى كان هدفها بعث الشاعر المعادية للإنجليز ، وعندما أنتهت الحرب بهزيمة تركيا وبدأ الإنجليز فى تقسيم الأراضى التركية هبت العاصفة بين مسلمى الهند لأن سقوط الإمبراطورية العثمانية يعنى إنهيار الإسلام ، وهكذا تمهد

الطريق للوحدة الوطنية والكفاح الموحد من أجل الإستقلال ، ولقد أنحد زعماء الحركة مع غاندى ومع حزب المؤتمر ^(١) .

فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى :

قد أشرت من قبل إلى مساعدات الهنود للإنجليز فى هذه الحرب حتى قيل أن إنتصار بريطانيا فى الحرب كان على حساب الدماء الهندية . ولقد وعدت بريطانيا بأن تسيّر فى طريق الدستور وأن تمنح للهند الحكم الذاتى ، ولقد أرسلت بريطانيا وفدا برئاسة مستر « سايمون » لدراسة الأحوال ووضع مشروع الدستور لتقديمه إلى البرلمان البريطانى . فى تلك الأثناء تغيرت الوزارة البريطانية ، وشكلت وزارة العمل فى مايو ١٩٢٩م برئاسة [مكدونالد] الذى أعلن أن الحكومة البريطانية تود منح الهند إستقلالها لأجل هذا سيعقد مؤتمر المائدة المستديرة .

وقد أشترط غاندى أن يكون لحزب المؤتمر أكثرية المندوبين ^(٢) وبدأ سعى المؤتمر الهندى للحصول على تأييد الأحزاب والجماعات الأخرى وتم تشكيل لجنة لوضع الدستور عرفت بأسم لجنة نهرو وحين بدأ وضع الدستور لم يختلف أحد فى الحفاظ على مكانة الأمراء والحفاظ كذلك على المكاسب التى حققها المسلمون طبقا لمعاهدة (لكنر) بشرط عدم مطالبة المسلمين بتمثيل الأغلبية فى البنغال والبنجاب ^(٣) .

فى تلك الأثناء أرسلت الحكومة البريطانية للأحزاب تدعوهم للإشتراك فى هذا المؤتمر والذى تحدد له الثانى عشر من نوفمبر عام ١٩٣٠م ولم يشترك زعماء حزب المؤتمر فى هذا الإجتماع وأشترك فيه المسلمون وحاولوا تقديم مطالب الهند المتحدة ، وطالبوا بإقامة إنتخابات عامة فى البلاد ، ووافق الإنجليز على هذه الفكرة بشرط ، فصل السند عن بومباى ، وفى ١٩ يناير ١٩٣١م إنتهى المؤتمر ووعد رئيس الوزراء الإنجليزى فى كلمته الختامية بحصول الهند على إستقلالها ^(٤) .

وقد أشترك شاعر المسلمين فى الهند محمد إقبال فى مؤتمر المائدة المستديرة عام ١٩٣١م ، ١٩٣٢م فى لندن . وفى مارس ١٩٣٣م وضعت الحكومة البريطانية دستورا جديدا للبلاد أسمته الورقة البيضاء وقد عارض إقبال هذا الدستور بشدة بسبب عدم رضائه عن النسبة المخصصة للمسلمين ^(٥) .

Muslims in India . Zafar Iman p.35.

- ١

٢ - محمد حسن الأعظمى : القائد الأعظم وقصة باكستان ص ٦١ .

٣ - Muslims in India . Zafar Iman p.36.

٤ - محمد حسن الأعظمى : القائد الأعظم وقصة باكستان ص ٣٦ .

٥ - عبد الوهاب عزام : محمد إقبال سهرته وفلسفته وشعره باكستان ١٩٥٤ .

وقد أقصَح إقبال وهو أحد أبناء جامعة (عليگره) عن وجوب قيام وطن خاص بالمسلمين وحدهم بالهند ، ورسم حدود هذا الوطن على الأساس الذى تقوم عليه دولة باكستان اليوم .

وقد كتب محمد إقبال إلى محمد على جناح رئيس الرابطة الإسلامية الملقب بالقائد الأعظم عام ١٩٣٧م قال فيه (إن خير وسيلة إلى السلام فى الهند فى هذه الأحوال أن تقسم البلاد على قواعد جنسية ودينية ولغوية) .

وعلى هذا كان إقبال أول من دعا إلى تقسيم الهند ليكون للمسلمين وطن خاص بهم إذ رأى من المحال أن يعيش سكان الهند جماعة واحدة أو جماعتين متعاونتين ^(١) .

وأرى أن إنشاء وطن خاص بالمسلمين أمر حتمى نظرا للتركيبة السكانية التى تتمتع بها الهند من اختلاف الأعراق وإخلاف فى الدين والعقيدة ، وبعد الاختلاف فى الدين والعقيدة هو الاختلاف الجوهرى بين المسلمين والهندوس ، فلقد ترسب فى نفوس الهندوس الفتح الإسلامى للهند ، وأيضا ترسب فى نفوس المسلمين ما جرى لهم على أيدي الهندوس من أحداث بعد الغزو البريطانى ، وكيف كان البريطانىون يحملون الهندوس على المسلمين لذا وجدنا إقبال يفصح بكل جراحة عن حتمية إنشاء وطن خاص بالمسلمين .

إنشاء الباكستان ،

حزم جناح أمره وأصبح مقتنعا بأن الحل الوحيد للمسلمين يكمن فى تنظيم أنفسهم تحت راية واحدة . ومالئ المسلمون آخر الأمر أن يلقوا بجهود زعيمهم محمد على جناح ومن ورائه الرابطة الإسلامية إلى تحقيق حلمهم بقيام دولة خاصة بهم بعد أن أصرروا على رفض جميع عروض المؤتمر الهندى الذى كان يتزعمه غاندى ودستور ١٩٣٥م حتى لاتضيع حقوق أقليتهم الكبيرة فأعلنوا مولد باكستان فى ٤ أغسطس ١٩٤٧م على حدود لا ترضيهم فى الغالب ولكن قبلوها ليضعوا بذلك حدا للمذابح الكثير التى سقط فيها من المسلمين أكثر مما سقط من الهنادة .

الوضع السياسي في إيران

أتناول في هذا الفصل عرضاً لأهم الأحداث السياسية التي سبقت وراكت ما أنا بصدد، من دراسة .

فقد أسس أغا محمد خان الدولة القاجارية واتخذ من طهران عاصمة لها وذلك ١٢٠٩ هـ. ق / ١٧٩٤ م^(١) .

وأمتدت فترة حكم تلك الدولة حتى استطاع رضا شاه الكبير القضاء عليها وأسس الأسرة البهلوية عام ١٣٤٤ هـ . ق / ١٩٢٦ م^(٢) .

وقد ظهرت في تلك الفترة على الساحة الإيرانية قوى أجنبية تمثلت في فرنسا ، إنجلترا ، روسيا والدولة العثمانية .

فقد كانت تتمتع إيران بأهمية خاصة لما نعمت به من موقع جغرافي يميز في طريق الهند ، وعلى هذا أراد ناهليون إمبراطور فرنسا أن يقيم علاقة مودة مع إيران وصولاً إلى تلك البلاد ، بينما كان إهتمام ألكسندر الأول إمبراطور روسيا موجهاً للسيطرة على المحيط الهندي . أما إنجلترا فقد سعت لمنع تغفل النفوذ اللروسي والفرنسي ببلاد الهند بمساعدة إيران^(٣) .

وقد شهد عصر فتحعلي شاه ١٧٩٧م - ١٢١٢ هـ / ١٨٣٤ م - ١٢٥٠ هـ ، وقوع حربين بين إيران وروسيا استمرت الحرب الأولى أكثر من عشر سنوات ، وأنتهت عام ١٢٢٨ هـ . ق / ١٨١٣م بمعاهدة الكلكستان^(٤) التي منحت روسيا حق التدخل في الشؤون الداخلية من خلال البند المتعلق بمساندة ولي العهد .

١ - سيد جلال الدين مدني : تاريخ سياسي معاصر ايران ، دفتر انتشارات اسلامي ، طهران ١٣٦١ هـ . ش ، ج ١ ص ١٤ .

٢ - السباعي محمد السباعي : المسألة الإيرانية « النظام السياسي والدور الإقليمي » مجلة أوراق الشرق الأوسط العدد الرابع عشر ، أبريل يوليو ١٩٩٥ ، ص ٢٥ .

٣ - سيد جلال الدين مدني : تاريخ سياسي معاصر ايران ج ١ ص ١٤ .

٤ - معاهدة الكلكستان : عقدت معاهدة الكلكستان عام ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م بواسطة السفير البريطاني ، نصت على أن يحتفظ كلا الطرفين بكافة الولايات والأراضي التي تحت يده حتى ذلك التاريخ .

لجف قلي حسام معزي : تاريخ روابط سياسي ايران يادنيا از هخامنش تا تحولت اخير ، المجلد الاول الجزء الثاني ص ٣٤٤ .

وانتهت المرحلة الثانية من الحرب الإيرانية الروسية بمعاهدة تركمان چاي (٥) وبموجب هذه المعاهدة حققت روسيا مكاسب كثيرة منها إنفصال الأجزاء الشمالية من إيران وخضوعها للسيطرة الروسية (١).

أما عهد محمد شاه ١٢٥٠ هـ . ق / ١٨٣٤ م ، فقد كان مليئاً بالأحداث الداخلية أشهرها فتنة البابية (٢). أما على الساحة الخارجية فقد شهد عصره تطورات في العلاقات الإيرانية العثمانية ، ففي عهده تفاقمت المشاكل الحدودية بين كل من إيران والدولة العثمانية وتكرر اعتداء قبائل من الطرفين بعضهم على الآخر وأساء العثمانيون معاملة الحجاج الإيرانيين في العراق . فعلى سبيل المثال أغار والى بغداد على كربلاء وقتل ما يقرب من ثمانمائة وجل وقتل الجنود الأتراك كل من وجدوه في طريقهم وكان أغلبهم من الإيرانيين (٣).

نتج عن ذلك أن تحرك الشاه بقواته صوب العراق لمحاربة العثمانيين فتدخلت إنجلترا وروسيا وعقدت لجنة رباعية من ممثلي الدول الأربع في أرض الروم (أرزنه الروم) وانتهى الأمر بعقد معاهدة عام ١٢٣٨ هـ . ق / ١٨٤٦ م . والتي اشتملت على ٩ مواد لعل أبرز مآلفها تخلي إيران عن مطالبتها بالسليمانية والقسم العربي لولاية زهاب كما اعترفت الدولة العثمانية في مقابل هذا بامتلاك إيران لميناء المحمرة وجزيرة الخضر والساحل الأيسر لشط العرب وحرية الملاحة في هذه الأجزاء وأن يكف العثمانيون عن سوء معاملة الحجاج والتجس في الإيرانيين وأن يعامل الطرفان رعايا كل منهما وفق الأعراف والقوانين الدولية (٤). ولأن هذه المعاهدة أغفلت رسم الحدود بين الدولتين فإن العلاقات عادت إلى التدهور من جديد ، وخاصة حين توفي محمد شاه (٥).

* * معاهدة تركمان چاي : عقدت معاهدت تركمان چاي عام ١٢٤٣ هـ / ١٨٢٧ م ، وبموجب هذه المعاهدة أصبح نهر (اراس) الحد الفاصل بين الدولتين . واستحوذت روسيا على مناطق ابروان ونخجوان وقسمًا من سهول مغان ، أصبح رعايا روسيا يتقاضون أمام محاكم خاصة لا أمام المحاكم الإيرانية .
سعد الأنصاري العلاقات العراقية الإيرانية خلال خمس قرون ، الطبعة الأولى بيروت ١٩٨٧ ، ص ١١٧ - ١١٨ .

- ١ - سيد جلال الدين مدني : المرجع السابق ج ١ ، ص ١٥ .
- * - انظر الفصل الخاص بالتبهارات الدينية والعقائدية من هذا البحث .
- ٢ - انظر : رابرت كرانن واتسون : تاريخ إيران دورة قاجارية ص ٣١٦ - ٣١٧ .
- ٣ - عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الاسلام ، ترجمة : محمد علاء الدين منصور القاهرة ١٩٩٠ ، ص ٨٠٣ .
- ٤ - عبد الرضا هوشنگ مهدوي : تاريخ روابط خارجي إيران ، ص ١٤٩ .

عصر ناصر الدين شاه :

تولى ناصر الدين شاه الحكم ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨ م ، وتوفى عام ١٣١٣ هـ / ١٨٩٦ م ، وقد شهدت فترة حكم ناصر الدين شاه أحداثا داخلية وخارجية كثيرة . كانت أهم الأحداث الداخلية هي القضاء على البابية .

أما على المستوى الخارجى فقد شهد عصر ناصر الدين شاه تطورات فى العلاقات الإيرانية العثمانية ، فحين توفى محمد شاه قامت الدولة العثمانية بالسيطرة على منطقة قطور الحدودية بين إيران والدولة العثمانية ، وتمتص هذه المنطقة بأهمية عسكرية كبيرة لإيران ، فكانت روسيا تفضل بقاء المنطقة مع إيران فى حين أن المجلترا كانت تفضل بقاء المنطقة مع الدولة العثمانية . ولم تسفر المباحثات نتيجة لتدهور العلاقات وقيام حرب القرم عام ١٢٧١ هـ / ١٨٥٤ م بين روسيا وتركيا والمجلترا من ناحية أخرى.

ولقد كانت فترة حكم ناصر الدين شاه مليئة بالأحداث على ساحة العلاقات الخارجية بين إيران وروسيا ، وذلك فى أعقاب هجوم التركمان على جزيرة آشوراده عام ١٨٥٢ هـ تلك المشكلة التى لم تحل بشكل نهائى إلا بعد الثورة البلشفية عام ١٩١٧ م حيث استردت إيران الجزيرة بموجب معاهدة الصداقة التى أبرمت بين البلدين عام ١٩٢١ م^(١).

ومن ناحية أخرى فقدت خرجت هرات من التبعية لإيران نتيجة التدخل الإنجليزى ، فعندما استطاع الجيش الإيرانى السيطرة على « هرات » فى الأول من نوفمبر عام ١٨٥٦ م أعلن حاكم الهند الموالى للمجلترا الحرب على إيران للحفاظ على مصالحها فى هرات وقامت قوة عسكرية بريطانية باحتلال جزيرة « خرج » فى ديسمبر عام ١٨٥٦ م كما قذفت القوات البريطانية مدينة « بوشهر » وألحقوا الهزيمة بالقوات الإيرانية وأغاروا على خوزستان ، وفى نهاية المطاف عقدت معاهدة باريس^(٢) بين الدولتين التى انفصلت بمقتضاها « هرات » عن إيران نهائيا^(٣).

١ - عبد الرضا هوشنك مهدوى : تاريخ روابط خارجى إيران ص ١٤٩ - ١٥٠ .

٢ - معاهدة باريس : عقدت معاهدت باريس بين المجلترا وإيران بواسطة امبراطور فرنسا وأقرت الاتفاقية بالصلح بين إيران والمجلترا ونصت على انسحاب القوات البريطانية من الاراضى الإيرانية على أن تقوم إيران بسحب قواتها من هرات وأفغانستان وأن تصرف إيران نظرها عن أى مطامع لها فى هرات وأفغانستان وتعترف باستقلالها

انظر عبد الرضا هوشنك مهدوى : تاريخ روابط خارجى إيران ، ص ١٥٦ .

٣ - عبد الرضا هوشنك مهدوى : تاريخ روابط خارجى إيران ، ص ١٥٥ .

سمات عصر ناصر الدين شاه :

ولعل أهم ما يميز عصر ناصر الدين شاه تلك الرحلات الثلاث التي قام بها إلى أوروبا
أغرام ١٨٧٣م / ١٢٩٠ هـ ، ١٨٧٨م / ١٢٩٥ هـ ، ١٨٨٩م / ١٣٠٧ هـ .

الرحلة الأولى : ١٨٧٣م / ١٢٩٠ هـ .

سافر ناصر الدين شاه إلى أوروبا بتشجيع من الصدر الأعظم حاجي ميرزا حسين خان
سپهسالار ، فكان يهدف حسين خان سپهسالار من هذا التشجيع أن يتعرف الشاه على
أحوال أوروبا ومدى تقدمهم ^(١) .

ولقد رافق ناصر الدين شاه في هذه الرحلة عدد من رجال البلاط ، فقد سافر ناصر
الدين شاه عن طريق القوقاز وروسيا واستقبله الامبراطور الروسي نيكولس الثاني في
بترسبورج ، ثم استقبله امبراطور ألمانيا وليم الأول وسامارك رئيس وزرائها ، ثم توجه
بعد ذلك إلى بلجيكا على متن سفينة بريطانية ملكية ، واستقبله ولي العهد ادوارد والملكة
فيكتوريا استقبالا حافلا وفي هذه الرحلة تعرف على المصانع والقوات الحربية والبحرية
والبرية ^(٢) .

الرحلة الثانية ١٨٧٨م / ١٢٩٥ هـ

لم يلتق ناصر الدين شاه بالترحيب اللائق بسبب الخلافات التي كانت تمر بها الدول
الأوروبية بسبب مؤتمر برلين ، فاستغلت روسيا هذه الفرصة وأحسنست استقبال الشاه
واستطاعت روسيا أن تأخذ امتياز تأسيس فرق القوقاز الإيرانية على نسق قوات القوقاز
الروسية وذهبت قوات من القوقاز الروس إلى إيران وظلت بها ما يقرب من نصف قرن ^(٣) .

الرحلة الثالثة عام ١٨٨٩م / ١٣٠٧ هـ

خسرت بريطانيا كثيراً لعدم تمكنها من استقبال الشاه في رحلته الثانية بسبب الخلافات
الموجودة بين الدول الأوروبية في ذلك الوقت بسبب مؤتمر برلين كما ذكرت من قبل لهذا
وجهت إليه الدعوة إليها لتشارك هذا الموقف وسافر الصدر الأعظم ميرزا علي اصغر خان
أمين السلطنة برفقة الشاه وفي هذه الرحلة خرج أيضاً عن طريق القوقاز واستقبله أيضاً في
هذه الرحلة ألكسندر الثالث إمبراطور روسيا في بترسبورج ثم توجه بعد ذلك إلى ألمانيا
وهولندا وبلجيكا ثم توجه بعد ذلك إلى إنجلترا وأقام في لندن لمدة شهر ثم سافر إلى فرنسا
ثم عاد بعد ذلك إلى إيران واستمرت هذه الرحلة لمدة سبعة شهور ^(٤) .

١ - أحمد كسروي : تاريخ مشروطة إيران ص ٩ .

٢ - عبد الرضا هوشنك مهدوي : تاريخ روابط خارجي إيران ص ١٦٥ .

٣ - معزى : تاريخ روابط سياسي إيران بأدنيا ج ٢ ص ١١٠ .

٤ - عبد الرضا هوشنك مهدوي : تاريخ روابط خارجي إيران ، ص ١٧٢ .

وقد أرهقت رحلات ناصر الدين شاه ومرافقيه خزانة إيران ، كما أن هذه الرحلات مكنت الدول الأوروبية من الحصول على امتيازات كثيرة من إيران .

الإمتيازات في عصر ناصر الدين شاه :

لقد منحت إيران الدول الأوروبية امتيازات كثيرة في مقابل الحصول على قروض وكانت إنجلترا وروسيا يتنافسان على الحصول على هذه الامتيازات من إيران .

امتياز رويتر عام ١٨٧٢ م / ١٢٨٩ هـ

في ٢٥ يونيو منح الصدر الأعظم ميرزا حسين خان سپهسالار امتيازاً إلى البارون جوليس دي رويتر اليهودي الألماني الأصل التابع لإنجلترا^(١).

ويعوجب هذا الامتياز يكون لرويتزر الحق في الاشراف على الجمارك دخولها لمدة أربعة وعشرين عاماً ، واستخراج المعادن والبتروول وشق الترع والقنوات والاشراف على الجمارك ومدة هذا الامتياز سبعون عاماً ، في مقابل مد خط حديدي من بحر الخزر إلى الخليج الفارسي ، وفتح المناجم وانشاء بنك وطني في البلاد ودفع ضرائب واعطاء نسبة من الأرباح للشاه . ولقد ألغى الشاه هذا الامتياز بناء على طلب روسيا حين اعترضت على منح هذا الامتياز اثناء زيارة الشاه لبطرسبرج عام ١٩٢٠ م عام ١٨٧٣ هـ^(٢).

امتياز حرية الملاحة عام ١٣٠٦ هـ . عام ١٨٨٨ م

في ٢٤ صفر عام ١٣٠٦ هـ ١٨٨٨ م اعطى ناصر الدين شاه لبريطانيا امتياز حرية الملاحة في الخليج الفارسي من خرمشهر إلى الاهواز ، وبهذا الامتياز تمكنت بريطانيا من فرض سيطرتها على الخليج الفارسي وعلى الولايات التي تطل على هذا الخليج وخاصة ولاية خوزستان التي تعطيها بريطانيا أهمية خاصة^(٣).

امتياز حرية الملاحة في بحر الخزر

في مقابل الامتياز الذي حصلت عليه إنجلترا بحرية الملاحة في الخليج الفارسي استطاعت روسيا بضغطها على ناصر الدين شاه أن تحصل منه على امتياز حرية الملاحة في بحر « قزوين »^(٤).

امتياز البنك الشاهنشاهي البريطاني

في ديسمبر عام ١٨٨٩ م ١٣٠٦ هـ منح ناصر الدين شاه البارون جوليس دي رويتر تأسيس البنك الشاهنشاهي في إيران لمدة ستين عاماً ويعوجب هذا الامتياز يكون له الحق

١ - بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٦٧٢ .

٢ - عبد الرضا هوشنك مهدي : تاريخ روابط خارجي إيران، ص ١٦٣ .

٣ - أكبر هاشمي رفسنجاني : أمير كبير ص ٤٠٧ .

٤ - أكبر هاشمي رفسنجاني : أمير كبير ص ٤٠٨ .

فى احتكار اصدار العملة ، واستخراج المعادن واستخراج البترول ماعدا الفضة والذهب ،
ويعتبر هذا الامتياز تعويضا للبارون رويتر عن الخسارة التى لحقت به بسبب إلغاء امتياز
عام ١٨٧٢ م^(١).

امتياز اليانصيب (اللوتارى) ١٨٨٩ م ١٣٠٦ هـ

استطاع ميرزا ملكم خان وزير ايران المفوض فى لندن الحصول على امتياز اليانصيب
فى ايران اثناء رحلة ناصر الدين شاه الثانية الى اوروبا . وقد حصل ميرزا ملكم خان على
هذا الامتياز بتقديم الهدايا الى ناصر الدين شاه ثم باع ميرزا ملكم خان هذا الامتياز الى
شركة الاستثمار فى ايران - وهى مؤسسة بريطانية - مقابل أربعين ألف ليرة ايرانية ،
وبعد رجوع الشاه من رحلته اعلن رجال الدين أن هذا الامتياز مخالف للشرع لأن
اليانصيب نوع من المقامرة ، فاضطر الشاه الى إلغاء هذا الامتياز فى نفس العام^(٢).

امتيازات عام ١٨٩٠ م

استطاع الروس الحصول على امتيازات مقابل امتياز إنشاء البنك الشاهنشاهى
البريطانى وقد حصلوا على امتياز بنك الاقتراض والرهونات الروسى عام ١٨٩٠ م ١٣٠٨ هـ
لمدة خمسة وسبعين عام ، كما حصلت روسيا أيضا فى نفس العام على امتياز إقامة
السكة الحديد فى ايران مقابل تعهد إيران بأن لا تمنح أى دولة أجنبية امتيازات خاصة
بإنشاء السكة الحديد لمدة خمس سنوات^(٣).

إمتيازالتنباكو

فى ٨ مارس عام ١٨٩٠ م منح ناصر الدين شاه إمتياز التنباكو والدخان للميجور
تالبوت وشركائه فى الشركة الامبراطورية للدخان وبموجب هذا الامتياز بحق للشركة
الانجليزية التحكم فى بيع وشراء وتصنيع التنباكو والدخان داخل وخارج إيران المحروسة
لمدة خمسين عاما من تاريخ هذه الاتفاقية^(٤).

وتعالت أصوات المعارضة بعد هذا الامتياز واتحد الوطنيون ورجال الدين ونهضوا فى
ثورة شعبية ضد هذا الامتياز واصدر علماء الدين فى عام ١٣٠٩ هـ ١٨٩١ م فتواهم
بتحريم الطباق واطاع افراد الشعب بلا استثناء فتوى رجال الدين واندفعت المظاهرات
الشعبية صوب القصر مطالبة بإسقاط الشاه واضطر الشاه إلى إلغاء الامتياز عام ١٨٩٢
م ودفع الشاه غرامة تقدر بخمسمائة ألف ليرة إنجليزية اقترضها من البنك الشاهنشاهى
البريطانى مقابل رهن جمارك المنطقة الجنوبية^(٥).

١ - عبد الرضا هوشنگ مهدوى : تاريخ روابط خارجى ايران ص ١٧٢ .

٢ - عبد الرضا هوشنگ مهدوى : تاريخ روابط خارجى ايران ص ١٧١ .

٣ - اكبر هاشمى رفسنجانى : امير كبير ص ٤٠٩ .

٤ - ابراهيم تيمورى : محرم تنباكو ص ٢٩ تهران ١٣٦١ هـ ش چاپ سوم .

٥ - عبد الرضا هوشنگ مهدوى : تاريخ روابط خارجى ايران ص ١٧٢ .

موقف رجال الدين من الامتيازات ودور جمال الدين الأفغانى :

قد وضع جمال الدين خطورة الامتيازات وما سلكه ناصر الدين شاه مع سائر القوى الخارجية وما يجب ان يكون عليه موقف رجال الدين الشيعة وامامهم حيال تلك الأحداث والسياسات لذا آثرت أن اوضح فحوى هذه الرسالة ، وبعد ديباجة هذه الرسالة يذكر جمال الدين الحسينى « الشهير بجمال الدين الأفغانى أو الأسد آهادى » (١) .

« ويجب قول الحق ، إنك ونيس فرقة الشيعة وأنتك مثل الروح التى تبعث الحياة فى أجساد جميع المسلمين ، ولن يتمكن أى شخص من النهوض لخلاص الأمة ، إلا فى ظل رعايتك وحمايتك ، أما اذا تقاعست وولفت فى مكانك ، فإن المسلمين بدورهم يتقاعسون ويصبحون عبيدا أزلا . »

.....

فأى شخص أكثر جدارة للقيام بهذا العمل من شخص اختاره الله تعالى من بين خلقه جميعا فقد أضحي ، ملك ايران ضعيف العنصر ، سبى ، السيرة ، فاطر الهمة عاجزا عن إدارة الدولة والحفاظ على الحقوق العامة ، لذا ترك زمام الأمور فى يد شخص مهين سبى ، السلوك وضيع ، بهاجر بمهاجمة الانبياء ، لا يقبل أوامر الدين ، ولا يقيم وزنا للامعة الدينيين ويفحش القول ، ويلصق التهم بالشرفاء ويحقر من شأن السادات الشرفاء ويعامل وعاظ الدين كالوضعا .

حين عاد من أوروبا ومزق حجاب الحياء ، وازداد خيلاء بنفسه ، بهاجر بشرب الخمر ويسلك مع الكفاءة مسلك المودة ، ويعادى الأخيار من الناس ، وتلك أمور خاصة به أما ما ارتكبه وعاد بالضرر على المسلمين فيتمثل فى ما أصاب جزءا كبيرا من الدولة ، وباع دخلها إلى أعدائها .

المناجم والطرق المؤدية إليها ، نزل القوافل التى أقيمت على جوانب الطرق المعبدة ، نهر قارون ، الطريق من الأهواز إلى طهران ، الدخان ، قطف العنب ، الصابون والشمع والسكر والمصانع اللازمة لكل ذلك ، الهنك ولكى يبرر هذا الخائن الاحمق صنيعه ويرضى الأمة فإنه يقدم دليلا واهيا لفعلته القبيحة فيقول : انها معاهدة مؤقتة وان مدتها لن تتجاوز مائة عام أى دليل أكثر بينة على فضيحة هذه الخيانة والخونة !

.....

والخلاصة ان هذا الرجل الفاسد قد وضع ايران فى سوق المزاد فيبيع بيوت محمد ﷺ وممالك الاسلام الى الاجنبى ولكنه يبيعها بثمان بخص لوضاعة أصله وضعفه وأنت يا إمام

١ - رسالة سيد جمال الدين الى ميرزا محمد حسن شیرازى نقلا عن تحرير تنهاكو : ابراهيم تيمورى

الدين اذا لم تنهض لمساعدة الأمة ولجميع وحدتها ولم تخلص هذه الأمة من قبضة هذا المجرم الاثم فانه لن يمضى وقت طويل فتسقط مملكة الاسلام فى يد الاجانب .
ومرة أخرى أقول لك باسم شخص مطلع باسم حجة الاسلام ان الدولة العثمانية سعيدة بشورتك ونضالك ضد هذا الفاسد وستهب لنجدتك لأن الدولة العثمانية تدرك ان التدخل الاجنبى فى مناطق ايران وسيطرة نفوذهم فى هذه الدولة سيعود بالضرر على دولتهم كذلك .

كما ان وزراء ايران وقادتها سيوافقونك على هذا التصدى وسيكونون سعداء بك فمن الطبيعى انهم غير راضين عن هذه العمليات الجديدة ووقوعك سبهيىء الفرصة لنقض هذه الاتفاقيات ، فاذا كان العلماء قد انتقصوا سلوك هذا الأحقق فانهم ليسوا فى وضع يمكنهم ان يوحدا انفسهم تجاهه .. وان كلمة واحدة منك سوف تؤدى الى الوحدة التى ترفع البلاء عن الدولة وتحفظ الدين الاسلامى وتحيط المجتمع الدينى بسياج من الضمان وبعد فان الجميع معك والامر بيدك فستكون مسؤولا أمام الله وأمام الناس .

اغتيال ناصر الدين شاه

ويتضح مما ذكرته عن فترة حكم ناصر الدين شاه ، انه كان رجلا مستبدا لا يعرف شيئا عن السياسة ولا عن العلاقات بين الدول ، وكان جل خوفه على السلطة - والدليل على ذلك استمرار فترة حكمه لمدة خمسين عاما -

وقد قتل ناصر الدين شاه على يد ميرزا رضا كرماني وهو أحد مریدی السيد جمال الدين أسد آبادی المشهور بالافغانى فى ١٧ ذى القعدة عام ١٣١٣ هـ ١٨٩٦ م أثناء احتفاله بعيد جلوسه الخمسين فى ساحة مسجد الشاه عبد العظيم (١) .
مظفر الدين شاه :

تولى مظفر الدين شاه الحكم بعد مقتل ابيه ناصر الدين شاه وقد ابقى مظفر الدين شاه على ميرزا على اصغر خان فى منصب الصدارة (٢) .

ولكن بعد سبعة اشهر عزله وعين أمين الدولة رئيسا للوزراء وصدرا أعظم وكان ذلك عام ١٣١٥ هـ ١٨٩٨ م وقد أعطى تعيين أمين الدولة فى منصب الصدارة طلاب الاصلاح آمالا لانهم كانوا يشقون فى امانة أمين الدولة ووطنيته وعلمه وقد عمل أمين الدولة على تنفيذ المشاريع التى اعدّها امير كبير وحامى ميرزا حسين خان سپهسالار فقام بانشاء المدارس وأسس جمعية لتطوير العلوم وأطلق حرية الصحافة ولما كانت أوضاع البلد المادية

١ - سيد جلال الدين مدنى : تاريخ سياسى معاصر ايران ص ٢٠ .

٢ - عبد الرضا هوشنگ مهدى : تاريخ روابط خارجى ايران : ص ١٧٣ .

متردية للغاية ولم يكن بالخزانة مال يفي بنفقات الشاه^(١) في تلك الأثناء تكاتف أعوان امين الدولة ونجحوا في عزله وعينوا امين السلطان مرة أخرى وبدأ يحرض الشاه على طلب القروض من الدول الأجنبية ففي عام ١٣١٧ هـ ١٨٩٩ اقتترضت ايران من روسيا اثنين وعشرين مليون ونصف وقام الشاه برهن جمارك المنطقة الشمالية لمدة خمسة وسبعين عاما مقابل هذا القرض^(٢) وفي عام ١٩٠١م اشتد المرض على مظفر الدين شاه واقدم على اخذ قروض جديدة من روسيا لحاجته للعلاج في أوروبا وحصلت ايران على قرض قدره عشرين مليون منات في مقابل منح بنك الاقتراض والرهنات الروسى امتياز إنشاء طريق عام يمتد من جلفه الى تهران^(٣).

امتياز دارس

منحت الحكومة الايرانية في عام ١٩٠١م ١٣١٩ هـ امتياز استخراج البترول لوليام دارس البريطانى ، ولم تعترض روسيا على هذا الامتياز وذلك لانها لم تكن مدركة حتى ذلك الوقت اهمية البترول ، وطلبت روسيا ان تستثنى الولايات الخمس الموجودة على الحدود الروسية - آذربيجان ، گيلان ، مازندران ، گرگان ، خراسان . وبالفعل تم استثناء هذه الولايات من هذا الامتياز وكان هذا الامتياز مقابل دفع مبلغ عشرين ألف ليرة في العام مضافا إليه نسبة ١٦ ٪ من فائدة الربح^(٤).

العودة للدستورية

كل ما سبق وان ذكرته ادى إلى سخط الشعب ، وان الشاه جعل الدولة مستدينة عن طريق الاقتراض واخذ الجميع ينتقدون الحالة فتعالت الاصوات المخالفة وثار العلماء على امين السلطان فعزله الشاه عام ١٣٢١ هـ ١٩٠٣ وعين مكانه عين الدولة وكان عنيفا ومستبدا مما ادى إلى عداوة رجال الدين والتجار والثوار من مختلف الطبقات ضد الصدر الاعظم في عام ١٣٢٣ هـ ١٩٠٥ م سافر الشاه إلى أوروبا مما اثار غضب الشعب^(٥) . ومن الأسباب التي ادت الى الثورة سوء سلوك [مسير نوز] البلجيكي المشرف على الجمارك وسوء معاملته للتجار وقد غضب رجال الدين من صورة فوتوغرافية التقطت لمسير نوز وهو مرتدى لثيابهم فاعتبروا هذا الامر اهانة لهم واخذوا يهاجمونه من فوق لمناهر ، يضاف الى ذلك ان علاء الدين حاكم تهران قام بضرب سبعة عشر تاجرا مما ادى إلى

١ - علاء الدين منصور : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٨٣٩ .

٢ - احمد كسرى : تاريخ مشروطيت ايران ص ٢٥ .

٣ - ابراهيم تيمورى عصرى خبرى ج ٣ ص ٣٨٩ .

٤ - عبد الرضا هوشنگ مهدوى : تاريخ روابط خارجى ايران : ص ١٧٥ .

٥ - ناظم الاسلام كرماني : تاريخ بيدارى ايرانيان ص ١٠٢ .

انضمام التجار الى رجال الدين وانضم إليهم ايضا طلاب الدستور تحت رعاية السيد طباطبائي والسيد عبد الله بهبهاني واعتصموا بمسجد الشاه عبد العظيم وطالبوا بعزل مسيو نوز واقتتاح دار العدالة واضطر الشاه إلى عزل مسيو نوز وأمر بافتتاح دار العدالة، ولكن علاء الدولة حاكم تهران عطل تنفيذ أوامر الشاه الخاصة بتأسيس دار العدالة وعمل على اضطهاد الثوار المطالبين بالدستور فغضب الشعب مرة أخرى واعتصموا بمسجد تهران وبمسجد الشاه عبد العظيم وطالبوا بعزل عين الدولة وتنفيذ فرمان الشاه بتأسيس دار العدالة، فامر عين الدولة بتفريق المجتمعين وقتل في هذا النزاع اثنان من الطلاب وفي النهاية عزل الشاه عين الدولة وحل محله في الصدارة ميرزا نصر الله خان مشير الدولة ، واصدر في ١٤ جماد الثانية ١٣٢٤ هـ ، ١٥ أغسطس ١٩٠٦ م فرمان الدستور وألف في نفس العام أول مجلس في ١٤ ذي القعدة ١٣٢٤ هـ ثم مات الشاه بعدها بخمسة أيام^(١).

محمد علي شاه

تولى محمد علي شاه الحكم خلفا لابييه في ١٩ يناير ١٩٠٧ م / ٤ ذي الحجة ١٣٢٤ هـ في بداية حكمه قام بالاقتراض من روسيا والمجلترا بدون الرجوع الى المجلس أو رئيس الوزراء نصر الله خان مشير الدولة لذلك قدم رئيس الوزراء استقالته فاستدعى الشاه ميرزا علي اصغر خان امين السلطان الصدر الأسبق وقوبل هذا الرجل بالسخط والغضب والرفض الشديد لاستبداده ، فقتل علي يد أحد مجاهدي تبريز في رجب ١٣٢٥ هـ أغسطس ١٩٠٧ م^(٢).

اتفاقية ١٩٠٧

في تلك الأثناء عقدت اتفاقية بين المجلترا وروسيا لانهاء ما بينهما من منازعات وقسموا ايران الى ثلاث مناطق سيطر الروس على المنطقة الشمالية وسيطر الانجليز على المنطقة الجنوبية وظلت المنطقة المركزية منطقة محايدة^(٣).

بعد مقتل امين السلطان عين الشاه ابو القاسم خان ناصر الملك الهمداني وزير المالية السابق في مكان الصدارة وكان الهدف من تعيينه هو اصلاح مالية المملكة ولكنه فشل بالرغم من دراسته المتقدمة في هذا المجال واعتدال مسلكه في ذلك الوقت وقع محمد علي شاه الملحق المتحم للقانون الاساسي بناء على ضغط النواب ، ودخل المجلس واقسم بالقرآن

١ - علاء الدين منصور : تاريخ ايران بعد الاسلام ص ٨٤٤ ، ٨٤٥ .

٢ - عبد الرضا هوشنك مهدوي : تاريخ روابط خارجي ايران، ص ١٧٥ ، احمد كسروي : تاريخ مشروطيت ايران ص ٢٥ .

٣ - سيد جلال الدين مدني : تاريخ سياسي معاصر ايران ص ١٧٩ .

الكريم على المحافظة على الدستور إلا أنه أساء معاملة طلاب الدستور وهم بنسف أساس الدستور ولكنه أنصرف عن ذلك بسبب خوفه من ثورة طلاب الدستور ، وطالب نواب المجلس الشاه بعزل ستة من حاشيته لتورطهم في تحريض الشاه على الاطاحة بالدستور ولكن الشاه عمل بعكس ذلك وقام بعزل ثمانية من النواب ذوي النفوذ المفوهين^(١) وقد ثار طلاب الدستور في عام ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م وانتهت الثورة التي بدأها طلاب الدستور بقتال وسفك الدماء وتعطيل الدستور واغلاق المجلس وقام لياخوف الروسى وفرقة القازاق بقصف المجلس بالمدفعية ونتيجة لهذا القصف قتل بعض النواب واسر بعض آخر وفر أكثرهم ونفى الشاه السيد محمد الطباطبائي والسيد عبد البهبهاني وقتل عدة من الصحفيين وألقى بالعديد الآخر في السجن^(٢) ولكن الأمر لم يستمر ونهض مطالبو الحرية من تبريز وأصفهان ورشت واستولوا على تهران ولجأ محمد شاه الى السفارة الروسية وعزلوا الشاه في ٢٧ جماد الثانية ١٣٢٧ هـ ١٦ يوليو ١٩٠٩ م ودلوا ابنه أحمد شاه البالغ من العمر ١٢ عاما بدلا منه^(٣) .

سلطنة أحمد شاه :

بعد عزل محمد علي شاه أجلس الثوار ابنه أحمد ميرزا البالغ من العمر اثني عشر عاما واختير عضد الملك أكبر افراد الاسرة القاجارية نائبا للسلطنة وافتتح المجلس الوطنى للمرة الثانية ١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ م ولكنه عاد واغلقه عام ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م وبدأ ناصر الملك الانتخابات الخاصة بالمجلس ولكنه لم يتمها لأن أحمد شاه وصل إلى السن القانونية وتولى السلطة وافتتح المجلس للمرة الثالثة في عام ١٣٣٢ هـ / ١٩١٣ م ولكنه لم يستمر أكثر من عام ذلك لنشوب الحرب العالمية الأولى مما تسبب في اضطراب اوضاع الدولة لأن ايران كانت موضع هجوم الجيش الروسى فى الشمال والجيش الإنجليزى فى الجنوب ، وفى تلك الأثناء عقدت اتفاقية بين روسيا والمجلترا فى ١٨ مارس عام ١٩١٥ م .

فى هذه الاتفاقية وافقت روسيا على أن المنطقة المحايدة المنصوص عليها فى اتفاقية ١٩٠٧ م تكون منطقة نفوذ المجلزى باستثناء الأراضى المجاورة لأصفهان ويزد فى مقابل ذلك وافقت المجلترا على أن تتمتع روسيا بنفوذ كامل وسيطرة مطلقة لتشاهد سنوات ١٩١٦ م ، ١٩١٧ م سيطرة كاملة على ايران من قبل القوى الاجنبية وفوضى عارمة داخل إيران ، وتندلع الثورة البلشيفية مما اصاب المجلترا بالذعر وسعت بالتعاون مع فرنسا للوقوف امام تلك الثورة والعمل على حماية روسيا البيضاء ، وكان الانجليز يهتمون

١ - علاء الدين منصور : تاريخ ايران بعد الاسلام ، ص ٨٤٦ .

٢ - احمد كسروى : تاريخ مشروطيت ايران ص ٦٣١ .

٣ - سيد جلال الدين مدنى : تاريخ سياسى معاصر ايران ص ٢١ .

بموضوع النفط في باكو فارادوا السيطرة على شمال إيران فاندفعت ثورات الإيرانيين ضد المستعمرين واستمرت تلك الثورات حتى أواخر عام ١٩١٨م وانتهت الثورات باتفاقية وثوق الدولة عام ١٩١٩م التي مكنت الانجليز من السيطرة على إيران^(١).

بعد ذلك تعاقبت على إيران وزارات عديدة ففي ١٨ يناير ١٩٢٢ سقطت حكومة قوام السلطنة وتولى من بعده مشير الدولة برنبا في تلك الاثناء سافر أحمد شاه الى أوروبا وقدم مشير الدولة برنبا استقالته نتيجة خلافاته مع قائد الجيش وبعد هذا اختير قوام السلطنة مرة أخرى في منصب الصدارة وعمل قوام السلطنة على ادخال أمريكا الى الساحة السياسية في إيران وبدأ في استقدام مستشارين امريكيين مما أغضب الانجليز فضغطوا على الشاه الذي اجبر قوام السلطنة على الاستقالة في ٢٥ يناير ١٩٢٥م كل هذه الأحداث أدت إلى قيام المجلس بتفويض قائد الجيش ليتولى رئاسة الأركان وذلك في ١٤ فبراير ١٩٢٥م وتشكيل حكومة مؤقتة برئاسة رضا خان قائد الجيش واعترفت المجترة رسميا بالنظام الجديد شريطة أن تحترم الحكومة الجديدة المعاهدات والاتفاقيات السابقة وفي الثامن من نوفمبر اعترفت سائر الدول بالنظام الجديد وتوج قائد الجيش الذي فرض إليه كل الأمور ملكا على إيران في ٢٥ أبريل عام ١٩٢٦م ، وقد تولى رضا شاه مؤسس الاسرة البهلوية الأمور في إيران وهي تعاني من أزمة اقتصادية وسياسية نتيجة التدخل الاجنبى في امور ايران الداخلية والخارجية ، وانعقدت الامال في رضا شاه وبالفعل عمل منذ اللحظة الأولى لتوليهِ الملك على تخليص إيران من التدخل الاجنبى ولاسيما الانجليز لذا عمل على تسليح الجيش بالاسلحة الحديثة حتى يحمى استقلاله ، كما عمل أيضا على إقامة علاقات تجارية مع ألمانيا وروسيا وغيرها من البلاد الأخرى ثم قام بعد ذلك بسلسلة من الاصلاحات الداخلية للنهوض بالمجتمع فألغى نظام الاقطاع واهتم بالاعمال الإنشائية الضخمة فمهد الطرق وأنشأ المصانع العظيمة وعمل أيضا على النهوض بالتعليم فأنشأ جامعة تهران وأوفد البعثات الى الخارج وحين بدأ الشعب ينعم بهذه الاصلاحات قامت الحرب العالمية الثانية وتحذت روسيا والمجترة للسيطرة على ايران بسبب موقعها الاستراتيجى فهاجمت روسيا إيران من الشمال وهاجمت المجترة من الجنوب ولم يستطع الجيش الايرانى الصمود أمام الجيش الانجليزى وغرقت السفن الايرانية في ميناء خرمشهر، ونتيجة لهذا تنازل رضا شاه عن العرش لأبنة محمد رضا شاه^(٢).

هذه هي أهم ملامح الفترة موضوع دراستنا من حيث التطور السياسى والوضع الداخلى المناوىء لتلك الأحداث .

١ - سيد جلال الدين مدنى : تاريخ سياسى معاصر ايران ص ٢١ - ٢٢ .

٢ - صادق نشأت ، مصطفى حجازى : صفحات عن ايران ، القاهرة عام ١٩٦٠م ، ص ٨٨ إلى

٩١ : بتصرف .

الوضع السياسى فى الدولة العثمانية

شهدت الدولة العثمانية تغيرات كثيرة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين .

فهناك سؤال طرحه السلاطين العثمانيون على انفسهم منذ زمن بعيد « كيف يمكن أنقاذ الامبراطورية » ^(١) ولقد بدأ السلطان سليم الثالث ومحمود الثانى فى الإجابة على هذا السؤال فبدأوا فى الإصلاحات الى أن جاء السلطان عبد المجيد [١٨٣٩م إلى ١٨٦١م] وأصدر فرمان التنظيمات الذى عرف بأسم فرمان الكلخانة نسبة إلى حديقة الكلخانة التى تلى فيها فرمان ^(٢) .

فرمان الكلخانة :

أصدر السلطان عبد المجيد عقب توليه الخلافة فرمان الكلخانة وكان ذلك فى ٢٦ شعبان ١٢٥٥ هـ / ٣ نوفمبر ١٨٣٩م .

ولقد شرح السلطان عبد المجيد فى هذا فرمان الأسباب التى أوصلت الدولة العثمانية الى أعظم مجدها منذ بداية نشأتها إلى مائة عام قبل ذلك ، فيذكر أن الدولة العثمانية منذ بدايتها كانت متمسكة بأحكام القرآن وأحكام السنة . ولكن الحال تغير منذ مائة وخمسين عاما فبدأت الدولة العثمانية فى الضعف والتدهور ، لذا يجب وضع قوانين جديدة لتحسين ادارة الامبراطورية العثمانية ، وكانت الخطوط العريضة لهذا فرمان هى الأمن على الأرواح ، والحفاظ على الشرف وعلى المال وتحديد الخراج الملائم مع كل دخل ، وتحديد مدة تجنيد الجنود ، ومحاكمة الخارجين على القانون بمقتضى الأحكام الشرعية ، ولقد بلغ هذا فرمان أنهاء الدولة العثمانية ولكن السلطان إنشغل عن تنفيذ هذا فرمان بسبب اندلاع حرب القرم ^(٣) .

١ - روبير مانتيران : تاريخ الدولة العثمانية : ترجمة بشير السباعى ج٢ ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٦٣ .

٢ - Prof:Dr- Yosar yücael - Ali Sevim Türkiye Tarihi - Cilt4 s247. Ankara 1992 .

٣ - حرب القرم : نشبت هذه الحرب بسبب السياسة التى تبنتها روسيا للسيطرة على منطقة البلقان ، لذلك أخذت فى مهاجمة الدولة العثمانية مما اضطر دول الحلفاء وعلى رأسهم المجلترا وفرنسا إلى مهاجمة القرم حتى يجبروا روسيا على التخلي عن سياستها ، وقد أدى الاستيلاء على « شيباستوبول » معقل القوات الروسية إلى وضع نهاية للحرب ، وعقد مؤتمر الصلح فى باريس فى ٢٥ فبراير ١٨٥٦ .

Türkiye Tarihi - prof:Dr- Yosar yücael - Ali Sevim Cilt4 s280 - 282 . Ankara 1992

فرمان الإصلاح ٢٨ فبراير ١٨٥٦ م :

بعد انتهاء حرب القرم التي عطلت العمل بفرمان الكلخانة أصدر السلطان عبد المجيد فرمان الإصلاح في ٢٨ فبراير ١٨٥٦ م ، نتيجة الحاج الدول الأوروبية عليه لإصلاح رعاياها ويتضمن فرمان تأمين النفس والعرض والمال للجميع مسلمين أو مسيحيين ومساواة الجميع أمام القانون وتأدية الخدمة العسكرية وعدم الحكم على أحد إلا بعد محاكمة علنية، محاربة الرشوة والفساد ، الاستفادة من العلوم والمعارف الأجنبية^(١).

توحيد القانون :

كان لزاما على الباب العالي وضع قوانين جديدة تليق بدولة حديثة كانت القوانين الجديدة يمكن تطبيقها على جميع مواطني الامبراطورية دون تميز في العرق أو الدين لذا كانت الصعوبة لأنه لابد من وضع قوانين تقبلها جميع الطوائف مع الاحترام بالمبادئ التشريعية الإسلامية .

ففي عام ١٨٤٠م اعتمد قانون عقوبات (جزء قانون نامه سى) مشوش وملبس إلى حد ما ولكنه يستلهم مع ذلك بشكل واضح الأفكار الجديدة ، بموجب هذا القانون أصبح الناس سواسية أمام القانون ، وقد عدل هذا القانون عام ١٨٥١م إلى أن تم وضع قانون جديد فرنسي عام ١٨٥٨م . في تلك الفترة تقدمت فرنسا إلى الدولة العثمانية بقانون تجارى ، وبالرغم من أن واضعى هذه القوانين قد حرصوا أن تكون هذه القوانين ملائمة للدولة العثمانية إلا أن بعض هذه القوانين صدمت علماء المسلمين وخاصة القانون التجارى الذى أجاز التسليف مقابل فائدة وادخال اشكال مشاركة لم يعرفها القانون الإسلامى^(٢) .

التعليم :

كان العلماء وخاصة المثقفون المسلمون قد احتلوا في فترة التنظيمات مكانة عالية في جميع المجالات . كان هذا باعثا الى تغيير نظام التعلم في الامبراطورية العثمانية فادرك المصلحون ضرورة إنشاء هياكل تعليمية منفصلة عن التربية الدينية سعيا الى تكوين اشخاص قادرين على ادارة عملية التحديث فكان الاتجاه الى علمنة التعليم ، ولكن علمنة التعليم كانت تتقدم ببطء شديد نظرا لعدم وجود عدد كاف من المدرسين ، وقد تم إنشاء المدارس العلمانية الأولى المخصصة للأطفال والبالغين في عهد محمود الثانى^(٣) .

١ - أحمد فؤاد متولى : حركات التجديد في الأدب التركى في النصف الثانى من القرن التاسع عشر : رسالة دكتوراه ص ٢٥ .

٢ - روبر مانتوران : تاريخ الدول العثمانية ، ترجمة : بشير السباعى ج ٢ ص ٨٨ - ٨٩ .

٣ - المرجع السابق ص ٩١ - ٩٤ .

الجيش الجديد :

كان الهدف الأسمى لمرحلة التنظيمات هو إنشاء جيش جديد فلقد شكلت الاخفاقات التى حلت بقوات محمود الثانى فى وجه قوات محمد على والى مصر لقادة الامبراطورية العثمانية صدمة كبيرة لذا فان مشكلة إصلاح الجيش أخذت طريقها منذ بداية عهد عبد المجيد . وايضا فى عصر محمود الثانى اقيمت مدرسة المهندسين العسكرية والمدرسة البحرية - ومدرسة الطب العسكرية وايضا مدرسة العلوم العسكرية كل هذا كان النواة الأولى لتحديث الجيش . وفى عصر عبد المجيد تم إنشاء أهم المدراس وهى مدرسة الأركان أى أركان الحرب وفى هذه المدرسة تم استقدام خبراء أوروبيين . ومن أهم الأشياء التى تمت فى إصلاح الجيش هو ادخال نظم جديدة للتدريب واستخدام اسلحة حديثة أكثر فاعلية ، والأكثر أهمية من ذلك هو تحديد التجنيد . وبكل هذه الإصلاحات أصبح لدى الدولة العثمانية عام ١٨٧٠م جيش مجهز بالأسلحة الأوروبية الحديثة وأصبح قوام الجيش يصل الى ٣٠٠٠٠٠ جندي وفى عهد عبد العزيز بدء الاهتمام بالأسطول الذى ظهر بحالة سيئة ابان حرب القرم امام الأسطول الروسى ، فقام عبد العزيز بتزويد الأسطول بالبوارج الحديثة وبنحود مدربين على استخدام هذه البوارج ^(١) .

ولكن ماذا يفعل هذا الجيش الحديث أمام المؤامرات الموجهة الى الدولة العثمانية والتى عملت على زعزعة استقرار الامبراطورية عن طريق الاجناس غير المسلمة . ولقد لعبت فرنسا وانجلترا دورا بارزا فى هذا الشأن ^(٢) .

وقد شهدت الفترة الأخيرة من حكم السلطان عبد المجيد الكثير من الفتن والتدخلات من الدول الأوروبية وتوفى السلطان عبد المجيد فى ١٧ ذر الحجة عام ١٢٧٧ هـ الموافق ٢٥ يونيو ١٨٦١م وتولى أخوه السلطان عبد العزيز الخلافة فى نفس اليوم من وفاة عبد المجيد .

السلطان عبد العزيز (١٨٦١م - ١٢٧٧ هـ - ١٨٧٦م - ١٢٩٣ هـ)

تولى السلطان عبد العزيز خلفا لأخيه السلطان عبد المجيد ، فحين تولى الخلافة اقال محمد أمين غالى باشا من منصب الصدارة وعين بدلا منه فزاد باشا ، الذى بذل جهدا كبيرا فى اصلاح المالية التى كانت على شفى الانهيار والافلاس بسبب الديون الكثيرة . وفى عهده نشأت ثورة جزيرة كريد بسبب دسائس اليونان وسعيهم لضمها إليهم وقد استطاعت الدولة العثمانية من القضاء على هذه الفتنة وقد عقدت الدولة الموقعة على اتفاق ١٨٥٦م فى باريس مؤتمرا وبعد هذا المؤتمر اصدر السلطان عبد العزيز اوامره بمنح الجزيرة بعض الامتيازات واعفاء أهلها من دفع اموال سنتين كانت متأخرة عليهم .

١ - المرجع السابق ص ٩٧ - ٩٨ .

٢ - محمد قريد : تاريخ الدولة العثمانية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٨٩٦ م ، ص ٢٨٤ .

ولقد امتاز السلطان عبد العزيز بثفقد الممالك التابعة له ، بالتحدديد على سبيل المثال سافر الى مصر عام ١٨٦٣ م ، ١٢٧٩ هـ .

ولقد ايقن السلطان عبد العزيز ان تحالف الدول الاوروبية مع الدولة العثمانية فى حرب القرم كان زريعة لاضعافها بالتدخل فى شئونها الداخلية ومساعدة الطوائف المسيحية الخاضعة لها على لاشفاق عنها . لذا فقد وجد أن الأجدى للدولة العثمانية هو الابتعاد عن الدول الغربية والتقارب من روسيا ، ولهذا عملت الدول الاوروبية على عزل السلطان عبد العزيز واتهامه بعدم الاهلية لحكم المملكة وقد ساعدهم فى ذلك عدم اتباع السلطان لبعض العادات والخروج عليها ، فتآمر على خلع السلطان كل من محمد رشدى باشا الصدر الاعظم ، حسين عونى باشا ناظر الحربية ، أحمد باشا قيصرى ناظر البحرية وأحمد مدحت باشا ، وشيخ الاسلام حسن خير الله افندى الذى اصدر فتواه بوجوب خلع السلطان فكلفوا حسين عونى باشا ناظر الحربية بخلع السلطان . ويومع السلطان مراد خان الخامس فى ٢٩ ماير عام ١٨٧٦م الذى استمر فى السلطة الى أغسطس من نفس العام وعزل بسبب قواه العقلية وتولى بدلا منه السلطان عبد الحميد الثانى .

تقييم لحركة التنظيمات

الواقع ان غالبية الباحثين الاوروبيين يذهبون الى ان حركة التنظيمات والاصلاحات العثمانية فى القرن ١٩ قد ولدت ميتة وان مبادئ حركة التنظيمات والاصلاحات لم تتجاوز عتبة الباب العالى ولكننا فى الواقع يمكننا القول ان حركة التنظيمات بكل ما بها من سلبيات وايجابيات وكل ما نتج عنها من تغييرات سواء كانت الى الاسوأ أو الى الأحسن إلا انها قد احدثت تغييرات جذرية فى تركيا وان هناك فرق كبير بين تركيا العثمانية ١٨٠٠م وبين تركيا العثمانية عام ١٨٧١م^(١) .

ومهما ذكرنا عن فشل محاولات حركة التنظيمات والاصلاحات فى تحقيق اهدافها إلا أن هذه الحركة قد مهدت الأرض والقت البذور لظهور تركيا الحديثة فى مطلع القرن العشرين ، فنحن نجد أن هذه الحركة بينما لم تنجح فى اصلاح النواحي الادارية والقانونية إلا انها لم تحبث فى بعض المناحي الأخرى ، وأهمها التعليم بما أسسته من مدارس خرجت اجيالا لتسهم فيما بعد الاضطلاع بحركة تحديث تركيا^(٢) .

الدستور العثماني الأول ، المشروعية الأولى ، ١٨٧٦م

سعى مدحت باشا ١٨٢٢-١٨٨٣م / ١٢٣٨-١٣٠١هـ ورفاقه بعد تولي السلطان عبد الحميد الثاني العرش ، الى حملة على اعلان القانون الاساسي الذي وعد به قبل توليه الحكم ، ووافق عبد الحميد بعد طول تردد ، وكلف مدحت باشا بوضع الخط الهمايوني الخاص بذلك ، كرس مدحت باشا كل جهوده لانجاز المهمة ولكن السلطان لم يوافق على كل ما أعد في المشروع ^(١) لهذا لجأ أن السلطان احوال المشروع للوزراء لبحث ما جاء فيه وليغيروا بعض البنود التي وردت فيه حسب مايتفق مع هواه حتى يضمن لنفسه المحافظة على الحكم والحكم المطلق . وان يكون هذا البرلمان والدستور منفذا لرغباته .

وقد أعلن الدستور العثماني الأول في الثالث والعشرين من ديسمبر عام ١٧٨٦م السابع من ذي الحجة ١٢٩٣م وقد جاء فيه ان الحرية والمساواة مكفولتان لجميع الرعايا والتعليم اجباري على العثمانيين ، الحرية مكفولة للطباعة ، ودين الدولة هو الاسلام ، ولغتها الرسمية هي اللغة التركية ، وجميع رعاياها يطلق عليهم اسم عثمانيين ، واعداد ميزانية سنوية للدولة لضمان أوجه الصرف .

ونص الدستور على تكوين مجلس عمومي ينقسم الى مجلسين احدهما مجلس مبعوثان « مجلس النواب » ، يتكون من مائة وعشرين عضوا يخرج ثلثهم كل عام لكي يجدد المجلس بأكمله خلال ثلاث سنوات ويعقد مجلس النواب لمدة ثلاثة اشهر كل عام ابتداء من ديسمبر حتى نهاية فبراير .

والمجلس الآخر هو مجلس أعيان ، وكان اعضاؤه يعينون من قبل الحكومة ولهذا المجلس حق مراجعة القوانين والقرارات التي يتخذها مجلس المبعوثان فيقرها أو يرجعها إليه لاعادة النظر فيها .

وبعد ذلك طلب مدحت باشا من السلطان عبد الحميد اجراء بعض التعديلات على القانون الاساسي فرفض السلطان مطلبه فبعث مدحت باشا الى السلطان تقريره المشهور في ١٨ يناير ١٨٧٧م .

قال فيه « كان هدفنا من وضع الدستور واعلانه القضاء على الاستبداد وتنبيه جلالتم الى واجباتكم وتحديد صلاحيات وزراء الدولة وضمان المساواة الكاملة بين شعوب امتنا والعمل بيد واحد على اصلاح البلاد .

١ - أحمد فزاد متولى : حركات التجديد في الأدب التركي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر رسالة دكتوراه ، ص ٢٨ .

سيدي انقضت تسعة ايام على مقترحاتي التي اهتمتموها والتي ألاحظ انكم ترفضون الانظمة التي تشبه الادوات الضرورية في يد العامل ولا يمكن للعمل ان يتم بدون آلة استميجكم عنرا ان قلت ان عملكم هذا سيؤدي الى هدم بناء الدولة بينما نعمل نحن على ترميمه .

ولقد أثار هذا الكلام غضب السلطان فعزله من الصدارة العظمى ونفاه الى أوروبا (١) .

وبعد ذلك حل السلطان عبد الحميد مجلس النواب [المبعوثان] في ١٤ فبراير ١٨٧٨م وعطل العمل بالدستور لكنه لم يبلغ وبذلك عطلت الحياة الدستورية وظل هذا الحال الى عام ١٩٠٨م حين اعلنت المشروطية الثانية .

مؤتمر برلين في ١٣ يونيو ١٨٧٨م

عقد مؤتمر برلين في ١٣ يونيو ١٨٧٨ واستغرقت اجتماعاته اربعة اسابيع وبمساعدة بسمارك استنفذ الباب العالي بلغارية الجنوبية على الأقل التي جعلت ولاية ذات استقلال داخلي على رأسها حاكم مسيحي ، في حين رفعت بلغاريا الشمالية الى امانة مستقلة ، اما رومانيا والجبل الاسود وبلاد الصرب فقد منحت استقلالها التام ، بينما قنعت اليونان ايضا بترضية اقليمية .

وقضى المؤتمر كذلك بأن تتخلى رومانيا عن بيساريا للروس لتحصل لقاء ذلك على دوبريجه وهو تعويض لا يتكافأ على الاطلاق مع ما فقدته ولكن القرار الذي انتهى الى أن يصبح اعظم القرارات خطرا واسوأها نتائج هو ذلك الذي منع حتى احتلال البرسنة والهرسك وسحق بنى بازار (٢) .

سكة حديد الحجاز ١٩٠٠م

من أروع منجزات السلطان عبد الحميد الثاني إنشاء سكة حديد الحجاز من دمشق إلى المدينة المنورة في العقد الأول من القرن العشرين ، وبذلك شهدت الاراضي المقدسة الاسلامية في الحجاز لأول مرة في التاريخ خطا حديديا يتيح لها الانفتاح على العالم الخارجي ، وقد ابتغى عبد الحميد من إنشاء الخط الحديدي الى الحجاز هدفين مزدوجين كان أولهما خدمة الحجاج بايجاد وسيلة سفر عصرية يتوفر فيها الامن والسرعة والراحة اما الهدف الثاني دعم حركة الجامعة الاسلامية (٣) وأراد عبد الحميد ان يتخذ من الحج وسيلة

١ - المرجع السابق ص ٣٠ .

٢ - كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي ، الطبعة السابعة بيروت ١٩٧٧ ، ص ٥٨٨ - ٥٨٩ .

٣ - وسوف نتحدث عن حركة الجامعة الاسلامية في الباب الثاني بالتفصيل .

عملية كى يلتف المسلمون حول الخلافة وقد اتخذ عبد الحميد من حركة الجامعة الاسلامية سياسة عليا للدولة ومن ثم صحت عزمته على إنشاء الخط الحديدي الى الحجاز وربطه فى اذهان المسلمين ، فيظهر عبد الحميد أمام العالم الاسلامي بمظهر الخليفة الذى تحده انبل العواطف نحوه اخوانه فى الدين وبذلك يستقطب عبد الحميد المسلمين نحو حركة الجامعة الاسلامية ونحو كخليفة (١) .

وقد أراد عبد الحميد ان يضمن على لمشروع الطابع العالى الاسلامي من حيث تمويل المشروع . فوجه نداء الى العالم الاسلامي شرح فيه الدافع الديني لتحقيق هذا الحلم الجميل الذى داعب افئدة المسلمين واهاب بهم ان يتبرعوا بالمال إسهاما منهم فى نفقات المشروع ولقى هذا النداء استجابة تلقائية من مسلمي العالم وانهالت التبرعات على دار الخلافة ، وقد افتتح السلطان عبد الحميد التبرعات بمبلغ ٣٢٠ ألف ليرة عثمانى من ماله الخاص وتبرع شاه ايران (فارس) بمبلغ ٥٠ ألف ليرة وارسل عباس حلمي خديوى مصر كميات من مواد البناء ، ويلاحظ ان سكة حديد الحجاز كانت الخط الحديدي الوحيد الذى أنشئ برأس مال اسلامي ، واحتفل بالبدء فى تنفيذ المشروع فى سبتمبر ١٩٠٠ م (٢) .

الاستبداد الحميدى :

كانت الفترة التى تلت توقف العمل بالدستور واغلاق مجلس المبعوثان . من اسوأ الفترات فى عصر السلطان عبد الحميد والذى ظهرت فيها شخصية عبد الحميد الحقيقية وميوله الى الحكم المستبد المطلق ، - كان الاستياء قد استولى على السلطان عبد الحميد بعد طلب مدحت باشا اجراء بعض التعديلات فى الدستور - كما ذكرنا من قبل - نتيجة لهذا قام عبد الحميد بعزل مدحت باشا من منصبه كصدر اعظم فى ٥ فبراير ١٨٧٧ م ثم نفاه بتهمة الخيانة العظمى .

لقد صرف عبد الحميد همه الى تدريب جيشه تدريبا جديدا على أيدي خبراء ألمان ولكنه ابقى القيام بأى إصلاح آخر على النمط الأوروبى ولكنه سعى لتوطيد سلطانه عن طريق الأخذ بأساليب الطغيان فقد قضى على كل حركة فكرية حرة نشأت فى الامبراطورية وهى فى المهد فاضطر ممثلو فكرة الإصلاح المعروفون برجال تركية الفتاة الى مغادرة البلاد لينشئوا فى باريس وجنيف مراكز جديدة (٣) .

١ - عبد العزيز الشناوى . الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ج ٣ ص ١٣٢٦ .

٢ - المرجع السابق ص ١٣٢٨ ج ٣ .

٣ - كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٥٨٩ .

جماعة تركيا الفتاة وتأسيس جمعية الاتحاد والترقي

فى شهر فبراير ١٩٠٢ اجتمع فى باريس خمسون من المعارضين لسياسة عبد الحميد فى مؤتمر الليبراليين العثمانيين سمي [بالمؤتمر الأول لجماعة تركيا الفتاة] والواقع أن هؤلاء الليبراليين تجمع بينهم كراهية مشتركة للاستبداد الحميدى بالرغم من أنهم ينتمون إلى أصول متباينة ، ويمثل هذا المؤتمر أول محاولة لتنظيم وتوحد جماعات المعارضين الذين افلتوا من سلطة السلطان الشخصية ومن الرقابة والقمع ، وفى إعلان مشترك يندد مندوبو المؤتمر بالاستبداد ويدعوا إلى المساواة بين جميع مواطنى الامبراطورية ويؤكدون أن أهدافهم تتمثل فى تأمين الوحدة الاقليمية للامبراطورية واستعادة السلم والنظام الداخلى واعادة العمل بدستور ١٨٧٦م .

والواقع أن حركة تركيا الفتاة قد ولدت فى عام ١٨٨٩م ذلك أن عددا من طلاب مدرسة الطب العسكرى فى استانبول يشكلون جماعة سرية معارضة لنظام عبد الحميد « هدفها الواضح عزل عبد الحميد » ^(١) يسمونها لجنة الترقى والاتحاد ولكنها اشتهرت باسم الاتحاد والترقى .

وكان تنظيم هذه الجمعية على طراز جمعية الكارونارى الايطالية التى تشكلت فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ^(٢) .

وبدأت حركة تركيا الفتاة تنتشر خارج الامبراطورية بين صفوف المنفيين العديدين الذين اضطروا إلى الهرب من الرقابة أو من الابعاد إلى احدى مدن الولايات العديدة ، وهكذا توجد نوى شكل فى القاهرة وفى رومانيا وفى لندن وبوجه خاص فى باريس وفى جنيف وتتميز سنوات ١٨٩٥ - ١٨٩٧م بتطور سريع لانتشطة جماعة تركيا الفتاة فى داخل الامبراطورية وخارجها وفى اوروبا نجد ان رأى العام المتصاعد ضد عبد الحميد بسبب سياسته القمعية ضد الأورمن يؤيد المعارضة التى تمثلها حركة تركيا الفتاة وتنجح الادبيات الثورية المنشورة فى باريس أو فى جنيف والكتيبات والصحف والكراسات فى التغلغل فى الامبراطورية بفضل مكاتب البريد الاجنبية ، وتبدأ تطورات المعارضة فى ازعاج عبد الحميد فصورته فى الخارج تهدد بأن تصاب بالتلوث من جراء الدعاية المنتشرة عبر اوراق حركة تركيا الفتاة واعتبارا من عام ١٨٩٦م يهذل السلطان قصارى جهده من أجل سد طريق المعارضة من الخارج عن طريق الضغط بالسفراء على الحكومات التى تتبنى حماية انشطة جماعة تركيا الفتاة ، وفى استانبول تكشف الشرطة مؤامرة فى الاكاديمية الحربية وينزل القمع بالطلاب الضباط المنتهين إلى حركة تركيا الفتاة وينفى نحو مائة منهم إلى

١ - روبر مانتران : تاريخ الدولة العثمانية : ترجمة بشير السباعى ج ٢ ، ص ٢٢٨ .

٢ - ارست أرامزور ، تركيا الفتاة وثورة عام ١٩٠٨ ، ترجمة صالح أحمد العلى بيروت ١٩٦٠ ص

طرابلس الغرب على أن المعارضة لن تتأخر في الاتبعات من جديد ففي عام ١٨٩٩م يحصل المنتمون القلائل الى حركة تركيا الفتاة في أوروبا على دعم غير متوقع في شخص صهر عبد الحميد ، محمود باشا داماد وابنيه صباح الدين ولطف الله ويعتبر السلطان ذلك ضربة قاسية . فذلك يعنى ان المعارضة لمجند أعضاء لها من داخل القصر ، الواقع ان محمود باش قد اختلف مع السلطان بشأن اعطاء امتياز سكة حديد بغداد للألمان ويفضل الانجليز إلا أنه يفشل في اقناع السلطان فيفضل الرحيل إلى المنفى مع ابيه وينضم الى المعارضة ، وفي باريس مركز أنشطة حركة تركيا الفتاة انعقد مؤتمر ١٩٠٢ من أجل توحيد حركة تركيا الفتاة (١) .

قيام ثورة ١٩٠٨م

بالرغم من نشاط الاحرار في الخارج في سنة ١٩٠٦م إلا أن الثورة ضد السلطان عبد الحميد يجيب ان تنبع من الداخل حتى تحرز النجاح لذلك عمل المعارضين لحكمه في الفترة من عام ١٩٠٦ إلى عام ١٩٠٨م على تركيز نشاطهم في الداخل ، وفي مقدمة تلك الخطوات ذلك التنظيم الذي اقامه الضابط مصطفى كمال وهو عبارة عن جمعية اسماها الوطن عام ١٩٠٦م ألفها من العناصر الساخطة على حكم السلطان عبد الحميد ومن دمشق بدأت الجمعية تنتشر غير أن اعضاؤها ادركوا ان الولايات العربية ليست مجالا آمنا لنشاطهم بسبب عيون السلطان عبد الحميد فقررت الجمعية نقل نشاطها الى سالونيك وفي عام ١٩٠٧ عانت الامبراطورية العثمانية من أزمة اقتصادية نتج عنها تدمير الشعب والجيش ضد السلطان عبد الحميد اظهرا لاستيائها من اضطهاده لهما ، غير انه في عام ١٩٠٨ بدأت جمعية الاتحاد والترقي تشعر بالقلق وخاصة بعد أن تمت المقابلة بين ادوار السابح ملك المجلثا وقيصر روسيا في ريفال في ظروف الوفاق الودي لتصفية الخلاف بين الدولتين وفهم هذا الوفاق على أنه مساومة استعمارية على حساب الدولة العثمانية كذلك حدثت اضطرابات في البانيا احتجاجا على النمسا لتبرير تدخلها العسكري والسياسي في البانيا (٢) .

وكان لابد ان يتحرك الضباط لابقاف هذه المؤامرة الخارجية قبل أن يتحرك السلطان لتحطيم قوتهم ، فأرسل فريق من الضباط في ٢٣/٨/١٩٠٨م الى السلطان عبد الحميد يطالبونه باعادة الدستور في مدة أربع وعشرين ساعة ، وفي الرابع والعشرين من يوليو عام ١٩٠٨م اصبح السلطان عبد الحميد خائفا على حياته فاعلن الدستور والغاء الرقابة

١ - روبر مانتشان : تاريخ الدولة العثمانية : ترجمة بشير السباعي ج٢ ، ص ٢٢٨ .

٢ - عزه عبد الرحمن الصاوي : القومية في أدب ضيا گوك آلب ، رسالة ماجستير . ص ٧ .

والجاسوسية واجراء انتخابات لمجلس النواب ومجلس الشيوخ واطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين ورفعت القيود التي كانت مفروضة على المنفيين والمبعدين^(١) وقبول اعلان الدستور بتأييد تام فى جميع البلاد العثمانية .

ما بعد الثورة

بعد أن استتب الأمر لجمعية الاتحاد والترقى وشرعت فى تنفيذ مبادئها التى تتسم بالمركزية وسعيهم الى توحيد الجمعيات العثمانية ولكن الدول الاوروبية خشيت أن يوفق الاتحاديين فى اتمام الاصلاحات فى موعدها فبادرت الدول الاوروبية الى عرقلة جهود حكومة الثورة ، وفى اكتوبر عام ١٩٠٨م اعلنت حكومة فيينا ضم المناطق الخاضعة لتركيا بشبه جزيرة البلقان والتى كانت النمسا منتدبة لادارتها طبقا لمعاهدة برلين وأيضاً ضمت بلغاريا الى اراضيها الجزء الشرقى من الروملى ، وكان من الطبيعى ان تصيب هذه الضربات المتلاحقة هيبة الحكومة الثورية وساعدت هذه الاحداث على تشجيع المعارضة وتشديد حميتها .

وكان الامير صباح الدين ابن أخت السلطان عبد الحميد الذى كان قد هاجر هو وأبوه الى فرنسا خوفاً من السلطان كما ذكرنا من قبل كان صباح الدين يدعوا الى اللامركزية بخلاف ما كانت تدعو له حكومة الاتحاد والترقى ومالبثت العناصر غير التركية أن التفت حول صباح الدين طمعاً فى ان دعوته الى اللامركزية توصلهم الى الحكم الذاتى ، ولكن سرعان ما ضغطت الجمعية على صباح الدين ليرجع عن الترويج لهذه الفكرة فخضع ورجع عن الامر بلا مقاومة ولكن فكرة اللامركزية لم تمت وظلت حية .

وظهر حزب معارض هو حزب الاحرار واغلب اعضائه من اليونان والارمن وكانت اللامركزية من أهم مبادئه^(٢) .

ومن ناحية أخرى كان انصار عبد الحميد يتهمون الاتحاديين بالخروج على مبادئ الاسلام وكان الناطق بلسانهم جريده (الميزان) التى اسسها مراد بك وكانت هذه الجريدة قد دأبت على اتهام الاتحاديين بمخالفة الشريعة والهبت مقالاتها شعور العلماء وطلبة العلوم الدينية فنظموا المظاهرات ضد الحكومة ومع ان الاتحاديين اعلنوا اخلاصهم المطلق للدين إلا أن العيب ظل يؤمن فى قرارة نفسه بأن نظام الحكم الجديد بعيد عن روح الاسلام وقد تسربت المعارضة الاسلامية التى كان يرعاها عبد الحميد الى داخل البرلمان بل

١ - أحمد السعيد سليمان: التيارات الدينية والقومية فى تركيا المعاصرة القاهرة ١٩٦٠م ص ٢٤ .

٢ - أحمد العيد سليمان : المرجع السابق : ص ٣٧ - ٣٨ .

تفشت أيضا داخل الجمعية ، وقد احدثت الاحزاب التي ظهرت على مسرح الاحداث انقسامًا داخل مجلس النواب وقد ظهر هذا بجلاء واضح حين ارادت الجمعية اسقاط الصدر الاعظم كامل باشا الذي كان من انصار السلطان عبد الحميد ولكن نتيجة هذه الانقسامات بدلا من ان يعزله البرلمان منحه الثقة في ٣١/١٢/١٩٠٨م ولم يدم الوقت طويلا حتى جاء يوم الثالث عشر من ابريل عام ١٩٠٩م حتى شهدت العاصمة ثورة قام بها الجنود ورجال الدين وتم طرد الاتحاديين من مراكزهم وابعدوا عن استانبول وبهذا الانقلاب رد عبد الحميد الضربة التي وجهت له في يوليو ١٩٠٨م (١) .

وكان هذا الانقلاب « انقلاب ١٩٠٩ » هدفه التصدي لجمعية الاتحاد والترقي واستبدادها الذي حل محل استبداد عبد الحميد إلا أن الامر لم يدم للمعارضة طويلا فلقد قام جيش سلاطيك الذي يسيطر عليه الاتحاديون وفي الرابع والعشرين من ابريل ١٩٠٩م استطاع هذا الجيش ان يقضى على عساكر السلطان ، وفي السابع والعشرين اصدر المجلس فتوى بخلع السلطان عبد الحميد وتنصيب اخيه محمد رشاد على العرش بدلا منه ١٩٠٩م - ١٩١٨م (٢) .

الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤م :

بعد أن بدأت الشرارة الأولى للحرب العالمية الأولى كان هناك سؤال يطرح نفسه على الساحة ماذا سوف يكون موقف الباب العالي من الحريق الشامل الذي تندفع إليه الدول ؟ ولأن الامبراطورية العثمانية على الرغم مما أصابها من ضعف شديد من جراء الاخفاقات التي منيت بها في البلقان إلا أنها لا تزال تشكل ثقلًا هامًا في ميزان القوى بفضل انتشارها على اراضى شاسعة وسيطرته على المضائق ، وجيشها الذي يشهد تجديدًا كبيرًا ، يضاف الى ذلك الهيبة الكبيرة التي يتمتع بها السلطان الخليفة عبر أرجاء العالم الإسلامي والاراضى التي تتبع الدول الاستعمارية العظمى .

كانت فرنسا والمجترات تقتنعان عن طيب خاطر بحياد الدولة العثمانية وتزيدان المبادرات الرامية للحصول على هذا الحياد . إلا أنه تم التحالف بين الدولة العثمانية والمانيا بموجب معاهدة سرية في ٢/٨/١٩١٤م من حيث المبدأ ، فذلك التحالف يعتبر تحالفًا دفاعيًا موجهًا ضد روسيا وإن كان الباب العالي قد اختار الحرب فإن ذلك لن يكون خلال الأسابيع

١ - أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ص ٣٩ - ٤٠ .

٢ - Yusuf Hikmet Bayur - Türk İnkılabı Tarihi - Cilt 1 Kısım 2 s 207 Ankara - 1991.

الاولى للحرب حتى تستطيع الدولة العثمانية استكمال استعداداتها العسكرية وهذا مايجعل دول الرفاق تحلم بحياد ممكن ولكن لم يمر وقت طويلا حتى يقع فى النصف الاول من شهر أغسطس حادثة « جوين وبريلا » وذلك أن هاتين البارجتين التاهمتين للاسطول الالماني فى البحر المتوسط تلجآن الى المياه العثمانية بعد قصفهما للقواعد الفرنسية فى افريقيا الشمالية ، وحين تدعو الحكومة الانجليزية الدولة العثمانية الى طرد البارجتين الى عرض البحر أو احتجازهما قمشيا مع قانون الحرب إلا أن الدولة العثمانية لا تتردد فى الاشارة الى انها قد اشترتها وأطلقت عليها اسما السلطان سليم باور وميدىلى ويكونان أفضل سفن البحرية العثمانية وان قائدتهما (سوشون) قد عين على رأس الاسطول السلطاني فى البحر الاسود ، وفى ٨ سبتمبر يعلن الصدر الاعظم الغاء الامتيازات قمشيا لمطالب القوميين العثمانيين . وبذلك تقول الدولة العثمانية لا للغرب . وفى يوم السابع والعشرين من الشهر نفسه يتخذ الباب العالى خطوة أخرى فى طريق التحدى باغلاق المضائق فى وجه الملاحة التجارية ورفع الرسم الجمركية بنسبة ٤٪ وأغلاق مكاتب البريد الاجنبية والغاء جميع السلطات القضائية غير العثمانية .

وبعد كل هذه الاحداث وفى ٢ نوفمبر تعلن روسيا الحرب على الامبراطورية العثمانية وفى خمسة نوفمبر تنضم فرنسا وبريطانيا الى روسيا وفى ١١ نوفمبر يجرى الدور على محمد الخامس لاعلان الحرب والدعوة الى حرب مقدسة ضد الرفاق الثلاثى .

وقد ارسلت المانيا الى الدولة العثمانية كوكبة من كبار الضباط مثل « ليما فون ساندروز - فون سكت » وآخرين وهؤلاء الرجال كانوا يتولون قيادة مختلف فيالق الجيش والمكاتب الرزارية مثل الاستخبارات والمراصات والتموين والامداد . ولقد عهد الالمانيون الى الاتراك العمل على تشتيت شمل جزء من الجيش القيصرى على جبهة الانقاذ وكان أنور باشا يحمل شارة القائد العام للقوات العثمانية وهو الذى يقود الجيش الثالث المربط فى أرض روم ولكن تحدث كارثة ساريكاميش فالجنود تبتلعهم الثلوج ويفترسهم الصقيع وعلى الجبهات الأخرى ينزل الانجليز على الفار ويبدأون فى التهام العراق وتشبيت وضعهم فى مصر وتمنى الجيوش العثمانية بهزائم فادحة على جميع الجبهات ماعدا التحصينات الموجودة على شعب جزيرة غاليبولى التى كان رأسها أميرالى شاب اسمه مصطفى كمال ، الذى استطاع ان يهيد موجات الهجوم التى تشنها دول الرفاق ^(١) ولقد انفصلت الجزيرة العربية ايضا عن الامبراطورية العثمانية حين استطاع عامل بريطاني (إلورانس) فى اقناع شريف مكة بالانفصال عن الامبراطورية ووعده له بالاستقلال السياسى وتنصيبه ملكا على العرب فتقدم مع القوات العربية حتى العاصمة السورية دمشق فى أوائل تشرين الاول سنة

١ - روبر مانتران : تاريخ الدولة العثمانية ج ٢ ص ٢٠٤ - ٢٠٨ بتصرف .

١٩١٨م ، ليوفق في احتلالها بعد أن أخلاها الاتراك ^(١) وعلى هذا لمجد أن تركيا قد خرجت من الحرب العالمية وقد فقدت كل الولايات التابعة لها ماعدا المناطق الشمالية ، ففي أواخر الحرب قامت الثورة البلشفية في روسيا ولم تستطع روسيا مواصلة الحرب وأستردت أراضيها بموجب معاهدة (برست - ليتوفسك) في ٣ مارس عام ١٩١٨م وكذلك الولايات التي كان القيصر قد أستولى عليها في عام ١٨٧٧م .

وقد سرت هذه المعاهدة الخلاقات التي كانت موجودة بين روسيا والدولة العثمانية وأعادت حدود الدولة العثمانية الى ماكانت عليه قبل عام ١٨٧٦م .

وبعد الانتصار الذي حققه الحلفاء في هذه الحرب وقع الحلفاء مع الدولة العثمانية اتفاق مودروس في ٣٠ أكتوبر عام ١٩١٨م وقد تضمن هذا الاتفاق بنودا شديدة القسوة فالاتفاق يفرض بشكل خاص تسريع الجيش التركي ، احتجاز جميع السفن الحربية ، استسلام الحاميات العثمانية في سوريا وطرابلس الغرب والجلاء عن الاراضى عبر القوقاز وينص البند الأول على أن الملاحة في الدردنيل وفي البسفور سوف تكون حرة ويعترف للحلفاء بحق الاحتفاظ بقوات في منطقة المضائق وأن هذا الاتفاق يبيز لها السيطرة على ممرات طوروس والاستيلاء على منشآت الموانى ، وحرية استخدام السكك الحديدية والسفن التجارية ويتعين على الحكومة التركية تزويد حاميات الحلفاء بالفحم والمواد الغذائية مجانا ، وبحق لدول الحلفاء احتلال النقاط الاستراتيجية التي تختارها ^(٢) .

انهيار الإمبراطورية العثمانية وظهور مصطلح كمال :

انتهت الحرب بهزيمة تركيا هزيمة قاسية على يد الحلفاء ولكن الهزيمة لم تكن هزيمة جيوش فقط ، بل كان هناك اتفاق سري بين دول الحلفاء على تقسيم تركه الدولة العثمانية . فلقد كانت الحكومة البريطانية قد وقعت أربعة اتفاقيات سرية مع حلفائها لتقسيم تركه الدولة العثمانية .

الاتفاق الأول : يقضى باعطاء استانبول وتركيا الشرقية والمضائق الى روسيا ولكن هذا الاتفاق لم ينفذ لقيام الثورة البلشفية التي رفضت كل الاتفاقات السرية .

الاتفاق الثانى : وهى اتفاقية (سايكس / بيكو) وتقضى بتقسيم العراق وسوريا بين بريطانيا وفرنسا .

١ - كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة : منير البعلبكي ص ٦٠٤ .

٢ - روبر مانتيران : تاريخ الدولة العثمانية ج ٢ ص ٣٣١ .

الاتفاق الثالث والرابع : تمتع فيه ايطاليا قسما كبيرا من آسيا الصغرى وتمتتع فرنسا المنطقة الممتدة على طول البحر المتوسط وبحر ايجة وتشاركها ايطاليا في بعض هذه المناطق.

وبموجب هذه الاتفاقيات السرية فان الدولة التركية ستقتصر على بعض أجزاء الاناضول مع ممر على ساحل البحر الابيض ومنفذ وحيد على بحر ايجة (١) . وفي ظل هذه الحالة التي وصلت اليها الدولة العثمانية اخذت الاقليات القومية تسعى الى الاستقلال الذاتي ، فأنشأ اليونان عصبة (مورييرا) اخذت تسعى الى تحقيق دولة يونانية على ساحل البحر الأسود .

واخذ الارمن ايضا في السعى لتشكيل دولة ارمنيا الكبرى .

كما قامت منظمات سياسية في ديار بكر وتبليس تسعى إلى إنشاء دولة كردية . وقد قاوم الشعب التركي هذه النزعات واخذ ينظم صفوفه . وقد رأى مصطفى كمال ما يعقل في نفوس الشعب من تحد و استعداد للتضحية وأمن بان الشعب هو القوة الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها . واخذ مصطفى كمال يتحين الفرص للسفر سرا الى الاناضول وكان يحاول ان يحصل على وظيفة ولكن سرعان ما ادرك السلطان حاجته له كضابط كفء له رصيده الشعبي ليوقف حاله التدهور والاضطراب في الاناضول وعين مفتشا عاما على منطقته الاناضول . وبدأ مصطفى كمال عمله السياسي بان أوضح للشعب الحقائق دون زيادة أو تزيف ، وبعد ان شرح مصطفى كمال الوضع بكل مساوئه حدثهم عن طريق الموادي الى الكرامة والاستقلال وأوضح بكل صراحة أن الحل العملي الوحيد - لا حماية المجليزية أو انتداب أمريكي - هو انشاء دولة تركية جديدة تعترف بسيادتها واستقلالها كل دولة . وقد أوضح ذلك في الخطاب الذي وجهه الى أهالي (سيمون) حين وصل اليها في ١٩ (تسعة عشر من مايو سنة ١٩١٩ م) . وبعد ان افصح مصطفى كمال عن طبيعته مهمته اخذ يدعم الحركات الوطنية المناضلة ضد التجزئة والاحتلال ويدها بالسلاح والضباط و بدء يتصرف على اساس اعاده تنظيم الجيش (٢) .

وبينما يستخدم الكامليون في الاناضول كل سلاح ممكن من أجل النضال ضد المحتل ، تتورط الحكومة في استانبول في مساومات صلح مع دول الوفاق وتنتهي هذه المساومات الى الاذعان للاوامر التي تفرضها عليها الدول الاوربية و يتبلور ذلك في معاهدة (سفير) في ١٠ أغسطس عام ١٩٢٠ م . الى تكريس تمزيق الامبراطورية العثمانية ، والواقع ان تركيا المجردة من كردستان ومن الولايات التي يسكنها الارمن ومن اقليم آرمير ومن

١ - سليم الصريص : اتاتورك منقذ تركيا وباني نهضتها الحديثة ، مارس ١٩٧٠ م ص ٩٠ .

٢ - المرجع السابق ص ٥ .

سوريا ومن شبه الجزيرة العربية ومن بلاد الرافدين انما تجد نفسها مختزله الي دولة اناضوليه صغيره محصوره بين بلدين ما تزال حدودها غير محدده هما آرمينيا و اليونان نتيجة لهذا ادرك مصطفى كمال و اتباعه من الحركه الوطنيه انه ليس هناك مخرج سوي القتال ويستطيع كاظم قره من تحقيق انتصار كبير علي القوات الارمنيه في بدايه شتاء سنه ١٩٢٠ م وايضا القيام بعمليات فدائيه ضد الاحتلال الفرنسي في فيلينيا و ينتهي النزاع الفرنسي التركي بعقد اتفاقيه انقره الموقعه في أكتوبر سنه ١٩٢٠ م والتي تنص علي جلاء الفرنسيين من فلينيا . و بعد ذلك ينطلق مصطفى كمال و جنوده الي الانتصار و يوجه امره الشهير : ايها الجنود الي الامام الهدف البحر المتوسط و بعد ذلك يتم استرداد آزميز و يتم بلوغ الهدف الذي حدده قائد الحركه القومييه مصطفى كمال ، فالجيش الاناضولي يتدفق علي أرصفه المتروبول الابجي و البحر وتنتهي الحرب وفي الحادي عشر من أكتوبر عام ١٩٢٢ يوقع الاتراك في مرداينا (الميناء الصغير الواقع علي بحر مرمره) هدنه جديده مع الحلفاء و لكن هذه المره يوقعون هذه الهدنه وهم منتصرون .

معاهدته لوزان :

وفي ٢٤ يوليو سنه ١٩٢٤ م توقع معاهده لوزان و فيها يعترف لتركيا بحدود مستقره تستوعب تراس الشرقيه و الاراضي المتنازع عليها في الاناضول (اقليم آزميز ، فلينيا ، ساحل البحر الاسود ، اقاليم الشرق) و الاعتراف بسياده تركيا علي المضائق ^(١) .

اعلام الجمهوريه :

وصف الصحفي التركي (فالح رفقي) الوضع في تركيا بعد الاستقلال كسفينه غادرت الشاطي . و دخلت البحر لا يعرف مسارها غير الريان و كان مصطفى كمال ذلك الريان . وقد روي مصطفى كمال في مذكراته كيف اختمرت في ذهنه فكره الجمهوريه فيقول "تركزت مركز قياده الحزب وعدت الي شنكايا " و قابلت كمال سامي باشا اللذين كانا في انتظاري و طلبت منهما تناول الغداء معي و دعوت معهما عصمت باشا و قلت لهم غدا ستعلن الجمهوريه . و لم أطرح الموضوع للمناقشه و حددت لكل منهم دورا ليضطلع به و اعددت مسوده الدستور مع عصمت باشا و اضفت الي الدستور ان نظام الحكم في تركيا الجمهوريه و ذلك في ماده الاولى وفي ماده الثانيه تشرف الجمعيه الوطنيه علي ادارة الدوله التركيه . وفي اليوم التالي عرضت مسوده الدستور علي أعضاء الحزب فوقع

مناقشات عديدة و معارضة شديدة للفكرة و لكن عصمت باشا وقف بحزم ضد هؤلاء .
محددا موقفه من اعلان الجمهورية ، تم عرض المشروع علي التصويت ففاز بالاغلبية ، و
نقل قرار الحزب و اعلان الجمهورية و أعلنت الجمهورية في ٢٩ أكتوبر عام ١٩٢٣ م و
انتخب مصطفى كمال رئيسا للجمهورية التركية ^(١) .

الغاء الخلافة :

قبل ان يقدم مصطفى كمال علي الغاء الخلافة بشهرين صرح لمحرر مجلة العالمين
« Revue de deux mond »
« ان الخلافة تعني الحكومة او الاداره و انه بعد تأسيس الاداره الجديده لم يعد للخلافة
معني » ^(٢) .

و ارى ان تصريح مصطفى كمال بهذا الحديث قبل اعلان الغاء الخلافة انما هو تمهيد للرأى
العام و تهيئته لتقبل حدث الغاء الخلافة . ولكن ما عجل بأجل الخلافة هو رساله بعث بها
سكرتير الخليفه الخاص في اواخر كانون الثاني عام ١٩٢٤ م الي عصمت اينونو رئيس
الوزراء ، يلفت نظره الي اهتمام الخليفه بالمقالات الصحفيه التي تقلل من سلطه الخليفه
دون سبب وان الرسميين الحكوميين الذين يجيئون الي اسطنبول يتجاهلون ولا يزورونه وقد
غضب مصطفى كمال لدى سماعه بهذه الرساله وكان انذاك في أزمير فبعث برساله الي
عصمت اينونو ورد فيها : ان سلوك الخليفه نفسه هو المسؤول عن سوء التفسير و سوء
الفهم حول الخلافة فالخليفه يتصرف و كأنه سلطان وهذا يتضخ من احتفال صلاه الجمعة
ومن استقبال ممثلي الدول الاجنبيه ومن حياته الخاصه في القصر ، حيث يصل به الأمر الي
درجه استقبال الضباط المعزولين فيصفي اليهم و يمزج دموعه بدموعهم إن علي الخليفه و
العالم ان يدركوا أن الخليفه و منصب الخلافة حاليا لا يعنى فعلا ولا ينطوى على أى حق
في الوجود و الحياه ولا على أى صيفه دينيه أو سياسيه .

وفي الثالث من مارس عام ١٩٢٤ م افتتح مصطفى كمال الدورة الرابعة للجمعية
الوطنيه و بحث مسئلة مخصصات الخليفه و العائله الحاكمة وهنا وجد مصطفى كمال
الفرصة سانحه لاعلان قراره وقال : لقد أصبح الآن واضحا أن من الضروري تحرير الدين
الأسلامي و السمو به حتي لا يظل آله في يد السياسيين و يستغل بالطريقه التي استغل
بها في العصور السالفه ، ثم قدم أعضاء حزب الشعب (النواب) في الجمعية ثلاثة
اقتراحات تتعلق بالغاء الخلافة ، ووزاره الشئون الدينيه و الاوقاف و التعليم العام .

١ - سليم الصويص : أتاتورك منقذ تركيا وباني نهضتها ص ٢٢٩ - ٢٣٠ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٣٣ .

و قد أقرت هذه الاقتراحات فأصبحت المدارس الدينيه تابعه لوزارة التعليم العام ، وألغيت الخلاقه ومنع أعضاء الاسره الحاكمه من الأقامه في تركيا ^(١) .
و بهذا القرار تكون الخلاقه الاسلاميه التي تمثلت في تلك الفتره في الخليفه العثماني قد ألغيت و لم يعد للمسلمين خليفه يوحدهم و يوحد كلمتهم و يجتمع تحت رايته جميع المسلمين في جميع انحاء العالم .

مصطفى كمال و التعليم :

كان مصطفى كمال يرى أن التعليم الذي يتلقاه الأتراك في المدارس التقليديه (الكتاتيب) مستواه ضحل ، وان هذا الاسلوب لن يخلق جيلا قادرا علي فهم اسرار الحضاره الصناعيه وان هذا الاسلوب في التعليم لن يحقق التقدم والأزدهار المرجو .
ولقد سئل مصطفى كمال ذات مره ماذا تنوي ان تفعل بعد ان تنتهي من تقرير معركه المصير القومي فأجاب . « ان طموحي الأكبر هو ان ارفع مستوي الوعي القومي لدي الشعب وان اكون وزيرا للتعليم » ^(٢) .

ومن هذا التصريح الذي صرح به مصطفى كمال يتضح ان مصطفى كمال كان يريد ان يكون وزيرا للتعليم حتي يقوم بالأصلاحات التي يريد ان يريها في هذا الشأن حتي يرتفع بالشعب التركي .

وقد قال مصطفى كمال في كلمته التي ألقاها في المؤتمر التعليمي للمعلمين في انقره قال « في رأيي أن أساليب التدريس المتبعه حتي الان في المدارس من أهم العوامل التي أدت الي تدهور الأمه » ^(٣) .

وقد حدد مصطفى كمال افكاره حول التعليم في الندوه التي عقدها في بورصه لأساتذه جامعه استانبول عام ١٩٢٢ م وقد نادى بتطهير مصادر القوه الفكرية و القوه الاجتماعيه

و كان يرى أن المدارس التركيبيه القديمه تعنى بالقشور و تقصر عن ادراك أهميه العلم و علوم الطبيعه و الكيمياء و الرياضيات و غيرها و لهذا فهي تركز علي تعليم الدين و اللغتين العربيه و الفارسيه و بعض مبادئ الحساب و التاريخ كل هذا علي اساس ديني بحث ، و كان يرى ان هذا الأسلوب يهدف الي تربيته جيل يعد نفسه لعالم غير عالمه .

١ - المرجع السابق ص ٢٣٥ .

٢ - سليم الصريص : أتانورك منقذ تركيا وباني نهضتها ، ص ٢٥٢ .

٣ - المرجع السابق ص ٢٥٣ .

و لقد كان أتاتورك يكره اللغة العربية و ذات يوم بينما كان يقوم بجولة تفقديه علي المدارس دخل أحد الفصول و كان الدرس (اللسان العربي) فغضب أتاتورك و قال موجهًا كلامه للمدرس : لا يوجد في الأناضول من يتكلم العربية فليس هناك أي داع لتعلمها فلم تعد اللغة لغة العلم و الصناعة ^(١).

و من هذا المنطلق اخذ مصطفى كمال في اغلاق مدارس الشريعة و مدارس الوعظ والارشاد ، و ألغى كليه الالهيات و اغلق المدارس التي كانت قد انشئت لتعليم و تخرج الاتمه و الخطباء .

و انشأ المدارس العلمانية و منع تدريس الدين و اخذ يلحق الطلاب في المدارس ان الدين الإسلامي كان من دواعي تأخر الدولة و جهودها .

- وفتح جامعه أنقره سنة ١٩٢٥ و التي شملت كليه الحقوق و اللغات و التاريخ والجغرافيا ^(٢) .

معاربه الطرق و الدراويش :

كانت الخطوة التالية لتطوير التعليم في تركيا هي معاربه الجوانب الدخيله علي الاسلام التي كانت تسيطر علي عقول العامة

فالاسلام ليس فيه وسطاء أو شفعاء بين الله و الانسان كما ان طريقه العباده في الاسلام بسيطه تتمثل في الصلاه من ركوع و سجود و الصيام و الزكاه و الحج و قبلهم الشهاده و هذه هي الاركان الاساسيه التي يقوم عليها الاسلام .

و ليس في الاسلام طقوس و حركات ايقاعيه او انغام موسيقيه و لكن مظاهر الرقص و الحركات الايقاعيه ما هي الا مظاهر جلبها من دخلوا في الاسلام و حاولوا صبغ الاسلام بطقوسهم القديمه المستوحاه من عباداتهم القديمه البائده ، وهذا المزيج هو الذي اشتهر باسم الطرائق و الدراويش .

و كانت علاقته بين حركات الدراويش و الطرائق غير وديه فلقد كانت الخلاقات بينهم خلاقات مذهبيه فكانت هناك بعض الطرق القريبه الي الاسلام وروحها مثل الطريقه القادرية ، النقشبندية وبعض الطرق الاخرى التي كانت مشبعه بالطقوس الوثنيه مثل البكتاشيه و المولويه بهذه الطرق كانت مشبعه بالطقوس الوثنيه المغوليه و لم يأت القرن الثامن عشر حتى كانت حركات الدراويش قد اوجدت فروعها لها في كل مدينة و قرية في تركيا ، وفي

١ - عبد الكريم مشهداني : العلمانيه - ص ٢٨٠ - المكتبة الدوليه بالرياض عام ١٩٨٣

٢ - المرجع السابق ص ٢٨١ .

فى تركيا ، وفى القرن التاسع عشر تحولت الدراويش الى قوى شعبية منظمة تناهض التوسع الاوروبى وكان ابرز الحركات الحركة النقشبندية ولكن هذه الحركات أخذت تناهض كل ما هو اوروبى فاعاقت بذلك حركة التقدم فى تركيا . وقد ازداد نفوذ الطرق فى عهد السلطان عبد الحميد حتى اشيع ان السلطان عبد الحميد اصبح شاذليا .

وايدت الطرق حركة تركيا الفتاة ويقال ان طلعت باشا وشيخ الاسلام كاظم افندى ورضا توفيق كانوا من الاخوان .

ولد تطبيق اصلاحات ١٩٢٤م فى مجال التعليم كانت المقاومة الضارية من جانب الدراويش اقوى منها من جانب العلماء .

وفى عام ١٩٢٥م شن مصطفى كمال هجوما قويا على الاخوان وقال فى خطاب ألقاه آنذاك « فى كاستمونو » ان هدف الثورة هو ان تخلق الجمهورية فى تركيا مجتمعا عصريا ، متحضرا ورحا وشكلا ، وهذا هو لب هدف الثورة ويجب ان نهزم العقليات غير القادرة على تقبل هذه الحقيقة ، عليكم ان تدركوا ان تركيا الجمهورية ليست وطن هؤلاء الخوجات والدراويش والاخوان ، وان أحسن طريق هو طريق الحضارة ، وعلى زعماء الاخوان ان يدركوا هذه الحقيقة ولهذا سأغلق محل التكايا ، وبعد ان عاد مصطفى كمال من جولته هذه اصدر قرارات ومراسيم بموجبها اغلقت التكايا وتجمعات الدراويش ، وأكدت هذه المراسيم تحرير تركيا من الخوجات والدراويش ^(١) .

وبالرغم من كل هذا ظل الدراويش يسيطرون على عقول العامة وظلت هذه الطرق مرة أخرى بعد وفاة مصطفى كمال أتاتورك .

أتاتورك واللغة

هناك ظاهرة واضحة جدا فى البلاد غير العربية التى دخلها الاسلام وهى ان اللغة العربية احدثت ما يمكن ان نسميه غزو للغات الاصلية لتملك البلاد فنجد ان كثيرا من المفردات العربية دخلت الى هذه اللغات بل وصل الأمر الى ان تحمل اللغة العربية محل اللغة القومية أو الأصلية ، ويظهر هذا بصورة واضحة فى تركيا وإيران .

وعند ظهور القوميات قامت ردة عنيفة ضد اللغة العربية وجرت محاولات عديدة لإحياء اللغة المندثرة والبحث عن مفرداتها الضائعة وظهرت هذه الردة بوضوح فى ايران وتركيا وشكلت مؤسسة خاصة لإحياء اللغة (دل المجهنى) وقد وحدت مفردات استعيرت بها عن المفردات العربية وخاصة لدى سكان الاناضول ، وكانت هذه الردة قد

١ - سليم الصويص : أتاتورك منقذ تركيا وبانى نهضتها ، ص ٢٦٠ .

تزامنت مع بداية الغزو الاوروى الحضارى وماواكب هذا الغزو من ادخال تعابير وكلمات فنية خاصة بالطب والهندسة والصناعة ، فلم نجد المؤسسة مفردات محلية تستعير بها عن هذه المصطلحات الراقدة من الحضارة الاوروبية فقبلها مما ادى الى تخفف التشدد مع اللغة العربية ، ولم يكن مصطفى كمال والثورة التركيه الحديثه اول من فكر باستبدال الحرف العربى فكان محمد منصف باشا هو اول من فكر فى استبدال الاحرف العربيه وكان ذلك من عام (١٨٢٨ - ١٩١٠ م) وحين قررت الجمهوريه التركيه استبدال الحرف العربى بالحرف اللاتينى شكلت لجنة خاصة لاستدراك نواقص الحرف اللاتينى فى آذربيجان وشكّال قفقاسيا وقد صدر بذلك مرسوم فى عام ١٩٢٥م وكانت هذه المناطق تتكلم اللغة التركيه وقد ابد مصطفى كمال ما قام به الاتحاد السوفيتى ، وقد تم استبدال الحرف العربى بالحرف اللاتينى فى ٩ ايلول عام ١٩٢٨م ^(١) .

وعلى هذا نجد ان اللغة مرت بمرحلتين الاولى هى تنقية اللغة القومية من اللغات العربيه والفارسيه بقدر المستطاع ، والثانية ابدال الحروف العربيه بالحروف التركيه .

١ - سليم الصويص : ألتاتورك منقل تركيا وبانى نهضتها ، ص ٢٦٦ .

الفصل الثاني :

الخلافة المذهبية

- التيارات العقائدية في العالم الاسلامي

- المذهب الشيعي والامامة - المذهب

السني والخلافه

المذهب السني والمذهب الشيعي والإمامة

ظهور فرق السنة والشيعية :

بعد وفاة النبي ﷺ جرت المناقشات بين المهاجرين والانصار حول من يخلف النبي ، حسمت هذه المناقشات بتدخل عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح عيين طلبا من أبي بكر بسط يده لبيبايعانه لأنه أفضل المهاجرين وثاني اثنين في الغار ^(١) فقبل الطرفان أبا بكر رئيساً للمسلمين وسمى أبو بكر ومن اتوا بعده باسم الخلفاء (خلفاء النبي) وظلت فترة حكم الخلفاء الراشدين ثلاثين عاماً ، أبو بكر من ١١ - ١٣ هـ ، عمر بن الخطاب من ١٣ - ٢٤ هـ ، عثمان بن عفان من ٢٤ - ٣٦ هـ ، علي بن أبي طالب من ٣٦ - ٤١ هـ ولم تكن تلك الدولة من طرز دول الدنيا ، فكانت فترة الانتصارات والفتوحات الكبرى .

فقد تمكن العرب في الفترة الممتدة من عام ١٣ هـ حتى ٢٢ هـ / ٦٣٤ م - ٦٤٢ م من الاستيلاء على الشام الكبرى وبلاد ما بين النهرين العليا ومصر ، كما بدأ الاستيلاء على مناطق القفقاس منذ عام ٢٠ هـ / ٦٤٠ م الى ان تم فتحها نهائيا في أوائل القرن الثاني الهجري ^(٢) .

في تلك الفترة ايضا شن العرب حملاتهم على الدولة الساسانية ، فاستطاع المثنى بن حارثه من دخول املاك الدولة الساسانية في بلاد ما بين النهرين وانتصر عليهم في معركة ذات السلاسل كما استطاع المثنى ايضا هزيمة الفرس في موقعة الجسر ، وبعد ذلك تمكن العرب ايضا من هزيمة الفرس في معركة القادسية عام ١٦ هـ / ٦٣٧ م ، وفي عام ١٩ هـ / ٦٤٠ م كانت المعركة الفاصلة بين المسلمين والفرس في نهاوند . ثم توالى الانتصارات في مواقع صغيرة حتى سقطت الدولة الساسانية في عام ٣١ هـ / ٦٣٧ م . في هذا العام سيطر العرب على خراسان وقتل يزدگرد الثالث وسقطت الامبراطورية الساسانية وخضعت ايران كلها تقريبا حتى نهر جيحون للحكم العربي عدا مناطق بلخ والغور وزابلستان ومناطق شط بحر الخزر اي الدليم وجيلان وطبرستان ^(٣) .

وكان انتشار الدين الاسلامي بين الايرانيين اكبر نتائج الفتح العربي لایران وقد وضعت النواة الأولى للتشيع ابان اختيار الخليفة أبي بكر حين اعلن ثلاثة من المجتمعين في السقيفة احقية علي بالخلافة وهؤلاء الثلاثة هم « أبو ذر الغفاري ، ومقداد بن الاسود ،

١ - مصطفى حلمي : نظام الخلافة في الفكر الاسلامي دار الدعوة - الاسكندرية ص ٢٧ .

٢ - بطروشنسكي : الاسلام في ايران ، ترجمة : السباعي محمد السباعي ص ٧٠ - الطبعة الثانية دار الزهراء - القاهرة ١٩٩٣ .

٣ - المرجع السابق ص ٧٦ .

وسليمان الفارسي الايراني الاصل « ولم يستمع احد الى اقوالهم انذاك إلا انه خلال عهد عثمان بن عفان انتشر السخط والضجر ليشمل سائر الطبقات الدنيا في المجتمع الاسلامي فاحب الناس عليا اكثر من ذي قبل ولهجت الستهم اسمه مرارا .

وقد صار ابو ذر الغفاري المتوفى سنة ٣٣ هـ من تلك الايام واضع اللبنة الاولى لحزب علي « شيعة علي » أو الشيعة واخذ يشن حملاته ضد طمع كبار الولاة وحرصهم الشديد على الدنيا وما اخذوا به انفسهم من مباحجها وزينتها ، وبعدهم عن تحقيق العدالة الاجتماعية واخذ يعلن ذلك في دمشق وفي حضور معارضة والي الشام ، ووفق يعلن رأيه في احقية آل النبي في الامامة بقصد علياً (رضى الله عنه) وابناءه من فاطمة أي الحسن المولود ٤٠٣ هـ والحسين المولود ٥٠٤ هـ فارسل معارضة ابا ذر الى الخليفة عثمان بالمدينة ، إلا أن ابا ذر باشر بها ما كان يدعو إليه ^(١) .

كان الشيعة في بداية امرهم حزبا سياسيا ، فكانوا يؤيدون عليا واحقيته في الخلافة (الامامة) وكان ميلهم إليه لقرايته من النبي صلى الله عليه وسلم ولما كان ينعم به شخصيا من اخلاق وصفات ، ونظرا لعدم وجود فصل بين الدين والدولة في الاسلام فقد سعى الشيعة الى إقامة نظام الخلافة ورأيا على اساس من الدين لذا قالوا ان النبي بشخصه قد اختار عليا لخلافته في غدیر خم . وبعد ذلك أصبح الشيعة يكوّنون فرعا وقسما كبيرا من عالم الاسلام في مقابل اهل السنة وكان اهل السنة يؤيدون مبدأ انتخاب الخليفة وسموا بعد ذلك باسم (السنيين) أو اهل السنة والجماعة ^(٢) .

كان عبد الله بن سبا مؤسس التشيع وكان يدعو لأرائه [مثلما فعل ابو ذر الغفاري] في عهد الخليفة عمر وروى ان ابن سبا كان من يهود اليمن ثم اسلم وانه قرأ العديد من الكتب الدينية في اليهودية والمسيحية والاسلام وكان يحب المناقشات الدينية وكان ابن سبا يقول كل واحد من الانبياء والسابقين كان له معاون او مندوب يختاره أو يكون وصيا له . فمثلا اختار موسى هارون ، واختار اوميا النبي ياروخ واختار المسيح بطرس الخواري ، ولم يكن هناك وصي لمحمد صلى الله عليه وسلم غير علي - على نخط اوصاء الانبياء السابقين .

وابن سبا ايضا هو واضع فكرة رجعة النبي ، وقد بنى هذه النظرية أو الفكرة على بعض آيات القرآن فكان يقول كما ان عيسى يجب ان يرجع فان محمد ﷺ لابد

١ - الخلافة من أنظمة الحكم الخاصة بالمسلمين وحدهم وهو منصب لقوامه الدين واساسه الشريعة والخليفة هو نائب عن النبي في الحفاظ على الدين وحماية الشريعة . (انظر عارف تامر : الامامة في الاسلام ص ٥٦) .

٢ - الاسلام في ايران ص ٨٤ .

له من رجعة كذلك [حتى ان فلها وزن يقول ان اصل الرجعة عند الشيعة الغلاة اقترن باصل رجعة او اعادة احياء محمد صلى الله عليه وسلم فى صورة على وحلول روح على فى الائمة من بعده]

وكان عبد الله بن سبا رأس غلاة الشيعة ، ولم يكتف فقط باعلان حقوق على تقريبا بل اضى عليه مقام الألوهية ^(١) وبعد عبد الله بن سبا مؤسس فرق غلاة الشيعة .

١ - الشيعة :

الشيعة هم الجماعة التى وأت بعد وفاة الرسول أن آل البيت هم أحق فى خلافة الرسول وان احق هؤلاء اثنان العباس عم الرسول وعلى بن ابي طالب رضى الله عنه ابن عم الرسول

وعلى كان احق من عمه العباس الذى كان يعترف باحقية على بالخلافة دونه ، نظرا لما يمتاز على جميع بنى هاشم (آل الرسول) بالسبق الى الاسلام والشجاعة والدفاع عنه فى الشدائد ولما كان يمتاز به عليهم كذلك من حيث العلم والفقہ فى الدين ^(٢) .

وبعد ان فشل اتباع على بن ابي طالب فى معركة السياسة الاولى واقصد بها اجتماع السقيفة ، تسرب اليأس الى قلوبهم فى تولي منصب الخلافة فلم يجدوا سوى فكرة الامامة يطلعون بها ويردون بها على اعدائهم ويقصد هنا (اتباع السنة) وهى اعطر من الخلافة .

واطلقا على على بن ابي طالب لقب الامام ، والامام يقصد بها امام المسلمين الذى يؤمهم فى الصلاة والحج والزكاة أى الذى يؤمهم فى جميع مناحى الحياة الدينية والدنيوية وذلك بخلاف الخليفة لأن الخليفة هو خليفة لرسول الله فى هذه المناحي وان منصب الامام واجب وعرف وجوبه فى الشرع لأن المسلمين لابد ان يكون لهم اماما . وهذا الوجوب هو الذى جعل المسلمين يبادرون الى بيعة ابي بكر رضى الله عنه ^(٣) .

الشيعة والامامة :

حين نتحدث عن الشيعة لمجد أنفسنا مطالبين بالحديث عن الامامة لأن الامامة ركن اساسى فى المذهب الشيعى . ذلك لأن الامامة ظهرت كمنصب مختلف عن الخلافة التى تتصل بالمذهب السنى .

١ - المرجع السابق ص ٨٥

٢ - الاسلام هل هو دين ودلة : د / عبد الحميد متولى ص ٤٩ .

٣ - مقدمة بن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ص ١٩١ الطبعة الأولى عام ١٩٧٨ بيروت.

وقبل ان افصل حديثى عن الشيعة وتتطور الامامة عندهم رأيت انه من الواجب ان اعرض أولا ما هى الامامة .

الإمامة :

لقب الامامة مشتق من الامام وان نشأة هذا اللقب ارتبط بنشأة الفكر النظرى الشيعى ، فهذا اللقب لم يطلق على رأس الدولة لا فى عهد أبى بكر ولا فى عهد عمر ولم تستخدمه مكاتباتهما السياسية ولا وثائق عهد بينهما .

صحيح ان القرآن وردت به كلمتا امام وأئمة ولكن معنى هاتين الكلمتين فى القرآن خلافا للشيعة .

فالامام فى الاصل اللغوى هو المقدم ، المقدم فى أى شئ والمقتدى به فى أى سبيل وامام الصلاة على سبيل المثال لأنه يقتدى به ^(١) .

- اما الامام فى القرآن يستخدم فى مقام المسئوليات الدينية لا السياسية فهو خاص بالنبوة والتقوى اكثر ما هو دال على رأس الدولة وامير المؤمنين .

الامام فى قوله تعالى « وكل شئ احصيناه فى امام مبین » ^(٢) ويقصد اللوح المحفوظ ^(٣) « واجعلنا للمتقين إماما » ^(٤) ومعناه : يعتدون بنا فى امر الدين ^(٥) .

- فى السنة ، نلتقى بمصطلح الامام كثيرا وفى أغلب المواطن يكون معناه المقدم فى الدين والتقوى والهدى والارشاد : مثل قوله صلى الله عليه وسلم « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » ^(٦) ليس المقصود هنا بالأئمة أئمة الحكم والسياسة بل المقصود هنا أئمة الدين والوعظ والارشاد ^(٧) .

- الامامة عند الشيعة ليست من المصالح العامة التى يفرض الى نظر الامه ويتعين القائم بها بتعيينهم بل هى ركن الدين وقاعدة الاسلام ولا يجوز لنبي اغفاله ولا تفويضه الى

١ - عباس إقبال : خاندان نويختى ، طهران ١٣١١ هـ . ش ص ٥٤ .

٢ - يس الآية ١٢

٣ - تفسير البهزادى ص ٦١١ طبعة القاهرة عام ١٩٢٦م

٤ - الفرقان الآية ٧٤

٥ - البهزادى ص ٥١٤ .

٦ - صحيح مسلم ج ١٢ ص ٢٢٤

٧ - محمد عماره : الاسلام والمسلطة الحكم ، ص ٣٣ - ٣٩ .

الامه بل يجب عليه تعيين الامام لهم ويكون معصوما من الكبائر والصغائر وإن عليا رضى الله عنه هو الذى عينه صلوات الله وسلامه عليه بنصوص خاصة بهم مثل « من يبايعنى على روحه وهو وصى وولى هذا الامر من بعدى فلم يبايعه إلا على » (١) .
ولقد طلع الشيعة بفكرة الامامة وقالوا ان عليا بن ابي طالب هو الامام الأول واوردوا الأقوال والوصايا والاحاديث والحجج التى تؤيد قولهم ولم يكتفوا بذلك بل ذهبوا الى ابعد حدود التقديس والتعظيم .

والامامة عند الشيعة هى زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين وأس الاسلام النامي وفرعه السامى وانها تمام الصلاة والزكاة والصيام (٢) .

- ويعرف الشهر ستانى (٤٦٤ - ٥٤٨ هـ) فى كتابه الملل والنحل التشيع بقوله ان الشيعة جماعة انضموا الى على صهر النبى واعترفوا بالحق المطلق فى الامامة والخلافة ويعتقد اهل التشيع فى ان حق الامامة منحصر فى اخلاف على وفاطمة ولا يتعداهم كما يعتقدون فى ان حق الامامة لا يرتبط بقدرة هذا الشخص أو ذاك بل يتعلق اساسا بالوراثة وان ماهية الدين والايمان وجوهرهما قائم على ذلك (٣) .

وطبقا لرأى الشيعة فان لا يجب انتخاب الامام من قبل جماعة المسلمين وان امامته تنبع من احقيته فى الارث وان هذا الحق غير قابل للانتقال الى شخص أو جماعة اخرى كما يعتقدون فى ان الائمة معصومون فى جميع امورهم وافعالهم ومبادئهم وايمانهم وانهم لا يمكن ان يقتربوا الذنوب (٤) .

فرق الشيعة ورأيها فى الإمامة

ويمكن تقسيم الفرق الشيعية الى (الكيسانية والزيدية والامامية وهؤلاء هم المعتدلون، ثم غلاة الشيعة من الاسماعيلية وغيرها) .

ونلاحظ أن البرن شاسع والتفاوت بارز منذ القرون الاسلامية الاولى بين المعتدلين من الشيعة والغلاة منهم لم يكن الشيعة فى بداية الأمر يعتبرون مفهوم الامامة والخلافة امرا مقدسا لا يتغير . فقد كانوا فحسب يؤيدون حق على فى الخلافة ، ويقولون انه صهر ﷺ واقرب الناس إليه ، وبناء على هذا فهو اكثرهم استحقاقا لخلافته ، وقد ظهر فى تلك الفترة اختلاف داخل معسكر الشيعة ، وكان السبب الرئيسى منصبا حول من يكون الامام كذلك ، وظهرت فكرة تقديس ذرية الشهداء .

١ - مقدمة بن خلدون ص ١٩٦ .

٢ - عارف تامر : الامامة فى الاسلام ص ٦٢ مكتبة النهضة بغداد - دار الكاتب العربى - بيروت

٣ - بطروشفسكى : الاسلام فى ايران ، ترجمة : السباعى محمد السباعى ص ١٨٧ .

٤ - المرجع السابق ص ١٨٨ .

يجب ان يكون من العلويين اماما ثم زادت تلك الخلافات عما سبق لتتناول مفهوم احقية الامامة فنلاحظ ان الاختلاف في الامامة وصل الى ان تعريف الامامة اختلف من فرقة الى أخرى (١) .

الكيسانية (٢)

جماعة اعترفوا بمحمد بن الحنفية الأخ غير الشقيق للحسين بن علي اماما رابعا للشيعة وخليفة له وكانت شيعة محمد بن الحنفية ترى ان الله قد حياه باستعداد فطري مميز ونسبت إليه اطلاعه على علوم الغيب ومعرفة بالامور الباطنية .

ولكى بوضع الكيسانية احقية ابن الحنفية في الامامة قالوا ان عليا لم يستحق الامامة بسبب قرابته للنبي صلى الله عليه وسلم بل لمتزلته الروحية ، وكانوا يعتقدون ان عليا يجب ان ينقل خلافته بالترتيب بين ابنائه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية (٣) .

وعلى هذا لمجد ان اتباع محمد بن الحنفية كونوا فرعاً من فروع الشيعة ولكي يجعلوا احقيته في الامامة قالوا ان امامة علي ليست بقرابته الى النبي ولكن بصلته الروحية .

الشيعة الاثنا عشرية (الامامية) *

يقولون ان الإمامة واجبة على الله تعالى من باب اللطف ووجوب تنصيبه من قبل الله تعالى لاقامة الحجة على عباده وانه يتم باختيار الامة التي هي مسئولة ، والذين ذهبوا الى وجوب الامامة على قسمين منهم من ذهب الى انها من اصول الدين ومنهم من ذهب الى انها من فروعها فالقائلون انها من اصول الدين ذهبوا الى انها واجبة على الله فهي عندهم امر يرجع الى الله ورسوله ولا علاقة فيها للمسلمين اما القائلون بانها من فروع الدين فقد رأوا أن جماع الامة مسئولة عن هذا الواجب (٤) .

١ - بطروشفسكى : الاسلام في ايران ، ترجمة : السباعي محمد السباعي ص ١٩٠ - ١٩١ .

٢ - الكيسانية اسم مأخوذ من اسم كيسان بن عمرو رئيس الموالى في جيش المختار وكان من الشيعة المتعصبين ، هذا رأى ، وهناك رأى آخر انها مشتقة من كيسان مولى الامام وقتل في معركة صفين (انظر الاسلام في ايران ص ١٩٠) .

٣ - انظر عارف تاجر ص ٧٧ .

* الشيعة الامامية (الاثني عشرية) : - الشيعة الاثني عشرية اسم يطلق على الشيعة الذين يقولون بوجود سلسلة من اثني عشر اماما ، والشيعة الامامية أو الاثني عشرية هم الذين قبلوا امامه محمد الباقر (بن الامام علي زين العابدين) والامام جعفر الصادق .

٤ - انظر : دائرة المعارف الاسلامية مادة اثني عشرية ، انظر : الاسلام في ايران ، السباعي محمد

السباعي ص ١٩٣ وأنظر أيضا خاندان نويختي : عباس إقبال - طهران ١٣١١ هـ . ش ص ٥٠ .

أما الزيدية ^(١) فساقوا الامامة على مذهبهم وقالوا بانها باختيار اهل الحل والعقد لا بالنص ، واما الاسماعيلية فذهبوا الى أبعد من ذلك عندما اعتقدوا انها تولية آلهية وانها فرض من فروض الدين ومقابل الايمان في الاعتقادات وانها واجبة اذ لا يتم اعتقاد او شرع إلا بوجودها ولهذا كانت هذه الفرقة هي الوحيدة التي ظلت سائرة في ظل الامامة وقائمة بواجباتها حتى وقتنا هذا ^(٢) .

النسب في الإمامة :

قال بعض الشيعة ان النسب شرط في الامامة وقال آخرون ان النسب ليس بشرط اصلا وانها تصلح في القرشي وغير القرشي اذا كان فاضلا مستجمعا للشرائط المعتمدة واجتمعت الكلمة عليه وهو قول الخوارج وقال معظم الزيدية انها في الفاطميين خاصة وفي الطالبين لاتصلح في غير البطين ، وبعض الزيدية يجيزها في غير الفاطميين ، اما الراوندية فانهم خصصوها بالعباس وولده لانهما من بطون قریش اما الامامية فانهم جعلوها سارية في ولد الحسين بن علي وجعلتها الكيسانية في محمد بن الحنفية وولده ومنهم من نقلها الى غير ولده .

ان جميع الشيعة ماعدا الزيدية يقولون ان الامام يجب ان يكون بالنص من النبي أو القائم مقامه لانها بنظرهم من اصول الدين وانها واجبة على الله ، في حين نرى ان طائفة أخرى من الفرق الاسلامية تقول ان الامام راجع الى الامة المسلمة لانها فرع من فروع الدين اما الغلاة فقد شذوا وبعثوا حينما اعتبروها ألوهية أو حكومية او ماشابه ذلك من الأقوال التي لاتنطبق على واقع الامامة في حين ان الامامة عند الاسماعيلية يجوز ان تنتقل من الاباء الى الابناء ولاتنتقل من أخ الى أخ وهذه الامامة يكون انتقالها عن طريق الميلاد الطبيعي فيكون ذلك بمثابة نص من الأب بتعيين الابن وكذلك يقولون ان الامام بما أوتي من معرفة خارقة يستطيع ان يعرف أي ابنائه قد نالها بالنص ولجدهم كذلك جعلوا ولاية الامام احد اركان الدين ودعائمه بل هو الايمان بعينه ، وذهبوا الى أبعد من ذلك

١ - الزيدية : - فرقة من فرق الشيعة المعتدلة وهي الفرقة التي قبلت امامة زيد بن علي زين العابدين اخو محمد الباقر والتفوا حوله نظرا لجديته وهذا ماكان يفتقد محمد الباقر الذي غضبوا عليه ، والزيدية فرقة قريبة من السنة لأنهم (الزيدية) ينفون فكرة تقديس الأولياء ، الزيدية لم يعلنوا الخليفةين الأولين رغم اعتقادهم ان ابا بكر وعمر تم انتخابهما خلافا للشرع . وترى الزيدية ان الامام لابد ان يكون من آل النبي . - انظر : الاسلام في ايران ص ١٩٤ ، وأنظر أيضا خاندان نويختي : ص ٥٥ .

٢ - عارف تامر : الامامة في الاسلام ص ٦٣ ، وأنظر أيضا : عباس إقبال : خاندان نويختي -

طهران ١٣١١ هـ . ش ص ٥٥ .

حين قالوا ان الامامة الفضل دعائم الدين والقواها ولا يستقيم الدين إلا بها فالامامة هي المركز الذى تدور عليه جميع الفرائض فلا يصح وجودها إلا بوجوده ، كما يقولون ان الامامة تستمر مدى الدهر وان الكون لا يستطيع البقاء دون امام ^(١) .

ومما سبق نجد ان الاختلاف بين فرق الشيعة المعتدلة أى الكيسانية والزيدية والامامية وبين أهل السنة ينحصر فى عدة نقاط فى امور الشريعة اخصها ما يتعلق بالامامة الوراثية للعلويين .

وهناك عدد من المسائل والطعون وجهت الى الشيعة الامامية ذكر سبعة منها صاحب تبصرة العوام فى معرفة مقالات الانام من بينها ان طلاق الثلاثة لا يقع اذا قيل دفعة واحدة ^(٢) .

الاسماعيلية :

الاسماعيلية فرقة من فرق الشيعة ، وهى الجماعة التى انحازت بجانب اسماعيل الابن الأكبر لجعفر الصادق الامام السادس للشيعة حين حرم ابنه اسماعيل من الامامة واختار ابنه الرابع موسى الكاظم اماما ساهبا للشيعة ، وبالرغم من ان اسماعيل مات اثناء حياة والده ، ولكن اتباع اسماعيل لم يعترفوا بموته فلقد ادعى بعض اتباعه انه المهدي وانه سيبعث بشرعة جديدة تنسخ شريعة محمد ، وعدوه من أولى العزم سبعة هم : نوح - ابراهيم - موسى - عيسى - محمد صلى الله عليه وسلم وعلى - ومحمد بن اسماعيل - ونلاحظ ان الاسماعيلية يميلون الى العدد سبعة وذلك لأن النظامين الكونى والانسانى قاما على عدد سبعة . فالارض سبعة والسما سبعة واعضاء جسم الانسان سبعة والأئمة سبعة ^(٣) .

ولقد أباح الاسماعيلية جميع ما خلق الله فى الدنيا وابطلوا تحريم كل ما هو باطن وقسموا الفرائض والسنن الى ظاهر وباطن وذهبوا الى ان الواجب اتباعه هو الباطن لأن فيها النجاة اما استعمال الظواهر فيه الهلاك والشقاء ^(٤) .

١ - الامامة فى الاسلام : عارف تامر ص ٦٧

٢ - انظر : سيد مرتضى بن واعى حسنى الرازى - تصحيح عباس إقبال طبعة طهران عام ١٣١٣ هـ ص ٢٦٨-٢٧٢ .

٣ - أنظر فى ذلك : فصل در بيان شناخت امام (رسالة در عقائد فرقه اسماعيلية) - قاهره ١٩٤٧ ص ٨ .

٤ - مصطفى حلى : نظام الخلافة فى الفكر الاسلامى ، ص ٢٦٨ .

ولقد اختار الاسماعيلية محمد الابن الاكبر لاسماعيل اماما سابعا فكان الامام محمد موضع مطاردة من العباسيين فاختفى فى ناحية دماوند بالقرب من مدينة الرى بايران وتفرق اخلاف الامام محمد هربا من المطاردين لهم فى الاقطار المختلفة (١) .

الشيعة وايران

خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين كانت ثورات الشعب فى ايران مصطبغة بصبغتي التشيع والتصوف وكانت اسباب ثورات الناس فى تلك المرحلة هى انتشار المظالم وظلم الغزاة المغول وازدهار الاقطاع ، وكانت هذه الثورات موجهة ضد المذهب السنى . قبل ذلك كان نصف عدد سكان ايران من السنة حتى بداية القرن التاسع الهجرى ، فيذكر حمد الله مستوفى القزوينى فى كتابه الجغرافى المسمى « نزهة القلوب » ان الشيعة الامامية كانوا اكثرية فى العراق العربى فى مناطق الكوفة والبصرة والحله وفى غرب ايران فى مناطق الرى وأوه وخم واردستان وفراهان ونهاوند وكان الشافعية السنة مسيطرين على مدينة ساوه بينما سيطر الشيعة الامامية على اطراف هذه المدينة أو المناطق المحيطة بها وكان غالبية سكانها من الشيعة الامامية وعلى هذا يمكن القول ان السنة العقائدية التى سيطرت على الثورات التى قام بها الاهالى ضد الغزاة المغول والاقطاعيين يمكن اعتبارها شيعة فقط (٢) .

ولقد نشبت ثورات عديدة فى فارس كل هذه الثورات كان المذهب الشيعى هو المسيطر عليها ومن أمثلة ذلك ثورة عام ٦٦٥ هـ فى فارس .

وفى القرن التاسع الهجرى ظهرت فرقة الحروفين « وهى فرقة من غلاة الشيعة ظهرت فى خراسان فى نهاية القرن الرابع عشر الميلادى ومؤسسها فضل الله الملقب بالحروفى » (٣) ضد التيموريين وكان ذلك عام ٨٣١ هـ واندلعت ثورات شيعية أخرى فى سائر المناطق الأخرى وما سبق يتضح لنا ان التشيع كان العقيدة المشتركة لجميع الثورات التى قامت فى ايران فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين وحين استقرت الأسرة الصفوية على عرش ايران عام ٩٠٨ هـ نسبت نفسها الى سلسلة السادات وبالتالى الى العرب وسلسلة النسب كانت تتصل بنسب الشيخ صفى الدين الى الامام السابع للشيعة الامام موسى الكاظم ولكن هذا النسب لا اساس له من الصحة لأن الأسرة الصفوية كانت من الاكراد .

١ - بطروشفسكى : الاسلام فى ايران ، ترجمة : السباعى محمد السباعى ص ٢٤٣ .

٢ - المرجع السابق ص ٣٤٨ .

٣ - المرجع السابق ص ٣٥٧ .

٤ - المرجع السابق ص ٣٥٧ .

ولقد اتخذت الاسرة الصفوية المذهب الشيعي الامامي الاثنى عشرى الجعفرى (نسبة الى الامام جعفر الصادق أو الاثنى عشرى) مذهباً رسماً فى سائر بلاد الدولة الصفوية (١) وكانت هذه هى المرة الأولى التى يعم فيها مثل هذا الاجراء فى سائر انحاء ايران . وبهذا يكون المذهب الشيعي الامامي قد صار المذهب الرسمى لايران وكان الملك (الشاهنشاه) فى تلك الدولة يمثل السلطتين السياسية والدينية وبعد خليفة للنبي صلى الله عليه وسلم وعلى رضى الله عنه رئيساً روحياً للشيعة الامامية . ومنذ ذلك الحين اصبح المذهب الشيعي الامامي الاثنى عشرى المذهب الرسمى لايران حتى يومنا هذا برغم اختلاف الاسر التى حكمت ايران .

موقف أهل السنة والجماعة من النظريات الشيعية فى الإمامة

نلاحظ ان الشيعة الاثنى عشرية وكذلك الاسماعيلية قد اوجبوا الامامة عقلاً وتعسفوا فى الوجوب حتى اصبح فى رأيهم ان الامامة واجبة على الله تعالى . فجميع الفرق الاسلامية اتفقت على وجوب الامامة .

ويتساءل أهل السنة كيف يكون الامام امراً واجباً على الله تعالى وانه لطف منه مع ما نشاهده فى الواقع من اختفاء أثر هذا الامام الذى لا يظهر له اثر وانما هو فى زعم الشيعة امام غائب ينتظرون عودته ليملا الارض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً والامام المفقود لا يعترف بوجوده إلا الشيعة فحسب وهو لا يستطيع ان يؤدى مهام الامام فى الرعية (٢) . وقد ظل أهل السنة الى وقتنا هذا يتساءلون عن السبب فى عدم ظهور هذا الامام الغائب الذى تصفه الشيعة بالعصمة والعلم والعدل والرحمة وهناك دعوة أخرى للشيعة وهى ان النبي قد نص على امامة على ويستندون فى ذلك الى رواية ليس معلوم صحتها وهى ان النبي قد جمع بنى عبد المطلب فى دار ابي طالب فسألهم عن بياعته على ماله فبايعته جماعة دون أخرى فلما سألهم ثانية عن بياعته على روحه فلم يتقدم احد للمبايعة إلا على بن ابي طالب الذى مد يده فبايعه على ماله وروحه فصاحت قريش معبرة أبا طالب انه أمر عليك ابنك . ويقولون ايضا ان علياً لم يتقدم عليه أحد فى حين ان النبي قدم علياً على ابي بكر ليقرأ سورة البراءة بعدما كان قد أمر ابا بكر بقراءة السورة فى بداية الأمر ونلاحظ ايضا ان الشيعة قد اولوا بعض الآيات ليستندوا عليها فى احقية على فى الخلافة وايضا نسبوا بعض الأحاديث الى الرسول ، ويرى أهل السنة ان هذه الأحاديث منسوبة وليست صحيحة .

١ - بطروشفسكى : الاسلام فى ايران : ترجمة السباعى محمد السباعى ص ٣٧٥ .

٢ - مصطفى حلى : نظام الخلافة فى الفكر الاسلامى ص ١٨٧ .

التيارات الدينية والعقائدية في الدولة العثمانية ،

كانت تركيبة المهاجرين من آسيا الوسطى الى الاناضول بعد الغزو المغولي تتكون من بدو وحضر وفلاحين وتجار ومفكرين وصناع ودرائش ، ونتيجة لهذا الضرر الذي لحق بهم جراء هذا الغزو لمجدهم ارتقوا في احضان الدراويش ولجأوا الى حياة التصوف .

وقد توطن اصحاب الارستقراطية من هؤلاء الرافدين على الاناضول هم والطبقتان العالية والمتوسطة من البرجوازية في المدن الكبيرة وعلى هذه الطبقات اعتمد الصوفية في تكون الطرق التركية السنية واهمها المولوية والخلوتية وكانت هذه الطرق السنية تساند السلاطين السنيين وتزيدهم وتعمل على تأمين حكمهم سواء في العهد السلجوقي او في العهد العثماني « الدولة السلجوقية والدولة العثمانية ينتمون الى المذهب السني » ^(١).

والى جانب هاتين الطبقتين الارستقراطية والبرجوازية وفدت على الاناضول جماعات من البدو ومعهم عدد من الدراويش ولم يكن اسلام هؤلاء البدو صحيحا كل الصحة فقد كانوا يحتفظون ببقايا من الديانات القديمة التي اعتنقوها قبل اسلامهم كالبوذية والمناوية كما انهم كانوا لا يزالون يؤمنون بخرافات الشامانية وكانت هذه الخلطة العقدية مغطاة بطلاء من معتقدات غلاة الشيعة ولم يكن ائمة هؤلاء البدو من المشايخ والدارسين بل كان رجال الدين عندهم من الدراويش يحمل كل منهم لقب بابا وكان هؤلاء البابوات في اصلهم شامانات اسلموا ولم يحسن اسلامهم ، وقد اقام هؤلاء البدو في القرى حول باباواتهم وكانوا من العصبية والتمكن في قراهم بحيث عجز المشايخ السنيون عن الاتصال بهم وكان هؤلاء البدو يبغضون السلطة السنية ويحقدون على خلافة آل عثمان ويرونها امتدادا لخلافة المعتصين من آل مروان ^(٢).

البكتاشية

يقال ان البكتاشية وهي طريقة صوفية لها تعاليم سرية باطنية تنتسب الى ابراني يدعى حاجي بكتاشي في آسيا الوسطى وحاجي بكتاشي ولي من أولياء المسلمين ولد في نيسابور ودرس على أحمد يسوي . وقد تأسست حركة البكتاشية في غرب تركيا وتعد هذه الطريقة سنية ولكن الجميع يعلمون ان التعاليم الباطنية القريبة من تعاليم غلاة الشيعة والحروفية قد راجت بين افراد هذه الطريقة البكتاشية متأثرة بأراء الصوفية في المساواة في الاصل بين جميع الاديان وعدم فائدة الشعائر ، ومع ان البكتاشية يقولون انهم من

١ - أحمد السعيد سليمان : التيارات الدينية والقومية في تركيا المعاصرة ، ص ٢٠ .

٢ - المرجع السابق .

السنة وبالفعل فيهم اشياء من السنة ولكن هم قدر كبير من غلاة الشيعة فهم يؤلهون عليا ويذمون ابا بكر وعمر وعثمان ، ويعترفون بالائمة الاثني عشر ويبجلون بصفة خاصة جعفر الصادق ، والبكتاشية يبجلون قبور الاولياء الى حد انهم يضعون الدعاء في مرتبة الشعائر الدينية ، وقد حدث العناصر النصرانية الموجودة في طريقة البكتاشية الى الظن بانهم كانوا في الاصل من النصاري الذين لم يأخذوا من الاسلام إلا مظاهره فنجد عندهم عقيدة التثليث وقد اهلوا عليا مكان عيسى (الله - محمد - علي) وهم يحتفلون بما يشبه العشاء الرباني فيوزعون النبيذ والخمير والجبن في اجتماعاتهم بميدان (اوصى به) في صحن التكية المعد لذلك ، ولجد ايضا من مظاهر النصرانية عندهم انهم يعترفون بخطاياهم امام البابا اي شيوخهم ويتلقون منه المغفرة والخمر غير محرمة وقيمة النبيذ عندهم كبيرة ونسائهم لا يتحجبن (١) .

وكثير من البكتاشية يتبتلون ويعيشون مجردين من الازواج مما يدل على كون اصل هذه الطريقة غير اسلامية (٢) .

والبكتاشية معتنقون لمذهب الصوفية في الاعداد وبخاصة رقم (٤) وهو مذهب متأثر بالفيثاغورية الى حد كبير - ويقدر كتاب (جاريان) اعظم تقدير وهذا الكتاب يعرف باسم عشق نامة والبكتاشية يعتقدون في تناسخ الارواح ويرأس البكتاشية الشيخ الاعظم ، وليس منصب شيخ البكتاشية بالضرورة وراثيا ولكنه ينتقل من الاب الى الابن ولباس البكتاشية يتكون من عباة بيضاء وقلنسوة بيضاء ذات اطراف عديدة مثلثة الشكل يبلغ عددها اثني عشر اي بعدد الائمة ويلبس البابا حول هذه القلنسوة عمامة خضراء .

وترجع اهمية هؤلاء الدراويش السياسية الى اتصالهم الوثيق بالانكشارية فلقد كانوا لهم ابناء بمثابة الائمة وكثيرا ما يطلق اسم البكتاشية على الانكشارية فيقال لهم ابناء الحاج بكتاش (حاجي بكتاشي او غللي) واشترك البكتاشية في الفتن المتعددة التي قام بها الانكشارية وهذه الطريقة زالت دولتها بعد قضاء السلطان محمود الثاني على الانكشارية عام ١٨٢٦م. ولكن هذه الطريقة ازدهرت مرة ثانية شيئا فشيئا (٣) .

النقشبندية :

طريقة أسسها الشيخ بهاء الدين محمد نقشبند ، كان مؤسس هذه الطريقة يعشق مبدأ وحدة الوجود لجميع الكائنات الحية ، إلا أن هذه الأفكار قد أندثرت بين اتباع تلك

١ - السباعي محمد السباعي : الاسلام في ايران ص ٣٣٩

٢ - الاخير شكيب ارسلان : حاضر العالم الاسلامي ، ص ٣٤٩ الجزء الرابع المجلد الثاني .

٣ - دائرة المعارف الاسلامية تحت اسم بكتاشي .

السلسلة واتجهت نحو الانحطاط والفساد وشغلوا بجهاد الكفار ومدح المال والتعصب الدينى رغم الإعلان رسمياً عن مبدأ وحدة الوجود ، وانتشرت هذه الطريقة فى الصين وقازان واستانبول وآسيا الوسطى وإيران وأذربيجان وانقسمت هذه الطريقة إلى شعبتين ، سنية وشيعة وكان أتباع الشيعة الشيعية قليلين ، وقامت الطريقة النقشبندية على أساس الحياة الاجتماعية فى المانقاهات واتبعت أسلوب الذكر الخفى والعلامة المميزة والظاهرة لدرائش هذه الطريقة المحرقة ذات اللون الأصفر والرمادى ^(١) .

المولوية :

وهى طريقة سنية أسسها مولانا جلال الدين الرومى الشاعر الإيرانى الشهير فى القرن السابع الهجرى وخانقاه هذه الطريقة فى قونية بجوار شيخ الطريقة وتنتشر هذه الطريقة فى تركيا وفى إيران إلا أنهم طردوا من إيران أيام الشاه طهماسب الأول الصفوى نتيجة أفكارهم المتطرفة فى وحدة الوجود ، ويؤدى درائش هذه الطريقة الذكر الجلى مصحوباً بالرقص والموسيقى ولذا يسميهم الأوربيون باسم الدرايش الراقصين . والسمة المميزة لهذه الطريقة مداراتهم المستمرة والمفرطة للمسيحيين واليهود ، ويتميز لبس درائش هذه الطريقة بالقلنسوة الطويلة ، وكان أعضاء هذه الطريقة أيام جلال الدين الرومى من أهل الطبقات الدنيا والصناع ^(٢) .

الخلوتية :

أسسها أخى يوسف الخلوتى فى نيكده بافتتاحه زاوية هناك فى أواخر القرن الثالث عشر ، وكانت طريقة بروجوازية لحافظ على مظهرها السننى كالمولوية ، ولم تؤثر هذه الطريقة تأثيراً دينياً مباشراً فى الأناضول حتى توثقت بينهما العرى وأكتسبت بذلك طبقة الصناع فى المدن ثم قرئت فيما ولى ذلك من عصور فى آران وأذربيجان وفى بلاد الإمبراطورية العثمانية ^(٣) .

وقد ألغيت هذه الطرق بصدور قرار مصطفى كمال اتاتورك بإلغاء الطرق الصوفية وإغلاق التكايا .

الآن هذه الطرق كان لها تأثير قوى على المجتمع التركى .

١ - بطروشوفسكى : الإسلام فى إيران ، ترجمة : السباعى محمد السباعى ص ٢٢٨ .

٢ - بطروشوفسكى : المرجع السابق ص ٢٢٧ .

٣ - أحمد فؤاد كوبرلى : قيام الدولة العثمانية ، ترجمة أحمد السعيد سليمان ، دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٧ م .

الشيعة والهند:

إذا نظرنا الى الهند نجد ان ظهير الدين محمد بابر قد تولى عرش اقليم فرغانه خلفا لابيه ولم يمض إلا اعوام قليلة حتى استولى على سمرقند ثم بتأمر عليه اقاربه فيفقد سمرقند واقليم فرغانه ولكنه سرعان ما يسترد اقليم فرغانه ويسترد ايضا سمرقند .

وكان الشاه الصفوى قد امد بابر بفرق من جنده القزلباش ليستعين بهم على استرداد املاكه الضائعة ببلاد ماوراء النهر واستطاع بابر بمعونتهم ان يدخل بخارى وسمرقند إلا ان المذابح الرهيبة التى ارتكبها الشاه الفارسى لارغام الناس على اعتناق المذهب الشيعى قد ادت الى اتحاد الاهالى ومعهم بابر نفسه مع الاوزبك الذين كانوا يحتلون سمرقند ^(١) ، ويتضح من ذلك ان بابر كان على المذهب السنى رانه اختلف مع الفرس اصحاب المذهب الشيعى .

وقد قام بابر بعد ذلك بالاستيلاء على الهند وأسس له دولة مترامية الأطراف ^(٢) .
وخلف ناصر الدين همايون اباه بابر على عرش الهند وقد اخرج همايون من مملكته بعد أن تأمر عليه بهادرخان صاحب الكجرات والتفاف الامراء الافغان حول بهادرخان وحكمت اسرة شيرشاه وهو احد امراء الافغان خمس عشرة سنة حتى استطاع همايون أن يعود الى الهند بمعاونة طهماسب شاه الفرس ^(٣) .

وخلف جلال الدين اكبر اباه همايون فى حكم الهند وكان جلال الدين اكبر قد ولى بيرم خان قائدا له ، وقام بيرم باعادة تنظيم الحكم وارقد الجنود الى استرداد ما فقدته الدولة من اراضى فلم يمض عامان حتى عادت لها حדרها القديمة .

ولكن بيرم تغالى فى تقريبه لابناء مذهب من الشيعة ومضايقته للسنيين اصحاب الكثرة العالبة فى البلاد مما اثار النفوس عليه ومن هنا نستطيع القول ان المذهب الشيعى كان موجودا فى بلاد الهند وان الخلافات كانت قد نشأت بين المذهب السنى والمذهب الشيعى وسوف نلاحظ بعد ذلك ان جلال الدين اكبر قد حاول ان يوحد المذهب السنى والمذهب الشيعى فى مذهب جديد عرف باسم المذهب الالهى وهذا المذهب يقوم على تعجيد الله وينادى بوحده الوجود وعلى هذا نجد ان المذهب الشيعى كان موجودا ^(٤) وله انتصاره فى بلاد الهند .

١ - احمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الاسلامية بأسيا وحضارتها ص ٧٦ .

٢ - احمد محمود الساداتى : نفس المرجع ص ٧٩ .

٣ - احمد محمود الساداتى : نفس المرجع ص ٨٧ .

٤ - الامير شكيب ارسلان : حاضر العالم الاسلامى ، ترجمه : عجاج نويهض المجلد الثانى الجزء

الرابع ص ٣٠٧ .

البواهرى أو البهرة :

طائفة اسلاميه فى غرب الهند انحدرت على الاغلب من أصل هندوكى ومعظم أفرادها شيعه على مذهب الاسماعيليه وينتمون الى ذلك الفريق الذى يؤيد دعاوى المستعلى (٤٨٧-٤٩٥هـ / ١٠٩٤-١١٠١م) فى ولايه الخلافة الفاطميه بمصر بعد أبيه المستنصر .

والاسم " البهرا " يدل على التجار وهو من الكلمه الكجراتيه " فهرقو " أى التجار ، وهو نبىء باحتلال أولئك الذين سبقوا الى الاسلام . ولا تقتصر هذه التسميه على المسلمين ، بل ان ٦٦٥٢ من الهندوس و ٢٥ من الجاين قد اعتبروا أنفسهم من البهرا فى التعداد الذى عمل سنه ١٩٠١ ، وعدد البهرا المسلمين ١٤٦٢٥٥ منهم ١١٨٣٠٧ يقطنون فى ولايه بمباى . وهم فريقان اساسيان الفريق الاكثر من طبقه التجار ، وأغلبهم على مذهب الشيعة ما عدا البهره العبقرية وهم من السنيين و الفريق الاصغر من الفلاحين والمزارعين وهم من أصل السنه . ويؤمن بعض التشيعه من البهره أنهم من نسل أناس هاجروا من بلاد العرب ومصر ، ولكن أغلبهم من أصل هندوكى ، وقد اعتنق اجدادهم الدين الاسلامى على يد مبعوث الاسماعيليه . ويقال ان أول هؤلاء يدعى عاده عبد الله وانه يبنى بعشه امام طائفة الاسماعيليه المستعليه فارس بكمباى عام ١٠٦٧هـ / ١٠٦٧م وتزعم روايات اخرى ان اول مبعوث الى الهند كان محمد على المتوفى عام ٥٣٢هـ والذى مازال الناس يبجلون قبره فى بمباى ويظهر ان الحكومه الهندوكيه قد سمحت للمبعوث الاسماعيليه بان تنشر دعوتها دون ازعاج وحين سقطت المملكه الهندوكيه وطلت كجرات خاضعه لدلهى تعرض البهره لاضطهاد شديد فى عهد ملوك كجرات المستقلين لان هؤلاء الملوك كانوا يشجعون مذهب اهل السنه على الانتشار . وظل زعيم هذه الطائفة يقيم حتى عام ٩٤٦هـ - ١٥٣٩م وكان البهرا يحجون اليه هناك ويدفعوا له العشور ويحتكمون اليه فى خلافاتهم . الا ان يوسف بن سليمان هاجر من اليمن الى الهند عام ٩٤٦هـ واستقر فى سد هبور ، ودب الشقاق بين صفوف البهره عقب وفاه زعيمهم داؤد بن عجب شاه عام ١٥٨٨م ادا اختار بهره كجرات داؤدين قطب خلفا له وارسلوا بالخبر الى اخوانهم فى اليمن ولكن هؤلاء بايعوا رجلا يدعى سليمان الذى كان يزعم انه الخليفه الصحيح معتمداً فى ذلك على وصيه شرعيه من دؤادبن عجب شاه ويقول السليمانيه ان هذه الرثيقه ما زالت فى يدهم حتى اليوم ، وتوفى سليمان فى احمد آباد ولا يزال قبره وقبر منافسه داؤوين قطب شاه قائمين فى هذه المدينه ويبجل كل فريق قبر من يدينون بمذهبه واتباع سليمان يعرفون بالسليمانيه وداعيمهم بسكنى اليمن وعدد السليمانيه ضئيل الآن . والبهرة البالغ عددهم ١٣٠.٠٠٠ معظمهم من الداؤودية وملاهم اوداعيم يقيم فى سورات .

والداؤدية يقدمون خمس دخلهم الى الملا الاكبر كما انهم يدفعون ضرائب اخرى عند ولادة مولود او بمناسبة الزواج وهناك فرعان من الداؤدية ليس لهما شأن كبير هما البهرة العلية والبهرة الناكوشية ، البهرة العلية هم الذين ابدوا دعاوى على حفيد الشيخ ادم عام ١٩٢٤م وهو الذى اوصى الشيخ ادم باستخلافه .

البهرة الناكوشية الذين خرجوا على الطائفة العلية حوالى عام ١٧٨٩م واسمهم مشتق من مذهبهم الذى يعتبر أكل اللحوم من الآثام .

يضع البهرة كتبهم الدينية موضع السر ولم يطبع من كتبهم الخاصة بالصلاة إلا عدد قليل ضئيل الشأن مثل صحيفة الصلاة وبعضها بالعربية والبعض الآخر بالكجراتية ومن كتبهم التى لم تطبع بعد كتاب (دائم الاسلام) و (الحقائق) وهما يعرضان مذهب

الاسلام وشعائره من وجهة نظر الشيعة ، ومعظم البهرة الجعفرية من نسل البهرة الداؤدية الذين اعتنقوا مذهب السنين فى عهد مظفر شاه الذى حكم من عام ١٤٠٧م الى ١٤١١م ومن خلفه من ملوك كجرات إلا انه انضم إليهم اناس من الهندوس والحضرية نسبة الى ولى يدعى جعفر الشيرازى وهم يبجلونه ويعتبرونهم ائمة فى شئون الدين .

السنة والخلافة

تم عقد اجتماع السقيفة (بعد وفاة النبى) وحين بلغ ابا بكر وعمر رضى الله عنهما وبعض المهاجرين اسرعوا الى حضوره وغاب عنه بعض كبار الشخصيات ومادرى الحاضرون فى هذا الاجتماع انهم كانوا يعقدون اهم اجتماع أو مؤتمر فى تاريخ الاسلام كله ففى هذا الاجتماع وضع الدستور الذى قام عليه نظام الخلافة . هذا النظام الذى بقى منذ ذلك الوقت فى شكل أو آخر إلى القرن العشرين ^(٢) .

والخلافة هى رئاسة الحكومة الاسلامية الجامعة لمصالح الدين ^(٢) .

نشأة اسم أهل السنة والجماعة :

كتب التاريخ الاسلامى لم يحدد فى الواقع متى ظهر مصطلح أهل السنة والجماعة على وجه التحديد ، ولكننا نستطيع ان نقول ان مصطلح أهل السنة والجماعة يرجع فى نشأته الى ما بعد انتقال الرسول الى الرفيق الاعلى اذ انقسم المسلمون عندئذ الى ثلاثة طوائف الأولى التى ثبتت على الدين نقياً خالصاً كما تركه الرسول وكما ورد فى القرآن وهؤلاء هم

١ - محمد ضياء الدين الرئيس: النظريات السياسية الاسلامية الطبعة السادسة عام ١٩٧٦ مكتبة

دار التراث ص ٢٨

٢ - محمد رشيد رضا : الخلافة ، ص ١٧ .

افاضل المسلمين ، الثانى » الفريق الذى امتنع عن دفع الزكاة ، الفريق الثالث هم الذين ارتدوا عن الدين الاسلامى بعد وفاة الرسول ، ومنها اطلق المسلمون على الفريق الأول أهل السنة والجماعة (١) .

وأهل السنة والجماعة هم الاصل الذى انشق عنه كل المخالفين من شيعة وخوارج ، والاصل لا يحتاج الى سمة خاصة تميزه (٢) .
بحكم الخلافة ،

علماء المسلمين متفقون على وجوب الخلافة وعلى أنها من فروض الكفاية كالجهاد فى سبيل الله وطلب العلم ، والرأى القائل بوجوب الخلافة هو رأى أهل السنة جميعا ورأى المعتزلة والخوارج وكذلك رأى الشيعة وإن كان للشيعة وجهة نظر خاصة فى هذا الموضع (٣) .

هناك دلائل يستند عليها أهل السنة فى رأيهم هذا :

١ - الدليل العقلى والمنطقى

إن إقامة الخلافة وجبت بالعقل وإن الاجماع الذى حدث فى عهد الصحابة والتابعين على إقامة الخلافة إنما كان قضاء بحكم العقل وذلك لضرورة الإجتماع للبشر واستحالة حياتهم منفردين .

٢ - الدليل الشرعى

يرى البعض أن نظام الخلافة يستند وجوبه الى نصوص قرآنية وأحاديث نبوية .
أولاً : النصوص

فى مقدمة تلك النصوص الآية الكريمة : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

ف نجد أن عبارة « أولى الأمر تشمل فيمن تشمله الخلفاء »

ومن الاحاديث النبوية أن الرسول قال : « من اطاعنى فقد اطاع الله ومن عصانى فقد عصا الله ، ومن بطع الامير فقد اطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى » .

ثانياً : الإجماع

ويتلخص هذا الدليل فيما يقال من أن الصحابة قد أجمعوا بعد وفاة الرسول على اقامة خليفة أن وجدناهم يؤجلون دفن الرسول الى ما بعد مبايعة الخليفة الجديد .

١ - مصطفى حلى : نظام الخلافة فى الفكر الاسلامى ، ص ٢٨٥

٢ - نفس المرجع ص ٢٨٩ .

٣ - انظر رأى الشيعة فى نفس البحث .

٣ - الدليل العقلي والشرعي

يرى بعض المعتزلة : ان الخلافة وجبت بالعقل والشرع معا فليس ثمة ما يحول دون القول بان اقامة الخلافة من الامور التي يقتضى بها العقل « لحياطة القوانين وحماية الافراد وقررها الشرع تأييداً لمقتضى العقل فيكون العقل والشرع متوافقين على ايجاب تولية الخليفة ^(١) .

ويرى شيخ الاسلام مصطفى صبري ان « الخلافة ليست عبارة عن صفة تمتاز بها احد الحكومات الاسلامية بل هي عبارة عن كون حكومة مانائه مناب رسول الله صلى الله عليه وسلم في القيام باحكام الشرع الاسلامي ، فلها ركنان حكومة ونيابة ومتى فقد احدى الركنين مثل الحكومة بلا نيابة أو النيابة بلا حكومة فقدت الخلافة لانه يكون بمنزلة وجود الكل بدون الجزء وهو محال ان صفة الخلافة موجودة في جميع الحكومات الاسلامية فاللازم في تحقيق الخلافة رعاية الحكومة لشرائطها الاسلامية فيكون اتصال الحكومات الاسلامية بالخلافة على قدر تلك الرعاية وهي ان الخلافة لاكتسب باعتبار الاعتبار كالوراثة او التوجيه من قبل شخص أو جماعة » .

ويستمر في قوله « فان قيل وجود الخلافة في جميع الحكومات الاسلامية يستلزم تعدد الخلفاء مع ان في جواز تعددهم كلاما قلنا عدم جواز التعدد وانما هو من جهة مزاحمة كل من الحكومات الاسلامية بالآخرى فتنتقص قوة الكل او لا يتكون شيء منها رأسا بمعنى ان المحذور في تعدد الخلفاء انما نشأ من تعدد الحكومة التي تتضمنها كل خلافة وهي لا تقبل التعدد اذا حليت وطبعها لا الخلافة الصرفة » ^(٢) .

السنة ونشأة نظام الخلافة

كما ذكرنا من قبل فقد حدث في اجتماع السقيفة حدث خلاف حول بمن يختار الخليفة من المهاجرين أم من الانصار واستقر الرأي على انتخاب ابي بكر لما يتمتع به رضى الله عنه بين الصحابة من مكانة دينية عالية بقر له بها الجميع ^(٣) .

وحين شعر ابو بكر بقرب وفاته وكانت الفتوحات الاسلامية خارج الجزيرة قد بدأت في عهده وجيوش المسلمين مشتبكة في القتال مع الفرس والروم وخشى أبو بكر رضى الله عنه ان تتفرق كلمة المسلمين في هذا الوقت العصيب ورأى ان مصلحة المسلمين توجب ان يعقد

١ - عبد الحميد متولى : الاسلام هل هو دين ودولة ، ص ٤٦ ، ٤٨ .

٢ - مصطفى حلمي : كتاب الاسرار الخفية وراء الغاء الخلافة العثمانية ، دراسة حول كتاب [النكير على منكرى النعمة من الدين والخلافة والنعمة لشيخ الاسلام مصطفى صبري] .

٣ - محمد ضياء الدين الرئيس : النظريات السياسية في الاسلام ص ٣٨ .

العهد بالخلافة لأحد الصحابة حتى لا يحدث ما حدث من خلاف في اجتماع السقيفة عقب وفاة النبي فاختار أقوى وأكفأ الصحابة لقيادة المسلمين في هذا الموقف وهو عمر بن الخطاب ولكن لم يتم له العقد إلا بعد أن شارر الصحابة وأهل الحل والعقد في هذا الاختيار ^(١) . ومن هذا نجد أن أبا بكر قد حدد من يخلفه وأخذ رأى أهل الحل والعقد في هذا الشأن ، ثم نجد بعد ذلك تطور نظام الخلافة من عمر بن الخطاب حتى اختيار عثمان بن عفان .

فحين حضرت الوفاة عمر بن الخطاب بعد أن طعنه المجوسى أبو لؤلؤة عهد الى ستة من كبار الصحابة هم : عبد الرحمن بن عوف ، سعد بن ابى وقاص ، عثمان بن عفان ، على بن أبى طالب ، الزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله ، عهد إليهم أن يجتمعوا ويتداولوا ليختاروا واحدا منهم ليتولى الخلافة وذلك بعد أن يقوموا باستفتاء الناس فبعد وفاة عمر فوضوا مهمة البحث واستشارة الناس الى عبد الرحمن بن عوف وبعد استشارة الناس لمدة ثلاثة ايام وجد الاغلبية تفضل تولى عثمان بن عفان فدعا الى اجتماع عام وعقد هذا الاجتماع في مسجد المدينة وانتهى الاجتماع الى بيعة عثمان بالخلافة وبايعه الناس ^(٢) .

اما بالنسبة لخلافة على فان البيعة تمت له في ظروف الفتنة التي حدثت في أواخر عهد عثمان « حين زاد سخط الناس على عثمان بسبب عزله لكثير من الولاة وتولية اقربائه ، نتيجة لهذا السخط تقدم الى مكة جمع مسلح من أهل الكوفة والبصرة ومصر متعللا بأداء العمرة واقاموا بجوار بوابة تلك المدينة وكان معظم هؤلاء من الطبقات الدنيا وقد راجت بينهم روح التشيع ، وقد نجح عثمان بمعاونة من على في الدخول في مباحثات مع الساخطين ووعد بإزالة اسباب شكواهم كما وعد بعزل الحكام والولاة في تلك الولايات والنواحي ولكن في تلك الاثناء حصل المصريون على وثيقة ماهرة بخاتم الخليفة يأمر فيها والى مصر بان يقبض على هؤلاء الثوار فور عودتهم وان يقطع ايديهم وارجلهم ، فاستاء افراد هذه الجماعة الملحة من هذا السلوك ورجعوا ودخلوا المدينة وحاصروا منزل عثمان ، وكان الثوار يأملون ان يطول حصارهم لضمان ان يبقى عثمان مستعدا للتخلي عن الخلافة اذا ما اشتد به الجوع وبعد حصار دام عشرة اسابيع اشيع ان قوات مسلحة ارسلت من قبل ولاية البصرة ودمشق وانها قدمت لنصرة عثمان ، فهاجم الثوار منزل الخليفة وقتلوه ^(٣) .

ونتيجة للفتنة بايع أهل المدينة على بن أبى طالب ماعدا فريق من المهاجرين امتنعوا عن المبايعة بالرغم من أن على بن أبى طالب كان احقهم بالخلافة ومن المبايعين ايضا الثوار

١ - النظريات السياسية في الاسلام ص ١٨٠ .

٢ - المرجع السابق ص ١٨٢ .

٣ - بطروشفسكى : الاسلام في ايران ، ترجمة : السباعي محمد السباعي ص ٨٩ .

الذين خرجوا على عثمان واشتركوا في دمه وقد ايد بيعة علي ايضاً أهل الحجاز والعراق وامتنع أهل الشام بقيادة معاوية الذي كان والياً عليهم . وبعد ان انعقدت بيعة علي في المدينة رأى لزماً عليه ان يقوم بتوحيد الدولة واخضاع الخارجين عليه فجرت الواقعة المعروفة بينه وبين معاوية وبين مؤيديه والخوارج حتى انتهت بمقتل علي على أيدي الخوارج في الكوفة فخلفه ابنه الحسن ولكن بعد عام تم الصلح بينه وبين معاوية وتنازل عن مطالبته بالخلافة ^(١) وبعد هذه الاحداث بدأ في الظهور بصورة جليلة الانشقاق في الامة فقد بدأ الخلاف بين أهل السنة وبين الشيعة أي شيعة علي واولاد علي واخلاقهم ثم بعد ذلك بدأت الدولة الاموية .

خلافة معاوية :

اما بعد عصر الراشدين فقد حدث تطور فلقد تولى معاوية ، لم يتم ذلك في الاصل عن طريق المبايعة الحرة او الاختيار من جميع الامة وانما الذي بايعه أهل الشام الذين كانوا في ولايته ثم بايعه سائر الناس الذين بايعوه بعد عام الجماعة وكان هذا اعترافاً بالواقع وحرصاً على حفظ وحدة الأمة . وهنا نلاحظ ان عنصر القوة والاضطرار بدل الاختيار التام أو الشورى التي كانت سائدة في عصر الخلفاء الراشدين ، وقد اعترف أهل السنة بخلافة معاوية بعد عام الجماعة وكان هذا الاعتراف اعترافاً بالامر الواقع لأن خلافة معاوية لم تقع في الاصل على المبايعة الحرة . ثم حدث تحول جديد في شكل الخلافة وتحولها الى الملك حين رأى معاوية أن يعهد بالخلافة الى ابنه يزيد فبذلك دخل مبدأ الوراثة على الخلافة ^(٢) . وهكذا نجد أن الدولة الاموية التي امسكت بزمام الامور من عام ٤٠ هـ الى عام ١٣٢ هـ قد عملت بنظام الوراثة باستثناء خلافة مروان بن الحكم الذي تولى منصب الخلافة بعد أن مات معاوية الثاني دون ان يعهد بالعهد لأحد فاقيم مؤتمر الجانية (وهي مكان بين الاردن ودمشق) في أواخر سنة ٦٤ هـ ذلك المؤتمر الذي استمر أربعين يوماً حتى استقر الرأي على اختيار مروان بن الحكم وهذا هو الاستثناء الوحيد في الدولة الاموية الى ان سقطت ثم قامت بعد ذلك الدولة العباسية والتي استمرت على نفس الاسلوب الى ان سقطت .

ولقد استمرت الخلافة عبر القرون في العالم الاسلامي حتى العصر الحديث وكانت آخر صورة لها هي الخلافة العثمانية رغم ان الخلافة العثمانية لم تنشأ في الاصل نتيجة المبايعة الحرة بل قامت على القوة والغلبة وجرت على نظام الوراثة . وظلت تمثل قوة ووحدة الاسلام والمسلمين وقامت بالدفاع عن الاوطان الاسلامية وحفظ كيانها واعترف الجزء الاكبر من

٢ - النظريات السياسية في الاسلام ص ١٨٣

٣ - المرجع السابق ص ١٨٧ .

العالم الاسلامى بالدولة الاسلامية ورئيسها خليفة للمسلمين وظلت الدولة العثمانية هكذا الى ان اعتراها الضعف وانتهت عقب الحرب العالمية الأولى وانتهت الخلافة التى كانت مرتبطة بها ^(١) .

تحويل الخلافة الى الملك :

بما ذكرناه نلاحظ ان الخلافة الاسلامية فى عهدها الأول أى عهد الخلفاء الراشدين كانت تعمل بنظام الشورى وهو النظام الذى حثنا عليه الاسلام ، اما فى فترة خلافة الدولة الاموية نلاحظ ان الدولة الاموية اتبعت نظام ولاية العهد أى ان الخليفة كان يأخذ البيعة لابنه أو رلى عهده اثناء حياته ويصبح معروفا ان هذا الشخص سيخلف الخليفة وكان معاربه هو أول من فعل ذلك حين اخذ العهد ليزيد وبذلك يكون معاربه هو راضع مبدأ الوراثه على الخلافة ، وقد ذكر معاوية الاسباب التى دفعتة الى ذلك وهو انه « بكره ان يترك أمة محمد بعده كالضأن لاراعى لها » * أى ان معاوية كان خائفا ان تحدث فتنة مثل الفتنة التى حدثت بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان ، ولكن يؤخذ على معاوية انه لم يفعل كما فعل ابو بكر بان يختار للأمة أفضل واكفا من فيها ويعهد إليه بالامر بعد استشارة الناس فاختيار معاوية ليزيد لا يخلو من العاطفة والتعيز للأسرة وقد فسر ابن خلدون التحويل فى الخلافة الى نظام الملك انما يرجع الى العصبية التى تسيطر على العلاقات فالعصبية هى التضامن والتناصر فى الأسرة أو القبيلة أو العشيرة والعشيرة الاقوى تكون هى صاحبة العصبية الاقوى وان الخلافة حين انتقلت من عصر الراشدين الى العصر الاموى انقلبت الى الملك وكان هذا التحويل امرا طبيعيا وفقا للعصبية التى ذكرها ابن خلدون وضرب مثلا على قوة العصبية بان عمر بن عبد العزيز كان يتمنى ان يعهد بالخلافة الى القاسم بن محمد بن ابي بكر ولكنه لم يستطع ان يفعل لانه كان يخشى من بنى امية اهل الحل والعقد فلا يقدر ان يحول الامر عنهم لكى لاتقع الفرقة ، ثم ضرب مثلا آخر فى عهد بنى العباس فقال « فلا ترى الى المأمون لما عهد الى على بن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضا كيف انكرت العباسية ذلك ونقضوا بيعته وبايعوه لعنه ابراهيم بن المهدي وظهر من الهرج والحلال وانقطاع السبل وتعدد الشوار والخوارج ماكاد ان يصطدم به الامر ، فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الامور والقبائل والعصبيات وتختلف باختلاف المصالح .

١ - النظريات السياسية فى الاسلام : محمد ضياء الدين الرئيس ص ٢٠٧

* انظر فى ذلك مقدمة ابن خلدون الفصل الثامن والعشرون : فى انقلاب الخلافة الى الملك .

أما إذا انتقلنا الى فترة خلافة بنى عثمان أى الدولة العثمانية لمجد أن الدولة العثمانية قامت فى البداية على أساس القوة ولم تنشأ نتيجة المبايعة الحرة وانها اتبعت نظام الوراثة واعترف بها اكثريه المسلمين واصبح رئيس هذه الدولة خليفة للمسلمين ، وانتهت الدولة العثمانية الممثلة للخلافة الاسلاميه بعد انتهاء الحرب العالميه الأولى وبهذا يكون انتهاء دور من ادوار الخلافة وانتهاء ارتباط الخلافة بدولة أو أسرة معينة (١) .

أما حقيقة نظام الخلافة نفسه فلا يمكن أن ينتهى مادامت الامة الاسلاميه موجوده والاسلام قائما لأن الخلافة ليست دولة معينة أو شخصا بذاته لكنها النظام الذى يمثل وحدة المسلمين ويجمع قواهم وبواسطته يستطيعون أن يتعاونوا ويتكافؤا ويتناصروا وبهذا التعاون يحفظون الاسلام نفسه ويدافعون عن اوطانه ويتمكنون من تنفيذ الراجيات التى يأمر بها الاسلام وعلى هذا فيجب على المسلمين أن يعملوا على الحفاظ على الدولة الاسلاميه وليس المهم الاحتفاظ بلفظ خليفة أو خلافة فالاسلام لا تهمة الاسماء ولا الالقاب وانما تهمة الحقيقة والجور

التيارات العقائدية الأخرى فى العالم الإسلامى

البابية :

البابية نسبة الى الباب (على بن محمد بن رضا الشيرازى) نسبة الى مدينة شيراز الايرانية والتى ولد فى الاول من محرم عام ١٢٣٥ هـ الموافق ١٨٢٠م وحين بلغ سن الخامسة والعشرين ادعى انه الباب . ولقد مات والده وهو طفل وكفله خاله الميرزا على الشيرازى وكان من كبار تجار شيراز وانتقل مع خاله الى مدينة أوشهر واتصل هناك باحد تلاميذ الرشتى وهو السيد جواد الطباطبائى الكربلائى ولازمه مدة واخذ يلقى فى مسامعه تعاليم الشيخية والرشتية واخذ يظهر من محياء واخبره أنه الموعود الذى اخبر عن ظهوره الرشتى ومن قبله الاحسانى وقد تأثر الصبى بذلك ولمع فى نفسه المجد الذى سيحصل عليه لو ادعى انه المهدي فاخذ يدرس العلوم الدينية والصوفية والرياضية (٢) .

عقيدة البابية

البابية تزول حديثا للرسول يقول فيه انا مدينة العلم وعلى بابها فاخذ البابية هذا الحديث وأطلق على على محمد الشيرازى لقب الباب (٣) .

١ - النظريات السياسية الاسلامية : ص ٢٠٧ .

٢ - الامير شكيب آلب ارسلان : حاضر العالم الاسلامى ، المجلد الثانى الجزء الرابع ص ٣٥١ .

٣ - صالح عبد الله كامل - امينة الصاوى : البهائية الفكرة والعقيدة ، ص ٢٢ .

وللبابية شريعة بعد ان ادعى الباب ان الوحي نزل عليه وانه افضل من محمد وان له قرآنا وقرآنه افضل من قرآن محمد .

نجد ان البابية تكفر جميع امور الآخرة من القيامة والبعث والحساب ويؤولون الآيات القرآنية تأويلات وهمية فاسدة على حساب هواهم وافكارهم ، فيقولون عن القيامة انها عبارة عن وقت ظهور شجرة الحقيقة في كل الأزمنة مثلاً بعثة عيسى قيامة لموسى وبعثة محمد قيامة لعيسى وبعثته هو قيامة لمحمد رسول الله ويوم الجزاء هو يوم الظهور الجديد (أى ظهور المبعوث) الذى فيه يجعل الفعل بين الذين يقبلون رحيه والذين لا يقبلون^(١)

الصلاة عندهم التكبير والتحميد لحضرة الباب ، والوضوء يكون بماء الورد والطيب وسجودهم يكون على بللور ، ودفنهم يكون فى بللور أو رخام .

يحرمون البابية ايضا العلاج والدواء وهذا نص من ما يسمونه بقرآن « ثم انتم الدواء لا تملكون ولا تبيعون ولا تشترون ولا تستعملون » وقرآن البابية يطلق عليه اسم البيان - الاشياء النجسة مثل الكلاب والخنازير اذا نسبت الى الباب تطهر^(٢) .

موقف الاستعمار من البابية

كانت الحكومة الروسية تعمل على اشغال المسلمين فى ايران بحرب اهلية فيما بينهم ليخلوا لها الجو لتنفيذ مؤامرتها .

ويذكر : محمد حسين آل كاشف الغطاء فى مقدمة كتابه الحقائق الدينية فى الرد على العقيدة البابية : ان روسيا بعثت برجل الى طهران بعد ان انتزعت مملكة القفقاس من الدولة الايرانية ، يتعلم اللغة الفارسية واظهر التدين بالاسلام واشتهر باسم الشيخ عيسى وجمال هذا الرجل فى ايران والتقى مع الباب فى شيراز وكان هذا الرجل هو حلقة الاتصال بين الباب والروس وكان الشيخ عيسى هذا يعلم البابيين فنون الحرب .

ويضيف الدكتور محمد مهدي خان صاحب مطالع انوار : ان الحكومة الروسية رأت لتنفيذ اغراضها فى ايران تقوية البابيين فاخذ تساعدهم فى بلادها واعطت لهم حرية كاملة واظهار دينهم على عكس ما فى ايران فبنوا لانفسهم معبدتين فى باكو والثانى فى عشق آباد ومن الامور التى تبعث الشك فى النفس هو دخول اليهود فى البابية لأن اليهود حريين على البقاء داخل دينهم الذى يصل عندهم الى درجة الجنسية اليرانية ، لأن اليهود يعلمون ان هذه الحركة هدامة للاسلام لذلك سخر اليهود جميع امكانياتهم فى الدعاية لهذه الحركة^(٣) .

١ - محمد عبد المنعم احمد النمر : البابية والبهائية ص ٦٢ .

١ - محمد عبد المنعم احمد النمر : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

٢ - المرجع السابق ص ٦٢ .

موقف السلطنة في ايراق من الباب

في عام ١٨٤٥ وجه الباب رسله من بوشهر الى شيراز ولكنهم مالبثوا أن استشاروا انتباه الحكومة وحذرها في ٦ آب (اغسطس) فحظر عليهم حاكم فارس القيام بأي نشاط تبشيري جديد وفي العشرين من الشهر نفسه بعث بجنوده الى بوشهر لإلقاء القبض على الباب وقبض عليه ونقل الى شيراز وحكم وألقى في السجن ولكنه فر بعد ستة أشهر الى اصفهان بمساعدة بنوجهرخان وظل في حمايته وبعد وفاة بنوجهرخان اقتيد الى باكو في آذربيجان وسجن ثلاث سنوات وكان أتباعه ينشرون تعاليمه ويقومون بنشاط قوى. ولقد كان لدخول قرة العين شاه قزوين الجميلة صدى خاص فقد حققت باديء الامر تعاليمه فيما يتصل بالمرأة بأن نزع الحجاب ومن أجل ذلك لعن خالها الباب وتصدى له وقتله ، وفي عام ١٨٤٨ كان البابية قد اخذو يثيرون القلاقل في مشهد ، ومن هنا بعث شاه ايران ناصر الدين شاه جيشا لقتالهم ووفق الباب وأتباعه في صد هجوم الجيش في باديء الامر ولكنهم استسلموا في تموز عام ١٨٤٩ بعد أن نالوا وعدا بالعفو عنهم إلا ان الشاه أعمل السيف في رقابهم .

وفي عام ١٨٥٠ أعدم الباب نفسه مع أحد مريدية في تبريز^(١).

البهائية

فرقة من الفرق التي نستطيع ان نطلق عليها الفرق الملحدة شأنها شأن البابية . مؤسس البهائية ومنشئها ميرزا حسين على الذي ولد في ١٢ نوفمبر عام ١٨١٧م الموافق ٢ محرم عام ١٢٣٣هـ وكان ذلك في قرية نور وهي إحدى قرى مازندران ، كانت اسرة حسين على لها علاقة طيبة مع السفارة الروسية فكان أخوه الأكبر يعمل كاتباً في السفارة الروسية .

تلقى حسين على العلوم الشيعية والصوفية وهو صغير وكانت له معرفة واسعة وإلمام تام بالروايات الشيعية وكتبها وخاصة الكتب التي تروى عن المهدي والمهدوية^(٢) . في عام ١٢٠٦هـ الموافق ١٨٤٤م حين أعلن الباب دعوته اعتنق امر الدين المجدد وكان ذلك في سن السابعة والعشرين من عمره ، واستطاع البروز في مؤتمر برشت المعروف في تاريخ البابية حين تمكن من الوصول الى قرة العين غانية الباهيين وزعيمتهم الاولى وقد أطلقت قرة العين لقب بها . الله على ميرزا حسين على^(٣) .

١- كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٦٦٧ .

٢- حسين آل طهر : البهائية نقد وتحليل ص ٩ .

٣ - المرجع السابق ص ١٢ .

الجهود بالدعوة :

تحرك حسين على المازنداراني البهاء من بغداد مع عائلته ومناصريه الى استانبول ونزل بحديقة لحبيب باشا خارج بغداد في تلك الاثناء صدرت الاوامر من الحكومة التركية باستدعاء بهاء الله الى الاستانة بناء على طلب الحكومة الايرانية ، وفي يوم ٢١ ابريل من السنة التاسعة عشر بعد ظهور الباب بشر بهاء الله الكثيرين من اتباعه لانه هو الموعود الذي اخبر عنه الباب وسماه بمن يطهره الله (١) .

عقيدة البهائية :

يقول حسين البهائي ان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وليس بخاتم المرسلين ويقول ان على محمد الشيرازي هو الباب الى المهدي المنتظر ، ثم هو المهدي المنتظر نفسه ثم هو مجلى الله ومطهره ، ولا توجد قيامه ولا بعث بالمعنى المعروف في الادبان السماوية - الغيت الصلاة وابتدع الباب صلاة غيرها وغيرها البهاء بعد ذلك فالصلاة واحدة في اليوم مقدارها ١٩ ركعة

- ولما جاء حضرة البهاء جعلها ثلاث صلوات في اليوم ويمكن ان تكتفى بواحدة .
- الزكاة ١٩٪ من ما يملكه الانسان .
- الحج ليس له زمان وللبيهائي أن يزور بيت الباب او البهاء في ايران أو بغداد أو عكا والمرأة لا تحج والبيهائيون لا يحجون الى الكعبة في مكة .
- البهائية تدعو الى الوحدة والمحبة والوحدة هنا هي وحدة الادبان والاطنان واللغات ، ولقد ساءت البهائية بين المرأة والرجل في كل شيء وغبرت توزيع الميراث وجعلته مساويا للرجل (٢) .

اليزيدية

اليزيدية طائفة من الاكراد يسكن اكثرهم في جهات الموصل وولاية اروان الروسية ومنهم طوائف في نواحي دمشق وبغداد وحلب (٣) الواقع ان اسم اليزيدية لاعلاقة له بيزيد بن معاوية ولا باسم يزيد بن اونسه (Unaysa) كما ان هذا الاسم ليس له علاقة بمدينة يزيد الايرانية ، واقوى الاحتمالات ان هذا الاسم مأخوذ عن كلمة ايزد الفارسية (التي تعني الاله أو الملك) .

-
- ١- البهائية نقد وتحليل : حسين آل طهر ص ٣٠ .
 - ٢- هيبوليت دريفوس : تاريخ أمر بهائي ، ترجمة : مبرزا منير زين ، ومبرزا عزيز الله خان - مطبعة السعادة ، ١٣٤١ هـ ١٩٢٢ م ص ١٤ .
 - ٣- أحمد تيمور باش : اليزيدية ، المطبعة السلفية ، القاهرة عام ١٣٥٢ هـ .

ومن هنا فان هذه الكلمة قد استعملت وهي تعنى الذين يعبدون الآله (١) . ولمحمد أحمد تيمور باشا فى كتابه اليزيدية يقول « جاء فى كتاب الملل والنحل ذكر لفرقة من الاباضية يدعون باليزيدية وهم اتباع رجل اسمه يزيد بن أنيسه وهو غير المحدث المشهور كان بالبصرة ثم انتقل الى ارض فارس » .

عقيدة اليزيدية :

لليزيدية كتابان الأول اسمه الجلود وهو يتضمن ماخاطب به الهارى تعالى والمقصود بهم اليزيديين والكتاب الثانى وهو كتاب (مصحف رش) أى الكتاب الاسود وفيه حديث خلق السموات والارض وفى هذا الكتاب ايضا شرائعهم وما احل لهم وما حرم عليهم فى الزواج وغيره وفى هذا الكتاب لمجدهم يزعمون الله تعالى ارسل الشيخ عادى - عادى بن مسافر - من ارض الشام الى لالش ويقصدون ان ذلك كان قبل خلق آدم .

اليزيدية ينكرون القرآن والشرع يزعمون ان انه كذب ، وعادون علماء الدين ويبغضونهم ، يحلون الزنا اذا جرى بالتراضى ، يمكنون شيوخهم من زوجاتهم ومحارمهم ويستحلون ذلك ويعتقدونه ومنها انهم يصرحون بان لا فائدة فى الصلاة وانها ليست واجبة وانهم يعتقدون ان لالش « هى قرية بالهكارية سكنها الشيخ عادى » افضل من الكعبة وان الشيخ عادى يحمل ائمه يوم القيامة فى طبق فوق رأسه ويذهب بهم الى الجنة (٢)

الصوم عندهم نوعان صوم عام وصوم خاص العام يعرف باسم صوم يزيد وفيه يصومون ثلاثة ايام من ٣ الى ٥ ديسمبر بناء على امر الله ويتفسيرهم الخطأ فى ان كل حسنة بعشرة امثالها فكل يوم بحسنة يصبح بعشرة وعلى هذا فالثلاثة ايام بثلاثين يوما اما الصوم الخاص فهو ٨٠ يوما يصومون ٢٠ يوما من ديسمبر ثم يصومون اعتبارا من ٢٠ يوليو الى ان يذهبوا الى الحج عند ضريح الشيخ عادى وهناك يصومون ثلاثة ايام وعند عودتهم يتمون صومهم الى ثمانين يوما .

والحج عندهم يتم فى الفترة من ١٥ الى ٢٠ سبتمبر وفيه يقومون بزيارة ضريح الشيخ عادى .

واكبر عيد عن اليزيدية يسمونه (سرسال) وهو يوم الاربعاء الأول من شهر نيسان وسرسال تعنى رأس السنة وفى هذا اليوم يذهبون فى موكب مهيب الى ضريح عادى ويهتفون بعضهم البعض (٣) .

١ - Islam Ansiklopedisi - 13, cilt İstanbul 1986 p.415 .

٢ - اليزيدية أحمد تيمور باشا ص ٢٧ . ٢٨ .

Islam Ansiklopedisi cilt 13 s417

المهديّة:

كلمة المهدي في الأصل هي اسم مفعول من هدى يهدي فكل من هداه الله فهو مهدي . وقد استعملت في هذا المعنى أيام النبي صلى الله عليه وسلم فجاء بهذا المعنى الحديث «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين» . ثم تحولت هذه الكلمة شيئا فشيئا فخصوا اسم المهدي بعلي بن أبي طالب ، وتطور معنى الكلمة اللفظي حتى طلع علينا بشي . آخر جديد وهو أن المهدي " امام منتظر يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا " (١) .

كانت الشيعة أسبق الفرق الإسلامية التي تتعلق بهذه الأسطورة . وظهرت هذه العقيدة في البيئة الإسلامية عندما أفلت زمام الأمر من يد الشيعة وأزال الأمويون دولتهم ، وانهارت آمالهم في الخلافة ، فالتجروا إلى استغلال روح الجماهير الفطرية الساذجة المحبة لآل البيت وشوا فيها هذا المعتقد كي لا يفقد الناس آمالهم في البيت العلوي . وقد ساعدت المظالم والفظائع التي أوقعها بنو أمية بالعلويين على تمسك الجمهور بهذا المعتقد . وعندما قامت الدولة العباسية لم يكن جور النظام العباسي وعسفه بأقل من النظام الأموي ضد آل البيت ، فحفز ذلك النفوس إلى التمسك بعقيدة المهدي والتطلع إلى ظهوره لتخليصها من قسوة النظام الجديد وجوره (٢) .

وقد نشأت فرقة تسمى الكيسانية أبان العصر الأموي بتزعّمها المختار بن أبي عبيد الله الثقفى وزعم هو وفرقته أن محمد بن الحنفية هو الإمام وهو المهدي ، ولكنه نقل كلمة المهدي إلى معنى آخر لزمها إلى اليوم وهو أن هذا المهدي لم يمت وإنما هو وأصحابه يقيمون في جبل رضوى وهو في الحجاز ، وأنه وأصحابه أحياء يرزقون وعنده عيثنان نضاختان تجريان عسلا وماء لأنه يرجع إلى الدنيا فيملؤها عدلا .

وقد قامت فكرة المهدي على أصول الدعوة الشيعية في ضرورة وجود الإمام في كل عصر ، سواء كان ظاهرا أم مختفيا ، وإن هذا الإمام له كل ما لإمام الظاهر من خصائص روحية لا بد من ظهورها بعد اختفاء تؤيده العناية الإلهية ، فهو علة وجود الدنيا ولا بد من رجوده لحفظ الشريعة ، وهو جامع لجميع الفضائل والخيرات ، وروحه كاملة من كل نقصان . وللمهدي الشيعة كثير من خصائص الأنبياء السابقين .

وتقوم تعاليمهم الدينية على أن الله وتب الأئمة واحدا بعد واحد فأولهم على ثم الحسن ثم الحسين ثم على بن الحسين الملقب بزين العابدين ثم محمد بن على ثم جعفر الصادق (٣) .

١ - أحمد أمين بك : المهدي والمهديّة ، القاهرة ١٩٥١ ص ١ - ص ١٠ .

٢ - سعد محمد حسن : المهديّة في الإسلام منذ أقدم العصور حتى اليوم : دراسة واقعية لتاريخها العقدي والسياسي والأدبي ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٤٥ - ص ٨١ .

٣ - المرجع السابق .

وكان لابد ان يكون لكل امام جماعة ينصرونه فى جميع انحاء الأرض عددهم اثنا عشر رجلا . وبأخذ الامام من الاتباع العهد بإداء الامانة على الا يظهروا شيئا وان يمنع الاتمة مما يمنع منه نفسه ، وان خالف شيئا من ذلك فهو برىء من الله .
اما التعاليم السياسية لهذه الفرقة فتقوم على قلب الدولة الزمنية واقامة الشورات .
وبذلك نظموا انفسهم تنظيما سريا دقيقا اشبه ما يكون بتنظيم الجمعيات السرية .

المهدية فى العصر الحديث

اشتد تعلق المسلمين فى العصر الحديث بعقيدة المهدي المنتظر حتى من كان منهم غريبا عن التشيع ، فمسلم القوقاز مثلاً آمنوا برجعة بطل استقلالهم « ايليا منصور » وانه لابد ان يعود لهم بعد طرد الروس ولعل آثار العقيدة المهدية فى العصر الحديث هو قيام الدولة المهدية فى السودان .

محمد أحمد مهدي السودانى

لقد اثرت الاحوال الاقتصادية السيئة التى تردت فيها السودان تحت نير الاستعمار البغيض . فادت الى انحطاط فكرى وخلقى . فثار رجل بمهديته لينقذ السودان من تلك الهاوية السحيقة . فأعلنها على المستعمرين حرباً لاهوادة فيها ، خرج منها ظافراً منتصراً . واستطاع فى فترة وجيزة ان يجمع بين السودانين ويؤلف بين قلوبهم ، فاشاع بينهم العدالة والطمأنينة والحياة الكريمة . وخلق منهم أمة أبية تأبى الضيم وتستمسك بتعاليم الاسلام .
هذا الرجل هو ابو عبد الرحمن محمد بن عبد الله بن فعل بن عبد المولى ، ويصل نسبه الى على بن ابي طالب ، اما من جهة أمه فتنتهى السلسلة فيها الى العباس بن عبد المطلب .

واسرة المهدي علوية من الجزيرة العربية هاجرت الى وادى النيل ايام الحجاج بن يوسف الثقفى .

ولد المهدي (محمد بن عبد الله المهدي) عام ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٥ م بدنقلة وقد اطلق عليه والده « محمد أحمد » . وقد مال منذ طفولته لحياة التدين والزهد فالتحق بالكتاب ثم تعلم العلوم الشرعية .

رقد استغل المهدي حالة السخط التى ملأت قلوب الشعب بسبب الحكم التركى المستبد ، وشاع التذمر فى البلاد بسبب هبوط المستوى الاقتصادى الى حد خطير انذر بالقحط والجذب . وبدأ محمد أحمد المهدي دعوته فى انه نشر بين الناس ان الله سبحانه وتعالى سيجعل لهم من بعد شدة فرجا على يد رجل صالح يبعثه الله تعالى ليصلح ما فسد فمهد بذلك لدعوته .

بدأ عام ١٨٨١م بنشر دعوته بين تلامذته الكثيرين فلاقى ذيوفا وانتشارا ، وقام على اثرها بسياحة فى انحاء السودان يبشر فيها بدعوته وأخذ يوحى الى الجماهير فنشر انه مكلف باداء الرسالة من قبل السماء ، وان العناية الالهية قد اصطفته واختارته فهو تحوطه وترعاه حتى يبلغ الدعوة ، وان محمد عليه السلام هو الذى ياتيه بالاخبار من السماء ويرسم له امر دعوته وطريق السير فيها .

ولقد خرج المهدي فى تعاليمه الدينية على ما قاله الفقهاء ، وكان له تشريع خاص به من اجتهاده ووضعه بطلبه بمنتهى الشدة والصرامة ، وقد أثار خروجه على المذاهب الفقهية المعروفة فى الاسلام سخط بعض العلماء .

وهكذا كان محمد المهدي بالنسبة للسودان مبعوثا من قبل السماء اعاد للسودانيين الانسانية والكرامة والحرية . وجذبهم حريا على المستعمرين ^(١) .

الوهابية :-

تتنسب الطريقة الوهابية الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب المولود ببلدة العيينة فى شمال الرياض عام ١١١٥هـ / ١٧٠٣م وقد اتم دروسه الاولى على يد والده وسار بعد ذلك الى الاحساء والحجاز والبصرة وتلقى العلوم الدينية حتى صار حجة فى الحديث والفقه واللغة العربية .

وقد وقف فى رحلاته على ما انتاب المسلمين من مشاكل و ما أصاب الشريعة الاسلامية فى كثير من الامصار من انصراف العلماء الى الدنيا ومتابعتهم لأهواء الحكم . فرجع الى نجد وأخذ على عاتقه التفرغ للدعوة الاصلاحية الدينية ومحاربة البدع والخرافات ما استطاع الى ذلك سبيلا . فقد كثر فى تلك الفترة تشبث الناس بالخرافات والعقائد الفاسدة ومنها التقرب الى القبور والاشجار والنخيل كما انصرف الحكام والولاة عن الشريعة الاسلامية وصار قانونها الذى يحكمهم هو أهوائهم .

فاستقر الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى العيينة وبدأ يدعو الناس الى ان يعودوا الى دين الله وتركوا كل ما جد من البدع وغيرها مما يتنافى مع روح الكتاب والسنة وطلب من الامراء ذوى الشأن ان يطبقوا أحكام الشرع . وقد قام بدعوته مسالما لا يدعوا الى شدة او عنف . وراسل علماء عصره فى البلاد الاسلامية الأخرى طالبا منهم ان يكونوا فى زمرة المصلحين الدينين .

١ - سعد محمد حسن : المهدي فى الاسلام منذ اقدم العصور حتى اليوم ، القاهرة ١٩٥٣ ص ١٩٧

الا انه قوبل بالهجوم من قبيل امير العينية فهاجر الى الدرعية سنة ١١٥٧هـ (١٧٤١م) مقر محمد بن سعود الذي قابله بترحاب ومحالفا على الدفاع عن الدين الصحيح والعمل على الرجوع الى تعاليم الكتاب والسنة وانقاذ جزيرة العرب من البدع .
وتتلخص تعاليم الدعوة الوهابية فى النقاط التالية :

- ١ - التوحيد : وهو التوجه الى الله وحده وترك كل معبود غير الله
- ٢ - الشفاعة : تسأل من الله واذنه فيها لمن شاء من الموحدين
- ٣ - القبور : زيارة القبور تكون للاعتبار و الإلتعاط والدعاء للميت ، اما الذبح للقبور والاستغاثه به والسجود له فهو شرك ، اما تخصيص القبور والبناء عليها فهي من الامور المبتدعة المنهى عليها .
- ٤ - اعلان الحرب على البدع الشائعة فى الامصار مثل الاجتماع فى وقت مخصوص على من يقرأ سيرة المولد الشريف .
- ٥ - الجهاد : وهو عندهم ان من قال لا اله الا اله محمد رسول الله وهو لا يزال يدعوا الموتى ويستغيث بهم ويسألهم قضاء الحاجات فهو مشرك حلال الدم والمال ، والجهاد من حقوق الامام ينظر فيه الى المصلحة او دفع لمضرة
- ٦ - الاجتهاد : للشيخ محمد بن عبد الوهاب بعض الرسائل فى الدعوة الى الاجتهاد والرد على أهل التقليد و المعاندین ^(١) .

السنوسية :

يعتبر سيدى محمد بن على السنوسى الأدريسى (١٧٩١-١٨٥٩م) هو مؤسس حركة المجاهدين الجدد التى عرفت بالسنوسية فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى . وقد تبنى هذا المجاهد على دراسة علوم الدين الاسلامى وساح فى بلاد العالم الاسلامى حتى استقر فى بنغازى . وأسس فى رفاعة أول زاوية لطريقته سنة ١٨٣٧ ، ثم انتقل بعد ذلك الى جفروب وكورو . وتدرجيا انتشرت زوايا السنوسية فى انحاء البلاد فرصلت سنة ١٨٨٤م الى مائه زاوية ^(٢) .

وقد قام هذا الامام بحركة بغية اصلاح حال المسلمين ومقاومة الاستعمار الأوروبى فى العالم الاسلامى فصادت دعوته لحاجا كبيرا فى معظم بلاد العالم الاسلامى خاصة فى

١- جزيرة العرب فى القرن العشرين : حافظ رهه . القاهرة سنة ١٩٢٥ ص ٣٣٥-٣٤٣

٢- Islam Ansiklopedisi : ciltlo . Istanbul , 1988 . s 500 - 501.

ليبيا وصحراء مصر الغربية وغيرها من الأقطار المجاورة . وكان من أكبر عوامل نجاحه اتباعه الطرق السلمية في سبيل الوصول إلى أهدافه : وانضم إليه عدد كبير من الرواد . فأخذ يتعهدهم بالتثقيف والتعليم^(١).

وقد حققت الزوايا السنوسية المنتشرة في الصراء بين أعراب البادية المجازات هامة في رفع المستويات الدينية والخلقية والثقافية ، ومزاحمتها الفعالة للجمعيات التبشيرية للدول الأوربية . وقد رأى السيد محمد السنوسي أن وجود الدولة العثمانية - دولة الخلافة آنذاك - ضرورة لازمة لوحدة الأمة والدفاع عن كيانها وأنه لابد من معاضدتها والوقوف إلى جانبها رغم ما كان يعتقد في الأصل من أن الخلافة ينبغي أن تكون بيد قرشي ، ومع هذا فإنه لم يشأ أن يشير موضوع الخلافة من هذه الناحية لأنه يعلم أن إثارة هذا الموضوع معناه فتح باب النزاع لا يعود إلا بالضرر على السنوسية وعلى المسلمين أجمع^(٢) . . .

وقد ترك السيد السنوسي الكبير أربعة رسائل تدور حول "الأصول" والثانية تتعلق بموضوع التوافق بين القرآن والحديث . كما له رسالتان في التصوف . وقد مال إلى الاجتهاد في المسائل الفقهية وإلى اظهار توافقه مع أهل السنة .

١- حسن سليمان محمود : ليبيا الماضي والحاضر ، القاهرة سنة ١٩٦٢ . ص ٢٢٥-٢٢٦

٢- أحمد الشوايكة : حركة الجامعة الإسلامية ، الزرقاء سنة ١٩٨٤ . ص ٢٢٨-٢٣١

الفصل الثالث :

التيارات القومية والحياة الأدبية

- فكرة القومية في الأدب الفارسي

في تلك الفترة

- فكرة القومية في الأدب التركي

في تلك الفترة

الفصل الثالث

التيارات القومية والحياة الأدبية

القومية:

إن القومية من المصطلحات التي يختلف الباحثون في تعريفها ونظرا لأن التفكير السياسي قد تطور كثيرا خلال القرنين الماضيين فكان من الطبيعي أن يتطور أيضا مفهوم الأمة في أذهان الباحثين تبعاً لتطور التفكير السياسي^(١).

وعلى كل فالقومية قد تعنى في العصر الحديث مفهوما من المفاهيم التالية وهي ... حب الأرض المشتركة أو العنصر المشترك أو اللغة المشتركة أو الثقافة المشتركة أو أنها تعنى رغبة في الاستقلال السياسي لأمة وسلامتها وهيبته أو أنها اخلاص مبهم لكائن اجتماعي فوق الطبيعة يسمى أحيانا الأمة أو الشعب^(٢).

وفي العالم الإسلامي بدأت القومية في الظهور على سطح الحياة السياسية مع تدهور الإمبراطورية العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بايعاذ من الدول الاستعمارية للقوميات التي تعيش في كنف الدول العثمانية وتحت عباءة الخلافة الإسلامية.

وكان تشجيع الدول الاستعمارية للقوميات يهدف إلى تفتيت وحدة العالم الإسلامي حتى يكون من السهل السيطرة عليه .

وإذا نظرنا إلى القرون الإسلامية الأولى وما تلاها من قرون لوجدنا أن العرب والفرس والترك لم يتشيع أحد منهم إلى هويته سواء أكانت عربية أو تركية أو فارسية ولكن كل هذه الشعوب انصهرت في بوتقة واحدة وهي الإسلام ، فعلى سبيل المثال لم يعرف الترك خلال القرون التسعة التي عاشوها تحت حكم السلاجقة والعثمانيين قومية غير القومية الإسلامية شأنهم في هذا شأن غيرهم من الشعوب الإسلامية^(٣).

١ - أبو خلدون ساطع الحصري : ماهي القومية ؟

أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات ، بيروت ١٩٨٥ ج ٢٩ .

٢ - بريد شيفر : القومية عرض وتحليل ، ترجمة جعفر حصاك وعدنان الحميري .

٣ - أحمد السعيد سليمان : التيارات الدينية والقومية في تركيا المعاصرة ص ١٥ .

١ - القومية التركية والآداب التركية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ،

كما اشرت في الفقرة السابقة فإن الترك لم يكن لهم قومية غير القومية الإسلامية ، والجدير بالذكر أن القومية الإسلامية عند الأتراك بلغت مداها عند السلطان سليم الأول عام (٩١٨ - ٩٢٦ هـ / ١٥١٢ - ١٥٢٠ م) حين حاول أن يجعل اللغة الإسلامية الأولى وهي اللغة العربية لغة قومية للترك ولم يمنعه من تحقيق ذلك إلا المفتى ^(١) .

ولقد استمرت الدولة العثمانية في اتخاذ القومية الإسلامية أساسا لها وكانت ترى أن الإسلام هو هوية جميع المسلمين سواء كانوا عربا أو فرسا أو أتراكا .

وبما لا شك فيه أن الإسلام كان أهم عامل يجمع العرب والترك ، وكان العرب يعتبرون الدولة العثمانية هي دولة الخلافة شأنها في ذلك شأن الدولة الأموية والدولة العباسية .

وكانت الإمبراطورية العثمانية في نظر الرجل التركي بمثابة الإسلام ذاته وفي التواريخ العثمانية عندما يتكلم المؤرخون عن الإمبراطورية يشيرون إليها بقولهم « دار الإسلام » وعندما يذكرون جيوشها يقولون عنها أنها جيوش الإسلام ورئيسها الديني شيخ الإسلام ولم تصب لفظة عثمانية بصبغة قومية ذات مدلول قومي إلا في القرن التاسع عشر ^(٢) .

ولم يكن العرق أو القومية هو الذي يفرق بين جماعة أو أخرى بل الدين ، وكانت الهوية السياسية لكل الرعايا هي العثمانية أي اعتبار المواطن في الإمبراطورية العثمانية عثمانيا . أما اصطلاح قومية فكان يعنى الدين الذي ينتمى إليه الفرد وأن فكرة القومية العلمانية في غرب أوروبا كما كانت أوروبا تفهمها في القرون التاسع عشر لم يكن لها ، بصورة اجمالية ، أي أثر في التفكير السياسي في الإمبراطورية العثمانية ^(٣) .

وبما هو جدير بالذكر ، ان الإسلام الذي عاش من أجله العثمانيون هو الإسلام السني وقد ازداد حدهم عليه زيادة كبيرة بعد ظهور الشاه إسماعيل الصفوي وإرغامه السنيين في إيران على اعتناق المذهب الشيعي

١ - المرجع السابق ص ١٧ .

٢ - زين نود الدين : نشوء القومية العربية مع دراسة العلاقات العربية التركية ص ٢٨ (نقلا عن رسالة ماجستير " القومية في أدب ضياغوك آلب " اعداد عزة عبد الرحمن الصاوي ص ٥٩ . كلية الآداب / جامعة عين شمس .

٣ - نفس المرجع ص ٤٠ .

ويمكننا ارجاع جذور القومية التركية إلى مايلي : كان الأتراك المهاجرون من آسيا الوسطى إلى الأناضول وبخاصة أثناء الغزو المغولي صنفوا من الناس منهم البدو والحضر والفلاحون والتجار والمفكرون والصناع والدرائش ، ونتيجة الظلم والهلل الذي وقع عليهم أثناء هذا الغزو اندفع الناس إلى حياة التصوف وإلى الإقطاع في أحضان الدراويش ، وقد توطن اصحاب الارستقراطية من هؤلاء الوافدين على الأناضول في وهم والطبقتان العالية والمتوسطة من الهروجوازية في المدن الكبيرة . وقد اعتمد الصوفية على هذه الطبقات لي تكون الطرق الصوفية التركية السنية وأهمها (المولوية - الخلوتية) وكانت هذه الطرق تساند السلاطين السنيين وتؤيدهم وتعمل على تأمين حكمهم خلال العهدين السلجوقي والعثماني .

إلى جانب هاتين الطبقتين الارستقراطية والهروجوازية وقدت على الأناضول جماعات من البدو ومعهم عدد من الدراويش ، ولم يكن إسلام هؤلاء البدو صحيحا كل الصحة فقد كانوا يحتفظون ببقايا من الديانات القديمة التي اعتنقوها قبل الإسلام كالبوذية والمناوية وكانت هذه الخلطة العقديّة مغطاة بطلاء من معتقدات غلاة الشيعة وكان رجال الدين عندهم دراويش يحمل كل منهم لقب بابا وكان هؤلاء البهابوات في أصلهم شامانات* اسلموا ولم يحسن إسلامهم ، وكان أخص ما يتميز به هؤلاء البدو هو المحافظة على التقاليد التركية الآسيوية وعلى اللسان التركي ، وكان هؤلاء البدو يفضون السلطنة السنية ويحقنون على خلافة آل عثمان ويرونها امتدادا لخلافة المفتصين من آل مروان^(١) . وكانت قومية هؤلاء البدو تركية بحتة لم يدخل الإسلام في قلوبهم بل حاولوا لفرط شعوبيتهم وبغضهم للعرب والإسلام أن يكون لهم نبي تركماني هو بابا اسحاق ، ففي العهد السلجوقي ثاروا وزعم لهم بابا اسحاق أن روح النبي ﷺ حلت فيه بعد أن حلت في علي وفي الأئمة من بعده ، وكان شعار الثوار لا إله إلا الله بابا اسحاق رسول الله ، ولقد تم القضاء على هذه الثورة سنة ٦٣٧هـ - ١٢٣٩م وظلت هذه الثورات تندلع وتطفأ في عهد العثمانيين^(٢) .

* الشامان : كانت تطلق على كاهن الدين التركي القديم وأصل الكلمة بالتركية « قام » ومن معاني كلمة شامان (الساحر والشاعر والطبيب الروحاني) ، للشاماني قوة ميتافيزيقية وقدرة على الإتصال بالأرواح

انظر : بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة د . أحمد السعيد سليمان ، ص ٢٦٣ .

١ - أنظر : أحمد السعيد سليمان : التيارات الدينية والقومية في تركيا المعاصرة ص ٢٠ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٠ .

والخلاصة أن الترك لم تكن لهم قومية طوال تسعة قرون تقريباً إلا القومية الإسلامية وإن القومية التركية في تلك الحقبة كان تمضى جنباً إلى جنب مع عقائد الغلاة وأعداء السنة وأدعياء النبوة إلى أن جاء العصر الحديث فدخلت القوميتان الإسلامية والتركية في دور جديد .

ب - القومية في العصر الحديث :

مع تدهور الامبراطورية العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين ر انتهى الاستعمار العثماني بالتدريج فهت الشعوب الإسلامية شعباً بعد شعب منزلة القومية ومقامها ^(١).

تولى السلطان عبد الحميد العرش في وقت كان الاستعمار الأوروبي في اعنف مراحلها وخاصة بعد افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م إذ بدأ صراع عنيف بين المجلترا وفرنسا وإيطاليا على الولايات العثمانية في أفريقيا ولجحت روسيا بعد عشرين عاماً من حرب القرم في أن تبتلع معظم آسيا الوسطى وتركستان والقوقاز ، ولم تكف الدول الأجنبية في صراعها مع الدولة العثمانية بهذا الحد بل امتدت إلى الداخل عن طريق تحريض العناصر غير الإسلامية بالثورة والاستقلال عن الدولة العثمانية هذا من جهة ومن جهة أخرى كانت هناك العناصر الإسلامية الثائرة التي شكلت تشكيلاً سياسياً غماً وترعرع بين لندن وباريس وجنيف وتسرب اليهود والماسون بحيث استطاعوا توجيه نشاطهم ضد الدولة العثمانية ^(٢).

ورجد الأوروبيون أن في أحياء القومية التركية ضعفاً للقومية الإسلامية فعمل الأوروبيون في النصف الأخير من القرن الثامن عشر على توجيه أبحاثهم في إبراز خصائص اللغة التركية والأمة التركية وإبراز هذه الكتب التي ظهرت في هذه الفترة هو كتاب (التاريخ العام للهن والترك والمغول وبعض التتار الغربيين) للمؤلف الفرنسي دكينى في سنة ١٧٥٦ - ١٧٥٨م ثم أخذت هذه الدراسات في الازدياد في القرن التاسع عشر وأكثر من اهتم بهذه الدراسات هم الألمان والروس والإنجليز والفرنسيين ^(٣).

وبعد فامبرى ١٨٣٢م المجرى الذي عمل على تعريف الأتراك بماضيهم وبقوميته من أشهر المستشرقين الذين خدموا الدراسات التركية كما كان هناك عالم ووسى يدعى رادولف

١ - حميد عنایت : الفكر السياسي الإسلامي المعاصر : ترجمة إبراهيم الدسوقي شتا ، مكتبة مدهولى ، القاهرة عام ١٩٨٨م ص ٢٣٠ .

٢ - محمد عبد اللطيف هريدى : الأدب التركي الإسلامى ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية عام ١٩٨٧م ص ١٧٨ .

٣ - أحمد السعيد سليمان : التيارات الدينية والقومية في تركيا المعاصرة ص ٢٤ .

الذى جاب بلاد الترك فى آسيا الوسطى يفتش عن المخطوطات ويدرس اللهجات ويجمع ازياء الطوائف المختلفة والآلات الموسيقية وأصدر قاموساً كتب عليه المعجم التركى ، ثم زادت الدراسات التركيه وضوحا باكتشاف نقوش اورخون ، وأيضاً بنشر الكتب العربية والفارسية التى طبعت فى ليدن ثم ظهر بعد ذلك كتاب مدخل لتاريخ آسيا للعالم الفرنسى اليهودى ليون كاهين^(١).

وهكذا كانت عادة المستشرقين دائماً القيام برحلات استكشافية ثم استغلال نقطة الضعف التى يريدون استثمارها فاثاروا إحساس الأتراك بقوميتهم وارعزوا إليهم أنهم أتراك قبل أن يكونوا عثمانيين أو مسلمين وسرعان ما أتت جهود المستشرقين ثمارها ، فقد حاول شناسى عام ١٨٥٤م أن ينظم أبيات باللغة التركية مستخدماً الكلمات التركية الخاصة .

ولقد كتب ضيا باشا أنه يجب البحث عن الشعر التركى الأصيل فى أصقاع الأناضول وفى الأدب الشعبى الحى فى تلك المناطق . كما كتب أحمد وفيق باشا مظهراً غنى اللغة التركية كما نجد على سعاوى فى بعض كتاباته يتحدث عن القومية التركية بشكل صريح . ولفت الانتباه إلى العناصر المؤسدة للدولة ، وأكبر تقرىظ (دعاية) للقومية التركية هو ما كتبه على سعاوى فى فى العدد الأول من المجلة المعروفة باسم « علوم » ، التى صدرت فى باريس عام ١٨٦٩م^(٢).

وقام أحمد توفيق باشا (١٢٣٩ - ١٣٠٩ هـ / ١٨٢٣ - ١٨٩١م) بترجمة (شجرة تراكمه) إلى اللغة العثمانية ثم أصدر قاموساً يسمى (لهجة عثمانى) ١٨٧٦م تناول فى مقدمته اللغة التركية وجلورها ، ثم كتب سليمان باشا كتاب (تاريخ علوم) مرددا فيه ما ذكره الباحثون الغربيون عن الأصول التركية^(٣).

ولقد لعب نجيب عاصم دوراً فى اذكاء الروح القومية التركية بمؤلفاته الهامة خاصة كتابه المعروف باسم تاريخ الترك ومقالاته وبحوثه العلمية التى نشرها فى المجلات المعروفة Türkyurdei (الوطن التركى) Milli Tettebbulur (التطورات القومية)^(٤).

ولكن سياسة السلطان عبد الحميد الإسلامية لم تسمح بفصل ما هو تركى عن ما هو عثمانى بل أدرك خطورة استعمال اللفظة ذاتها وكانت سياسة عبد الحميد تسير فى القضاء على كل فتن تنشأ داخل الإمبراطورية العثمانية حامية وحاملة الخلافة

١ - د . أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ص ٢٤ .

٢ - Turhan . Feyzioglu : ATATÜRK ve Milliyetçilik, Ankara 1987 .S.19 .

٣ - Resimli Türk Edebiyatı Tarihi C 2 , S 1069 .

٤ - Turhan . Feyzioglu : ATATÜRK ve Milliyetçilik, Ankara 1987 .S.21 .

الإسلامية حتى تستمر الدولة العثمانية دولة الخلافة وعلى سبيل المثال تبنيه لفكرة الجامعة الإسلامية بغض النظر عن حقيقة الأمر ، وحمايته لجميع العلماء والمفكرين من جميع الأقطار الإسلامية (١) .

وما ان خلع السلطان العثماني عبد الحميد حتى توالى المؤلفات ذات النعرة القومية والتي تبرز كلمة الترك في عناوينها مثل (توركلك علوم وفن خدمتلى) أى (خدمات الترك للعلوم والفنون) لبورصة لى طاهر افندى (١٩١١ م - ١٣٣٠ هـ) وفى عام ١٣١٨ هـ أصدر شمس الدين سامى قامس تركى صدر مقدمة طويلة عن اللغة التركية ولهجاتها المختلفة (٢) ولقد ساهم شمس الدين سامى بمعجمه الضخم هذا فى عودة الروح إلى اللغة التركية وفى أثبات أن اللغة التركية ليست ضحلة وإنما ثرية (٣) .

ولم يتوان أعضاء تركيا الفتاة عن اللحاق بركب القومية التركية فكتب (أمجورا يوسف / أوغلى) على صفحات جريدة تورك الصادرة من القاهرة سلسلة من المقالات تحت عنوان (أوج طرز سياست : عثمانليجيلق - إسلامجيلق - توركجيلك) أى ثلاث مناهج سياسية : العثمانية والإسلامية والتركية ، ومن خلال هذه المقالات أثبت فشل الجامعة العثمانية والإسلامية ومن ثم يرجع الأخيرة أى التركية ويدعو الترك إلى التخلي عن عثمانيتهم ، ولكن لم يجرؤ على دعوتهم للتخلي عن اسلاميتهم .

وفى عام (١٩٠٨ م - ١٣٢٦ هـ) وهو العام الذى انهارت فيه قوة السلطان عبد الحميد تشكلت جمعيات ثقافية بدأت هذه الجمعيات إصدار جرائد ومجلات خاصة بها مثل (تورك درنكى) جماعة الترك ١٣٢٦ - ١٣٣٢ هـ و (تورك بوردى) الوطن التركى ، وقد ترأس تحرير هذه المجلة الشاعر محمد أمين وهو يعد من رواد الشعر القومى (٤) .

وعلى هذا يمكن القول أن التيارات القومية والدينية فى تركيا اشتدت فى أواخر عهد السلطان عبد الحميد ، وقد تمثلت فى الدعوة إلى القومية العثمانية المتمثلة فى الجامعة العثمانية وأبضا الجامعة الطورانية أو الجامعة التركية بالاضافة إلى الجامعة الإسلامية والتي سأخصص لها الباب التالى لدراستها .

الإتحاديين والقومية :

سلك الاتحاديون سياسة عنصرية متطرفة نادوا من خلالها بتفوق العنصر التركى وضرورة سيادته على كافة العناصر الأخرى وأن تكون مقدرات الدولة بيده .

١ - د . محمد عبد اللطيف هريدى : الأدب التركى الإسلامى ص ١٩٣ .

٢ - المرجع السابق : ص ١٩٤ .

٣ - Turhan . Feyzioglu : ATATÜRK ve Milliyetçilik, Ankara 1987 .S.21 .

٤ - د . محمد عبد اللطيف هريدى : المرجع السابق ص ١٩٤ .

ونظر الاتحاديون باستخفاف إلى العناصر الأخرى ، وظهرت بوادر هذه السياسة من جانب الاتحاديين في أول انتخاب لمجلس المبعوثان عندما قصرُوا أكثر مقاعد المجلس على العناصر التركية عامة وأعضاء جمعيتهم بصورة خاصة وذلك على حساب العناصر الأخرى ، وتشدد الاتحاديون في فرض اللغة التركية في المدارس والمعاملات الحكومية والوظائف الرئيسية والثانوية ونعت بعض متطرفيهم اللغة العربية بأنها اللغة الميتة ، وأمعانا من الاتحاديين في معاداة العنصر العربي كجزء من سياستهم المعادية للجامعة الإسلامية تم إنشاء ما عرف باسم لجان التنسيق بحجة إعادة النظر في وظائف الدولة ومستحقها فأخرج بذلك عددا كبيرا من العرب ولم يكتف الاتحاديون بذلك بل أصدر أحد أقطابهم (جلال نوري) كتاباً بعنوان « تاريخ المستقبل » دعا فيه إلى تهجير السوريين عن أوطانهم ومعاملة بلاد اليمن والحجاز والعراق كمستعمرات تركية وتعميم اللغة التركية وإحلالها محل اللغة العربية ، كما أصدرت حكومة الاتحاديين قانوناً حظرت بموجبه تسمية المنظمات والأندية بأسماء قومية وخاصة المنشآت التي يقبها العرب في حين تفاقلوا عما قام من منظمات ومنشآت قومية تركية ظلت تحتفظ بالتسميات التركية ، كما كثرت الأناشيد التركية القومية المجددة للتاريخ والتقاليد والجنس التركي ^(١) .

القومية بعد ثورة ٢٤ يوليو ١٩٠٨ م :

بعد ثورة عام ١٩٠٨ م قرئت فكرة العثمانية كما زاد الاتحاديون العثمانيون من الترويج لفكرة الجامعة العثمانية .

عمل الاتحاديون حين وصلوا للسلطة ، على مواجهة التيموقراطية ^(٢) التركية بايديولوجية جديدة هي الايديولوجية العثمانية .

ولكن هذه العثمانية لم تفلح في استرضاء العناصر غير التركية الخاضعة للعثمانيين وذلك لأن العثمانيين رغم اعترافهم بحقوق كل مواطن بصرف النظر عن جنسيته أو دينه كانت لاتعترف بأي حق للقوميات المختلفة التي تتكون منها الامبراطورية ، بل كانت تصر على لسان أحد المتكلمين باسم الاتحاديين وهو حسين جاها في جريدة طنين ، على أن تركيا في نهاية الأمر هي الأمة الحاكمة « ملت حاكمه » .

١ - أحمد فهد بركات الشرايكة : حركة الجامعة الإسلامية : مكتبة المنار ١٩٨٤م ، ص ٣١٤ .

٢ - التيموقراطية : نوع من نظم الحكم يجمع فيه الحاكم بين السلطتين الدينية والروحية . « المعجم الوسيط مادة تيموقراطية ص ٩٦ » .

وكانت هذه العناصر الخاضعة للعثمانيين تتوقع بعد أن عاد الاتحاديون إلى الحكم في أبريل ١٩٠٩م أن يتوسعوا في منح الحريات فيبادروا إلى تطبيق نظام اللامركزية بوصفه تكميلاً طبيعياً للمبادئ التي اعترفت بها العثمانية^(١) .

ولكن الاتحاديين بدلاً من تطبيق اللامركزية بدأوا يتخلون عن فكرة العثمانية كلها ، فقد استبدت بهم فكرة « الجامعة التركية »

الجامعة التركية :

ذكرت من قبل أن الأتراك الشبان قد تأثروا بدراسات المستشرقين الذين عملوا على البحث في أصل الترك ولغة الترك وأظهروا تاريخ الترك ، كذلك المهاجرين من آسيا الوسطى كل هذه العوامل أدت إلى احساس الأتراك بقوميتهم وراودهم حلم تكوين امبراطورية تركية تجمع الشعوب التركية وتكون امبراطورية تركية متجانسة وكان هذا يتطلب تترك الشعوب الخاضعة لهم .

وكان الاتحاديون يروجون لهذه الأفكار بطريقة منظمة ليضمنوا رسوخها في أذهان الشباب فأسسوا كثيراً من الصحف أهمها « طنين » و « الاتحاد والترقي » وأسسوا في سنة ١٩٠٨م الجمعية التركية « تورك درنكى » ثم أسسوا في سنة ١٩١٢م الدور المعروفة بـ « تورك اوجاقلرى »^(٢) . وفي الروفلى حلوا الجمعيات القومية التي كانت تروج لنظام اللامركزية ، والتي كانت خاضعة لرجال الكهنوت كما استبعدوا قوانين لنزع سلاح العصابات التابعة لهذه الجمعيات^(٣) ، ونتيجة لهذا سقط بعض القتلى من المسيحيين .

وهكذا كان تنقل الاتحاديين بين الابدولوجيات وتعصبهم لقوميتهم وانكارهم على غير الترك من شعوب الامبراطورية كل كيان قومي ، ثم مداونتهم المسلمين باصطناع سياسة إسلامية المظهر كان هذا كله وما صاحبه من بطش وتنكيل سبباً في هزيمتها في الحرب الأولى وتوقيعها هدنة مدروس في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٨م^(٤) .

١ - د . أحمد السعيد سليمان : التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة ص ٤٥ .

٢ - د . أحمد السعيد سليمان : التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة ص ٤٦ .

٣ - د . أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ص ٤٦ .

٤ - د . أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ص ٤٩ .

القومية التركية

الاتحاد التركي ، والجامعة التركية ، ،

رغم ظهور فكرة الاتحاد الأتراك الموجودين خارج الدولة العثمانية مع بنى جنسهم إلا أن هذه الفكرة التي كانت تعنى أن يتحول هذا الأمر إلى الاتحاد تركي أو الاتحاد طوراني ، كانت تبدو مستحيلة بالنسبة للعالم الخارجي ذلك أن مثل هذا المشروع ليس ضد السياسة الرسمية المعلنة للدولة العثمانية فحسب وإنما كان سيفتح أيضا الطريق لوقوع ضغوط أكثر على الامبراطورية العثمانية (١).

والواقع أن الاتحاد الإسلامي أو الاتحاد التركي من الناحية النظرية كان يمكن أن يعتبر عاملاً مؤثراً في تحقيق أو تقليل هذه الضغوط ، نظراً لأنه كان سيدفع أتراك آسيا الوسطى إلى الثورة والتمرد ، إلا أن ضعف الدولة العثمانية النسبي آنذاك كان يجبر السلطان على أن يجعل سياسته الإسلامية « الجامعة الإسلامية » محدودة .

وكما رأينا من قبل في الفترة التي سبقت اعتلاء عبد الحميد العرش مباشرة وأثناء الحرب التركية الروسية فقد تأسست لجان بدأت تدعو في الصحافة لمساعدة أتراك آسيا الوسطى بل إنها طالبت باقامة اتحاد معهم بأي شكل من الأشكال .

والواقع أن فشل فكرة الجامعة العثمانية أيضاً قد فتح الطريق إلى ظهور فكرة الاتحاد الأتراك . إلا أن هذه الفكرة قد صادفت آنذاك القلاقل الداخلية وأحداث آسيا الوسطى والمناوشات والخلافات مع روسيا ، حتى أنه في تلك الفترة فإن السلطان العثماني لم يكن في مقدوره أن يستجيب لطلبات العون القادمة من داخل الإمبراطورية وخارجها .

كذلك فإن الصحافة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني لم تكن متحمسة لتحويل فكرة الجامعة الإسلامية إلى واقع . وربما كان السبب في ذلك هو أن الامبراطورية العثمانية آنذاك كانت تعيش في فترة سلام واسترخاء نسبي وعدم رغبة السلطان في افساد هذا الوضع .

ومع هذا فإن فكرة الاتحاد التركي أو الجامعة التركية كانت قد بدأت توثى ثمارها ، فقد كانت هذه الفكرة قد بدأت تتغلغل داخل المنظمات السرية الموجودة في الدولة العثمانية أو بين جماعة تركيا الفتاة الموجودة في المنفى في أوروبا . ولقد كانت صحافة استانبول في عهد السلطان عبد الحميد الثاني تقدر الجهود التي كان يبذلها الأتراك الذين يعيشون خارج الإمبراطورية من اصحاب اتجاه الاتحاد التركي لإصلاح اللغة التركية

David Kushner : The Rise of Turkish Nationalism 1876 - 1908, London 1922 . p - ١

وخاصة التركية العثمانية والرقى بها ، ولقد رحبت جريدة « اقدم » فى تعليق لها بالخطوة التى قام بها حاكم خيوة حيث جعل الدراسة فى اكااديمية خيوة باللغة التركية العثمانية بدلا من اللغة الفارسية وسأقت الجريدة العديد من الأسباب التى تزيد هذه الخطوة . فقد ذكرت الجريدة على شيرنوائى الذى كان قد اثبت امتياز ورفعة اللغة التركية على اللغة الفارسية ، وقالت أن أهل خيرة أترك ولذلك فان تلقى العلم باللغة التركية سيكون أكثر فاعلية وفائدة ، كما ذكرت أن اللغة التركية العثمانية تحتوى على المصطلحات العلمية الضرورية وأن هناك الكثير من الآثار العلمية التى كتبت بتلك اللغة . وأن تحويل الدراسة من اللغة الفارسية أى التركية أدى إلى أن العلوم أصبحت أكثر طوعاً وفهماً . وبالإضافة إلى ذلك فـ الآثار المكتوبة باللغة التركية سوف يتمكن من قراءتها الأتراك الآخرون لاشتراكهم فى الجنس والدين والقومية . وبهذا يمكن تحقيق التقدم العلمى للجنس التركى كافة .

وسوف يؤدى ذلك أيضا إلى توحيد كافة الأتراك تحت لواء لغة واحدة حيث أن اللهجات التركية فى كافة المناطق التى يقطنها الأتراك تنتمى إلى أصل واحد وبينها فروق بسيطة لغاية .

والواقع أن قيام شاه إيران بعد زيارته لاستانبول عام ١٩٠٠م بإلغاء الحظر المفروض على تدريس اللغة التركية فى أذربيجان الإيرانية بناء على طلب من السلطان عبد الحميد قد قوبل بالفرح والابتهاج^(١).

ويمكن القول أن أهم الخطوات التى خطاها إسماعيل غاسبرينيسكى - وهو أحد أترك القرم المهاجرين من آسيا الوسطى الذين هاجروا فى عهد السلطان عبد الحميد ، وكان إسماعيل غاسبرينيسكى قد درس فى الكلية الحربية فى روسيا وعانى من سوء المعاملة بما أيقظ فيه الروح القومى - تعززا لمبادئه فى القومية هو خلقه لغة تركية وسطاً فيها من لغة الأناضول ومن لغة القرم ومن لغة أترك الشرق لغة يفهمها الترك فى كل بقاعهم ، وكانت جريده ترجمان هى الوسيلة لنشر هذه اللغة ولنشر فكرته عن القومية التركية وعن الجامعة التركية ، وقد ذاعت هذه الجريدة ذبوعاً كبيراً فى قازاقستان ، وفيما وراء النهر ووصلت إلى القرى النائية البعيدة عن المدن وعن السكك الحديدية ، ولكن هذا المشروع اللغوى ما

١ - p. 72 - 77 , David Kushner : The Rise of Turkish Nationalism 1876 - 1908, London 1922 .

ليث أن مات بعد أن تمثلت روسيا أتراك آسيا الوسطى وحالت بينهم وبين الاتصال بأتراك الغرب . ومن أهدوا هذه الدعوة إلى القومية التركية بعد إسماعيل بك مهاجر آخر من أتراك الشرق هو حسين زاده علي وقد وفد على تركيا في أواخر أيام السلطان عبد الحميد وكان في حقيقة الأمر يدعوا إلى القومية التورانية ، ولكن التورانية والتركية في ذلك الوقت كانتا شيئين متقاربين في المفهوم . وقد ظهرت آثار الدعوة إلى القومية والجامعة التركية سريعاً في الدراسات الأوبية وبدأ الأتراك يدرسون الأدب الشعبي والتقاليد التركية عند سائر أقوام الترك .

ولاشك أن الاتراك حين كونوا جمعية الاتحاد والترقي كانوا يقلدون الجمعيات المعادة لهم والتي كونها البلغار وبخاصة جمعية المنظمة الداخلية ، ولا شك أيضاً في أن اليهود والماسون كان لهم أثر كبير في طريقة تكوين الجمعية ^(١) .

الجامعة التورانية :

من بين التيارات التي دعا إليها الشباب الأتراك ، تيار الجامعة التورانية . الجامعة التورانية تدعو إلى الاتحاد بين الأتراك والمغول والشعوب الأويغورية ، وفكرة التورانية فكرة أجنبية المنشأ ، ذلك لأن كلمة توران استعملها جماعة من المجرين عام ١٨٣٩م لتطلق على أرض الترك في وسط وجنوب شرق آسيا ^(٢) .

وفي المؤتمر العام لجمعية الاتحاد والترقي المنعقدة في استانبول عام ١٩٠٩م أهدى ميوله لفكرة التورانية . وأول منشئ للجامعة التورانية في استانبول هو « يوسف أچجورا على » وهو مسلم تترى . وظلت الجامعة التورانية يحيط بها الغموض في استانبول حتى عام ١٩٠٨م إذ أن السلطان عبد الحميد كان مجاهداً في سبيل الجامعة الإسلامية ومقاوماً عنيدا لجميع الحركات التي تدعوا إلى العصبية الجنسية . ولكن الحال تغير بعد زوال العهد الحميدي عام ١٩٠٩م ، فبدأ الاتحاديون يؤيدون دعوة الجامعة التورانية

ويستقبلون في سبيل نشرها والتبشير بها ، وكان الاتحاديون يروجون لهذه الأفكار عن طريق الصحف التي أسسوها والتي من أهمها (طنين) و (الاتحاد والترقي) وكذلك أسهم تتر روسيا في هذا الشأن عندما أصدر إسماعيل غسبرينسكى جريدة (ترك يوردي) والتي كان الهدف منها غرس القومية التورانية في النفوس ، وجعل كلمة توران كلمة مألوفة عند الأتراك ، وقد دعت الجامعة التورانية إلى وحدة شعوب توران الثقافية إلا أن الاهتمام بالجوانب الثقافية للحركة التورانية كان واقعاً للأتراك العثمانيين للإحساس

١ - أحمد السعيد سليمان : التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة ، ص ٣١ .

Bernerd Lewis : The Emergence of Modern Turkey . p . 347 .

بالجامعة التركية التى كانت قوة حيوية أكثر من الجامعة التورانية ، والواقع أنه بالرغم من الدعوة إلى التورانية إلا أن ما كان يحدث بالفعل كان لا يتعدى نطاق الجامعة التركية ولقد وجد السياسيون الاتحاديون فى فكرة الجامعة التورانية أداة طيبة لكى يخلصوا أترك الشمال من ظلم روسيا القيصرية (١).

وبعد ضيا غوك آلب من أشد المتحمسين والمنادين لفكرة التورانية ولقد لعب دورا بارزا فى تجسيد الشعور القومى التركى وأحياء القومية التورانية ، وذلك بأشعاره ومؤلفاته الهامة حيث تحدث عن مميزات وفضائل الأتراك وحضارتهم الأصيلة وشجاعتهم وشخصيتهم الجادة ، أسهب فى الحديث عن الجمعيات التركية الجادة أو الثقافة التركية (٢).

واستخدم الاتحاديون ضيا غوك آلب فى التعبير عن أفكارهم ، ومن أشعاره التى بنادى فيها بفكرة الجامعة التورانية ، ويعبر عن الوطن المثالى الذى يتمناه فى قصيدته المعروفة باسم توران . التى نشرها فى مجلة كنج قلملى (الأقلام الشابة) التى صدرت فى سلاطيك فى ٢٢ فبراير عام ١٩١٠ م ، ويقول فيها :

ان الوطن بالنسبة للأتراك ليس هو تركيا ولا التركستان

ان الوطن هو تلك البقعة الشاسعة الأبدية توران (٣).

وهناك اناس آخرون دعوا إلى الجامعة التورانية من بينهم « خالده اديب و عمر سيف الدين » ، ولا بد أن نشير إلى أنه بالرغم من أن ضيا غوك آلب يدعوا إلى امتزاج الأتراك العثمانيين مع أترك اذربيجان والاوزبك والقيرغز والقرم والتركمان ، كان يؤكد على حقيقة الاختلاف بينهم فى السلالة والجنس ، ولكن لم تمض فترة طويلة حتى أخذ الاهمال يكتنف فكر الجامعة التورانية التى تطالب بالتحاد كل الأتراك وظهر هذا بوضوح بعد هزيمة تركيا فى الحرب العالمية الأولى (٤).

وقد تخلى ضيا غوك آلب عن دعوته الطورانية وظهر ذلك من خلال مقالات كتبها فى مجلة « يكى مجموعده » أى المجلة الجديدة .

١ - عزة عبد الرحمن الصاوى : رسالة ماجستير : القومية فى أدب ضيا غوك آلب ، ص ٧٣ .

٢ - ATATÜRK ve Milliyetsilik Turhan . Feyzioglu , Ankara 1987 .S.24

٣ - Vatan ne Türkiyedir Türklere ne Türkistan .

٤ - Vatan büyük ve müebbed bir ülkedir : Türan .

- وطن نه تركيا در توركلره نه تركستان

وطن بيوك ومؤبد بر اولكه در : توران .

٤ - عزة عبد الرحمن : المرجع السابق ص ٧٨ .

ووضع وجهة نظره التي تهدف إلى تقييد المبادئ في إطار الظروف والأحداث السياسية وعرف القومية من وجهة نظره بأنها " الدعوة إلى النهوض بمستوى تركيا الحضاري " وأن الوحدة السياسية بين العناصر التركية أي الطورانية أمر بعيد المثال ، أما عن الإسلام " فهو دين وعقيدة الأتراك ولا يمكن التغلغل عنه " .

وقد ردد هذه الأفكار ثانية في كتاب " تركشلمك اسلاملاشمق معاصر كشمق " أي التركية الاسلامية والعصرنة عام ١٣٣٧هـ بأن صفة الإسلام هي التي تميز الأتراك عن غيرهم من الأمم ، ولكن ينبغي أن تترجم معاني القرآن والأذان والأدعية إلى التركية حتى يكون الدين ملكاً لكل تركي مسلم .

ونادى بأن تنحصر العصرنة في نقل العلوم والتقنية فقط عن الغرب إذ أن محاولة اللحاق بركب الحضارة الغربية لا يعني تقليد العادات والتقاليد الأوروبية .

أما في كتابه أسس القومية التركية " تور كجيك اساسلى " ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٣م فهو ينفي صفة العنصرية عن دعوته قائلاً بأن القومية في التاريخ إنما تعنى الإحساس بالانتماء إلى تراث الأتراك جميعاً وليس تراث عشيرة " قامى " التي ينتمى إليها العثمانيون^(١).

ومن بين الشعراء الذين نادوا بالقومية التركية الشاعر محمد أمين الذي لم يدع للاتصال عن الدين الإسلامي . بل كان فخوراً بعنصره التركي ودينه في نفس الوقت ، وقد نشر أول أشعاره التي يترنم فيها بقوميته ويعتز بها في جريدة عصر التي صدرت في سلاطيك عام ١٨٩٧م بقول :

انا تركى ، عظيم الدين والعنصر

عنصرى وصدرى بفيضان لهيبا^(٢)

وله أشعار دينية منها وصفه للقرآن الكريم :

هذا الكتاب يعرف الإنسان كنه ذاته وما حوله

ويشعر بك بوجوه الخالق في الأرض والسماء في الروح والجسد

إنه راع بعزف على نايه للأغنام

ويرى القطعان على شواطئ الأتهار

١ - محمد عبد اللطيف مريدى : الأدب التركي الإسلامى ص ١٩٥ - ١٩٦ .

Ben bir türküm , dinim cinsim uludur,

Sinem , özüm ates ile doludur .

بن بر تودكم ، دينم جنم اولودر

سينم اوزم آتش ايله دولودر

(Nihad Sami Banarlı : Resimli Türk Eadbiyatı Tarihi , İstanbul 1987 , c.II , s. 1084)

انه كتاب يُشعر الإنسان بذاتيه ويفتح له الطريق
ويمنح عطاياه لكل الإنسانية^(١).

ولا يملك الشاعر إلا أن يعترف بفضل القرآن في تأليف المسلمين :
فهر الأم الرزوم التي تحنو على كل يتيم ، وتقول « يا صغيرى »
كم من أرواح ألفت بينها وجعلها تتواسى^(٢).

وباختصار يمكن القول ان الدعوة إلى القومية التركية في هذه المرحلة والتي تمثلت في
الجامعة التركية والجامعة التورانية كانت تهدف إلى توحيد الأتراك في لغة واحدة وفي دين
واحد وهو الإسلام ، هذه القومية التي تختلف تماماً عن قومية الكماليين التي سوف أعرض
لها فيما يلي .

ورغم كل هذه الجهود فان فكرة الاتحاد التركي (الجامعة التركية) لم يتم الدعاية لها
بشكل منظم ، فقد عبر عنها ودعا لها بشكل ثقافي أكثر منه سياسى . والواقع أنه لا
يوجد أى سبب يجعل هذه الفكرة غير جذابة للمثقفين الأتراك في عهد عبد الحميد الثانى ،
فعلى الرغم من أنها متصلة اتصالاً وثيقاً بفكرة الجامعة الإسلامية إلا أنها أى فكرة
الاتحاد التركى قد تبلورت فيما تبلورت فيما بعد وأصبحت فكرة مثالية يسعى إلى
تحقيق.

اتاتورك والقومية التركية

بعد الحرب العالمية الأولى خرجت تركيا من الحرب وهي محتلة من دول عديدة « الانجليز
، الفرنسيين ، الايطاليين و اليونان » فكان لزاماً على الشعب التركى أن يبدأ الجهاد حتى
يحصل على الاستقلال وأن يطرد المحتلين فلقد وصل الأمر إلى أن الانجليز والفرنسيين
والايطاليين قسموا استانبول عاصمة الامبراطورية العثمانية لذا هب الأتراك وأعلنوا الجهاد

١ - بو كتهدر : هر انسانه اچون طيشى اوكرتن

گورکده يرده جانده بيرار اتان سزديرن

چو ياندر : قوالنى قوبونلره دگله تن

سوزولرى آقار صولر قيسنده گزديرن

بو كتهدر : هر كيشى به بئلك ويرن ، بول آجان

انسالفك سرگيسنه آرماغنلر آند يران

(محمد أمين ، تركجه شعرلر ، استانبول ، ١٣١٦ ، ص ٥١ ، نقلا عن : الأدب التركى الإسلامى :

د . محمد هريدى ص ١٩٧ .

٢ - بو آتته در : هر اوکسوزه (ياوروم) ديه سسله ين

نيجه جانلر قاروش آيدن

بربرى ايجون اغلاتان (نفس الدهوان ، ص ٥٢) .

- نقلا عن محمد عبد اللطيف هريدى : الأدب التركى الإسلامى ، ص ١٩٧ .

الوطني حتى يحصلوا على الاستقلال ولقد تولى مصطفى كمال رئاسة المقاومة الشعبية التركية وعمل على تنظيمها بإدماج العصابات المسلمة في الجيش النظامي الذي كان قد شرع في تكوينه ولقد استطاع الأتراك أن يحققوا انتصارات عظيمة حتى تمكنوا من طرد المحتلين من الأناضول وتوقيع معاهدة نوزان في ٢٤ يوليو عام ١٩٢٣ م ، وكون مصطفى كمال مجلس

نيابي « بيوك ملت مجلس » ، وهكذا وبعد أن فرغ الكماليون من إرساء قواعد الاستقلال بدأوا يقضون ما بقي من أركان الامبراطورية العثمانية ليقبموا على انقاضه جمهوريتهم ويحققوا مبادئ انقلابهم^(١).

ورأى مصطفى كمال أنه لا بد أن يكون حزبا يحافظ به على نتائج النصر ويحقق به مبادئ الانقلاب ويضمن به وحدة الشعب ، وفي ٧ كانون الأول سنة ١٩٢٢ م أصدر مصطفى كمال بياناً في جريدته (حاكميت مليه) و (يكي گون) قال فيه أنه سيكون حزبا باسم حزب الشعب (خلق فرقه سي) وأن هذا الحزب سينشأ على مبادئ جمعية الدفاع عن حقوق الأناضول والروملی (انا طولی وروم اهلی مدافعه حقوق جمعيتی) .

وكانت مبادئ حزب الشعب تتمثل في ٦ نقاط :

(النظام الجمهوري ، القومية - الشعبية - إشراف الدولة - اللادينية - الثورة)^(٢) وجدير بالذكر أن أتاتورك أعلن أنه ينبغي أن تكون لتركيا سيادة غير مقيدة أو مشروطة ، وأن القومية التركية قومية شاملة تجمع كل من يتحدث اللغة التركية (جامعة تركية) إلا أنه تخلى عن هذه الفكرة بعد أن أعلن مبادئ الستة (التي ذكرتها من قبل) والتي من بينها القومية التي جعلت تركيا للأتراك^(٣).

ولقد استوحى الكماليون مفهوم القومية التركية من واقعهم الجديد بعد حرب الاستقلال، ومن هنا كانت القومية عندهم محدودة بحدود الأناضول ، وإرساء القومية التركية كان يقتضي الأمر استئصال القومية الإسلامية لإتها في رأبهم لا يمكن أن تتعايش مع القومية التركية ولقد وانتهم الظروف لتقيق غاياتهم فقد كان أصحاب القومية الإسلامية حينذاك وهم على حال من الاضمحلال وفقدان الشعبية وذلك لأن قلوب تركيا الفتاة كنت تصطنع القومية الإسلامية وكان الشعب التركي يعلم أن أعضاء هذه الجماعة في حملتهم من الماسون والدوغة وليس أهض إلى قلوب المسلمين في الأناضول من هاتين الطائفتين ، وقد خطا الكماليون في أرل خطواتهم في القومية التركية وهي اللغة فحاولوا

١ - احمد السعيد سليمان : التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة ص ٥٥ .

٢ - نفس المرجع : ص ٦٠ .

٣ - عزة الصاوي : القومية عند ضيا گوك آلب ص ٨٠ (بتصرف) .

تنقيتها من المفردات العربية والفارسية وبدأوا ذلك بتغيير اصطلاحات العلوم وفرضوا كلماتهم الجديدة في كتب المدارس حتى نشأ الجيل الجديد جاهلاً بالاصطلاحات القديمة ، ومن آيات المغالاة في عملية التنقية أن قسم رئيس الجمهورية وقسم النواب على المحافظة على الجمهورية وسلامة أرض الوطن كان في دستور سنة ١٩٢٤م وحذف لفظ الجلالة وأقيمت مقامه عبارة (ناموس آوزرينه سوز ويريم) أي : اتعهد بشرفي ^(١).

وأراد الكماليون في نفس الوقت أن تكون لهم أبجدية خاصة بهم فاصطنعوا الحروف اللاتينية في كتاباتهم ولكنهم سموا هذه الحروف الجديدة الأبجدية التركية (تورك الفباسي) ويؤكدون أنها أبجدية مستقلة لم تتأثر بالأبجدية ، وإلغاء استعمال الأبجدية العربية ^(٢) ، وفي ١/٩/١٩٢٩م تم إلغاء تدريس اللغة العربية والفارسية ^(٣) وواصل الأتراك اندفاعهم في التتريك فتركوا الأذان الشرعي وتجارت الأصدا في تركيا بد (تاكري اولودر) بدلا من (الله اكبر) وترجموا معاني القرآن وحاولوا تلاوته بالترجمة ولكن هذه المحاولة فشلت ^(٤).

موقف رجال الدين (الإتراك) من القومية :

لقد وجدت أنه من الواجب أن أعرض لموقف رجال الدين الأتراك من الأحداث المتلاحقة التي تعرضت لها الامبراطورية العثمانية في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وما سببته هذه الأحداث المتلاحقة من إلغاء للخلافة وظهور فكرة القومية التركية على مسرح الأحداث السياسية . فوجدت أن أفضل من يعبر عن رأي رجال الدين هو الشيخ مصطفى صيري آخر للشيخ للإسلام في عهد الخلافة العثمانية حيث تمتزج آراؤه بتفاصيل تاريخية وسياسية وعسكرية وثقافية ، والذي أوردها في كتابه « النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والنعمة » .

فالشيخ مصطفى صيري بدأ كلامه عن القومية بقوله : " ألم يكفكم مانشر في الأهرام يوم ٨ ديسمبر ١٩٢٣م بقلم كاتب مصري " هذا نصه " ان في انقرة رجالا تشيعوا لفكرة القومية على وجه قل من يعرف كنهه في العالم الإسلامي ، فإن يوسف اقشور بك مثلاً ماهرح قبل إعلان الدستور العثماني بسنين نشر دعوته بين رجال تركيا الفتاة إلى

١ - د . أحمد السعيد سليمان : التيارات القومية والدينية في تركيا المعاصرة ص ٦٨ .

٢ - Prof. Tarhan Feyzioglu : Atatürk Yolu , Ankara 1987 s.211

٣ - (المرجع السابق) ص 50 . e . s . a

٤ - د . أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ص ٦٩ .

نيز الجامعة الإسلامية وأضار العدوان والأخذ بفكرة الجامعة الطورانية المبنية على التأليف بين الناطقين باللهاجات التركية أولاً ثم تكوين اتحاد خلق منهم ومن الأمم التي أصلها طوراني مثل المجر والبلغار وفنلندا فهو يرى أن الاتفاق مع هؤلاء مفيد أكثر من الجامعة الإسلامية ، وهذا الرجل وأمثاله يعتقدون أن الدين الإسلامي هو عبارة عن احتلال عرسى بسط سلطانه على الترك ودخل بيوتهم وجعل لنفسه سيادة على نفوسهم ومن الواجب الخلاص منه بأي حال ويقولون أن الوضع وسائر القواعد الإسلامية وضعت لأمة تسكن البلاد الحارة والمعتدلة . أما الترك وأمثالهم من أبناء الأمم الباردة فلا تلائمهم هذه القواعد ^(١) .

ولقد أورد الشيخ مصطفى صبري هذا الحديث الذي ورد في جريدة الأهرام كما ذكرت ليرد عليه ويوضح لنا الحقيقة فيقول :

هؤلاء الرجال ليس لهم كل السلطة في أنقرة اليوم ولكنهم من رجالها المحترمين فيها على كل حال ، بالرغم من أن الداعين إلى الجامعة الطورانية كثيرون ، فإن الذين يضررون العداوة منهم للإسلام إقلية .

غير أننا نقول بكل أسف أن هؤلاء لم يكونوا موجودين من قبل فصاروا الآن موجودين وإن عددهم على ازدياد ولهم تأثير لا يمكن إنكاره وإن هذا التأثير إذا لم يقاوم ويقف عند حد سيكون له شأن غير شأنه الآن فهم يعتبرون الدين مظهراً من مظاهر القومية العربية ومنفخرة من مفاخرها ورجال الإسلام هم أمجاد الأمة العربية ، أما الترك فهم في نظر هؤلاء لا علاقة لهم بكل ذلك وخير لهم أن يحيا ذكرى عقائد الجاهلية التركية كالوثن التركي القديم (بوزقورت) (اللثب الأبيض) ولهذا الوثن أناشيد يترغنون بها وهو مصور على بعض طوابع بواسطة حكومة أنقرة ^(٢) .

١ - ه . مصطفى حلمي : الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية ص ١٧٢ - ١٧٦ .
دراسة حول كتاب (النكهر على منكرى النعمة من الدين والخلافة والنعمة) لشيخ الإسلام مصطفى صبري .
٢ - كان الاتراك القدماء الذين يمثلون الوجود المادي والمعنوي ، الطبيعي والانساني وكان كوك تاكري (الاله السماوي) على رأس هؤلاء . لأنه كبير الاله وكان الاتراك القدماء يدينون بالشامانية وهي من الديانات البدائية التي تشكل الاعراف والتقاليد القومية أسسها العامة .
ولقد قامت الميثولوجيا التركية التي ولدت في أسسها الوسطى بدور كبير في تكوين المجتمع التركي الذي اتخذ من اللثب طوطم ومن اللون الأبيض والعدد ٩ والمخلوقات المقدسة رموزاً للأساطير التي تروي نشوء الكون وتكوين المجتمع التركي وملاحم الأبطال وانتصاراتهم والكوارث التي حلت بهم وهجرتهم وارتحالهم .

واسطورتا بوزقورت أي اللثب الأغبر واركنه كون أي صاعر المعادن ، فمثلان نشوء الاتراك وانتشارهم في الأرض كما أن أسطورة اغوزخان لعل عظمة الاتراك وتأسيسهم للإمبراطوريات .

أنظر في ذلك : Vasfi : Mahir Kocatürk : Türk Edebiyatı Tarihi , Ankara 1970 . S.2

Nihad Sami Banarlı : Resimli Türk Edebiyatı Tarihi , İstanbul 1987 , c.II , s.24,25

إن هؤلاء ليسوا كل رجال انقرة وإذا كان في انقرة عدد كبير غيرهم من دعاة القومية فإنهم لا يشتركون في الفكرة القومية لنفسها إلا في مقاومة الإسلام .

أما عامة الشعب التركي ولا سيما في الاتاضول فإنه متدين بلاشك ولا يوافق على أي تغير فيما ألفه من الشئون الإسلامية غير أن رأيه هذا قاصر عليه فلا يصل إلى منصات الأحكام ومواد القوانين وخطط الحكومة .

إن خطة يوسف آقشورا واغا اوغلي احمد وضيا كوك آلب وجلال نوري وامثالهم من المتطرفين إنما هي خطة مصطفى كمال نفسه وهو الذي يحميهم ويشجعهم ويجعلهم نواباً لبلاد لا يعرفهم أهلها ولا يرضون مبادئهم^(١).

والجدير بالذكر أن كثيراً من مثقفي الشعب التركي قد عارضت هذه الأفكار التي تتنافى مع مبادئ الإسلام ، وعلى رأس هذه المعارضة يأتي سعيد نورسي (ولد في نورس التابعة لولاية تبليس عام ١٨٧٣ وتوفي في أورفة ١٩٦٠) حيث نادى بالتمسك بمبادئ الإسلام التي تتفق وعادات الشعب التركي بل إنه طالب بإنشاء جامعة إسلامية في الاتاضول على غرار الجامع الأزهر ، باسم المدرسة الزهراء ولكن لم يتحقق له ذلك^(٢).

ولسعيد نورسي أكثر من ١٣٠ رسالة ويطلق على هذه الرسائل جميعاً اسم (ارساله نور كلياتي) أي مجموعة رسائل النور وهذه الرسائل في مجموعها تدعو إلى الإيمان ولكن يصعب إدراجها تحت علم الكلام أو التفسير ، فهي خليط من هذا وذاك . ويطلق على اتباع سعيد النورسي الذين تبنا أفكاره (نور جيلي) أي التوريون أو طلبة النور ، ومن المعروف أن سعيد النورسي وجماعته يعارضون العلمانية ويرفضون مبادئ أتاتورك^(٣).

فكرة القومية في الأدب الفارسي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ،

أما عن القومية في إيران فإننا نجد أن العرب بعد تدهور الإسلام بدأوا غزواتهم لنشر الدين الإسلامي ، ودخلت فارس في دين الله أفواجاً ، وأقبل الفرس على تعلم اللغة العربية تاركين لغتهم ومعتقداتهم الدينية .

وقد ظلت اللغة العربية في المرتبة الأولى من الناحية الأدبية حتى أواخر القرن الثالث تقريباً حيث أخذت القومية الفارسية تنهض من جديد ومحاول أن تحيي معها اللغة الفارسية الحديثة أو الإسلامية^(٤).

١ - مصطفى حلمي : الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية ١٧٢ - ١٧٦ ، دراسة حول كتاب (النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والنعمة) لشيخ الإسلام مصطفى صبري .

٢ - Esref Edip : Said Nursi Hayati Eserleri Meslegi- Istanbul, 1952, s.34

٣ - Türk Ansiklopedisi Gilt - XXVIII : Ankara 1980 . S . 50 .

٤ - السباعي محمد السباعي : النثر الفارسي منذ النشأة حتى نهاية العصر القاجاري ص ٥ .

ولقد ظلت إيران وبلاد ما وراء النهر منذ عهد الخلفاء الراشدين والعصر الأموي تحت حكم حكام من العرب من قبل ولاية البصرة والكوفة إلى أن جاء العصر العباسي وصارت الغلبة للعنصر الإيراني في بلاط العباسيين حيث احتلت التقاليد الإيرانية قبل الإسلام وعاداتهم ونظمهم الحربية والإدارية والحضارية مكان الصدارة^(١).

ومع الخلافة العباسية التي ساهم الفرس اسهامات جليلة في قيامها ، منذ ذلك التاريخ بدأ الإيرانيون محاولات كثيرة لإحياء قوميتهم القديمة وظهرت الدولة الظاهرية وحصلت على نوع من الاستقلال عن الخلافة العباسية (كانت أول دولة مستقلة تقام في إيران) ، ثم الدولة الصفارية في سبستان ثم الدولة السامانية ليتم ظهور اللغة الفارسية الإسلامية التي استعارت من اللغة العربية أبجديتها ، بل وأخذت منها الكثير من المفردات^(٢).

ومنذ ذلك التاريخ بدأ الإيرانيون إحياء قوميتهم ، نجد أن الإيرانيين يستخدمون لفظ الملة وهي كلمة عربية وردت في القرآن الكريم بمعنى الطريقة السلوكية ، كما في قوله تعالى « ملة أبيكم إبراهيم »^(٣) أي طريقته وسبيله وقوله تعالى « ملة إبراهيم حنيفا »^(٤).

إذن فالملة في القرآن الكريم هي المجموعة الفكرية والعملية والطريقة العملية التي يجب على الناس العمل بها .

الملة في المصطلح الفارسي

وجدت كلمة الملة في المصطلح الفارسي اليوم مفهوماً يختلف عن مفهومها الأصلي فإن كلمة الملة تطلق اليوم في الفارسية على وحدة اجتماعية لها سوابق تاريخية واحدة وقوانين وحكومة واحدة وآمال مشتركة وهذه تطلق بدلا من كلمة الأمة وهذا المصطلح الفارسي جديد مستحدث ظهر في عهد مظالم الإيرانيين بالحكم الدستوري (المشروطية)^(٥).

١ - د . محمد نور الدين عبد المنعم : اللغة الفارسية (سلسلة كتابك رقم ٤٢ : دار المعارف ص

٢ - د . السباعي محمد السباعي : المرجع السابق ص ٥ .

٣ - سورة الحج : الآية ٧٨ .

٤ - سورة آل عمران : الآية ٩٥ .

٥ - آية الله مرتضى المظهرى : الاسلام وإيران : ترجمة محمد هادي اليوسفى الفردى ج ١ ، ص

بعد إن فصلنا كلمة الملة التي يستخدمها الإيرانيون في مقابل كلمة القومية المستخدمة في العربية ، نجد أن بعد الاستقلال عن الخلافة العباسية وإنشاء الدويلات شبه المستقلة في إيران والتي حاول الإيرانيون عن طريقها إحياء قوميتهم السابقة على أساس أنهم من الجنس الأرى بصرف النظر عن كونهم مسلمين ولكنهم أرادوا أن تكون لهم دولة مستقلة متطورة تدين بالإسلام واختيارهم المذهب الشيعي بعد ذلك ابتداء من الدولة الصفوية مذهباً رسمياً لهم إنما هي محاولة للتصدي للقومية العربية والتركية التي ظهرت في تلك الفترة .

القومية ابتداء من العصر الصفوي إلى العصر الحديث :

يظهر عبر تاريخ إيران أن الدولة الصفوية اهتمت بعدة نقاط مهمة ، يأتي على رأسها وحدة القومية الإيرانية ونشر المذهب الشيعي ، وبالرغم من الحكم العربي لإيران إلا أن الإيرانيين لم يستطيعوا نسباً قوميتهم ، وشكلوا دويلات في بعض أماكن الهضبة الإيرانية مثل الدولة الصفارية والسامانية وآل بويه وآل زيار كل هؤلاء حاولوا إقامة دولة إيرانية مستقلة على غرار الدولة الساسانية وتوحيد القومية الإيرانية التي كانت ترغب في ذلك ، وأول شخص استطاع أن يضع أساساً محكماً للقومية الإيرانية كان الشاه الصفوي اسماعيل الكبير الذي لم يكتف بتوحيد الإيرانيين تحت حكومة واحدة بل ووحدهم تحت مذهب واحد وهو المذهب الشيعي ، وهذا المذهب كان يخدم مصالح (الصفويين) السياسية . والذي ساعد الصفويين على هذا هو أن الدولة الإسلامية الكبرى دولة الخلافة وهي الدولة العثمانية كانت مشغولة بفتوحاتها في أوروبا التي وصلت إلى النمسا ، كل هذا ساعد الدولة الصفوية على النهوض ومحاولة السيطرة على آسيا في ظل غياب الدولة العثمانية^(١).

وكان موقف علماء الشيعة في إيران أكثر تعقيداً وهذا لاختلاف أهمية القومية في تاريخ إيران ، فالقومية العربية نداء توحيد كل الشعوب الناطقة بالعربية بعد سقوط الدولة العباسية على أيدي المغول سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م^(٢).

وبالنسبة للقومية الإيرانية فإنا نلاحظ أن إيران منذ سنة ٩٠٨ هـ - ١٥٠٢ م وهو تاريخ بداية الدولة الصفوية أصبحت دولة مستقلة حصلت بالفعل على وحدتها وهويتها القومية^(٣).

١ - تاريخ كامل إيران : د . عبد الله رازي منه ١٣٧١ هـ . ش مطبعة اقبال ص ٤٠٧ - ٤٠٨ . از تأسيس سلسله ماد انقراض قاجاريه .

٢ - حميد عنايت : الفكر السياسي الإسلامي المعاصر : ترجمة د . إبراهيم الدسوقي شتا ، ص ٢٤٤ .

٣ - نفس المصدر ص ٢٤٥ .

وفي نهاية الدولة الصفوية تعرضت إيران وبالتحديد في فترة حكم السلطان حسين (من ١١٠٥/١١٣٥ هـ) إلى صعوبات كثيرة بسبب ضعف هذا السلطان وكثرت الفتن في عصره ، فقد تضررت جميع الأديان وجميع الفرق الإسلامية وارتفع في عهده النزاع بين الشيعة والسنة وأخرج الصفوية من ديارهم ، في تلك الأثناء هاجم الأفغان الدولة الصفوية بقيادة محمود الأفغاني الذي سرعان ما استولى على مدن الدولة الصفوية ووصل إلى أصفهان عاصمة الدولة الصفوية ، مما دفع السلطان حسين إلى التنازل عن عرش بلاده إلى محمود الأفغاني ، وحكم محمود بالعدل في بداية أمره وعاقب كل من خان السلطان حسين ، إلا إنه لم يستطع الإستمرار على هذا الحال لأن البلاد كانت أكثر من طاقتة ، في تلك الأثناء فكر الروس والعثمانيون في استغلال هذا الموقف وبالفعل وصل الروس إلى داغستان واستولوا على مهابها ، وتحرك العثمانيون ناحية همدان ، ونتيجة هذا عمل محمود الأفغاني على قتل كل مخالفه حين دعا ثلاثمائة شخص من أتباع السلطان حسين وقتلهم ، ثم أعمل القتل في أصفهان لمدة خمسة عشر يوماً ، ظل هذا الوضع على ما هو عليه إلى أن جاء نادر الافشاري الذي استطاع استرداد إيران واسترداد الأجزاء التي استولى عليها العثمانيون ، ووصلت فتوحاته إلى الهند .

ونستطيع القول إن انقراض الدولة الصفوية كان في فترة السلطان حسين ^(١).

ومن هنا يمكن القول أن القومية الإيرانية ظهرت مرة أخرى بعد الإسلام على يد الدولة الصفوية .

لقد وضع ملوك الدولة الصفوية نصب أعينهم أهدافاً محددة ، من بينها العمل على توحيد القومية الإيرانية وجعل المذهب الشيعي مذهباً رسمياً والقضاء على ملوك الطوائف وإخضاع ملوك الولايات لحكومة مركزية قوية ، ولتحقيق هذه الأهداف والحيلولة دون أي عامل من عوامل الفرقة والتشتت المذهبي وجدوا أنهم في حاجة إلى توحيد الرأي العام الإيراني ، لذلك شجعوا علماء الشيعة الأثنى عشرية ، وزادوا من قوتهم واستقطبوا الكتاب والشعراء للقضايا الدينية لكتابة المراثي في أئمة أهل البيت ، ورغم أن هذا الاتجاه قد ساعد على دعم الوحدة الوطنية ورسخ المذهب الشيعي في قلوب الأهالي إلا إنه شكل قيلاً على حرية الأدب في إيران ^(٢). كان الهدف من دعم المذهب الشيعي هو السيطرة على القومية الإيرانية حيث وجد الصفويون في هذا المذهب حاجتهم في السيطرة على جميع القبائل السبع الإيرانية ، ورغم أن ملوك الدولة الصفوية ينحدرون من سلالة أحد الصفوية إلا أنهم لم يهتموا بالمتصوفين ، ولهذا الاتجاه سيان ، الأول هو ما كان

١ - د. عبد الله الرازي : تاريخ كامل إيران ، ص ٤٣٢ - ٤٣٦ .

٢ - المرجع السابق : ص ٤٥٩ .

لمرشدى التصوف من نفوذ بين أهل السنة الذين كانوا يعارضون سياسة ملوك الدولة الصفوية ، والثانى كان علماء التصوف لا يشجعون التشيع والفكر الشيعى ويقفون ضد علماء الشيعة الامامية ، وحين زاد نفوذ علماء الشيعة تصدوا للتصوف وشجعهم على ذلك ملوك الدولة الصفوية .

القومية منذ نهاية الدولة الصفوية إلى العصر الحديث :

بعد سقوط الدولة الصفوية مرت إيران بفترة من عدم الاستقرار ، فقد استطاع خلالها نادرشاه الافشارى أن يسترد الأجزاء التى سيطر عليها الافغان مثل خراسان وهراة وارمينيه وجورجيا من الأتراك ، وفى عام ١٧٣١ م عزل نادر طهماسب وحكم كئائب للشاه عباس الثالث آخر السلاطين الصفويين ، وفى عام ١٧٣٦ م - ١١٤٩/٤٨ هـ اعتلى نادر عرش إيران ولقب بنادرشاه وقام بحركة سياسية تهدف إلى ازالة الانتقسام الواقع فى الجزء الشرقى من العالم الإسلامى ، فأعلن المذهب السنى مذهباً رسمياً لإيران . ولكن حدث فى هذه المدة أن ظفر الافغان باستقلالهم وتمزق غربى إيران بواسطة الحروب الداخلية وسقط فى أيدي دولتى الزنديين والقاجاريين فصار كريم خان زند رئيس قبيلة الزند البدوية المتنقلة فى إقليم فارس سيداً على اصفهان وشيراز ، ولجج فى صد القاجاريين وتلقب بلقب وكيل أو نائب الملك متخفياً بذلك وراء اسم أحد الصفويين الضعاف واستمر فى الحكم من ١٧٥٠ م إلى ١٧٧٩ م - ١١٦٤ هـ إلى ١١٩٣^(١) .

وبما سبق تضح لنا أن إيران بعد سقوط الدولة الصفوية عاشت فترة من الاضطرابات وعدم الاستقرار ، فالافشاريون يسيطرون على جزء ، ثم يخرج بعد ذلك الزنديون ويسيطرون على جزء آخر ثم القاجاريون .

وعلى الجانب الدينى فقد تم تحويل المذهب الرسمى لإيران من المذهب الشيعى إلى المذهب السنى ، كل هذه الأشياء أثرت فى القومية الإيرانية إلى أن قامت الدولة القاجارية التى استطاعت توحيد القبائل الإيرانية السبع مرة أخرى .

وقد تميز اقا محمد خان مؤسس هذه الأسرة بقوة العزيمة وحسن التدبير واستطاع أن يحقق لإيران وحدتها خلال فترة وجيزة ، وأخضع جميع الأراضى الإيرانية تحت سيطرة حكومة مركزية واحدة^(٢) . وأصبح أول ملوك الدولة القاجارية ، ولو أنه لم يلقب رسمياً بملك إيران حتى عام ١٧٩٦ م - ١٢١١ هـ ، إلا إنه استطاع السيطرة على جميع إيران عام

١ - دونالد ولهر : إيران ماضياً وحاضراً : ترجمة د . عبد النعم محمد حسنين ، دار الكتاب المصرى ، دار الكتاب اللبنانى ، الطبعة الثالثة ١٩٨٥ م ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

٢ - ابراهيم تيمورى : عصر بنى خيى با تاريخ امتيازات ، در ايران ، تهران ١٣٣٣ ج ١ .

١٧٩٧م - ١٢١٢هـ ، ثم مالبت أن قتل بعد ذلك وخلفه ابن أخيه فتحعلي شاه الذي حكم من (١٧٩٧م إلى ١٨٣٤م) (١٢١٢هـ إلى ١٢٥٠هـ) (١) .

وبدأت إيران منذ بداية العصر القاجارى وبالتحديد فى بداية عهد فتحعلي شاه الاتصال المباشر بالدول الأوروبية واهرمت المعاهدات بين إيران وكل من فرنسا والمجلىترا (كما صارت إيران خلال العصر القاجارى قريبة للأطماع الروسية الاستعمارية والتي فقدت إيران على أثرها جزءا كبيرا من أراضيها ، وعلى جانب آخر لجح الانجليز فى التدخل فى شئون إيران الداخلية) .

ونتيجة لهذه الأحداث التى احاطت بإيران ، انتشرت مبادئ فكرية حديثة على الساحتين السياسية والاجتماعية على يد المستنيرين والمفكرين ممن سعوا لتحقيق العدل والمساواة والحرية وإرساء أسس الحياة الديمقراطية .

فعلى سبيل المثال « انتقلت مبادئ الاشتراكية والديموقراطية من أوروبا وروسيا إلى إيران » (٢) .

وبناء على ماسبق فاننا نجد أن القومية فى العصر الحديث اتخذت اشكالا أخرى مثل ، المطالبة المستمرة بالديموقراطية ونظام التمثيل النيابى وحكومة القانون ، ونقد الأمور والأوضاع السائدة والمقارنة المستمرة المتعصرة للتقدم للجديد بالنظر إلى التخلف الراهن ، وهذا الاتجاه سببه أن إيران كانت منذ سنة ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢م أوائل العهد الصفوى دولة مستقلة حصلت بالفعل على وحدتها وهويتها القومية ، ولا شك أن ضياع بعض المناطق وتسليمها للعثمانيين والروس والأفغان كان يستوجب نداء الوحدة وإثارة الهمة وبعث القومية فى مواجهة الغاصبين الأجانب ، وكانت آراء الباحثين والكتاب الشيعة فى القومية تتوارى دائما فى ظل التكاتف الواضح والواقعى بين العلماء (علماء الشيعة) والقوميين الإيرانيين سواء كان هذا التكاتف ضد العثمانيين فى العصر الصفوى أو ضد الروس بعد حروب سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م ، ١٢٤٣هـ / ١٨٢٨م أو ضد الانجليز فى ثورة امتياز الدخان بين عامى ١٣٠٧ ، ١٣٠٩ / ١٨٩٠ ، ١٨٩٢م أو ربا أهم من كل ذلك فى مواجهة الاستبداد الباخلى فى الثورة الدستورية ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م (٣) .

شهد النصف الثانى من القرن التاسع عشر نمو التيار القومى فى بلاد الشرق حيث كان هذا التيار واضحا لا فى إيران ومصر وتركيا فحسب بل فى الهند والصين واليابان أيضا ، وتعتبر القومية من أقوى الابدولوجيات السياسية فى تلك الحقبة فى معظم المجتمعات الآسيوية والأفريقية على الرغم من وجود تيارات فكرية قوية أخرى ويرجع هذا إلى عاملين:

- ١ - إيران ماضيها وحاضرها : ص ٩٧ .
- ٢ - فريدون آدميت : فكر دموكراسى اجتماعى در نهضت مشروطيت ايران ص ٦ .
- ٣ - حميد عنايت : الفكر السياسى الاسلامى المعاصر ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

أولاً ، التجربة الملموسة والعملية للاستعمار الغربى والروسى فضلاً عن ما ينتج عنه ،
ففى قارة آسيا عانت إيران وتركيا والصين على وجه الخصوص من وطأة الاستعمار الغربى
والروسى حيث وقف حائلاً دون سيادتها واستقلالها وحريتها .

ثانياً : انتشار الافكار الاجتماعية والسياسية الحديثة التى حملت بين طياتها القومية
وزعزعت النظام السياسى وسائر الأسس الاجتماعية القديمة فى المجتمعات الآسيوية^(١) .
ويمكن إرجاع ظهور الفكر القومى فى إيران فى العصر الحديث إلى فترة حكم ناصر
الدين شاه التى كانت تتسم بالاستبداد وكبت الحريات ، ويمكن إبراز العوامل التى أدت
إلى ظهور فكرة القومية وهى :

١ - تأسيس دار الفنون عام ١٢٦٨ هـ / ١٨٥١ م على يد ميرزا تقى خان أمير كبير ،
وقد تم تأسيس دار الفنون لتدريس العلوم الحديثة على النمط الأوروبى .

٢ - ظهور الطباعة وانتشار المطبوعات .

٣ - ظهور الصحافة التى كان لها دور بارز فى الحركة القومية ونشر الفكر القومى .

٤ - الأزمة المالية وإفلاس الخزانة أدت إلى التطور السياسى فى هذه الفترة ، كما كان
للقروض الأجنبية أثراً كبيراً من حيث أوجه صرفها فى أعمال لا طائل من ورائها ، كذلك
القروض كشكل من أشكال الاستعمار .

٥ - ازدياد تغلغل النفوذ الأجنبى فى إيران^(٢) .

وفى القرن العشرين عندما بدأ رضا شاه سياسته المعسرة للقومية الثقافية وقام
بتعظيم حضارة إيران قبل الإسلام إلى جوار إهمال القيم والمظاهر الإسلامية تحولت معارضة
القومية إلى معيار لرسوخ الإيمان ، وبالطبع لم تكن هذه المعارضة لتعلن ما دام القمع
الرسمى مستمراً ، وحتى بعد إلغاء أجهزة القمع والرقابة بعد خلع رضا شاه عام ١٩٤١ م لم
يظهر على الفور التعبير عن عالمية الإسلام إذ كان هذا الإلغاء معاصراً لموجة معارضة
الحلفاء الذين كانوا قد احتلوا إيران ثم انتهى الأمر إلى ائتلاف قصير الأمد بين القوميين
والإسلاميين فى حركة تأميم النفط سنة ١٩٥١ م ، وقد تركت الذكريات المرة الناشئة عن
استمرار هذا الائتلاف أثراً ثابتاً على تشكل الجماعات الدينية فى العقود التالية ، وكان
اختفاء هذا الائتلاف نتيجة للتنافس الشخصى بين القائدين الأصليين المحركين للحركة
الشعبية ضد الانجليز أى محمد مصدق وآية الله سيد أبى القاسم الكاشانى ونتيجة
اختلاف وجهات النظر فى مجال أساليب إعادة بناء المجتمع الإيرانى بعد تحقيق الهدف
الأول للحركة أى تأميم صناعة النفط وخلق يد الانجليز فكانت نظرة كل واحد تعكس
ثقافته ، فكان مصدق ميالاً إلى الديموقراطية بمعناها الغربى وكان كاشانى ذا اهتمام أكثر
برعاية الموازين الإسلامية ، أما القوميون الذين كانوا يحسون بعمق أنهم مجروحون بما

١ - فريدون آدميت : اندیشه ملی طالبوف تبریزی ، تهران چاپ دوم سنة ١٣٦٣ ص ٨٩ .

٢ - فريدون آدميت : ایدئولوژی نهضت مشروطیت ایران ، تهران ٢٥٣٥ ص ١٤٤ .

يحدث وهو في نظرهم التكاثر بين قوادهم الدينيين وعناصر البلاط أو عملاء الانجليز الناتج عن الاحباط ، فقد اعلنوا النضال ضدهم في الشهر الأخير من حكومة مصدق واستمر هذا الاتجاه بعد سقوط مصدق حتى عندما كان منافسوه من الإسلاميين ومن بينهم الكاشاني قد سقطوا ضحايا قمع البلاط والملكيين ، لكن الإسلاميين كانوا لا يزالون متمتعين بامتياز مسلم به أي أنهم كانوا لا يزالون يستطيعون الاتصال بالافكار العامة والتأثير فيها عن طريق المساجد في حين أن الأحزاب والصعافة القومية لم تكن تلك هذه الميزة أو الامكانيات ، وكانت الحاجة إلى محور آثار النضال القومي بين ١٩٥١ م ، ١٩٥٣ م وبقاها قد امتزجت بضرورة أخرى فان الملكييين أو البلاط وانصاره الذين كانوا قد تغلبوا على الشعب الشعبي في الخمسينات وأوائل الستينات قد بدأوا بالتدريج الاهتمام بثقافة إيران قبل الإسلام من جديد (١).

الإسلام والقومية :

تعرف القومية أحيانا بأنها اخلاص غامض لكائن اجتماعي مهم يعلو على الطبيعة يعرف أحيانا بالأمة أو أن يعتقد القومي بأن أمته يجب أن تسيطر على الأمم الأخرى سيطرة كاملة أو أن تكون لها بينها الكلمة العليا على الأقل بل وأن لأمته أن تتخذ الخطوات الحاسمة الكفيلة بتحقيق ذلك (٢).

ومن المسلم به أن لا اعتبار في الدين الإسلامي للقومية بهذا المعنى المصطلح اليوم بين الناس بل أن هذا الدين ينظر إلى جميع الأمم والشعوب بنظرة واحدة وأن الدعوة الإسلامية لم تختص بأمة دون غيرها ، بل أن الدين الإسلامي يسعى ويحاول قلع جذور المفاخرات القومية من أساسها بمختلف السبل والوسائل (٣).

الأدب في تلك الفترة :

كان لابد للأدب أن يتأثر بمجريات الأحداث . فقبل الثورة الدستورية كان اهتمام الكتاب والشعراء هو جذب انتباه الأمراء والعظماء إليهم أو ترغيب ذوي الاستعداد في القضايا الصوفية والموضوعات الأخلاقية ، وكان كل ما يتعلق بالقضايا الاجتماعية

١ - حميد عنایت : الفكر السياسي الإسلامي المعاصر ص ٢٤٨ .

٢ - بهد شيفر : القومية عرض وتحليل ترجمه جعفر خصاك ، وعدنان الحميري ص ٦٩ ، بيروت (بدون تاريخ) .

٣ - إية الله مرتضى مطهری : الإسلام وإيران ، ترجمة محمد هادي البوسني القري ، الجزء الأول

والسياسية يحتل المرتبة الثانية ، وبشكل عام فقد كانوا يجذّون وراء ذلك . وفى عهد الثورة احتلت القضايا السياسية المرتبة الأولى ووضع الكتاب نصب أعينهم تشكيل حكومة أفضل وراعوا فى أسلوبهم أن يكون فى متناول فهم الخاصة والعامة .

وحلت القضايا الاجتماعية والسياسية محل موضوعات التصوف ، وتحولت قصائد المدح إلى قصائد من الشعر الوطنى ، وكانت نفس الأسباب التى دعت إلى قيام ثورة سياسية فى إيران هى نفسها التى فجرت فى إيران ثورة أدبية بل إنه يمكن القول الثورة الأدبية سبقت فى ظهورها الثورة السياسية بل وكانت من العوامل التى ساعدت على وقوعها ، وعمد كتاب عصر الثورة إلى التعبير عن آرائهم بأسلوب سهل ، بسيط ، خال من التكلف وبذلك دخل النشر الفارسى مرحلة جديدة . ومن أقطاب هذه المرحلة « فى فجر الثورة » ميرزا ملكم خان وطالبوف ومؤيد الإسلام محرر الحبل المتين ، زين العابدين المراغى مؤلف سياحت نامه ابراهيم بك ومحمد حسين خان ذكاء الملك فروغى مدير صحيفه تربيت ، وعده آخر من الكتاب . وفى الواقع ان هؤلاء الأساتذة كانوا من ملوك الكلمة وأرباب القلم ، وقد حاز أسلوبهم قبولا كثيرا لأنهم لم يتخلوا عن قواعد اللغة الفارسية كما حافظوا على فصاحة الأسلوب وسلاسته ، وكانوا امتدادا للأسلوب الذى بدأه أبو القاسم خان الفراهانى (١) .

فعلى سبيل المثال كان ملكم خان كاتب مقالات من الطراز الأول وتميزت مقالاته فى أغلب الأحيان بطابع سياسى واجتماعى وقد اثرت كتاباته لافى اشعال الحركة الدستورية فحسب بل وفى تمهيد الطريق لصغار الكتاب الذين قلده . وبعد انتصار الدستوريين اعتبر جمع من الكتاب التقدميين أسلوبه نموذجاً للكتابات المؤثرة (٢) .

فيقول مالكم خان عن حاشية الشاه وأحوال الحكومة الإيرانية فى صحيفة (قانون) " لقد شهد العهد الماضى مفاصد كثيرة . وقد وقعت جميعها نتيجة لثملق المقربين ، فالشاه الشهيد كان يتحلى بعقل متفتح .

إلا أن المتملقين ألتفوا حوله منذ جلوسه على العرش . وأخذوا يلقون على مسامعه الكلمات المعسولة قائلين - أنت قبلة العالم وظل الله وخليفة الرسول ﷺ ، لقد خلق الله إيران من أجل وجودك المبارك لاغير .

١ - عبد الله رازى : تاريخ كامل إيران ، ص ٥٨٢ ، ٥٨٣ .

٢ - گمشاد : النشر الفنى فى الأدب الفارسى المعاصر : ، ترجمة ابراهيم الدسوقى شتا . القاهرة

فكما تهوى يكون الحق والعدل والقانون ، وجميع الخلق هم غلمان وعبيد لك " (١) .
ومن أقطاب النشر الفارسي الذين لعبوا دورا بارزا بكتاباتهم في مجال التنوير وتدعيم
الحركة الدستورية كان عبد الرحمن طالبوف صاحب المؤلفات النثرية العديدة « ففي
منتصف عهد ناصر الدين شاه ... سعى طالبوف لتنوير الأمة عن طريق الكتابة وأخذ
يعرفها بمسارىء الحكومة الاستبدادية وضرورة اقرار الحكم الدستوري لدرجة ان كتاباته في
هذا المجال يمكن ان نطلق عليها الفباء الحرية " (٢) .

فيقول طالبوف عن البلاد التي يسودها الحكم المطلق الاستبدادي : " في مثل هذه
المملكة لا يعلم الشعب عقوبة أى جرم قبل ارتكابه ، أحيانا يكرمسون القاتل ، وأحيانا
يقتلون البريء . يبيعون ادارة البلاد للولاة ويستبيحون أموال الشعب ويتوقف تنفيذ
الأوامر على كثرة الهدايا ، ويدعى كل فرد الحق لنفسه ويباشر العلماء مهام الرئاسة خارج
نطاق وظيفته فيعجز المظلومون عن العيش في وطنهم ويهاجرون إلى البلاد الأخرى " (٣) .

مثال آخر : أما عن القانون فيقول : " وهذا القانون الذي عرفه العقلاء بأنه الرفاهية
والسعادة مفهومه تحديد الحقوق والحرد وهو بضيق ، في قلب كل أمة أنوار صدق
القول وحسن الأداء والاطمئنان على الأرواح والأموال والمحبة العامة والمساواة لتامة
وانتشار المخاوف ومفهوم التدين والوطنية والولاء للسلطان والبساطة في وسائل المعيشة
وتطور الصناعات وتنمية الثروة القومية وازدهار التجارة والتصدى للنفوذ الأجنبي وتحديد
مهام القائمين على شئون البلاد " (٤) .

وقد حدثت تغيرات كثيرة في الكتابة من حيث الموضوع والمضمون واختفى كلية
الأسلوب الإنشائي المسجع وتم التخلي عن الكلفة والصنعة ، ولجأ الكاتب بدخل مباشرة
إلى موضوعه دون مقدمات حيث جعل اهتمامه الأساسي بالمعنى لإثارة مشاعر القراء
وجذب انتباههم .

١ - « در عهد سابق خط های زیاد واقع شد که منشأ همه رسم تعلقات مقربین بود . شاه شهید ،
عقلی روشن داشت ولیکن از بدو جلوس گروه متعلقین دور او را گرفتند و به زبان های جاهل فریب علی
الاتصال به گوش او فرو خواندند که - تو قبله عالم وظل الله وجانشین پیغمبر هستی . خدا ایران را
محض وجود مبارک تو آفریده است . حق یعنی میل تو ، عدالت یعنی میل تو ، قانون یعنی میل تو ،
خلق این ملک همه غلام تو ، همه عبيد تو ، همه زر خرید تو ، هستند .

انظر فارسي عمومي : سيد محمد دامادي ، تهران ١٣٧٠ ص ٢١٨ .

٢ - يحيى ارين بود ، از صبا تانيما : ص ٢٨٨ .

٣ - عبد الرحيم طالبوف : مفيته طالبی با كتاب احمد ، استانبول سنة ١٣٢٢ هـ ج ٢ ص ٨٢ -

٨٣ .

٤ - عبد الرحيم طالبوف : المصدر السابق ج ٢ - ص ٨٢ .

وخير دليل على هذا هو ما نشر من كتابات في صحف عصر الثورة وبخاصة (صحف مجلس وصور اسرافيل ومساوات وأدب) وغيرها من الصحف ، كما اتخذ الهجاء شكلاً آخر .

ويمكن القول ان المقالات التي كتبت في صحيفة صور اسرافيل تحت عنوان (چرند وپرند) * كانت مثلاً جميلاً للكتابة بلغة العامة .

وقد أدى الاطلاع على الكتب والصحف والمجلات الأجنبية إلى اللغة الفارسية ، وفي ذلك العصر أيضاً راج النشر القصصي على غرار القصص الأوروبية كما الفت روايات مسرحية ^(١) .

أما في مجال النظم فقد ازدهر شعر البلاط في عهد فتحعلي شاه وخلفائه ، والتزم بهذا النهج شعراء كثيرون حتى أواسط عهد ناصر الدين شاه ، وبداية من منتصف القرن الثالث عشر الهجري ، حدث تحول طفيف في بناء الشعر الفارسي ^(٢) . حيث عالج الشعر أيضاً مثلما عالج النشر قضايا اجتماعية وسياسية إلا أن الشعراء الكبار لم يتخلوا عن الشعر القديم وساروا على نهج من سبقوهم في كتابة الغزل والقصيدة والمثنوى وغيرها من الأشكال الشعرية بل أن بعضهم سار على نهج شعراء التصوف الذين مزجوا اصطلاحاتهم الصوفية بكلمات خاصة بالغزل إلا أنهم استخدموا هذه الكلمات في شعرهم السياسي .

ولقد اخرجت لنا هذه الفترة شعراء وكتاب يصعب حصرهم ، ومن بين شعراء هذه المرحلة:

أبو الحسن ميرزا المعروف بالشيخ الرئيس المولود عام ١٢٦٤هـ وأخذ لنفسه تخلصاً باسم خيرت وكان له شأن كبير في النظم والنثر والخطابة ، وميرزا صادق خان الفراهاني المولود عام ١٢٧٧هـ الذي يعد من أكبر شعراء عصره وتعتبر اشعاره على درجة عالية من الأهمية لكونها تتميز بطابع سياسي واجتماعي ، ثم عارف القزويني الذي كان له يد طولى في كتابة الأشعار الوطنية وإثارة المشاعر والعواطف وقد قدم خدمات هامة للحرية والأحرار ، كذلك ابرج ميرزا الذي كانت له أشعار تفيض رقة كالنسيم وكان لها فعل السحر في إحياء المشاعر وكانت تجرى على ألسنة الناس ^(٣) .

* هي مجموعة مقالات اجتماعية وسياسية للعلامة دهخدا ونشرت جميعها في صحيفة صور اسرافيل بطهران ، وقد قام السيد سعيد نفيسي بتجميع مقالات دهخدا (چرند وپرند) من صحيفة صور اسرافيل بطهران وطبعها مع « أعمال النشر الفارسي المعاصر الرئيسية » في طهران عام ١٣٣١ / ١٩٥١ م . « دهخدا : المجلد الأول ص ٢٨٧ » .

١ - عبد الله رازی : تاريخ كامل ايران ص ٥٨٣ - ٥٨٤ .

٢ - يحيى ارين پور : از صبا تا نيمه تهران ، الطبعة الرابعة ٢٥٣٥ ص ٧٩ .

٣ - عبد الله رازی : تاريخ كامل ايران ، ص ٨٥٤ - ٥٨٥ .

ومن هنا نجد أن الكتاب والشعراء قد شاركوا في إحياء الشعور القومي لدى الإيرانيين بأسلوبهم وكتاباتهم التي أثرت تأثيراً بالغاً في الناس على مختلف طبقاتهم وأوضحت لهم حقيقة الظروف التي تمر بها البلاد وعرفتهم مآلهم وما عليهم .

فكرة القومية في الهند في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ،

كما وضع في دراسة الأوضاع السياسية في الهند وجدنا أن هناك أجناساً وأعراقاً كثيرة تسكن شبه القارة الهندية ولكن أبرز هذه الأعراق أو الأجناس هما المسلمون والهندوس .

لا يوجد أي امتزاج مابين المسلمين والهندوس في شبه القارة الهندية وكان الهندوس ينظرون إلى الحكومة الإسلامية في شبه القارة بنظرة المعتدى ، ولهذا عندما سيطر الإنجليز على الحكم في الهند كان الهندوس أكثر تعاوناً معهم ضد المسلمين ، وقام الهندوس بتشكيل الجمعيات الاجتماعية حيث حيث اجتمع فيها طبقة المتعلمين الذين كانوا يشعرون بالتفوق على أقرانهم من المسلمين ، ولهذا لمجد الهندوس قد شغلوا معظم المناصب في الحكومة الإنجليزية ، وعلى هذا فقد زادت هوة الخلافات بين القوميتين الهندوسية والإسلامية ، وأنضم السيخ إلى الإنجليز فظهر في هذه الفترة نوع من الكراهية والعداء ضد المسلمين وزاد هذا الوضع هو الخلاف بين الطرفين ، ومن ناحية أخرى فقد بدأ الإنجليز في الاستيلاء على أملاك المسلمين وقاموا بالاتفاق من خزائنها على القوميات الأخرى . فأدى هذا إلى اشتداد وغضب المسلمين . وفي هذه الفترة ظهرت فكرة القومية جلية عند الهندوس ، وقد قامت القومية الهندوسية على أساس الإحياء الديني وأسسوا الجمعيات المختلفة للإصلاح الديني والاجتماعي ونشط بينهم الزعماء السياسيين والقوميين ، وكان الهدف من ظهور هذه الجمعيات هو إظهار عاصفة القومية وحب الوطن لدى الهندوس^(١) . ومن بين هذه الجمعيات جمعية « أريا سماج » أي المجتمع الأري وقد عملت هذه الجمعية على إحياء القومية الهندية من خلال التمسك بالقديم ، وشجعتهم على ذلك الحكومة البريطانية وعملت هذه الجمعية على نشر الفكر الحر المستنير بين الهندوس^(٢) وقد لعب الأدباء والشعراء دوراً بارزاً في نشر وتقوية فكرة القومية الهندوسية فمن الشعراء الذين

١ - معين الدين عجيل : تحريك آزادي مين اردوتا حصه : ص ٧١ / المجمع ترقى اردوا كراچی اشاعت اول سنة ١٩٧٦ م .

٢ - هاجر رمضان أحمد : الاتجاهات السياسية في الشعر الإبردي الحديث اشرف : السباعي محمد السباعي ، أمجد حسن سيد أحمد القاهرة سنة ١٩٩٥ ص ١٦٠ .

ساهموا فى هذه الحركة « مدهوسودن دت ، رنجالال بنرجى ، بين چندرسين » وكان لهؤلاء تأثير عظيم فى تعميق هذه الفكرة (١).

وقد ظهر رد فعل المسلمين لما يحدث من محاولات لطمس هويتهم فقام زعماء المسلمين أمثال السيد أحمد خان بدراسة أحوال المسلمين فى ذلك الوقت وعقد العزم على اصلاح حال المسلمين فى الهند عقلاً وديناً ولغة وخلقاً ووضع اللجنة الأولى لإنشاء جامعة خاصة بالمسلمين على غرار جامعة اكسفورد وكمبردج فى إنجلترا تهمل على تربية الخاصة الذين يقومون بدورهم بتربية وتنشئة العامة ، ومازال يكاد يسعى ويجمع المال ويكافح العقبات التى توضع فى سبيله ، وأخيراً فاز بإنشاء كلية عليكره المشهورة وحدد بها أغراضاً ثلاثة.

١ - أن تعلم المسلمين الثقافة الغربية والشرقية فى غير تعصب ولا جمود .

٢ - أن يعنى فيها بحياة الطلبة الاجتماعية فيجدوا فيها سكناً يقيهم شرور المدن ومفاسدها فيطمئن الآباء حين يرسلون أبنائهم إليها ، على أنهم فى بيئة صالحة يخلقهم مربية لأدائهم .

٣ - أن يعنى فى نظام الكلية بترقية العقل وتربية البدن وتهذيب الخلق معاً وبعبارة أخرى يكون الغرض منها التربية والتعليم فقط .

وظهر كذلك السيد أمير على الذى أسس فى كلكتا الجمعية الوطنية الإسلامية للدفاع عن حقوق المسلمين وتحديد الوضع السياسى لهم وكان يرى إن الإصلاح وسيلته التربية (٢). والتعليم فقط من انغماس فى أى ناحية من النواحي السياسيه (٣).

وكما أشرت من قبل إن أشخاص مثل السيد أحمد خان وأمير على ظهوروا على سطح الحياه السياسيه فى الهند فى تلك الفترة بهدف إحياء الروح القوميه للمسلمين كرد فعل لما فعله الإنجليز فى اذكاء الروح القوميه لدى الهندوس .

وعلى هذا ظهرت ثوره دينيه وثقافيه بين المسلمين تزعمها السيد أحمد خان .

وكما ذكرت من قبل فإن الحكومه الإنجليزيه قد ساهمت فى تقويه فكره القوميه الهندوسيه وشملتها برعايتها تلك القوميه التى اتخذت شكلاً جديداً فى القرن العشرين تحت رعاية الحكومه البريطانيه وفى عام ١٨٨٥ تمت الموافقه على إقتراح اللورد (ديفرن) بتأسيس المؤتمر الوطنى الهندى وقد شارك فى هذه الجلسه حكام الولايات من الإنجليز وعلى رأسهم (هيوم) الحاكم العام وقد أظهر المؤتمر الولاء الكامل للحكومه الإنجليزيه وتم

١ - بحريك ازادى ص ٧٢ .

٢ - أحمد امين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ، القاهرة ١٩٤٨ - ص ١٣١ .

٣ - المرجع السابق ص ١٤٠ .

إختيار زعماء الهندوس فى المناصب الحكومية العليا وعلى هذا فكان واضحاً صعوبته التقريب بين وجهتى نظر المسلمين والهندوس وكان ضعف المسلمين سبباً فى عدم مشاركتهم فى الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية فظهرت فى تلك الأثناء فكرة إنشاء جمعية الدفاع عن مسلمى شمال الهند ، وقد نادى السيد أحمد خان بأنه لا يمكن أن يظهر أى اتحاد بين عنصرى الأمة الهندية (المسلمين والهندوس) ولهذا السبب سلم بأن المسلمين والهندوس قوميتان مختلفتان وقد أوضح ذلك فى خطبة وكتبه .

ونادى بقومية مستقلة للمسلمين ، ولقد تفاقمت حدة الخلافات بين المسلمين والهندوس نتيجة لتعارض وجهتى نظر كل منها حتى جاء وقت شعر فيه زعماء المسلمين بضرورة أن يكون لهم تكتل سياسى خاص بهم ^(١) .

وقد عبر عن هذا نواب سليم الله خان عام ١٩٠٦م حينما دعا لتأسيس الرابطة الإسلامية لعموم مسلمى الهند ، وفى أوائل القرن العشرين كان هناك كيانين سياسيين وقوميتين للمسلمين والهندوس هما (كالمجرس ، ومسلم ليك) ، وقد كان لحزب الرابطة نشاطاً عظيماً فى الأوقات مثل احتلال إيطاليا لليبيا وفرنسا للمغرب وحرب البلقان ، وبعد ذلك حدث نوع من التفاهم المشترك بين زعماء القوميتين كان من نتيجته أن ساند غاندى حركة الخلافة التى كانت أهم المسائل القومية للمسلمين آن ذاك ، ولكن سرعان ما ظهرت الفرقة بينهم مرة أخرى .

ويتضح فى القرن العشرين أن كلا من المسلمين والهندوس حاولوا إظهار أفكار ونظريات مختلفة عن الآخر نتيجة اختلاف الدين وقد أدى هذا إلى ظهور أو قيام الباكستان فى ٣ يونيو ١٩٤٧ ^(٢) .

١ - تحريك آذادى ص ٧٧ .

٢ - المرجع السابق ص ٧٨ .

الباب الثاني :

فكرة الجامعة الإسلامية وطنتها بقضية الخلافة

الفصل الأول :

**ظهور فكرة الجامعة الإسلامية
ودعوة جمال الدين الأفغاني
ومظاهر نجاح الفكرة**

الفصل الأول

ظهور فكرة الجامعة الإسلامية

ودعوة جمال الدين الأفغانى ومظاهر نجاح الفكرة .

ظهور فكرة الجامعة الإسلامية :

ولدت فكرة الجامعة الإسلامية فى القرن ١٩ بهدف احياء السلطة الإسلامية وإيجاد وحدة بين المسلمين ، وكان الباعث على ظهورها أولاً هو فهم المسلمين لتدهورهم وضعفهم ، ثانياً اعتداءات الأوربيين المتكررة على أراضى المسلمين فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين^(١).

ومعنى الجامعة الإسلامية هو الشعور بالوحدة العامة والعروة الوثقى التى لا انفصام لها بين جميع المؤمنين فى المعمور الإسلامى وهى قديمة بأصلها ومنشئها منذ شرع الرسول ﷺ يجاهد فالتف من حوله المهاجرين والأنصار ، ولقد أدرك سيدنا محمد ﷺ خطورة الجامعة وعلو منزلتها ، ومالها من عظيم الشأن فى قلوب المؤمنين ففرسها بيده فى نفوس المسلمين ، والواقع ليس فى الدنيا دين كالدين الإسلامى جامع لأبنائه بعضهم مع بعض وموحد لشعورهم^(٢).

أهمية الخلافة بالنسبة للجامعة الإسلامية :

الوحدة الإسلامية قائمة على ركنين هما : الحج إلى بيت الله الحرام فى مكة المكرمة والخلافة .

فالحج هو المؤتمر الإسلامى السنوى الذى يلتقى فيه جميع المسلمين من جميع الأقطار الإسلامية .

الخلافة لها شأن تاريخى كبير فهى موحدة المسلمين تحت راية واحدة .

ومن ثم فإن هذا التضامن العام والمشارك قد مثل الأرضية الفكرية والوقائع العملية لهذه الحركة التى عرضها تاريخ المسلمين الحديث والتى اطلق عليها فى عصرنا اسم الجامعة الإسلامية^(٣).

١ - Turk Ansiklopedisi G 26 , Pan islamizm , S 357

٢ - الأمير شكيب ارسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ترجمة : عجاج نويهض ص ١٨٨ .

٣ - د. محمد عمارة : جمال الدين الأفغانى منقذ الشرق وفيلسوف الإسلام ص ١١٨ ، الطبعة الثانية ١٩٨٨ دار الشروق القاهرة .

أن الإسلام على النقيض من المسيحية حيث أنه يعنى الدين والدولة ويستند الإسلام من الناحية القانونية والسياسية على بسط نفوذه على غير المسلمين ، وإذا تعرض الإسلام لخطر الوقوع تحت النفوذ والهيمنة الأجنبية (أى من غير المسلمين) فإن الخليفة الذى يعد رأس الدولة الإسلامية يكون لزاماً عليه إعلان الحرب المقدسة ، والواقع أن وقوع المسلمين تحت سيطرة أو نفوذ غير المسلمين يعد أمراً غير طبيعى وغير مقبول ، وأن أمراً كهذا لا يمكن التسامح أو التغاضى عنه إلا فى مواجهة قوة عظمى .

وعندما انتقلت الخلافة من العرب إلى سلاطين آل عثمان فى القرن الخامس عشر فإن جميع المسلمين قد رأوا فى الخلفاء السلاطين من آل عثمان أنهم هم المدافعون عن الدين رغم أنهم لا ينحدرون من صلب الرسول ﷺ ، ويمرر الوقت فإن جميع العالم الإسلامى فيما عدا الشيعة قد اعترفوا بالزعامة الروحية للخليفة العثمانى ^(١) .

الأدوار المختلفة التى اجتازتها الجامعة الإسلامية :

لقد اتخذت الجامعة الإسلامية اشكالاً عديدة حتى ظهرت بالشكل الذى عرفناه والمتعلق بدعوة السيد جمال الدين الأفغانى .

وأول دور مرت به الجامعة الإسلامية : كان دور الدعوة الوهابية فالواقع أن إدراك المسلمين لتدهورهم وضعفهم قد أدى إلى ظهور الحركة الوهابية . فقد أنشأ محمد بن عبد الوهاب حكومته على أساس الشورى التى اشتهرت فى عهد الخلفاء الراشدين وقد وجع هؤلاء الوهابيون العودة بالإسلام إلى الشكل الذى كان عليه فى بدايته ^(٢) .

ولكن سقطت الوهابية دون مبتغاياها وهر فتح العالم الإسلامى ، ووحدة إسلامية سياسية عامة بين جميع الممالك الإسلامية ^(٣) .

فى تلك الأثناء كانت الدول الأوربية قد بدأت فى الاستيلاء على بعض الاصقاع التابعة للدولة العثمانية فى أوروبا وبعض الجزر التابعة للهند ، لذا نجد أن جميع الحركات التى ظهرت فى العالم الإسلامى والتى نعتبرها دوراً من أدوار الجامعة الإسلامية ، قد أخذت فى مقاومة القوى الاستعمارية ، " ويمكن اعتبار الثورة المهدية فى السودان كذلك الثورات التى هبت فى الهند ، والطريقة النقشبندية التى ظهرت فى أواسط آسيا وامتدت إلى الأقطار الصينية ^(٤) ، كل هذا كما ذكرنا من قبل يمكن اعتباره دوراً من أدوار الجامعة الإسلامية .

١ - Turk Ansiklopedisi G 26 , Pan islamizm , S 357

٢ - المرجع السابق ص ٣٥٧ .

٣ - الأمير شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ترجمة عجاج نويهض ص ٢٩٢ .

٤ - المرجع السابق ، ص ٢٩٣ .

دعوة جمال الدين الأفغانى ومظاهر نجاح الفكرة :

كان العالم الإسلامى فى نهاية القرن التاسع عشر يعانى من الضعف وكانت القوى الاستعمارية قد توافدت عليه من جميع الأطراف .

فوجد أن بريطانيا أخذت فى الاستيلاء على أجزاء كبيرة من الدولة العثمانية دولة الخلافة وسيطرت على الهند . كذلك سيطرت روسيا على أجزاء من إيران وهكذا فقد ظهر للعبان مدى تفكك وتخاذل العالم الإسلامى .

وقد أدى هذا كله إلى تهيئة الجو المناسب لدعوة جمال الدين الأفغانى ^(١) إلى اتحاد المسلمين وقيام الجامعة الإسلامية فصادت هذه الدعوة هوى فى نفوس الناس وتفاعلت مع شعورهم فتقبلوها بقبول حسن ونظروا إليه على أنه المنقذ والمحرر الذى يستطيع أن يبعثهم من سباتهم ويدفعهم إلى الرقى والتقدم ويحيل ضعفهم قوة ونومهم يقظة وتفككهم وحدة وتماسكاً ^(٢).

١ - هو محمد بن صفد الأسد آهادى الحسينى مفكر ومصلح ولد فى عام ١٨٣٨ م / ١٢٣٩ م - ١٢٥٤ هـ .

وهناك أقاويل حول مكان ملده هل ولد فى اسعد آهاد إحدى القرى التابعة لكابل ، ويصل نسبه لسيد على محدث الشهير بالترمذى ، أو أنه ولد فى قرية أسد آهاد التابعة لهمدان وتعلم دروسه فى مدينة قزوين وظهر ، ثم سافر إلى أفغان . أو أن والده كان من أهالى مازندران إحدى ولايات إيران ، والذى ارسته الحكومة الإيرانية إلى أفغانستان وتزوج هناك وأنجب ولد باسم جمال الدين ؟ هذه أقاويل أشيرت حول مكان مولد السيد جمال الدين ، ولجئ أن الشيخ الإمام محمد عبده يصرح فى مقدمة كتاب (نزهة) أنه أى الطبيعة الذى ترجمه إلى العربية أن جمال الدين كان إيرانياً إلا أنه كان يسمى بالأفغانى لسببين ، الأول أنه من السهل له أن يعرف نفسه بأنه سنى حتى يستطيع الوصول إلى أهدافه فى الدول الإسلامية ، والسبب الثانى حتى يحرر نفسه من الضغوط الشديدة السائدة التى كانت تقارسها الحكومة الإيرانية ضد اتباعها فى الخارج .

ولكن لم يستطع أحد حتى الآن أن يعرف هل السيد جمال الدين من أسد آهاد التابعة لهمدان فى إيران ، أم من قرية أسد آهاد التابعة لكابل فى أفغانستان ، ولكن المتأدين بأن جمال الدين من أصل إيرانى هو أحد أهالى أسد آهاد الذى يعرف نفسه بأنه ابن أخت السيد جمال الدين ، ويعرفنا فى كتابه بأقرباء السيد جمال الدين الموجودين فى إيران ، ويتفق مع هذا رأى الإيرانيين .

أما من يدعى أنه أفغانى فالتنا نلاحظ أن السيد جمال الدين كان يعترف فى كل كتاباته بأنه أفغانى ، وكان يوقع فى كتبه ورسائله باسم جمال الدين الأفغانى وأنه كتب كتابه فى تاريخ الأفغان باسم (تنصتة البيان فى تاريخ الأفغان) كما أن هناك دليل يثبت أنه أفغانى أن السيد بعد أن وافته المنية ودفن فى اسطنبول طالبت الحكومة الأفغانية بنقل رفاته إلى كابل ، ووافقت الحكومة التركية على ذلك ، وتم هذا فى مركب جنازى مهيب .

أنظر : ١ - محمد القزوينى : وفيات معاصرين .

٢ - لغت نامه دهخدا - تحت . جمال الدين

٣ - ميرزا لطف الله خان - جمال الدين الأسد آهادى ، ترجمة صادق نشأت ، عبد النعم حسنين .

٤ - ميرزا لطف الله خان : جمال الدين الأسد آهادى : ترجمة صادق نشأت ، وعبد النعم حسنين ، مكتبة الانجلو القاهرة ١٩٥٧ ص ٦ .

وكانت دعوة جمال الدين الأفغانى إلى الجامعة الإسلامى هى الدعوة إلى سلطان جميع المسلمين وهو القرآن وليس كما كان يعتقد الناس أنه ينادى بقيام دولة واحدة لجميع المسلمين وحين نقرأ فى العدد التاسع من جريدة العروة الوثقى وهى الجريدة المعبرة عن أفكاره الناطقة لسانه يتضح لنا الغرض من الدعوة إلى الجامعة الإسلامية : يقول الأفغانى « لا ألتمس بقولى هذا أن يكون مالك الأمر فى الجميع شخصاً واحداً فن هذا ربما كان عسيراً ، ولكنى أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين ، كل ذى ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع إن حياته بحياته ، ويقاوم ببقائه إلا أن هذا يعد كونه لدينهم تقضى به الضرورة وتحتّم به الحاجة فى هذه الأوقات » .

إذا يفهم مما أورده جمال الدين أن الغرض من الجامعة الإسلامية كان إرشاد وهداية أمة الإسلام بهرمان القرآن وبيان ماكان عليه الصدر الأول للمسلمين القائم على سيرة الرسول الكريم ﷺ ومسيرة سلفه الصالح المتمثل فى الخلفاء الراشدين وإقامة العدل والأمن والحرية بين أبناء الأمة الواحدة^(١).

وقد أراد جمال الدين الأفغانى أن يجعل من الدين وازعاً وطنياً ومن النضال الوطنى واجباً دينياً^(٢).

دعوة الأفغانى إلى قيام الجامعة الإسلامية كانت دعوة إلى تأسيس حكومة إسلامية تكون المركز الرئيسى الجاذب لجميع الشعوب الإسلامية إلى وحدة عامة سلطانها القرآن الكريم .

ويقول الأفغانى فى نفس المقال : « أن المسلمين اختصروا من بين سائر الأديان بالتأثير وللأسف يسعون بانفصال بقعة إسلامية من حكم دولة إسلامية بدون التفات إلى جنسها » . ويمكن أن نلاحظ أن جمال الدين يرى أن اصلاح الحكومة عن طريق إصلاح الشعب وبتدأ الإصلاح عند جمال الدين الأفغانى باصلاح العقول والنفوس أولاً ثم اصلاح الحكومة ثانياً وربط ذلك بالدين ، وهذا خلاف مدحت باشا التركى الذى يرى أن صلاح الشعب عن طريق اصلاح الحكومة وأيضاً بخلاف محمد بن عبد الوهاب الذى يرمى إلى اصلاح العقيدة^(٣).

ونرى فى العدد الخامس من العروة الوثقى أن جمال الدين الأفغانى يخاطب لشعور الدينى للمسلمين ليحملهم على مقاومة الاستعمار .

١ - رحاب خضر عكاوى : جمال الدين الأفغانى حكيم الشرق ، دار الفكر العربى ، بيروت ١٩٩٣ ص ١٠١ .

٢ - جمال الدين الأفغانى (قدرى للعجى) دار العلم للملايين بيروت ١٩٥٢ الطبعة الثانية ص ٧٢ .

٣ - أنظر أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٤٨ م - ١٣٦٧ هـ ص ٥٧ .

فيقول : " المسلمون بحكم شريعتهم ونصوصها الصريحة مطالبون عند الله بالمحافظة على ما يدخل في ولايتهم من البلدان وكلهم مأمور بذلك لافرق بين قريبهم وبعيدهم ولا بين المتحدين في الجنس ولا المختلفين فيه وهو فرض عن على كل واحد منهم إن لم يقدروا بالحماية عن حوزتهم كان على الجميع أعظم الأثام ، ومن خروجهم في سبيل الحماية وحفظ الولاية بذل الأموال والأرواح وارتكاب كل صعب واقحام كل خطر ولا تباح لهم المسألة مع من يغالبهم في كل حال من الأحوال حتى ينالوا الولاية خالصة لهم من دون غيرهم " .

ثم يقول في نهاية هذا المقال " ومع كل هذا نرى أهل الدين في هذه الأيام بعضهم في غفلة عما يلزم البعض الآخر ولا بالمون لما يألم له بعضهم فأهل بلوخستان كانوا يرون حركات المستعمرين في أفغانستان على مواقع انظارهم ولا بجيش لهم جاش ولا تكون لهم نعمة على اخوانهم ، والافغانيون كانوا يشهدون تداخل المستعمرين في بلاد فارس ولا يضجرون ولا يتحملون وإن جنود المستعمرين تضرب في الأرض المصرية ذهاباً وإياباً تقتل وتفتك ولا ترى لمجدة في نفوس اخوانهم المشرفين على مجارى دمائهم بل السامعين تحريرها من حلاقيهم والذين حمرت احداقهم من مشاهدتها بين أيديهم وتحت أرجلهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم " .

تلك هي الوحدة الإسلامية التي نادى بها الأفغانى على صفحات العروة الوثقى ، وهي الحكومة الإسلامية القائمة على العدل والحرية المؤسسة على تعاليم الدين القويم وسيرة الخلفاء الراشدين ، وبين الأفغانى الأسباب التي أدت إلى تدهور حال الأمة الإسلامية وبين الحل والطريقة التي تؤدي إلى نهوض الإسلام .

ولقد لاقت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية استجابة خارج العالم الإسلامى وداخله فقد أسس عبد الله الهروردي جمعية الجامعة الإسلامية أو الاتحاد الإسلامى ، ولقد لعبت مجلة الاتحاد الإسلامى أو الجامعة الإسلامية Pan islamism وهي بمثابة وسيلة للتعبير عن أفكار ومبادئ الجمعية دوراً كبيراً في نشر فضائل الإسلام وتجسيدها في مواجهة مساوئ ومثالب الأوروبيين وذلك عن طريق الرجوع إلى المفاهيم العربية مثل الاشتراكية والليبرالية والانسانية .

وفي سبيل الدعوة إلى الجامعة الإسلامية طاف جمال الدين الأفغانى الدول الإسلامية .

جمال الدين في طهران :

كان القرن التاسع عشر مليئاً بالأحداث فلقد كانت العلاقات الإيرانية العثمانية سيئة لدرجة الحروب بينهما وكذلك ظهور فرقة البابية في إيران ، والعلاقات الإيرانية الأفغانية انتهت إلى نهاية مؤسفة ، وكان ذلك في فترة حكم فتح على شاه ، والذي توفي ١٨٣٤م وخلفه محمد شاه ثم ناصر الدين شاه ١٨٤٧ وظل على عرش إيران لمدة خمسين عاماً ، وبلغت البلاد وفي ذلك الوقت إلى قمة الخراب وحاصرت الديون والامتيازات البلاد ، وقد

سافر السيد جمال الدين الأفغانى إلى إيران عدة مرات واحدة عام (١٨٨٦ - ١٨٨٧ م)
والثانية (١٨٩١ - ١٨٨٩ م) . فى المرة الأولى سافر جمال الدين إلى إيران من لندن
حتى وصل إلى برشهر ^(١) .

والمرة الثانية التى زار فيها جمال الدين الأفغانى إيران كانت بناء على دعوة من ناصر
الدين شاه .

فى الفترة التى كان فيها ناصر الدين شاه يزور أوروبا سمع كثيرا أن دعوته تكون
مفخرة الإيرانيين ومباهاتهم فى الأوساط الأوروبية فتقبل السيد جمال الدين هذه الدعوة
وتوجه شطر إيران ^(٢) ، والتقى السيد جمال الدين فى بندر عباس مع مؤيد الإسلام ، وقد
تبادل الاثنان وجهات النظر حول الأوضاع السياسية والاجتماعية فى إيران وفى العالم
الإسلامى ، وانتهيا إلى أن نشر جريدة عن طريقها يتم إيقاظ الناس فاصدر مؤيد الإسلام
جريدة الحبل المتين فى الهند ، وعملت هذه الجريدة على توعية الناس ونشر الأفكار
المستتيرة ، وفى عام ١٣١١ هـ عندما كان السيد جمال الدين فى المجلترا والأمير مالكم
وزير إيران فى المجلترا ، وكان مؤيد الإسلام فى الهند فقد تبادل الثلاثة المراسلات فيما
بينهم وكانت نتيجة هذه المراسلات أن إيران تحتاج إلى انقلاب فكرى وأن هذا الانقلاب لا
يمكن أن يتحقق إلا عن طريق الصحف ^(٣) . وكان هنا هو ما استقر عليه المفكرون الثلاثة
حيال الشعب الإيراني وكيفية العمل على رنعتة وتخليصه من الظلم والاستبداد الذى
يعانيه ، والتقى السيد جمال الدين فى بوشهر مع ميرزا نصر الله الذى لقب بعد ذلك بملك
المتكلمين ^(٤) .

١ - محمد عثمان صدقى : سيد جمال الدين افغانى پيشواى انقلاب شرق ، كابل ١٣٥٥ هـ ش ص
١٠٦ .

٢ - ميرزا لطف الله خان / جمال الدين أسد آهادى ، ترجمة : صادق نشأت ، وعبد النعيم حسنين ،
القاهرة ١٩٥٧ ص ٧٨ .

٣ - محمد عثمان صدقى : المرجع السابق ص ١٠٦ .

٤ - ملك المتكلمين : هو الحاج ميرزا نصر الله ابن ميرزا محسن بهشتى من الخطباء والواعظين
المشهورين فى عصر الحكومة النيابية ، ولد فى عام ١٢٧٧ هـ . ق فى اصفهان ، وأتم دراساته لدى آخوند
ملا صالح فيبندى وشرف بزيارة مكة المشرفة وهو فى سن الثانية والعشرين ثم عاد وفى عودته الحجة إلى
الهند وقضى بها عامين وقام بتأليف ونشر كتاب بعنوان (من الخلق إلى الحق) وذلك ليرفض المسلمين من
غفوتهم .

وتم نفيه على يد الإنجليز من الهند وذلك بع نشر هذا الكتاب ، وجاء إلى إيران وأثناء الثورة
النيابية قام بالقاء الخطب والأحاديث الحماسية لإثارة ريقه الأفكار والعامة .

وفى النهاية تم أسره فى اليوم الذى قهر فيه مجلس الشورى القومى وقتل فى عام ١٣٢٦ هـ . ق فى
باغشاه (حديقة) طهران .

ثم توجه بعد ذلك من بوشهر إلى اصفهان وتعرف هناك على الأمير ظل السلطان (١) الذي أعجب بجمال الدين وأكرمه ، ثم توجه بعد ذلك إلى طهران وألتقى هناك بناصر الدين شاه ، وقد قابل الشاه السيد جمال الدين باحترام كبير وجعله من خصته واتخذته مستشاراً خاصاً له (٢).

وكان الشاه قد أوضح للسيد جمال الدين عن سروره بقبول الدعوة والمجيء إلى إيران وأعرب كذلك أنه يستطيع أن يفخر على الملوك بقيام فيلسوف مثلك في بلاد إيران وأن تستفيد البلاد بفضله وعلمه ، وقال له بأن علماء وفضلاء الأجانب يعترفون بفضلك وعلمك ومقامك وأنا مطلع على تلك الخدمات التي قمت بها نحو الإسلام والمسلمين في مصر والهند وأفغانستان وتركيا والأقطار الأوروبية والعجب أنك تستطيع أن تقوم بتلك الأعمال العظيمة بمفردك ، ثم بعد ذلك طلب الشاه من السيد جمال الدين أن يدلّه على مايفعله : فيقول له " قل لنا مالذي يجب أن نعمله لتعمير إيران ورفقيها وما الحجج الرسائل التي ترفى بها إيران " فرد جمال الدين : " أستطيع أن أفخر بنفسى البلاد ورفقيها ووثوقه بى . ثم قال : لا تنظر إلى وحدتى وصغر جسمى فإننى أستطيع أن أطمس جبل دماوند العظيم هذا بقبضة يدى الصغيرة ، فأينما كنت وأكون لا أبغى إلا حفظ الجامعة الإسلامية ورفقى المسلمين واستقلال بلادهم " ، ثم بعد ذلك دلل بالدلائل الواضحة على كل عيوب الشاه (٣).

كان لتوجيهات جمال الدين أثر بالغ فى نفوس علماء وأمرأء فارس فالتفوا حوله وأعلنوا ولائهم له واستعدادهم للعمل بما أشار وأرشد إليه من سبل الإصلاح ، ووعدهم

١ - ظل السلطان : هو مسعود ميرزا بن ناصر الدين شاه القاجارى ، ولد فى عام ١٢٦٦ هـ . ق ولقب بيمين الدولة فى عام ١٢٧٧ ونصب على حكومة مازندران وتركمن الصحراوية وسمنان ورامخان فى عام ١٢٧٨ .

وحكم فارس فى ١٢٨٦ بلقب (ظل السلطان) وقد وصل لحكومة فارس ثلاث مرات وحكم اصفهان سنة ١٢٩١ وفى ١٣٠٠ ضم اصفهان ويزد وفارس والعراق وهرجرد والسعودية ولرستان وكرمانشاه وكردستان وجلهايجان وخوانسار إلى مناطق نفوذه .

كان ظل السلطان القوي امير قاجارى فى عصره ، وكان هو أيضا الذى قضى على أغلب الآثار الفنية الصوفية فى اصفهان

٢ - محمد عثمان صدى المرجع السابق ص ١٠٧ .

٣ - ميرزا لطف الله خان / جمال الدين أسد آهادى ، ترجمة : صادق نشأت ، وعبد النعميم حسنين ، القاهرة ١٩٥٧ ص ٧٨ ، ٨١ .

جمال الدين بالعمل الإصلاحى ، ولكن على طريق الأخذ بالروية وعدم التسرع ، وحين رأى الشاه هذا التجمع الذى حول جمال الدين تغيرت معاملته معه فلم يعد يرجع إلى السيد جمال الدين فى أرائه ولا العمل بإرشاداته ، وأدرك جمال الدين تقلب الأمور وعرف ما فى نفس الشاه من شرور فطلب إليه الإذن فى الرحيل طالباً السياحة والاستجمام ، وكانت هذه فرصة للشاه للتخلص مما راوده من شكوك فأذن له بالسفر (١) .

بعد أن خرج جمال الدين الأفغانى من إيران توجه إلى موسكو بعد أن تقابل مع أمين الضرب (٢) وسافر مع السيد جمال الدين إلى موسكو حيث استضافهما نعمة الله الأصفهانى الذى اختير قنصلاً لإيران هناك وقد زار جمال الدين الأفغانى مدينتى موسكو وسان بطرسبرج ، واستقبل فى هاتين المدينتين استقبالا عظيما وامتدت إقامته فى روسيا أربع سنوات كان ينشر أثناءها آراءه وأفكاره الثورية التصحيحية التحريرية ، وحدث وأن سأله القيصر (تزار) عن سبب الخلاف مع الشاه فأجابه الأفغانى : " سبب الخلاف الحكومة الشورية وضرورة اتباعها وأن الشاه ينفر من ذلك ولا يحب أن يعترف بها " .

فقال القيصر : " أنى أرى الحق فى جانب الشاه ، إذ كيف يرضى ملك من الملوك أن يتحكم فيه فلاحو مملكته ؟ .

فرد جمال الدين بجرامة : اعتقد بإجلاله القيصر أن عرش الملك إذا كان الملايين من الرعية أصدقاء له . خير من أن يكونوا أعداء له يتربصون الفرص ويكتمون فى الصدور سموم الحقد ونيران الانتقام فغضب القيصر من كلام جمال الدين وطالب من رجاله العمل على اخراج جمال الدين من البلاد (٣) .

وقد قال جمال الدين فى حديث له مع جريدة " موسكو جازت " فى طبعة ١٣ يوليو سنة ١٨٨٧ أن الهدف من الزيارة إلى روسيه هو التعرف على تلك الدولة التى علق عليها ستين مليون مسلم هندي آمالهم ويتطلعون إلى تأييدها لتخليصها من الاستعمار البريطانى البغيض (٤) .

١ - د . رحاب خضر عكارى : جمال الدين الأفغانى حكيم الشرق ، ص ٦١ .

٢ - الحاج محمد حسن الأصفهانى ابن مهدى بن محمد رحيمه من نهار العصر القاجارى المشهورين ومن أوائل الأشخاص الذين بذلوا جهودا لإنشاء المصانع فى إيران لأول مرة ، وقد حصل على حق امتياز طريق سكة حديد محمود آباد - مازندران وعقد النية والعزم على ربط بحر الخزر مع طريق السكة الحديد بطهران ، ومن المصانع التى كانت تعمل تحت إدارته مصنع البترول والصينى والأتمشة بطهران ، وقد كان فى نفس الوقت رجلا متدينا ومحبا للعلم ، وتم طبع (بحار الأنوار مجلسى) فى ٢٦ مجلد بهيمته ، وبعد ذلك تم تأسيس دار لسك النقود بأسلوب جديد فى إيران ، وفوض ناصر الدين شاه رئاستها فى عام ١٣٠٠ لأمين الضرب ، وكانت أرباحها التى كانت تبلغ ٢٥ ألف تومان سنويا هى جزء من العائد المالى للدولة .

٣ - محمد عثمان صدقى بيشراى انقلاب شوقى ، ص ١١١ .

٤ - محمد عثمان صدقى : المرجع السابق ص ١١١ .

وكان جمال الدين الأفغانى قد أثار بخطاباته الأذهان المستعدة وأوقفهم على مطالب لم يكونوا قد سمعوها من قبل فسرعان ما اتشرت بذور الأخاء والوحدة الإسلامية وحب الحرية فى القلوب ، وأخذت بعض الكلمات لذلك فانتقل إلى مقام حضرة عبد العظيم الشريف تتسرب شيئا فشيئا إلى الأفواه بين العامة والسوقة ، وأخذ الناس يقولون أن السيد جمال الدين محق وصادق فيما يقول ، وأن الشاه رجل ظالم يساوم على شعبه . وكان السيد عم حق العلم أنهم سيؤذونه فى النهاية وأن بقاءه فى منزل الحاج محمد حسن قد يسبب متاعب للحاج . جدير بالذكر أن السيد جمال الدين حين قدم إلى طهران فى المرة الثانية قد فضل النزول فى دار الحاج محمد حسن أمين الضرب . وبقي سبعة أشهر فى تلك البقعة المقدسة حيث كان معظم أصحابه ومريده يزرونه جهاراً وسراً^(١).

وبعد ذلك أصدر الشاه ناصر الدين شاه أمره إلى آقا بلا خان الذى أمر جنوده ، فاعتدوا على حرمة جمال الدين قبضوا عليه وهو على فراش المرض وساقوه إلى حدود الدولة العثمانية^(٢) حيث توفى هناك .

لقد كانت رحلات جمال إلى إيران وإلى سائر العالم الإسلامى تحت الشعار الذى نادى به وهو الجامعة الإسلامية ، ولقد وجدت بالفعل دعوة جمال الدين مؤيدى لها داخل إيران فعلى سبيل المثال يمكن القول ، أن الأمير القاجارى أبى الحسن ميرزا المعروف بالشيخ الرئيس أصدر رسالة باسم (المحاد اسلام) ناقش فيها بدون أى قلق أو تحرج أن أفضل أمل لحفظ المسلمين من التدهور هو خضوعهم لقيادة السلطان عبد الحميد والذى وصفه بالسلطان المستنير العظيم الذى تنهض لتوحيد العالم الإسلامى^(٣).

ويتضح أكثر من ذلك أن الذى قتل ناصر الدين شاه هو أحد أتباع السيد جمال الدين يدعى ميرزا رضا كرماني والذى تم ذكره من قبل .

وهذا القاتل هو أحد تلاميذ جمال الدين ومن كانوا يزورونه فى الاستانة ، وروى أنه عندما طعن طعنته قال : " خذها من يد جمال الدين " . وروى عن جمال الدين أنه لما بلغه ذلك قال كلمات تدل على الإعجاب بالقاتل^(٤).

١ - ميرزا لطف الله خان : ترجمة صادق نشأت وعبد النعيم حسنين ص ٩١ .

٢ - رحاب خضر عكاوى : جمال الدين الأفغانى ، ص ٦٥ .

٣ - حميد عنايت ، الفكر السياسى الإسلامى لمعاصر ، ترجمة د. ابراهيم السمرقى شتا ص ٢٤٦ .

٤ - أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ص ١٠٤ .

وفى الفترة الممتدة من عام سنة ١٨٨٠ م الى عام سنة ١٨٨٩ م كان الانجليز قد استطاعوا الحصول على امتيازات هامة من ايران واهرز تلك الامتيازات امتياز المصرف الامبراطورى ، وامتياز الترخيص للسفن البريطانية من العبور من نهر قارون ، فكل هذه الامتيازات اغضبت الروس فأراد الشاه ، تسكين ثائرة الروس فقام الشاه بزيارة روسيا وعلم الشاه أن جمال الدين الأفغانى فى سان بطرسبرج فحين كان الشاه يزور تلك المدينة وعلم بوجود الأفغانى أظهر رغبته فى لقاء الأفغانى إلا أن الأفغانى لم يعط الأمر اهتماماً ، وسافر جمال الدين الأفغانى إلى ميونخ ، وتشاء المصادفة أن يعط الشاه بمونخ بعد وصول الأفغانى إليها فيجتمع به ويعتذر إليه عما بدر منه فى طهران ، ثم دعاه فى نهاية الأمر إلى مرافقته فأجاب جمال الدين الدعوة وتوجها إلى طهران (١) .

وحين عاد الشاه من أوروبا كان متأثراً بما شاهده فى عواصم الأمم الأوربية فطلب الشاه من جمال الدين أن يستن القوانين الموافقة لأحوال وأوضاع البلاد وكتب جمال الدين القانون الأساسى التى تصبح به إيران دولة دستورية وأطلع الشاه على القانون فصعب عليه كثيراً أنه إذا قبله فإن سلطته ستتقوض .

فقال الشاه للسيد جمال الدين : " يا حضرت السيد كيف يمكن وأنا شاه إيران أن أكون كراحد من الفلاحين ؟ .

فأجاب جمال الدين : " أعلم يا حضرة الشاه أن عرشك وتاجك وعظمت سلطنتك وأساس سلطنتك ستكون أعظم وأكبر مما عليه الآن بصدر فرمان الدستور . فإن العلماء والفنانين أفيد من عظمتك ومن أمرتك ، وأستمع إلى قبل أن يفوت الوقت وأن تضع الفرصة من يديك وأن منحك الدستورية للشعب الإيرانى المظلوم ستستطيع إيران أن تعد من الدول الراقية (٢) .

وقال له أيضا : " لاشك باعظمة الشاه أنك رأيت وقرأت عن أمة استطاعت أن تعيش بدون أن يكون على رأسها ملك ولكن هل رأيت ملكاً عاش بدون أمة ورعية (٣) .

وكانت تلك آراء جمال الدين فى الحكم الدستورى والحكومة الدستورية ، وشعر الشاه أن جمال الدين الأفغانى يريد أن ينزع منه الملك ويعطيه للسوقة والفلاحين .

وبعد أن شعر جمال الدين بتغيير حال الشاه ، كما شعر فى المرة الأولى قبل مغادرة طهران إلى روسيا .

١ - د . رحاب خضر عكاوى : جمال الدين حكم الشرق ص ٦٣ .

٢ - محمد عثمان صدقى : سيد جمال الدين أفغانى ببشواى انقلاب شرق ص ١١٤ .

٣ - د . رحاب خضر عكاوى : جمال الدين الأفغانى ، ص ٦٤ .

صدى حركة الجامعة الإسلامية في إيران وتأثيرها على الأدب :

وجدت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية استجابة وصدى بين العديد من المفكرين والأدباء ، وقد كتب بعضهم مسانداً لهذه الحركة ، وسوف نذكر أهم هؤلاء الذين ساندوا الحركة الإسلامية :

ميرزا آقا خان الكرمانى (١)

هو ميرزا عبد الحسين المعروف بميرزا آقا خان ابن ميرزا عبد الرحيم البردسبى ، ولد فى عام ١٢٧٠ هـ . ق فى كرمان ، أنهى دراسته التمهيدية فى كرمان ، وتعلم العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفة الدينية ، واستفاد استفادة كاملة من علوم الصرف والنحو والحساب والمنطق والفلك ، وكان يتقن اللغة التركية جيداً كما تعلم أيضاً الإنجليزية والفرنسية . سافر فى عام ١٣٠٢ هـ . ق إلى أصفهان وظل فترة فى خدمة الأمير ظل السلطان مسعود ميرزا ولما لم يُفضل الحياة مع الأمير ومراقبته إنجبه إلى طهران ، وبعد فترة سافر إلى اسطنبول بمرافقة الشيخ أحمد روحى الكرمانى ، وانشغل بالعمل فى إدارة (صحيفة اختر) (النجم) وقد ألتقى به فى اسطنبول السيد جمال الدين الأسد آبادى ، وقد أرغم ميرزا آقاخان الكرمانى على ترك اسطنبول بسبب اشتراكه فى مظاهرات الأمانة التى حدثت فى عام ١٣١٢ فى تركيا العثمانية ، وتم احضاره إلى تبريز مع ميرزا حسن خان خبير الملك رئيس القنصلية الإيرانية والشيخ أحمد روحى من (طرابزان) وتم قتلهم بأمر من محمد على ميرزا فى عام ١٣١٤ ، ومن مؤلفات ميرزا آقاخان الكرمانى الخطب والكتاب التى قد نظمها فى صورة رواية وأشعار وتاريخ نشرى مُسمى بـ (المرأة السكندرية) وتاريخ آخر ولكن شعرى باسم (نامه باستان) (الكتاب القديم) حيث قام المرحوم ميرزا بها نكيرخان بتصحيح نسخته .

كان ميرزا آقا خان الكرمانى يؤمن باتحاد الدول الإسلامية ويطالب بتطبيق الدستور الإسلامى ويرى إمكانية اقتلاع جذور الظلم والاستبداد عن طريق القوانين الإسلامية فقط وإمكانية القضاء على العادات الملكية الظالة بتطبيق قوانين الشريعة الإسلامية .

خبير الملك / حسن (٢)

أحد التحرريين قبل حكومة إيران النيابية والذى أستشهد بسبب إفشائه لأسرار البلاط وظلم واستبداد السلطة الحاكمة وقت سلطنة مظفر الدين شاه ولى عهد محمد على ميرزا فى ١٧ صفر ١٣١٤ ق فى تبريز ، وذلك مع الشيخ أحمد روحى وميرزا آقاخان الكرمانى والبض يلقبه بـ خبير السلطنة .

١ - لغت نامه دهخدا : المجلد رقم : ٤٦ ص ٢٨٣ .

٢ - المرجع السابق : المجلد رقم ٢٠ ص ٢٦٩ .

ميرزا رضا الكرماني^(١)

الذي قتله ناصر الدين شاه في يوم الجمعة السابع عشر من ذي القعدة عام ١٣١٣ ق في حرم حضرة عبد العظيم ، وذلك بضربه ست ضربات بالماسورة فوق رأسه ، وهو ابن ملا حسين العقدي ومن مؤيدي السيد جمال الدين الأفغاني المتعصبين وهو من أهل كرمان واشتغل في طهران ببيع الخردوات وتم حبسه عدة سنوات بتهمة تكذيب البهائية في السجون ، وتم شرح تفاصيل أحواله والأسباب التي دفعته لقتل ناصر الدين شاه ضمن بحث كتبه هو والمرافقين له حيث تم طبعها جميعا في الصحيفة الأسبوعية (صورا اسرائيل) من العدد التاسع بتاريخ ٢٨ جمادى الآخر ١٣٢٥ ق وحتى العدد السابع عشر بتاريخ ٢٤ شوال من نفس العام .

وتم تنفيذ حكم الإعدام فيه بعد شهرين وبضع أيام منذ جلوس مظفر الدين شاه على عرش السلطنة في صباح يوم الخميس الثاني من ربيع الأول عام ١٣١٤ ق في ميدان مشق بطهران ، وام يُعقد أى مجلس للفراء وتم فقط إعداد ليلة الأربعاء وذكراه السنوية عن طريق حاجي الشيخ هادي نجم آهاري مع اثنين أو ثلاثة أشخاص في السر ، وكان لميرزا رضا ولد باسم تقى .

الشيخ الرئيس / قاجار أبو الحسن ميرزا^(٢) المتخلص باسم حيرت

وهو ابن الأمير محمد تقى ميرزا حمام السلطنة وحفيد فتحعليشاه ، ولادته كانت في تبريز عام ١٢٦٤ هـ . ق وفاته ١٣٣٦ هـ . ق ، ظل مشغولا عدة سنوات في دراسة العلوم المتداولة في عصره وأصبح في عداد علماء العصر وكانت له دراية تامة بالشعر والنثر الفارسي ، نُشر ديوانه في بمباي وقد كان من اللبراليين المهررين ، وتم حبسه في حديقة الملك بعد قصف المجلس بالقنابل (عصر محمد عليشاه) .

الشيخ أحمد روجي الكرماني (١٢٦٣ - ١٣١٤ هـ ق)^(٣)

من مشاهير فرقة الأزلية وصهر ميرزا يحيى نوري الشهير بصبح الأزل ومترجم كتاب حاجي بابا من الإنجليز إلى الفارسية و (جيل بلاس) من الفرنسية إلى الفارسية ، ومن مؤلفاته الهامة (هشت بهشت) وهو كتاب مبسط ومفصل في شرح عقائد أتباع فرقة الأزلية وموقفهم من الفرق البهائية ورفض الطريقة البهائية وأسباب ودوافع اقتراق البهائية والأزلية والبهائية وفلسفتها ، وعلاوة على البحوث المذهبية والفلسفية فهدر يشتمل أيضا على معلومات هامة من تاريخ أحداث الفترة البهائية الأولى وتراجم أحوال « براون »

١ - لغت نامه دهخدا : المجلد رقم : ٢٦ ص ٤٨٤ .

٢ - المرجع السابق : المجلد رقم ٣١ ص ١٥٣

٣ - المرجع السابق : المجلد رقم ٢٦ ص ١٠٦ .

المستشرق الإنجليزى المعروف . أما بخصوص الكتب العديدة القيمة التى قام بتأليفها والخاصة بتاريخ البابية وتعاليمهم وعقائدهم ومجادلات ومناقضات فرق هذه الطائفة المختلفة مع بعضهم البعض ومن بينها ترجمة (سياح) مع حواشى كثيرة مبسطة وترجمة تاريخ جديد) تأليف ميرزا حسين الهمدانى مع شرح وحواشى مفصلة ومفيدة جداً و « مواد تحقيق در مذهب بابية » ومقالات أخرى متنوعة والتى نشرت فى مجلات المجلية مختلفة، وتوجد نسخة نفيسة جداً من كتاب هشت بهشت فى مكتبة ادوارد براون والتى كتبت على نفس منوال النسخة الأصلية بخط المؤلف وفى حياته ونحت عنايته ، حيث تم نقلها بعد وفاته مع سائر محتويات مكتبته الشهيرة طبقاً لوصيته إلى مكتبة دار الفنون كميريدج من إنجلترا والتى كان المرحوم براون مدرسا فيها . كان الشيخ أحمد روحى صاحب الترجمة رجلاً فاضلاً ومطعماً وفناناً حساساً وكان متذوقاً للشر ، (روحى) كان هو تخلصه الشعري ، وعن طريق مطالعة ترجمة حاجي بابا بالفارسية السهلة العذبة والتى قام بها هو والإنجليزية مع التوضيح والحواشى بالإنجليزية فى عام ١٩٠٥م والتى قام بها (ميجور فيلوت) فى كلكتا بتضع لنا أن الشيخ أمد روحى الكرمانى علاوة على صفاته الأخرى فقد كان أيضاً كاتباً متمكناً من اللغة الفارسية، ولد فى عام ١٢٧٢ فى مدينة كرمان وأتم دراسته الأولى من علوم عربية وفقه وأصول وحديث فى نفس المدينة عند والده أخوند ملا محمد الكرمانى الذى كان من علماء كرمان ، ثم سافر إلى أصفهان وطهران ورشت فى عام ١٣٠٢ هـ ق مع ميرزا آقاخان الكرمانى الذى كان هو أيضاً من مشاهير فرقة الأزلية فى عصره ومنها اتجه فى حوالى ١٣٠٥ ق إلى اسطنبول واستقر أخيراً فى هذه المدينة وتعلم فيها اللغة الإنجليزية والفرنسية والتركية العثمانية ، وترجم بمعاونة ميرزا حبيب الأصفهانى الفاضل والشاعر المعروف عدة كتب من الإنجليزية والفرنسية والتى من بينها كما ذكرنا (حاجي بابا) و (چيل بلاس) وذلك باللغة الفارسية السلسة ، وبعد اقامته فترة فى اسطنبول اتجه لأداء فريضة الحج وفى عودته أقام فترة فى حلب ومن هناك عاد ثانية لزبارة ميرزا آقاخان الكرمانى فى اسطنبول ، وفى إحدى هذه السفريات تزوج كل من الشيخ أحمد روحى وميرزا آقا خان الكرمانى من ابنتى ميرزا يحيى نووى المعروف بصبح الأزل وأصبحا اصطلاح اليوم (عدايل) وبعد عودة الشيخ أحمد روحى هذه المرة تعرف هناك لأول مرة على (فى اسطنبول) حاجى ميرزا حسن خان خبير الملك وأصبح الثلاثة نتيجة لاشتراكهم فى الملك من الأنصار المخلصين للسيد جمال الدين الأفغانى الذى جاء فى ذلك الوقت (عام ١٣٠٩ أو ١٣١٠ ق) إلى اسطنبول تلبية لدعوة السلطان عبد الحميد وأقام هناك .

وبدأوا فى مناصرتهم ومرافقتهم بالدعوة وإرسال الرسائل إلى الضواحي فى إيران والعراق العربية وإثارة رؤساء الشيعة الدينيين ضد ناصر الدين شاه وميرزا على اصغر خان أمين السلطان والحكومة الإيرانية الظالمة التى تأسست على الظلم والفساد والتحكم فى العباد ،

واضطرب زعماء الحكومة الإيرانية من هذه الحركات وطلبوا من البلاط العثماني القبض على هؤلاء الثلاثة بواسطة علاء الملك السفير الإيراني في اسطنبول ، وتظاهر علاء الملك بأنه قبض على الثلاثة في مظاهرات الأمانة التي حدثت العام السابق فاصدر السلطان فرمانا بنفى الثلاثة من اسطنبول إلى طرابزان ، وتم حبسهم هناك ، وعندما قتل ناصر الدين شاه على يد ميرزا رضا الكرمانى في أواخر نفس العام أى ١٣١٣ هـ . ق زاد الشك حولهم بسبب انتشار كتاباتهم في إيران ، ودفعت الحكومة الإيرانية شكوى رسمية إلى الباب العالي عن طريق السفير المذكور وأتهمهم بقتل ناصر الدين شاه ، وطلبوا من الباب العالي تسليمهم إلى الحكومة الإيرانية ، لهذا قامت السلطات العثمانية باخراجهم من السجن في طرابزان لتسلمهم من على الحدود وأحضرهم إلى تبريز وأخيرا تم قطع رقابهم بأمر من محمد علي ميرزا الذي تم تنصيبه مؤخراً ولياً للعهد في تلك الأيام ، وقبرهم في مدفن حي (شعلان)

لم يشر صاحب تاريخ بيدارى ايرانيان إلى ازليته ويقول : " إن هؤلاء الثلاثة أى الشيخ أحمد روحى وميرزا آقاخان الكرمانى وحاجى ميرزا حسن خبير الملك كانوا قد نهضوا مؤيدين للسيد جمال الدين الأسد آهادى في دعوته إلى الوحدة الإسلامية " (١).

جمال الدين في الهند :

كان لمسلمي الهند دور بارز في حركة الجامعة الإسلامية ، أما علاقتهم بدولة الخلافة العثمانية فترجع إلى العهد التي كان فيها سلاطينهم يستعينون بالعثمانيين ضد الغزو الخارجي . ففي عام ١١٩١هـ / ١٧٧٧م استعان السلطان (راجا) سلطان ملبار في الهند بالسلطان العثماني عبد الحميد الأول من تزايد الخطر البريطاني كما استعانت السلطنة (بيبي) في عام ١١٩٤هـ / ١٧٨٠م بالدولة العثمانية ضد أعدائها ، وعادت الاتصال في عام ١٧٨٤م ، فكتب السلطان العثماني إلى والي بغداد يطلب إليه أن يسعفها بنجدة من عنده (١) .

فمع أن دولة المغوليين في الهند كانت هي دولة الخلافة المهيمنة على السلطة ، ومع أن خلفاء بني عثمان قد سلموا لحكم السلطان (تيبو) إلا أن إسم الخليفة العثماني كان يذكر باستمرار في الخطب وعلى منابر المساجد ، وهكذا فقد أدى الوازع الديني والرباط الإسلامي إلى أن يهتم مسلمو شبه القارة الهندية بأمر الدولة العثمانية ، وقد ظهرت عاطفة الوحدة الإسلامية في شبه القارة الهندية مع نهاية القرن التاسع عشر . في تلك الأثناء كان السلطان العثماني عبد الحميد يقوم بإرسال ممثلين عنه إلى جميع الدول الإسلامية ومنها الهند ، وكان يدعوهم إلى فكرة الجامعة الإسلامية ، واختياره لمنصب الخلافة وإقامة جسر التعارف بينهم ، وكان الهدف من هذه الدعوة هو اتحاد دول الشرق الأوسط والأدنى في مقابل العداء الصليبي ، وعن طريق هذا الاتحاد يتم المحافظة على الإسلام والحضارة الإسلامية ، وكان هذا من منطلق الدعوة التي حمل لواها جمال الدين الأفغاني حيث كان يدعو إلى إقامة اتحاد إسلامي يشمل المناطق التي فيها المسلمين أكثرية مثل الشمال العربي لشبه القارة الهندية وأفغانستان والجمهوريات الاشتراكية في آسيا الوسطى ، ولقد كان الأفغاني يرى أن أي قطر إسلامي لا يستطيع أن يجابه أي قوى أوروبية بمفرده ولهذا يجب أن تتحد جميع الدول تحت قيادة واحدة .

وكانت الهند مهياة لقبول حركة الوحدة الإسلامية وذلك نظراً لأن هذه الفكرة كانت موجودة بين مسلمي الهند منذ حرب التحرير عام ١٨٥٧م وخاصة أن شاه ولي الدين الدهلوي كان من أشد المناصرين لفكرة الخلافة ، وقد ذكر هذه الفكرة في كتابه (تفهيمات الية) لهذا عندما قامت الحرب بين الدولة العثمانية وبريطانيا انحاز مسلمي الهند إلى جانب الدولة العثمانية دولة الخلافة (٢) .

واعتبر شاه محمد اسحاق حفيد شاه ولي الدين مساندة تركيا في الحرب أمراً ضرورياً ، ولهذا هاجر إلى الحجاز واعتبرها مركزاً لنشر فكرته أي مساندة الدولة العثمانية دولة الخلافة الإسلامية في حربها ضد بريطانيا .

١ - أحمد فهد بركات الشوايكة : حركة الجامعة الإسلامية ص ٢٨١ .

٢ - بحريك آزادي اردوكا حصه : معين الدين عصل المجرن ترقى اردو كراچی العت اول ١٩٧٦م ص

وهكذا فإن حركة شاه ولي الدين الدهلوى قد ساهمت فى إيقاظ الوعى الدينى عند مسلمى الهند وحشهم على مساندة دولة الخلافة الإسلامية ^(١) .

كان الرحيل إلى بلاد الهند فى تلك الفترة (أى فى بداية القرن التاسع عشر) أمراً عسيراً نظراً لوعورة الطرق الجبلية ركوباً على ظهور البغال والأبل ولكن الذى دفع جمال الدين الأفغانى إلى تحمل هذه المشاق وحمل عصا الترحال إلى الهند حيث التعليم ، فأقام جمال الدين فى بلاد الهند سنة وبضعة أشهر ينظر فى بعض العلوم الرياضية على الطريقة الأوروبية الحديثة ^(٢) ، وكانت هذه هى الرحلة الأولى للسيد جمال الدين لبلاد الهند، أما الرحلة الثانية التى ذهب فيها جمال الدين إلى بلاد الهند فكانت بعد خروجه من مصر .

حين وصل السيد جمال الدين إلى بلاد الهند ، توقف فى حيدر آباد وكتب (رسالة نيچريه « الطبيعة ») باللغة الفارسية رداً على الدهرية وهاجم فيها نظرية دارون التى كانت شائعة فى بلاد الهند .

ودلل على أن الدين هو عامل استقرار المجتمع وقوة الشعب ، وكانت المحازات السيد فى الهند هى كتاباته التى نشرت فى جريدة (معلم شفيق) فى حيدر آباد فى الفترة من ديسمبر ١٨٨٠ حتى أكتوبر ١٨٨١ فى عشرة أعداد وتضمنت المقالات التالية : « فائدة الصحف ، التدريس والمعارف ، أسباب السعادة وشقاء البشر ، الفلسفة والوحدة الوطنية ، الحقيقة حول وحدة اللغة ، مقالات الجمالية والرد على الدهرية » قام بترجمتها السيد عبد الغفر شهابز إلى الأردية ، وطبعت فى كلكته عام ١٨٨٤ ، هذه المقالات مجموعة فى كتاب ، ويشتمل هذا الكتاب علاوة على المقالات السابقة على مقالات أخرى بعنوان التفسير المفسر والخطابة التى ألقاها جمال الدين فى نوفمبر عام ١٨٨٢ فى قاعة (ألبرت هول) فى كلكته .

وكانت هناك ثلاثة مقالات أخرى من أبواب رسالة الرد على الدهرية كتبت معظمها باللغة الفارسية ، والتى ضمنها خطبة التعليم والتعلم فى كلكته عام ١٨٨٢ ركزت معظمها على وحدة الهند واتحاد الإسلام .

وقال جمال الدين تكراراً أن الدين نسيج اجتماعى محكم وهو جيد من أجل الناس وأن الدهرية مثلها مثل غيرها من الجماعات ، هى سبب الخلافات والنزاعات وتقود المجتمع إلى الفساد السياسى ، هناك ثلاث صفات فى الدين وهى « الحياء ، الثقة ، والصدق » تلك الصفات هى التى تقود البشر إلى الفضائل الاجتماعية ^(٣) ، كما قلت من قبل فإن

١ - المرجع السابق ص ٣٤٠ .

٢ - رحاب خضر عكاوى : جمال الدين الأفغانى ، ص ١٧ .

٣ - محمد عثمان صدقى : سيد جمال الدين أفغانى پیشواى انقلاب شرق ، ص ٦٩ .

إقامة جمال الدين في هذه السفرة قد استمرت لمدة عامين ، إلا أنه قد سافر إلى الهند مرات عديدة أولها في بداية حياته كما سبق ذكره .

ولقد كانت هناك رغبة شديدة عند جمال الدين في الذهاب إلى الهند والإقامة في ربوعها للتعرف عن قرب على فلسفاتها ، ومخالطة رجالها ، لذلك عمل على مراسلة أحد أصدقائه ، وكان من تجار الأفغان حتى ينزل عليه ضيفاً في الهند ، ولكن الإنجليز كانوا يراقبون الموقف ، فحين وصل إلى الأراضي الهندية قابلته الحكومة الهندية بالحفاوة والإجلال على غير ماتوقع ، فليس له أدنى صفة رسمية تستلزم هذا اللقاء خاصة أنه لم ير بين المرحبين صديقه التاجر الأفغانى ، وبالطبع لم تسمح له بالإقامة الطويلة على أراضي الهند ، وأعدت له الحكومة مكاناً ينزل فيه وسأل مندوب الحكومة الهندية جمال الدين : ما هي الفترة التي تريد أن تقيم فيها في الهند ؟ فأجاب السيد جمال الدين : ليس أكثر من شهرين .

وحين علم أهل الهند بقدم جمال الدين حتى توافقوا عليه بسألونه فيجيب وازداد عدد المترددين على جمال الدين حتى زلزلت ربوع الهند لهذه اللقاءات ، وأسرع الأكابر والأمراء والعلماء والحكماء للقاء جمال الدين فامتلات ساحات المدن ودب الهرج والمرج ، وكان من بين الزائرين من لم يكن باستطاعة الحكومة الهندية منعه من لقاء الأفغانى ولم يكن في استطاعتها أيضاً أن تراقب كل المترددين على الأفغانى ولم يكن باستطاعتها أن تظهر اللامبالاة تجاه ما يجرى عند أبواب هذا الرجل ، فلقد كانت الحكومة الهندية تخشى أن تؤثر آراء هذا المصلح في نفوس رجال الهند وعلمائها ، فأرست الحكومة الهندية من أبلغه أن حالة البلاد لا تساعد على بقائكم أكثر ما مكثت ، ففضب الحاضرون وعلت وجوههم سمات الغضب وأراد بعضهم الاحتجاج على هذا الطلب لولا أن أشار جمال الدين للحاضرين بأن يسكتوا) .

وقال الأفغانى : " ما أتيت إلى الهند لأخيف حكومة بريطانيا العظمى ولا أنا على استعداد اليوم لإحداث شغب ولا لأنتقد من أعمالها ، ولكن تخوفها من زائر اعزل مثلى ومصادرتها لزائرين هم أضعف منى يسجل على حكومة بريطانيا وهن عزيمتها وقلة عدلها وعدم أمنها من حكمها وإنها في حقيقة حكمها لهذه الأقطار الشاسعة الواسعة أضعف بكثير من شعوبها " .

ثم وجه جمال الدين كلامه إلى زواره فقال : " يا أهل الهند وعزة الحق وسر العدل لو كنتم وأنتم تعدون بمئات من الملايين ذهاباً مع حاميتكم البريطانيين ومن استخدمهم من ابنائكم فحملتهم سلاحها لقتل استقلالكم واستنفاد ثرواتكم وهم بمجموعهم لا يتجاوزون عشرات الألوف ، لو كنتم أنتم مئات الملايين كما قلت باباً لكان طنينكم يصم آذان

بريطانيا العظمى ويجعل فى آذان كبيرهم المستر (غلادستون)^(١) وقرأ ، لو كنتم أنتم
مئات الملايين من الهنود وقد مسخكم الله فجعل منكم سلحفاة وخضم البحر وأحطتم
بجزيرة بريطانيا العظمى لجررتموها إلى القعر وعدتم إلى هندكم أحرارا^(٢) فأخذ الحاضرون
فى البكاء ، فقال : " اعلموا أن البكاء للنساء والسلطان محمرد الغزنوى ما أتى الهند
باكيا بل أتى شاكى السلاح ، ولا حياة لقوم لا يستقبلون الموت فى سبيل الاتقلال بشفر
باسم " .

وفى صباح اليوم التالى اركبته الحكومة الهندية إحدى بواخرها المتجهة إلى
السويس^(٣) .

صدى حركة الوحدة الإسلامية فى الأدب الإسلامى فى الهند :

أدت الممارسات البريطانية تجاه مسلمى الهند إلى ظهور العديد من العلماء والمصلحين
الداعين إلى تقوية العقيدة فى قلوب المسلمين وحشهم على التمسك بشعائره وقوانينه ،
وأهمية الوحدة والتكاتف للوقوف أمام محاولات الإبادة الموجهة ضدهم .
ولقد أهتم الأدباء فى شبه القارة الهندية بفكرة الوحدة الإسلامية التى طالما نادوا بها
فى مؤلفاتهم وأشعارهم لهذا كان لهذه الفكرة صدى طيب لديهم .

فكان السيد أحمد خان حتى ذلك الوقت من أشد المعجبين والمتحمسين لفكرة الوحدة
الإسلامية ، ولهذا أظهر أسفه على عشرات تركيا وكان قلقا للغاية عندما تم عزل السلطان
عبد العزيز ثم بادر بتقديم التهنئة لخليفته أى السلطان عبد الحميد عام ١٨٧٠م ، وذلك
فى مقال نشره فى جريدته (تهذيب الاخلاق) واعتبر عبد الحميد حامى الخلافة كما قام
بمدح الأعمال والاصلاحات التى قامت بها تركيا وطالب الهنود باقتفاء أثر الاصلاحات
التي تقوم بها الدولة العثمانية . وقد التقت أفكار السيد أحمد خان مع ما نادى به جمال
الدين الأفغانى فى فكرة الاتحاد الإسلامى (الجامعة الإسلامية) وكان يرى أن السلطان
العثمانى يجب أن يكون خليفة لكل المسلمين^(٤) .

وقد دعى سيد أحمد إلى وحدة كافة القوى الإسلامية أمام عدوان الهندوس المدعم من
قبل سلطات بريطانيا ، وخاض فى سبيل ذلك سلسلة من المعارك الناجحة ضدهم مما خفف

١ - ولیم غلادستون (١٨٠٩-١٨٩٨) سياسى انكليزى وزعيم حزب الأحرار ، واضع نظام التبادل
الحر ، تولى رئاسة الوزارة أكثر من مرة .

٢ - قدرى قلعجى : جمال الدين الأفغانى حكيم الشرق ، ص ٣٠ .

٣ - المرجع السابق ص ٣٠ .

٤ - أحمد أمين : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، ص ١٣٣ .

كثيراً من الضغط على المسلمين حتى كانت وفاته عام ١٨٣٠م بعد أن أنعش نفوس المسلمين وأيقظ روح الجامعة الإسلامية بينهم^(١).

وبعد شبلى النعمانى ١٩١٤م من أدباء الهند وشعرائها الذين كانوا من أشد المدافعين عن فكرة الوحدة الإسلامية ومن بعدها فكرة الخلافة ولهذا كان يرى أن على المسلمين فى شبه القارة الهندية أن يربطوا حياتهم السياسية بموضوع خلافة السلطان عبد الحميد ، وقد كتب عدة موضوعات فى هذا الصدد ، وعندما قام برحلته إلى تركيا والشام ومصر شاهد البلدان الإسلامية عن كثب وألقى بالشيخ محمد عبده الذى كان من خاصة تلاميذ جمال الدين الأفغانى ، كان من أشد المؤيدين للحركات العربية ضد الإنجليز وفى كتابه سفر نامه أظهر حبه للخليفة العثمانى وللسياسة التركية ، كما أبدى ألمه الشديد لمصائبهم فى العديد من قصائده^(٢).

وكان وقار الملك من الداعين إلى فكرة الوحدة الإسلامية والاتحاد الإسلامى ، وكذلك أحد نواب محسن الملك الذى أبدى حساساً لسياسة تركيا وقام بمساعدة شبلى وأبو الكلام آزاد فى جمع التبرعات لبناء الجامعة الإسلامية .

وبعد (مولوى چراغ على) من المدافعين عن فكرة الوحدة الإسلامية رغم كونه من الشيعة فإنه فضل تركيا على إيران فى الناحية السياسية ودافع عن تركيا فى مسألة أرمينيا^(٣).

وفى هذا الجمر ظهر المصلح الإسلامى الهندى مولانا أبو الكلام آزاد (١٨٨٨ - ١٩٥٨) وكان له من الثقافة الإسلامية التى هبأها له والده مولانا خير الدين والثقافة العصرية التى أكتسبها بمطالعته الخاصة ومواصلته الرحلة والسفر وخاصة إلى عاصمة الخلافة العثمانية استانبول والحجاز ومصر والتقاءه فى الأخيرة بالعلماء والمصلحين من أمثال جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ورشيد رضا ، كل ذلك مكن أبو الكلام آزاد من بلورة برنامج إصلاحى متكامل قادر على مواجهة المشاكل الخطيرة التى كانت تواجه المسلمين فى الهند ، وأقام برنامجه على الأسس التالية :

١ - دعا قومه إلى زيادة تمسكهم بالإسلام والتعرف عليه من مصادره الأصلية بعيداً عن الأساطير والمخرافات والاجتهادات الشاذة .

٢ - عارض فكرة فصل الدين عن الحياة العامة ، وهى فكرة أنتشرت بين كثير من المسلمين فى الهند مؤداها أن لا دخل للدين بالسياسة ولاداعى أن ينشغل المسلمون

١ - أحمد فهد بركات الشوابكة : حركة الجامعة الإسلامية ص ٢٨٢ .

٢ - تحريك آزادى ص ٣٤١ .

٣ - تحريك آزادى اردوكا حصه : المرجع السابق ص ٣٤٢ .

بالقضايا السياسية وعليهم الإنصراف إلى عبادتهم الخاصة ، رأى أبو الكلام فى هذا المفهوم الخاطئ ، للدين خطراً يهدد بانزواء المسلمين وانصرافهم عن الاشتغال بالشئون العامة وابعادهم عن المشاركة فى قضايا مواطنيهم السياسية التى سبقتهم فيها غيرهم من الهندوس وعندها يكون المسلمون تبعاً لهم فى كل شئ .

٣ - لم يقف أبو الكلام آزاد عند حد النظريات بل كان ينقل ما يؤمن به إلى حيز التطبيق العملى ، فدعا قومه المسلمين كي يعملوا جنباً إلى جنب مع مواطنيهم الهندوس فى جبهة واحدة ضد الانجليز ، بعد أن كان كل فريق منهم يعمل بطريقة الخاصة ، وانخرط هو نفسه فى منظمات الهندوس الثورية وتنظيماتهم السياسية وأشرك معه فى ذلك العديد من الشبان المسلمين كي لا ينفرد الهندوس فى العمل ضد الاحتلال البريطانى . وتوجه إلى أكبر تنظيم سياسى هندى وهو حزب المؤتمر الهندى فدخل فى عضويته وأدخل معه الكثير من الزعماء المسلمين . ولم يكن فيه مجرد عضو عادى ، بل سرعان ما لفت إليه الأنظار ربما كان يبدئه من نشاط جم وأراء حكيمة صائبة ، أهلتة إلى تولى رئاسة الحزب طيلة عشر سنوات متتالية (١٩٤٠ - ١٩٥٠) هى أكثر مراحل الكفاح الهندى ضد الاستعمار البريطانى صعوبة وتعقيداً .

٤ - وقف بحزم أمام فكرة تقسيم الهند بين المسلمين والهندوس ، وعمل جاهداً فى سبيل عدم إلحاحها ، وكان يرى فى هذه الفكرة إضعافاً لحركة المقاومة الهندية ضد الانجليز من ناحية وإضعافاً للمسلمين أنفسهم لتوزعهم بين دولتين إسلامية وهندوسية مما يفقدهم الكثير من عناصر قوتهم نتيجة هذا الانقسام .

٥ - لم تقف جهود أبو الكلام آزاد عند حدود وطنه الهندى ، بل تعداه إلى بقية أجزاء العالم الإسلامى ، ووقف من كافة القضايا الإسلامية موقف المناصرة والتأييد . ولما كانت الدولة العثمانية فى ذلك الوقت بمثابة الزعامة للعالم الإسلامى وموطن الخلافة الإسلامية ، فكان طبيعياً أن تتوجه إليها أنظار مسلمى الهند عامة ، وأن تنال قضاياها اهتمام أبى الكلام آزاد ونشاطه الصحفى ، فيجعل من صحيفته « الهلال » و « البلاغ » منبراً لإثارة مسلمى الهند وتعبئتهم للنهوض فى مساعدة دولة الخلافة وتقديم العون المادى والمعنوى لها فى صراعها مع دول أوروبا عامة وبريطانيا خاصة .

وكتب فى جريدته « الهلال » فى ١٦ نوفمبر ١٩١٢م يقول : " إن كل مسلم أينما كان فى رقعة الأرض ، إذا كان من أهم واجباته أن يعمل على بقاء الإسلام ، فإنه من فرائضه الدينية أيضاً أن يحافظ على مكانة الخلافة العثمانية فى قلبه ، وأن يعد الدولة التى تعتدى عليها من أعداء الإسلام ، والدولة التى قيل إليها من أصدقاء الإسلام ، لأن صداقة المسلمين أرعداوتهم ينهى ألا تكون لغرض شخصى بل للدين الحنيف فحسب " .

ودعا لمشاركة الدولة العثمانية في جهادها ضد أعدائها بالمال والنفس ، مؤكدا أنه لا يصح إسلام بغير جهاد ، فهما عنصر واحد ولا يصح الفصل بينهما ، وأنه إذا دخلت شركة في ظهر رجل تركي في ميدان المعركة « فأقسم أنه لا يمكن أن يكون مسلما من لم يحس أثر هذه الشوكة في قلبه من مسلمي الهند ، لأن المسلمين جسم واحد متكامل ، والمسلم أينما كان فهو من أعضاء هذا الجسم ومفاصله » .

وقد أنكر أبو الكلام آزاد على بعض المفكرين العرب دعوتهم إلى اللامركزية في علاقتهم بالدولة العثمانية . ورأى في هذه السياسة تمزيقا لاشلاء الدولة العثمانية وأضعافا للمجموع بتفريق أجزائه حتى يسهل على الأعداء ابتلاع بقية أجزاء العالم الإسلامي . كما أنكر ما رده بعض هؤلاء المفكرين من عدم أحقية العثمانيين للخلافة باشتراطهم النسب القرشي لها ، وكتب في هذا الباب رسالة خاصة بعنوان « الخلافة » رد فيه على هؤلاء المفكرين وأكد أن العثمانيين أهل لها بما لهم من ماض جهادي طويل في خدمة الإسلام ونشره والدفاع عن أوطانه (١) .

ولقد لعب السيد أمير على الزعيم الهندي المسلم دوراً بارزاً في مجال العمل السياسي ، فهو إلى جانب إيمانه بدور التربية والتثقيف في إصلاح أحوال المسلمين في الهند نادى بضرورة تحديد أهداف المسلمين السياسية ووضع البرامج والمخطط لتنفيذها ، فأسس عام ١٨٧١م « الجمعية الوطنية الإسلامية » للدفاع عن صفوف المسلمين وتحديد الوضع السياسي لهم ، نشطت سياسة أمير على في مناصرة الدولة العثمانية حيث رأى فيها دولة الخلافة الإسلامية التي لها وحدها حق الزعامة على كافة المسلمين كما أنها سندهم الوحيد في مواجهة أي غزو أجنبي على ديارهم (٢) .

وكانت فكرة الاتحاد الإسلامي من الأفكار الأثيرة لدى مولانا محمد علي وكانوا يعتبرون تركيا بمثابة الوطن لهم وللمسلمين والقومية الهندية جزء من الأمة ولهذا قام بنشر هذه لفكرة وساعد فيها أخوه شوكت علي والتقى بمولانا عبد الباقى عام ١٩١٣م وأسسوا جمعية خدام الكعبة ، وكان هدفها انقاذ الأماكن المقدسة في مكة والمدينة وبيت المقدس من أيدي غير المسلمين (٣) .

١ - أنظر في ذلك : أحمد فهد بركات الشوابكة ص ٢٨٨ .

٢ - أحمد فهد بركات الشوابكة : حركة الجامعة الإسلامية ص ٢٨٤ .

٣ - تحريك آزادي اردو كا حصه : المرجع السابق ص ٣٤٢ .

جمال الدين و تركيا :

كان جمال الدين الأفغانى يرى فى استانبول (الاستانة) قصر الخلافة الإسلامية والسلطان العثمانى خليفة المسلمين هما اللذان يستطيعان أن يوحدوا المسلمين ، ويعيدا للإسلام سيرته الأولى . لذا كان من اللازم على جمال الدين الأفغانى لكى يستطيع نشر فكرته (فكرة الجامعة الإسلامية) أن يتوجه إلى الاستانة .

كانت أول مرة يتوجه فيها جمال الدين الأفغانى إلى الاستانة كانت تحت حكم السلطان عبد العزيز خان ، لم تمض أيام على وصول جمال الدين إلى الاستانة حتى تمكن من مقابلة الصدر الأعظم على باشا الذى أنزله منه منزلة رفيعة وتقرب من الأفغانى الأمراء والوزراء ولم تمض ستة أشهر للأفغانى فى الاستانة حتى عين عضواً فى مجلس المعارف التركى وفى تلك الأثناء طلب مدير دار الفنون من جمال الدين خطاباً فى مجمله يشبه المعيشة الإنسانية وأن كل صناعة من الصناعات تمثل عضواً من أعضاء بدن الإنسان مشبه السلطان بالمخ الذى يمثل مركز الإدارة العقل وينتهى الخطاب ولكن حسن فهمى أفندى شيخ الإسلام فى تلك الفترة أخذ يشكك فى خطاب جمال الدين ويدعى أنه ملحد وأنه جعل النبوة صناعة من الصنائع ، ولكن الأفغانى لم بشر إلى هذا ونهض الأفغانى بدافع عن رأيه وطالب بمحاكمة شيخ الإسلام حسن فهمى أمتدت واشتدت وتيرة الخصام فى الاستانة بين مؤيد ورافض مما دعى الصدر الأعظم على باشا أن يصدر قراراً بترحيل جمال الدين ، وكان هذا القرار من على باشا خشية على حياته وحياة الأفغانى^(١).

وكانت المرة الثانية التى يزور فيها جمال الدين الأفغانى الاستانة كانت بناء على دعوة من السلطان عبد الحميد ، فكما مر لقد أخرج جمال الدين الأفغانى من طهران متوجه إلى لندن عن طريق البصرة ، وكان جمال الدين الأفغانى عقب خروجه من طهران قد هاجم ناصر الدين شاه فكتب فى العدد الثانى من مجلته الشهرية المسماة بضياء الخافقين ، وكان ذلك العدد فى آذار سنة ١٨٩٢ خطاباً إلى علماء وفقهاء إيران يدعوهم إلى خلع الشاه^(٢) ، كما وصف الشاه بالطاغية الذى طفق منذ تولى الملك يستلب حقوق العلماء تدريجياً ويخفض شأنهم ويقلل نفوذ كلمتهم حبا بالاستبداد بهاطل أمره ونواهيته ، وحرصاً على توسيع دائرة ظلمه ، وكانت نتيجة مقالات جمال الدين الأفغانى أن هاجت جماهير الشعب وجماعات العلماء والمفكرين وفتحت عيونهم على المظالم التى تعانيها البلاد^(٣).

١ - رحاب خضر عكاوى : جمال الدين الأفغانى حكيم الشرق ، ص ٣٢ .

٢ - تاريخ بيدارى ص ٦٣ .

٣ - قدرى قلجى : جمال الدين الأفغانى ، ص ٨٦ .

كانت دعوته السلطان العثماني لجمال الدين لزيارة الاستانة للمرة الثانية والمرة الاولى في عهد السلطان عبد الحميد انما كانت بسبب طلب الشاه الذي ارسل سفير بلاده الى السلطان العثماني عبد الحميد يطلب منه ان يأمر جمال الدين حظي بمقابلة السلطان فاستقبله أحسن استقبال وقرره السلطان منه وباحثه في شؤون الدولة وفي احوال المسلمين^(١).

السلطان عبد الحميد والجامعة الإسلامية :

كان عهد السلطان عبد الحميد بخلاف عهود من سبقه من سلاطين الدول العثمانية فكان الاسلام في عهد عبد الحميد يحتل مكانه كبيرة فكان عهده عودة الى الدين ، اذ يجرى بناء المزيد من المساجد واعطاء مكانة اوسع للاسلام في البرامج المدرسية وكان يلتفت حوله حشد من الوجهاء الدينيين من السادة والشيوخ والملاّات وكان يعتمد على الاواصر الدينية لكي ينسج علاقات مع الشعوب الإسلامية الأخرى ، ويرسل رسل إلى الجزائر ومصر والهند ، ويمنح اعانات للصحف الإسلامية لدعم عهدها الدعائي المؤيد للخلافة^(٢).

لذا فقد تلقف السلطان عبد الحميد فكرة الجامعة الإسلامية بعد أن هبأ لها الأذهان كل من نامق كمال على مستوى الترك وجمال الدين الأفغاني في نطاق العالمين العربي والإسلامي فأخذ السلطان على عاتقه تنفيذ الفكرة عملياً فلقد رأى السلطان عبد الحميد في الجامعة الإسلامية سياجاً يحمي الدولة من الأخطار التي كانت تحيط بها من كل جانب^(٣).

والواقع أن الفكرة التي نادى بها جمال الدين الأفغاني قد لاقت رواجاً في دول كثيرة مثل جاوا ، تونس ، شنغهاي ، رغم بعد المسافة بين هذه الدول حتى يمكننا القول أن هذه الفكرة قد انتشرت في جميع أرجاء العالم الإسلامي .

ولقد قام عبد الحميد الثاني بحمله دعائيه مكثفة للاسلام جعلت حكومات الدول الأوروبية ترتعد خوفاً من ظهور فوضى او اضطراب سياسي في البلاد الإسلامية الواقعة تحت سيطرتها .

ورغم مرور الدولة العثمانية بفترة انحطاط او تدهور في تلك الاثناء فان فكرة الاتحاد الاسلامي او الجامعة الاسلامية قد رفعت من شأن الدولة العثمانية عند المسلمين في المجالس والمحافل الأوروبية قبل ان تظهر الحركات القومية في العالم الاسلامي كانت

١ - المرجع السابق ص ٨٨ .

٢ - روبر مانتريان : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة بشير السباعي ج ٢ . ص ١٧٤ . بتصرف .

٣ - عبد العزيز مصطفى الشناوي : الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ج ٣ ص ١١٩٩ . بتصرف .

ايدولوجية الجامعة الاسلامية هي المهيمنة والمسيطرة في انحاء العالم الاسلامى . وكان السلطان عبد الحميد بصفته خليفة للمسلمين على رأس تلك الحركة وكان لهذه الحركة فلاسفتها ودعاتها الخاصين ويعتبر جمال الدين الافغانى الداعية الاكبر لهذه الحركة .

وكان السلطان عبد الحميد قد بنى على فكرة الجامعة الإسلامية آمالاً كبيراً لأن يشكل من المسلمين وحدة سياسية يضرب بها خصومه الإنجليز والروس^(١).

فحين أرتقى عبد الحميد العرش سنة ١٨٧٦ كانت الدولة على أبواب الحرب العثمانية الروسية ، وكانت الحكومة فى أهدى عصبة من الساسة يسعون لتجديدها على الطراز الحديث والنهج بها على المناهج السياسية الدستورية الغربية ، ولكن عبد الحميد بعد أن احكم قبضته على أزمة الأمور نقض كل هذا ، فألقى مجلس النواب وجعل نفسه السلطان المطلق ، ولما استوثق له الأمر شرع يقوم سياسته الخاصة التى نعا بها منذ أول الأمر منحى الجامعة الإسلامية ، لذا لجده قد تلرع بالخلافة لهلوع أغراض سياسية عظيمة ربما أنه سلطان الدولة العثمانية وخليفة المسلمين اجمعين ، أخذ يستصرخ الأمم الإسلامية فى كل رقعة من رقاع العالم الإسلامى لتمد يد العون إليه وتشد أزره بالالتفاف من حوله قاصداً بذلك قذف الرعب فى روع الدولة الغربية، لذا فقد تبنى السلطان عبد الحميد فكرة الجامعة الإسلامية كما اشرت من قبل ، لذا ظلت دعوة عبد الحميد للجامعة الإسلامية تسير سيراً متوالياً مدة تقرب ثلاثين سنة ، وقد استطاع عبد الحميد فى حمل أمراء المسلمين وقادتهم على الاعتراف بسلطته الروحانية فولوا وجوههم شطره وحسبوه قبلة آمال العالم الإسلامى لمبايعة الخليفة الأعظم أمير المؤمنين وحامى الإسلام ، واستطاع عبد الحميد أن ينشر الدعوة فى سبيل الجامعة الإسلامية الكبرى ويحيى الشعور بالوحدة العامة والتضامن المستمسك بعضه ببعض فى جميع الأمم الإسلامية وقد ساعد السلطان عبد الحميد فى نشر دعوته ما وضعه وبينه مما تكنه وتظهره الدول الغربية من أنواع العداء والمقت للمسلمين والتعامل عليهم^(٢).

وهكذا فان جامعة عبد الحميد الإسلامية تتألف بوجه خاص من تعبئة مسلمى الإمبراطورية حول كرة الخلافة وتوثيق الروابط مع الولايات العربية^(٣).

١ - عبد الكريم مشهدانى : العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية فى تركيا ، المكتبة الدولية، مكتبة الخافقين ، الرياض - دمشق ط ١ ١٩٨٣ ص ١٦٥ .

١ - انظر : أمير شكيب ارسلان : حاضر العالم الإسلامى (ترجمة عجاج نويهض) ج ١ ، ص ٣١٢ .

٢ - روبر مانتران : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة بشير السباعى ج ٢ ، ص ١٧٩ .

ومما لا شك فيه أن السلطان عبد الحميد كانت تساوره المخاوف والظنون من أن يتجه قادة العرب إلى إحياء الخلافة العربية في بلادهم ، حتى إنه أصدر أمراً بمنع نشر أى كتاب من كتب الكلام ، أو العقائد ، أو الحديث ، أو التفسير ، يرد فيه ذكر للخلافة (١) ، ولعل مخاوفه تلك كانت وراء فكرة تقريه للقادة والزعماء والعرب على نحو ما وضعنا سابقاً ، كما كانت دافعا أساسيا لتقوية مركزه إزاء تدخل الدول الكبرى لإحياء مشروع الجامعة العربية ، لذا نراه لا يقصر ولا يتوانى فى الدعوة لفكرة الجامعة الإسلامية لامية لتوحيد جميع المسلمين ، ومن ثم مواجهة خطر تلك الدول .

ومما ساعد السلطان عبد الحميد على نشر حركة الجامعة الإسلامية فى العالم الإسلامى صدور جريدة عربية فى باريس سنة ١٨٨٤م تلغو لهذه الحركة فلقد أصدر جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده جريدة العروة الوثقى فى باريس وتوزع العمل فيها بين ثلاثة أشخاص ، هم جمال الدين الأفغانى الذى كان يهتم بالأفكار والمبادئ والثانى الشيخ محمد عبده الذى كان يتولى شئون التحرير والصياغة والثالث ميرزا محمد باقر ، وكان يختص بتعريب ما ينشر عن الإسلام فى الصحف الأجنبية .

وكانت هذه الجريدة تدعو الناس إلى التمسك بالأصول التى كان عليها آباؤهم وأسلافهم ، بيان الواجبات التى ينبغى على كل فرد أن يؤديها وتوضيح الطرق التى يجب سلوكها لتدارك مافات ، الدفاع عن المسلمين وإبطال المزاعم التى تقول أن المسلمين لا يتقدمون فى المدنية ماداموا متمسكين بأصول دينهم (٢) ، وفى ضوء هذا تناولت جريدة العروة الوثقى موضوعات عدة مثل الجامعة الإسلامية والمسألة المصرية والسردانية ، والمسألة الهندية ، ورغم أن جريدة العروة الوثقى لم تستمر فى الظهور سوى ثمانية أشهر « من شهر آذار مارس ١٨٨٤ إلى تشرين أول - أكتوبر عام ١٨٨٤ » إلا أنها قد أخرجت ثمانية عشر عددا كان لها بصمات قوية فى نفوس الطبقة المستنيرة فى بلاد الشرق ، وأن الجريدة ماتت ولكن لم يمت أثرها (٣) .

ويمكن القول أن دعوة عبد الحميد لرجال بارزين ومؤثرين فى نفوس الناس أمثال جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده إنما كان الهدف من ذلك هو ضمهم إلى صفة حتى لا ينضموا إلى صف معاد له ، فكما يقول أحمد أمين فى كتابه « زعماء الإصلاح فى العصر الحديث » عن أسباب دعوة جمال الدين إلى الاستانة أن : ما حمله أن يدعوا السيد إلى الاستانة ، فهو يخشى أن ينضم إلى حزب تركيا الفتاة فيكون قوة كبرى إلى قوتهم ، خصوصا وقد كان السيد اجتمع فى باريس ببعض رجال هذه الجمعية (٤) .

وعلى هذا بنى السلطان عبد الحميد بناء الجامعة الإسلامية وشيد أركانها وأضاف إليها كل مطمح رغبة جليلة .

١ - محمد محمد إبراهيم زغروت : دور جهود الدعوة فى اسقاط الخلافة العثمانية ص ٩١ .

٢ - الدولة العثمانية دولة مفترى عليها : ترجمة عبد العزيز الشناوى ، ج ٣ ص ١٢١٠ بتصرف .

٣ - زعماء الإصلاح : أحمد أمين ص ٩٤ .

٤ - المرجع السابق ص ٩٩ .

مظاهر نجاح حركة الجامعة الإسلامية :

استطاعت حركة الجامعة الإسلامية رغم كل المعوقات أن تحقق الكثير من أهدافها ، ويمكننا أن نذكر أهم مظاهر نجاح هذه الحركة فيما يلي .

١ - توقف الزحف الاستعماري الأوروبي العسكري على الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية بعد الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢م حتى نهاية حكم السلطان عبد الحميد^(١) ولكن الأستاذ (شار) Shaw يرى أن التوقف الاستعماري العسكري وأن توقف الزحف العسكري الأوروبي يرجع إلى النجاح الذي استطاع السلطان عبد الحميد أن يحققه باستخدامه لحركة الجامعة الإسلامية^(٢).

٢ - استطاعت حركة الجامعة الإسلامية أن تروّظ شعورا بالعطف عليها في كل جزء من اجزاء العالم الإسلامي ، وكان من نتائجها إيقاظ الشعور بالوحدة الإسلامية من جديد وتقريبته إلى حد لم يسبق له مثيل حتى ذلك الوقت^(٣).

٣ - قام ولهم الثاني إمبراطور ألمانيا بزيارة رسمية للسلطان عبد الحميد في استانبول في خريف عام ١٨٩٨م ، ثم اتجه إلى القدس فدمشق حيث وضع إكليلا من الزهور على قبر صلاح الدين وألقى خطبة جاء فيها « فليطمئن صاحب العظمة السلطان وليطمئن معه الثلاثمائة مليون من المسلمين الذين يجلبونه لأنه الخليفة » ، وجاء في أثناء هذه الزيارة أن صرح إمبراطور ألمانيا بصفته عاهل أقوى دولة في أوروبا في ذلك الوقت ، بحركة الجامعة الإسلامية ، وكان من مظاهر هذا الاعتراف بأن صرح بأن السلطان عبد الحميد هو خليفة العالم الإسلامي^(٤).

٤ - التقارب بين الدولة العثمانية وإيران : فكما نعرف أن إيران هي أقرب الدول الإسلامية جغرافيا لدولة الخلافة الإسلامية ويمكنها القيام بدور بارز في سياسة الجامعة الإسلامية ، ولكن هناك بعض العوامل التي حالت دون ذلك مثل الخلاف المذهبي في إيران دولة شيعية والدولة العثمانية هي حامية العالم الإسلامي والمدافعة المذهب السني ، مشاكل القبائل الرحل بين الأراضي العثمانية والإيرانية ، المشكلة الكردية . ولقد أخذت هذه المشكلات بعداً جديداً في القرن التاسع عشر وذلك على أثر استقلال الدول العثمانية ، ويعتبر الخلاف المذهبي بين البلدين من أهم العوامل التي حالت دون التعاون بينهما .

١ - عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة مفترى عليها : ج ٢ ص ١٢٢١ .

٢ - Stanford Shaw & Ezel Kural Shaw : op . cit . , Vol 2 , p 260 .

٣ - جب هاملتون وآخرون : وجهة الإسلام ، نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي ، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ١٩٣٤ ، ص ٣١ .

٤ - عبد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة مفترى عليها : ج ٢ ص ١٢١٩ بتصرف .

ولقد ظهرت أيضاً محاولات لتوحيد المذهبين « المذهب السني والمذهب الشيعي » فلقد اجتمع لهذا الغرض علماء الدين من الأتراك والإيرانيين في أوائل عام ١٩١١م في مدينة النجف مع أنهم لم يحرزوا تقدماً يذكر في هذا الشأن إلا أنهم أعلنوا أنه لا يوجد فرق جوهري بين المذهبين من ناحية المبدأ ، ولقد استخدمت المؤثرات والندوات التي كانت تعقد في مكة في موسم الحج من كل عام من أجل الدعاية للجامعة الإسلامية بشكل جيد إلا أن أكبر الأعمال التي أثرت تأثيراً كبيراً في نفوس المسلمين وخاصة الحجاج كان إنشاء خط سكة حديد الحجاز وذلك عن طريق الميزانية المالية التي خصصها السلطان عبد الحميد لهذا الغرض ، ولقد كان هذا العمل العظيم بمثابة النصب التذكاري لفكرة الجامعة الإسلامية^(١).

وتم في عهد السلطان عبد الحميد اتخاذ بعض الخطوات العملية في مجال تحسين علاقة الدولة العثمانية بإيران ، حيث كان السلطان يعمل بالإسلام لتوحيد جهود كافة المسلمين ، وقد أبدى أسفه لعدم وجود تفاهم مع إيران حيث يقول « عدم وجود تفاهم مع إيران أمر جديد بالتأسف عليه وإذا أردنا أن نفوت الفرصة على الإنجليز وعلى الروس ، فإننا نرى فائدة في وجود تقارب إسلامي في هذا الأمر » .

اعتمد السلطان عبد الحميد في سبيل المصالحة السياسية مع إيران على جمال الدين الأفغاني بعد أن أظهر الأخير استعداداً للعمل في هذا المجال فقال مخاطباً السلطان : " يمكن توحيد السنة والشيعة إذا أظهر كل منها حسن النية تجاه الآخر " وعقب السلطان عبد الحميد على ذلك قائلاً " لقد قوى هذا الشيخ أمل في التقارب فإذا تحققت هذه الأمنية تحقق به إنجاز عظيم للإسلام " ^(٢).

قام جمال الدين الأفغاني بجمع عدد من أنصار هذه الفكرة في الدولة العثمانية وفي إيران واتفق معهم على إرسال الخطب والرسائل إلى كل الفئات التي يمكن أن يكون لها دور إيجابي في هذا المجال خطاباً إلى علماء الشيعة مذكراً إياهم بماضيهم الإسلامي ودورهم التاريخي في خدمة الإسلام وعلومه وحضارته ، ويستنهضهم في وجوب العمل من جديد على رفعة الإسلام فقال في خطبته " يا أيها الفارسيون تذكروا آباءكم في العلم وأنظروا إلى آثاركم في الإسلام وكونوا للوحدة الدينية دعامة كما كنتم للنشأة الإسلامية وقاية ، وأنتم بما سبق لكم أحق الناس بالسعي في استرجاع ما كان لكم في فترة الإسلام أنتم أجدر المسلمين بوضع أساس الوحدة الإسلامية ^(٣).

١ - Türk Ansiklopedisi, cilt 26 s. 357 .

٢ - السلطان عبد الحميد ، مذكراتي السياسية ، ترجمة : كمال خوجة ، دار الرسالة ، بيروت ١٩٧٩م ، ص ١٧٦ .

٣ - جمال الدين الأفغاني : العروة الوثقى ، ص ١٠٨ .

ثم حاول الأفغانى علاج الخلاف المذهبى القائم بين الشيعة والسنة فقال : " يا قوم وعزة الحق أن أمير المؤمنين على لا يرضى عن العجم ولا عن عموم أهل الشيعة إذا هم قاتلوا أهل السنة أو افترقوا عنهم لمجرد تفضيله على أبى بكر ، وكذلك أبو بكر فلا يرضيه أن يدافع عنه أهل السنة وأن تقاتل الشيعة لأجل تلك الأفضلية التى مر زمنها والتى تخالف روح القرآن . الأمر أن يكونوا كاليان المرصوص ^(١) .

ومن المؤكد أن العلاقات العثمانية الإيرانية كانت فى عهد السلطان عبد الحميد تمر فى أحسن أطوارها بحكم السياسة التى انتهجها السلطان الرامية إلى إحلال التفاهم والاتفاق مع ريران محل التنابد والخصام ^(٢) .

٥ - كما وقف مسلمو الهند إلى جانب الدولة العثمانية فى أزمتها العسكرية وحروبها مع الدول الأوروبية ، ففى حرب الدولة مع اليونان عام ١٨٩٧م تداعى مسلمو الهند إلى تشكيل اللجان لجمع التبرعات وإرسال المساعدات المالية والطبية ، ويحث ممثلون عن الجمعية الإسلامية فى حيدر آباد الدكن إلى جريدة المؤيد المصرية « العدد ٣٠٨٦ فى ٢٧ يناير ١٨٩٧م » الدعوة لمساعدة الخليفة الأعظم " « يقولون » « إننا مسلمون وجلالة السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين العظم ، فنحن إذن من وعيته لذلك نرى من الواجب علينا أن نلبى دعوته ونؤدى مثل العثمانيين المعونة العسكرية التى فرضها جلالة السلطان ليقوى بها جيشه الحامى لعرش الخلافة المقدسة » وتبرع الأمير (إقبال الدولة) وهو من أبناء الملوك بمبلغ ألف ليرة عثمانى مساعدة للدولة مما أدى إلى أن تقف منه السلطات البريطانية موقفاً معادياً أخرجه على أثرها من الهند بحجة التشويش على سياسة الأمن والتحرير على القيام ضدها فغادرها إلى العراق وزار عاصمة الدولة العثمانية فأنضم عليه السلطان عبد الحميد بالوسام المجيدى من المرتبة الأولى تقديراً له على مواقفه من الدولة ودعم سياستها فى الجامعة الإسلامية ، وبادل المسؤولين العثمانيين مسلمى الهند الموقف ذاته عندما افتتح السلطان عبد الحميد حملة تبرعات واسعة لمسلمى الهند على أثر قحط ألم بهم عام ١٩٠٠م فتبرع السلطان بمبلغ ٥٠٠٠ ليرة عثمانية .

كانت بريطانيا شديدة الخذر من السياسة التى يمارسها السلطان عبد الحميد فى شبه القارة الهندية وتابعت بشدة رسل السلطان السريين الذين كان يبعث بهم إلى هناك وقد استغل السلطان وجود بعض الهنود المنفيين فى استانبول لتنشيط حركة الجامعة الإسلامية

١ - محمد المخزومي ، خاطرات جمال الدين الأفغانى ، ص ١٨٠ المطبعة العلمية ، بيروت ١٩٣١م .

٢ - أحمد فهد بركات الشوابكة ، حركة الجامعة الإسلامية ، الطبعة الأولى مكتبة المنار ١٩٨٤ م ص

٢٧٦ - ٢٧٧ بتصرف .

انظر أيضا : David Kushner : The Rise of Turkish Nationalism 1876 - 1908, London 1922, p 47.

بين مسلمى الهند وأصدر أحدهم ويدعى (على خان) صحيفة فى استانبول باسم (Big Islam) لتكون وسيلة اتصال بين مسلمى الهند والدولة العثمانية ، وكانت الصحيفة تصدر باللغتين الإنجليزية والتركية ، وفى أوائل أعدادها أكدت الصحيفة أن المسلمين فى الهند لا يعترفون بحاكم سوى خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد وأنهم يعتبرون أنفسهم جزءاً من رعيته يدينون له بالطاعة والولاء . ويسخرون كافة امكاناتهم لخدمة سياسته فى الجامعة الإسلامية التى يعتبرونها الوسيلة الهامة فى نضالهم ضد الاستعمار البريطانى ، وقد حذر هاردنج (Harding) نائب الملك فى الهند حكومته من أن أى اعتداء على الدولة العثمانية سيكون له بين مسلمى الهند رد فعل عنيف ورأى أن الاخطار التى قد تنجم عن ذلك أكبر بكثير من أية فائدة تعود على بريطانيا .

وظهر التأثير القوى لحركة الجامعة الإسلامية فى الترابط بين مسلموا الهند والدولة العثمانية ففى أثناء الحرب العثمانية البلغارية عام ١٩١١م والتى قدم فيها مسلموا الهند الدعم الذى استطاعوه للدولة العثمانية ومنه إرسال بعثة طبية هندية إلى استانبول ، كذلك شهد نفس لعام نشاطاً إسلامياً ملحوظاً فى الصحافة الهندية على يد الصحفي الهندى المسلم (محمد على) الذى أخذ يكتب فى صحيفتى (كومريد Comrade) و (همدار Hamdar) عن الدولة العثمانية والمسألة الإسلامية وخطب فى اجتماع عام فى لاهور بتاريخ ٢٨ يناير عام ١٩١٣م وصف فيه المسألة العثمانية بأنها مسألة حياة أو موت بالنسبة للإسلام والمسلمين ^(١) .

وقد واكب حركة الجامعة الإسلامية حركة ثقافية وأدبية مؤيدة للتيار الإسلامى الذى قوى فى تلك الفترة عُرف باسم « الأدب الإسلامى » .

فوجد أن أدياء الدولة العثمانية عملوا على تذكير المسلمين بماضيهم وما وصلوا إليه وجاهدوا فى إحياء الشعور الدينى عند المسلمين ، وذلك عن طريق .

- ١ - إحياء ذكرى الفتوحات العثمانية رفعا للروح المعنوية .
- ٢ - شعر الحماسة وهو أشبه بأناشيد الحرب التى تشحذ الهمم وتثير الحماس .
- ٣ - نسج القصص والروايات التى تروى البطولات التى أبدتها الجنود والأهالى ^(٢) .

١ - أحمد فهد بركات الشوابكة ، حركة الجامعة الإسلامية ، الطبعة الأولى مكتبة المنار ١٩٨٤ ص

٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ بتصرف عام ١٩٨٤م / ١٤٠٤ هـ .

٢ - محمد عبد اللطيف هريدى : الأدب التركى الإسلامى ص ٢٢٨ .

ولم تكن الحركة الأدبية المناصرة لفكرة الجامعة الإسلامية أو الاتحاد الإسلامي قاصرة فقط على أدهاء الدولة العثمانية من الأتراك (١) ولكن هذه الفكرة وجدت تأييداً كبيراً من كثير من الأدهاء في مختلف الأقطار الإسلامية آنذاك ، فقد أصبحت استانبول في العهد الحميدى ملاذاً للأدهاء والمفكرين المناهضين للاستعمار الغربى ، وكانت مقاومة الاحتلال الانجليزى فى مصر على زشدها حين لجأ عبد الله النديم إلى استانبول وظل بها حتى وافته المنية ، ثم الشيخ عبد العزيز جويش الذى فر إليها بعد أن ضيق عليه الانجليز الخناق أثر كتاباته فى جريدة اللواء المصيرة بلسان الحزب الوطنى ، وكان هذا الحزب - والشيخ أحد أقطابه - يمثل الاتجاه الإسلامى الذى يناهض المطالبة بفصل مصر عن الدولة العثمانية ويرى فى الدولة العثمانية درعاً يبقى الولايات العربية من خطر الاحتلال (٢).

وسمح للشيخ عبد العزيز جويش أن يصدر جريدة الهلال العثمانى فى استانبول إلى أن استولت جمعية الاتحاد والترقى على السلطة فصادرت الجريدة وأجبرته على مفادرة البلاد (٣).

هذا بالإضافة إلى أن السلطان عبد الحميد قد قام برعاية وحماية المفكرين والأدهاء الإسلاميين من كافة الأقطار ومثلما فعل مع جمال الدين الأفغانى فقد استدعى الشيخ أبا الهدى الرفاعى من حماة وأحمد عزت العاهد من دمشق والشيخ محمد الطاهر من الجزائر ، والشيخ أحمد أسعد القيصلى من المدينة المنورة (٤).

* - ويمكن الرجوع إلى مزيد من التفصيلات حول هذا الموضوع فى كتاب « الأدب التركى الإسلامى » تأليف محمد عبد اللطيف هريدى .

١ - سالم عبد النهى العينى ، التيارات السياسية والفكرية والاجتماعية فى الأدب العربى المعاصر ، بيروت ص ٣٦٩ .

نقلا عن محمد عبد اللطيف هريدى ص ١٨٣ .

٢ - محمد عبد اللطيف هريدى ص ١٨٣ .

٣ - محمد فريد بك : الدولة العثمانية ص ٧٤٥ .

نقلا عن محمد هريدى ص ١٨١ .

الفصل الثاني :

**قضية الخلافة وموقف السلطان
العثماني عبد الحميد الثاني**

قرينة الخلافة وموقفه السلطان العثماني عبد الحميد الثاني :

اهتم عبد الحميد اهتماماً بالغاً بأن يرد إلى الخلافة هيبتها التي كانت لها في صدر الاسلام ، كان سلاطين الدولة العثمانية قبل عبد الحميد يحملون لقبى الخليفة - السلطان وكانت الدول الأوروبية بصفة عامة وبريطانيا وروسيا بصفة خاصة يعترفون للسلطان العثماني بحقه الشرعى فى هذا اللقب واعترفت كذلك بالاختصاصات الدينية للسلطان العثماني كخليفة على سكان الولايات العثمانية التي انسلخت عن الدولة ، ولكن سلاطين آل عثمان لم يستطيعوا الحفاظ على مكانتهم السامية التي استقرت فى أذهان المسلمين عن الخلافة فى العصور الأولى للإسلام كان هو الحاكم وأن كلمتى الخليفة والحاكم كانتا مترادفين بعضهما لبعض وأن الخلافة هى أقوى رابطة بين الدولة العثمانية والعالم الإسلامى لذا وجد السلطان عبد الحميد فى إحياء الخلافة وقعة دافعة توصله إلى أغراضه السياسية .

دعم السلطان عبد الحميد لفكرة الخلافة فى العالم الإسلامى والعربى :

بدأ عبد الحميد فكرته لدعم الخلافة الإسلامية وتقويتها بأن تبنى حركة الجامعة الإسلامية ، فبدأ حركة الجامعة الإسلامية بأن أضفى على حياته الخاصة مظاهر الزهد والتقشف وأهتم بممارسة الشعائر الدينية وأمر بمنع مظاهر الفجور فى الحرم السلطانى .
فنجده السلطان عبد الحميد يقول فى مذكراته :-

" أعرف كيف أنظم حساباتى ولا أحب أن ألقى مالى هنا وهناك إسرافاً شهدت حياة البذخ الذى كان يعيشها عمى عبد العزيز وشهدت عن قرب النتائج المؤسفة لهذا التبذير . أليس الإسراف هو الذى أوصل إمبراطوريتنا إلى ماوراء الإفلاس ؟ لم يحدث أن صرفت أموالاً على لهو أو على أمور يمكن أن تجر البلاد إلى ضائقة مالية أننى أعيش بمبالغ أقل بكثير من معظم حكام هذا العصر (١) .

كما أحاط شخصه بعلماء الدين وأنشأ معهداً لتدريب الوعاظ ، وكان يبعث بهم إلى أدنى بلاد العالم الإسلامى كي ينشروا الأتباء الحسنة عن الخليفة وشيدوا بورعه وينشروا حركة الجامعة الإسلامية (٢) ، وكذلك نرى السلطان عبد الحميد فى سبيل دعم فكرة الخلافة ، قام بإعانة الصحف لتقوم بدورها فى نشر الدعاية له كخليفة وأنشأ المجلات والنشرات الدورية لتوسيع مجال النشر ، كما كان وجه الدعوات إلى زعماء المسلمين وكبار رجال الفكر الإسلامى لزيارة استانبول ويستضيفهم رغبة فى إيجاد صلات عهم لدعم نفوذهم فى الأوساط الإسلامية فى أرجاء العالم الإسلامى وكان يحرص على أن يقرن لفظ الخليفة مع

١ - مذكرات السلطان عبد الحميد ص ٢١٦ .

٢ - الدولة العثمانية دولة مفترى عليها د . عبد العزيز الشناوى الجزء ٣ ، ص ١٢٠٥ .

كلمة السلطان كما خصص مبالغ لإصلاح المساجد داخل الدولة وخارجها حتى تستطيع أن تؤدي رسالتها وإصدار أوامر بزيادة الاهتمام بالأعياد الإسلامية وشتى المناسبات الدينية ، كما أدخل المواد الإسلامية واللغة العربية في مناهج الدراسة في المدارس وشجع استخدام اللغة العربية في المجالات الثقافية والإداوية وأن يجعلها مساوية للغة التركية ^(١).

يقول السلطان عبد الحميد في مذكراته : " إن الإمبراطورية العثمانية دولة أحتوت عدداً كبيراً من الأمم والشعوب وتشكلت من الأتراك والعرب والأكراد والأرناؤوط والبلغار واليونان والأفريقيين حيث جمعتهم الرابطة الإيمانية وجعلتهم أفراداً في عائلة واحدة فعلىنا والحالة هذه أن نعتبر أنفسنا مسلمين قبل أن نكون عثمانيين وأن تكون صفة خليفة المسلمين من صفة الإمبراطور العثماني فإن الدين هو أساس البناء السياسي والاجتماعي للدولة " ^(٢).

كذلك بدأ عبد الحميد في استعادة حقه كخليفة في تعيين الموظفين الدينيين في الولايات العثمانية السابقة والتي دخلت تحت حكم الدول الأوروبية كي يحتفظ بنفوذه الديني بين جماهير المسلمين في تلك الأقاليم . فكان يختار بنفسه القضاة والمدرسين وكان الباب العالي يحتج ويتدخل رسمياً إذا وقع أي ظلم على المسلمين في هذه الأقاليم ^(٣).

ولقد سلك السلطان عبد الحميد هذا الطريق لأنه عقد العزم على أمر لم يعقد العزم على مثله أحد من أسلافه الأقربين وهو إحياء الخلافة لبلوغ أغراض سياسية عظيمة وقد أهان للملا كافة أنه فوق كونه سلطان الدولة العثمانية ورئيسها السياسي الوحيد فهو خليفة المسلمين أيضاً وراح يهيب بالأمم الإسلامية في كل رقعة من رقاع الأرض لتتعاون معه وتشد أزره بالاتفاق من حوله قاصداً بذلك قلب الرعب في روع الدول الغربية التي رآها تأتمر فيما بينها وتتشاور للاتقضاء على المملكة العثمانية ^(٤).

واستمراراً لجهود السلطان عبد الحميد في دعم فكرة الخلافة في العالم الإسلامي عمل على الاهتمام بالعنصر العربي لأن عدد رعاياه من العرب كان يبلغ عشرة ملايين ونصف ، وكان السلطان عبد الحميد يدرك كذلك أن العرب هم هدف التوسع الأوروبي الاستعماري في هذه المرحلة لذا لحج السلطان عبد الحميد بفخر زعماء العرب بعطاياه وبقلدهم مناصب رفيعة ومنحهم الأوسمة ، كما خصص أموالاً وفيرة لإصلاح وزخرفة المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة المنورة والمسجد الأقصى في بيت المقدس ، كذلك اهتم

١ - المرجع السابق ص ١٢٠٥ .

٢ - أنظر السلطان عبد الحميد الثاني ، مذكراتي السياسية ص ١٧٧ .

٣ - الدولة العثمانية دولة مفترى عليها : المرجع السابق ص ١٢٠٦ .

٤ - عبد الكريم مشهداني : العلمانية ص ١٧٧ .

بإنشاء مكاتب عامة من أشهرها المكتبة العثمانية في المدينة المنورة ^(١). كما اختار عبد الحميد جماعة من الضباط والجنود العرب كون منهم فرقة كاملة من فرق حرسه الخاص وعين بعض العرب في مناصب القصر السلطاني كما عين السلطان عبد الحميد عددا كبيرا من رجالات العرب في شتى المناصب العليا ، ولم تقف حدود توثيق صلاته بالعرب عند هذا الحد بل عمد إلى مصاهرتهم فزوج أميرتين من أسرته إلى شاهين من العرب ^(٢) ، ولدعم فكرة الخلافة في العالم الإسلامي والعربي بنى السلطان عبد الحميد فكرة إنشاء سكة حديد الحجاز لربط المدينتين المقدستين في شبه الجزيرة العربية بدمشق وكان الهدف المعلن هو تسهيل الحج إلى مكة أما الواقع فقد كان السلطان يتطلع إلى أهداف أخرى " توفير السرعة لنقل القوات إلى أطراف شبه الجزيرة العربية " .

وذلك لإحكام السيطرة على المدينتين المقدستين (مكة ، المدينة) لتجنب تحولهما إلى بؤرة لدولة عربية يمكن لحاكمها أن يتيح لنفسه لقب خليفة ، والحال أن المشروع الذي بنى إسهامات مسلمي العالم ونفذ على أبدي مهندسين وفنيين أتراك يعتبر على المستوى الفني مشروعاً ناجحاً ، وذلك بالرغم من مقاومة البدو الذين اعتبروا السكة الحديدية منافساً غادراً لانتشطة قوافلهم ، وتشير سكة حديد الحجاز ثورة تضامن ضخمة في العالم الإسلامي وتتميز بأثر تعبوي لاجتدال فيه على الجماهير الإسلامية في الامبراطورية كما أنها تتميز بقيمة رمزية ، هو إظهار مايمكن للمسلمين عمله في مجال تقني دون الاعتماد على عون الأوروبيين ^(٣).

لقد كان عبد الحميد يدرك أن مسئوليته كخليفة وسلطان للمسلمين تحتم عليه أن تقف في وجه الأطماع الغربية وأن يحافظ على وحدة العالم الإسلامي فتجده يقول في مذكراته ^(٤).

« يخطئ الألمان إذا ظنوا بأننا سنسمح لهم بإنشاء مستعمرات على أرض ضحينا في سبيلها بكل غال ونفيس يكفيننا ما أظهرناه من تسامح تجاه الأجانب » ولقد قاوم السلطان عبد الحميد الغرب على ضعف إمكانياته ووهن سلطنته ، وكان الغرب آنذاك في قمة عنفوانه وسطوته الإستعمارية ، وقاوم اليهودية العالمية التي أدركت أن حياتها لن تكون إلا بموت السلطان عبد الحميد كما قال هرتزل ، وقاوم الفتن الداخلية ومحركات المشاغبين الذين كانوا يتلقون العون والدعم من الغرب ، وقاوم الثورات داخل حدود السلطنة ^(٥).

١ - الدولة العثمانية دولة مفتري عليها ص ١٢٠٧ .

٢ - الدولة العثمانية دولة مفتري عليها ص ١٢٠٨ .

٣ - روبر مانتير ، تاريخ الدولة العثمانية ص ١٧٨ .

٤ - عبد الكريم مشهاتني : العثمانية ص ١٧٣ .

٥ - المرجع السابق ص ١٧٣ .

رقد كان الانجليز وغير الانجليز يدركون ما تنطوى عليه مسألة الخلافة من خطر على مستعمراتهم ، فكانوا يستعملون ضد السلطان نفس السلاح بطريقة مضادة حيث كانوا يعملون على نزع الخلافة منه وإعطائها إلى امراء مصر أو الحجاز ^(١) . يقول السلطان « الانجليز يريدون أن يكون الخديوى خليفة على المسلمين بغية إضعاف شوكة الإسلام وتمكين حكمهم ، ولكن ليس هناك مسلم يعتز بدينه يقبل أن يكون الخديوى خليفة المسلمين ^(٢) .

وعلى هذا يمكن القول أن الخلافة كانت مهمة لعبد الحميد آخر سلطان عظيم فلقد توصل إلى النتيجة نفسها التى توصل إليها جمال الدين الأفغانى وهى أن الإسلام هو الطريقة الفعلية الوحيدة التى يمكن بها مقاومة الغرب المعتدى وأن (الله أكبر) هى خير مثل أعلى ولم شعث الإمبراطورية ، ولم يكن عبد الحميد أول من تلقب بالخلافة من سلاطين آل عثمان ولكنه كان أول من وضعها هذا الوضع الحاسم فى معترك السياسة العالمية والسياسة الداخلية ، وأول من جعلها مسألة حياة أو موت فى تاريخ الدولة العثمانية ، وقد استطاع أن يقاوم الغرب طوال فترة حكمه التى رايت على ثلاثين سنة ^(٣) .

١ - المرجع السابق ص ١٧٨ .

٢ - السلطان عبد الحميد : مذكراتى السياسية ص ١١٩ .

٣ - عبد الكريم مشهدانى : العثمانية : ص ١٧٢

الفصل الثالث :

**موقف أوروبا من فكرة
الجامعة الإسلامية وقضية الخلافة**

الفصل الثالث

موقف أوروبا من فكرة الجامعة الإسلامية وقضية الخلافة

كانت فكرة الجامعة الإسلامية تشير الذعر فى نفوس الدول الأوروبية ، وبالفعل فقد أثارت ذعر القنصليات الغربية التى دخل فى روعها أنه يجرى الإعداد فى اسطنبول لثورة من جانب مسلمى العالم كله سوف تؤدى إلى زعزعة استقرار النظام الإستعمارى .

ولقد أطلق الأوروبيون لفظ بان اسلاميزم على حركة الجامعة الإسلامية ، إذا نظرنا من جهة الاشتقاق اللغوى عرفنا أن كلمة بان اسلاميزم كلمة خلقتها مكائد النصارى لتكون وسيلة سافلة للتعجيل بفناء الحكومة الإسلامية فهم يزعمون أن معنى الجامعة الإسلامية عقد اتحاد عظيم جداً بين المسلمين جميعاً ليكونوا قوة سياسية كبيرة تستطيع أن تحو النصرانية (١).

لذا عمل الأوروبيون إلى افتعال صراع بين العثمانيين واليونان عام ١٨٩٧ كان الهدف من ذلك الصراع هو اعاقه حركة الجامعة الإسلامية .

كما كان روستان Rousstin قنصل فرنسا العام فى تونس يحذر حكومته من أخطار حركة الجامعة الإسلامية على فرنسا ، وذكر أن مبعوثى السلطان يبدو نشاطاً واسعاً ومكثفاً فى برقة وطرابلس ، وأهدى تخوفه من أن يكون لهذا النشاط أثر كبير فى سير الحوادث فى تونس فى الوقت الذى بعد فيه جيل فرى Jules Ferwy رئيس الوزارة الفرنسية (الحملة التديبية) كما سماها فرى لغزو تونس . كما أهدى روستان تخوفه من أصداء حركة الجامعة الإسلامية على الجزائر وعلى مركز الفرنسيين فيها .

كذلك أثير على بساط البحث فى مؤتمر الاستانة الذى عقد فى ٢٣ من يونيو حزيران سنة ١٨٨٢ لبحث تطورات الثورة العربية موضوع إرسال قوات عثمانية إلى مصر لتهدة الحالة فيها ، وقد اعترض من حيث المبدأ الوفد الفرنسى على إرسال قوات عثمانية إلى مصر خشية ازدياد نفوذ الإسلام فى شمال أفريقيا وبالتالي دعم حركة الجامعة الإسلامية وهما أمران يعملان على إضعاف مركز فرنسا فى الجزائر وتونس وحوض البحر المتوسط ، كما دارت مناقشات ساخنة فى مجلس النواب الفرنسى بجلستى ٢ من شهر يونيو - حزيران و ١٨ من شهر يوليو - تموز سنة ١٨٨٢م اشترك فيها جامبتا Gaumbta السياسى الفرنسى المشهور وعدد من أعضاء المجلس نددوا فيها بالتدخل العسكرى للدولة العثمانية إذ يتبع لها أن ترابط بقرااتها على ضفاف النيل والساحل الشمالى لمصر ووصفوه بأنه يحمل تهديدات لأمن وسلامة الممتلكات الفرنسية فى شمال أفريقيا (٢).

١ - جلال نورى : اتحاد المسلمين : ترجمة حمزة طاهر ، عبد الوهاب عزام القاهرة ١٩٢٠ ص ٣٢٩ .

ولقد هاجم بعض الاشخاص فكرة الجامعة الإسلامية في خطبهم فعلى سبيل المثال نجد أن اللورد كرومر الإنجليزى قد هاجم الجامعة الإسلامية وهاجم مرقف السلطان العثمانى عبد الحميد منها ودعا اللورد كرومر الدول الأوروبية فى الوقوف ضد هذه الدعوة ، كما هاجم المستشرق الفرنسى هانوتو الجامعة الإسلامية ووصفها بأنها " بؤرة التعصب لدينى وأنه ليس القصد منها إلا لتحدى الدول الغربية المسيحية (١) .

كانت الدول الأوروبية تنظر إلى كل زائر مسلم إلى استانبول من خارج الدولة العثمانية وإلى كل زائر عثمانى للمسلمين فى ممتلكات هذه الدول الأوروبية نظرتها إلى جاسوس خطير يهدد سلامة هذه الممتلكات ، وما هو جدير بالذكر أن بريطانيا وفرنسا كانتا تخشيان أن تتبنى حكومة العهد الجديد فى الدولة العثمانية بعد انقلاب سنة ١٩٠٨ م ، ثم عزل عبد الحميد سنة ١٩٠٩ م حركة الجامعة الإسلامية ، وكان أكثر ما كانتا تخشيانه من حركة الجامعة الإسلامية تصورها أن ألمانيا كانت تمسك بخيوطها فتتحركها لمعاكسة بريطانيا وفرنسا لأنه لم تكن فى مستعمرات ألمانيا جماعات من المسلمين بينما كان معظم سكان المستعمرات البريطانية من اتباع الدين الإسلامى (٢) .

وكما ذكرت من قبل أن الأوروبيين حين أطلقوا لفظ بان اسلاميزم أن ما يدل على أن هذا أمل عدائى جديد يفيد أن الجامعة الإسلامية شىء محدث ، وبعض الناس فى أوروبا لم يستطيعوا أن ينكروا هذا الاتحاد والتعاون فادعوا أن ذلك من أن المسلمين لا يزالون فى طور الكمال وقالوا أن الأقوام الإسلامية لم تدرك الفكر الوطنى بقينا وأن موقفهم هذا يشبه ما كانت عليه الأمم النصرانية فى القرون الوسطى ، وزعموا أن التكامل الضرورى سيؤدى إلى انفصال المسلمين بعضهم عن بعض ليؤلفوا قوميات صحيحة ثم تهقى الأخوة الإسلامية أثر ميل منطفىء وشوق خامد فلن يكون لها أى تأثير فى الحياة العملية (٣) .

موقف أوروبا من قضية الخلافة

كانت أوروبا تجد فى نظام الخلافة خطراً كبيراً عليها وخاصة على مصالحها الموجودة فى منطقة نفوذ الدولة العثمانية حامية الخلافة ، لذا كانت تعمل على إزالة هذا النظام لما يتمتع به من قوة نفوذ وتأثير قوى على المسلمين وأن شخص الخليفة قادر على أن يحشد جميع المسلمين تحت راية الجهاد المقدس . لذا نجد أن الإنجليز لعبوا دوراً بارزاً فى هدم الخلافة الإسلامية وكان لبريطانيا الدور الأكبر من بين جميع دول أوروبا فى القضاء على الخلافة وتشتيت أى تجمع إسلامى مهما كان لونه وأهيا وكان يدفع الأوروبيين إلى ذلك عدة عوامل :

١ - عبد الكريم مشهدانى : العلمانية ، ص ١٤١ .

٢ - عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، ج ٣ ص ١٢٢١ .

٣ - جلال نورى : اتحاد المسلمين ص ٣٢٣ .

١ - عداة صليبي لم تزده الأيام إلا ضراوة .
٢ - اطماعهم البعيدة فى تفتيت الإمبراطورية العثمانية لالتهام ما يمكن التهامه من اشلائها .

٣ - خوفهم من أن يستعمل السلطان مركزه كخليفة يشير الشعوب المسلمة فى مصر والهند وأطراف الجزيرة العربية على مستعمرهم الإنجليز بوصفه خليفة المسلمين جميعاً^(١).
لذا نجد أن الإنجليز عملوا على تخطيط الخلافة أو نزعها من آل عثمان حتى تشفت الدولة ويسهل عليهم المحافظة على مصالحهم داخل الدولة العثمانية .

وخير برهان على ذلك ماورد فى تقارير لورنس فنجده يقول : " لو تمكنا من تحريض العرب على انتزاع حقوقهم من تركيا فجأة وبالعنف لقضينا على خطر الإسلام إلى الأبد ودفعنا المسلمين إلى إعلان الحرب على أنفسهم فنمزقهم من داخلهم وفى عقر دارهم وسيقوم نتيجة لذلك خليفة تركى وخليفة عربى ليخوضا حرباً دينية داخلية فيما بينهما ولن يخيفنا الإسلام بعد ذلك أبداً^(٢) .

لذا نجد أن السلطان العثمانى عبد الحميد قد فطن إلى أهمية الخلافة وكيف أنها أساس توحيد المسلمين ، وفى الفترة التى كان يضطلع فيها عبد الحميد إلى رص صفوف المسلمين حول فكرة الخلافة .

كانت الخلافة العثمانية فى طريقها إلى الزوال وذلك يرجع إلى ضعف السلاطين العثمانيين ، ولكن السلطان عبد الحميد كان يتطلع إلى إعادة الخلافة وحامية الإسلام ، فبدأ العمل على إعادة الخلافة الإسلامية إلى سيرتها الأولى فتبنى فكرة الجامعة الإسلامية لأنه وجد فيها جادته فى إحكام السيطرة على العالم الإسلامى والعربى ، فحين وجدت الدول الأوروبية أن سياسة السلطان عبد الحميد الرامية إلى توحيد المسلمين تحت راية الدولة العثمانية والخلافة العثمانية سوف تعرقل أطماع الغرب الاستعمارية . لذا بدأت هذه الدول فى التآمر على الخلافة واستقطاع بعض أجزاء من الدولة العثمانية .

ولعبة الإجهاز على نظام الخلافة فى تركيا التى هى بمثابة الرأس للدولة الإسلامية قد بدأت خيوطها منذ اعتلاء السلطان عبد الحميد عرش السلطة ، فقد تبوأها والبلاد فى أسوء حال ، والدول الغربية ما فتئت منذ مؤتمر باريس عام ١٨٥٦م أن تتدخل فى أمور الدولة بكل طاقتها ، وتنظر تلك الدول إلى الخلافة العثمانية نظرتها إلى مبيض على فراش الموت ، ينبغى العمل على تقسيم تركته كما كانت الدولة فى حالة إفلاس تام ، وقد بلغت

١ - عبد الكريم مشهدانى : العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية فى تركيا . ص ٢٣٨ .

٢ - لورانس العرب على خطى هرتزل : تقارير لورانس السرية زهدى الفاتح / بيروت ص ٧٤ .

ديونها حتى عام ١٨٧٥م ثلاثة مليارات وثلاثة عشر مليون فرنك ذهباً ، وقد أحجمت الدول على إقراض السطنة لأغراض سياسية مشروطة ، كما كانت القوميات تطل بقرونها ، والحروب تشتعل في أجزاء كثيرة من الدولة تكبدها نفقات باهظة ، وتزيدها إفلاساً على إفلاس ، ودول الغرب الصليبية تصر على تحقيق إصلاحات للرعايا المسيحيين من الأومن وغيرهم ، ومهنى ذلك إفساح المجال لهؤلاء للعبث بمقدرات ونظم الدولة ^(١) .

لذا نجد أن الدولة العثمانية كانت محط أطماع كل الدول الاستعمارية وخاصة بعد شق قناة السويس عام ١٢٩٣هـ ١٨٦٩م إذ بدأ صراع عنيف بين المجلترا وفرنسا وإيطاليا على الولايات العثمانية في أفريقيا . ولجحت روسيا بعد عشرين عاماً من حرب القرم الأولى في أن تبتلع معظم آسيا الوسطى والتركستان والقوقاز بل امتدت أطماعها إلى شرق أفريقيا ^(٢) .

ولكن الحروب الصليبية مع الدولة العثمانية لم تكن لتقف على الحدود بل امتدت إلى داخل الدولة وكانت الدول الأوروبية تستخدم سلاحين لضرب الدولة ، وبالطبع ضرب الخلافة، كان السلاح الأول هو العناصر غير الإسلامية فقد دأبت هذه الدول ولاسيما روسيا والنمسا على تحريض شعوب البلقان على الثورة والمطالبة بالاستقلال . وخير مثال على ذلك أن السلطان عبد الحميد حين اعتلى العرش كانت ثورة البوسنة والهرسك المسلحة على أشدها واشتراك الصرب والجبل الأسود في الحرب ضد الدولة ، ومن ورائهما روسيا مما زاد الأمر سوءاً فارتكبت أبشع المجازر ضد المسلمين في هذه الولايات .

أما السلاح الثانى : فهو العناصر الإسلامية الثائرة التى جمعها تشكيل سياسى لما وترعرع بين باريس ولندن وجنيف فتسرب إليه اليهود والماسون بحيث استطاعوا توجيه نشاطه ضد الدولة العثمانية حتى يستطيعون القضاء على القوة الإسلامية الوحيدة الضاربة في ذلك الوقت وهذه العناصر الإسلامية الثائرة التى كانت متأثرة بالثقافة والحياة العربية هى جماعة الشبيبة العثمانية .

وهكذا كان على السلطان عبد الحميد أن يواجه السلاطين منذ الأيام الأولى لتوليهِ العرش . فقد قامت أعضاء « الشبيبة العثمانية » بتنظيم مظاهرة بهدف إعادة السلطان مراد المخلوع إلى العرش .

١ - دور يهود الدوفة في اسقاط الخلافة العثمانية ص ١١٥ .

٢ - د . محمد عبد اللطيف هريدى : الأدب التركى الإسلامى ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ١٧٨ .

ولقد تسلم السلطان عبد الحميد تقريراً مفاده أن هناك محاولات تجرى للتأثير على الامبراطور وللهلم الألمانى وأمير ويلز الإنجليزى من جانب التشكيلات الماسونية ليؤثرا بدورهما على سفيرى ألمانيا والمجلترا فى استانبول لصالح السلطان مراد (١).

وقد جاء فى مذكرات السلطان عبد الحميد « وقعت فى يدى خطة أعدها فى وزارة الخارجية الإنجليزية كل من مهرج اسمه جمال الدين الأفغانى والإنجليزى بدعى بلنت قالوا فيها باقصاء الخلافة عن الأتراك واقترحوا على الإنجليز إعلان الشريف حسين أمير مكة خليفة على المسلمين (٢).

وعلى ما يبدو فإن السلطات الإنجليزية الحاكمة فى لندن وفى القاهرة آنذاك ، قد صممت على أن تلعب على أوتار تلك القضية ، وتتبنى فكرة إحياء الخلافة العربية وتنصيب (الحسين بن على) شريف مكة خليفة للمسلمين .

وقد كان الاتفاق الذى عقده بريطانيا مع الشريف حسين بن على اتفاقاً وخطيراً ، أثر على مستقبل الشرق العربى الأسيرى بأكمله ، وكانت بريطانيا تهدف من وراءه إلى الاستفادة من العرب الذين يشكلون تكتلاً سياسياً مندمجاً فى داخل أنشطة الدولة العثمانية ، وذلك بالعمل على انشقاق ذلك التكتل ، وبتره كلية من كيان الدولة العثمانية ، وإحداث فرقة بين العرب والأتراك تطل من خلالها فتنة القوميات بوجهها البغيض .

وجهت بريطانيا جل اهتمامها لتنفيذ تلك الخطة نحو الشريف حسين بن على شريف مكة ، واعتبرته أفضل زعماء العرب فى تنفيذ خطتها ، وذلك لعدة اعتبارات مهمة ، منها : أنه كان يتمتع بمركز دينى محترم ، وذلك لإشرافه على الحرم المكى من جهة ، ولانتمائه للدوحة النبوية من جهة أخرى . كما كانت الدولة العثمانية تعتمد عليه فى الدعوة للجهاد ، وترتيب الأعمال الحربية لنفاذ كلمته ، وتأثيره الروحى فى المسلمين ، ويضاف إلى تلك الاعتبارات بُعد بلاد الحجاز عن مقر الدولة العثمانية مما يساعد على نجاح حركة التمرد والثورة التى سيقوم بها الشريف حسين ، وذلك لأن نقل القوات العثمانية سوف يكلف الدولة نفقات باهظة ، بالإضافة إلى الوقت الذى ستسفرقه تلك القوات فى الانتقال إلى الحجاز .

لقد كانت تلك المبررات كافية من وجهة نظر بريطانيا لاستمالة الشريف حسين إلى جانبهم ، ولأسيما إذا لوحت له بالخلافة ، وبذلك يتحول ولاء المسلمين من الخلافة العثمانية فى الاستانة إلى الخلافة العربية فى مكة ، وبهذه الخطة « تنجح بريطانيا فى تجزئة الولاة فى العالم الإسلامى بين زعامتين إسلاميتين ولتحدث صدعاً فى الإسلام ، فيضعف مركز

١ - Bernard Lwls : The Emergence of Modern Turkey, . p176 .

٢ - مذكرات السلطان عبد الحميد . ترجمة محمد حرب . ص ٩٨ : سلسلة كتاب الهلال ، القاهرة

الخليفة العثماني ، وتتمكن من نقل سلاح الجهاد الذي كانت تعلم أن الخليفة العثماني سوف يلجأ إليه ليجمع كلمة المسلمين من حوله ، وقد تمكنت بريطانيا بالفعل من قلب حركة الجهاد رأساً على عقب ، فقد كان من المفروض أن توجه تلك الحركة نحو بريطانيا الطامعة في بلاد المسلمين ، إلا أنها وجهت بمهارة لتطعن دولة الخلافة في مقتل ، وذلك بإندلاع الثورة العربية الكبرى التي قادها الشريف حسين عام ١٩١٦م ضد الدولة العثمانية .

ولسنا هنا بصدد دراسة شاملة للثورة العربية الكبرى ، وإنما حسبنا منها خيوط المؤامرة التي دعت إلى إثارة النعرة القومية عند العرب ، في الوقت الذي أثارت فيه تلك القوى أيضاً النعرة الطورانية عند الأتراك على أيدي الاتحاديين .

وكان السلطان عبد الحميد يدرك في أواخر حكمه أبعاد تلك اللعبة التي لم يتكشف عنها النقاب بعد ، وقد أثبتت الأهمام صدق مخاوفه وطبيب نوابه ، حيث باء العرب بالخسران المبين بعدما قطعت المحتلرا برعودها الكاذبة لشريف مكة على لسان (مكماهون) ، وكانت النتيجة ضياع خلافتهم الإسلامية المتمثلة في الخلافة العثمانية ، وخذلان القضية العربية خلالنا ساحقا لم يظفروا منها بشيء^(١) .

ومن ناحية أخرى عملت الدول الأوروبية على إضعاف الخلافة العثمانية عن طريق المستوى المالي أي القروض ، فنلاحظ أن الدول الأوروبية رغبة منها في إخضاع الإمبراطورية العثمانية تبنت إلى جانب الأسلوب الاستعماري الأسلوب الاقتصادي ، فترى أن إفلاس عام ١٨٧٥م ومسألة تسوية الديون العثمانية كان لها دور كبير في تراجع الجيوش العثمانية أمام الروس ، وقد عملت الدولة العثمانية على الاتصال المباشر مع ممثلي الدائنين الأوروبيين للتفاوض على الشروط الجديدة للدين ، قد أدت هذه المفاوضات في نوفمبر عام ١٨٨١م إلى إصدار « مرسوم محرم » ونص المرسوم أولاً على تخفيض وتثبيت الدين العثماني الذي سينتقل حجمه من ٢٢٠ إلى ١١٦ مليوناً من الجنيهات التركية كما قامت الدولة العثمانية بإنشاء جهاز مالي متميز هو إدارة الدين العام وإنشاء الدين العام استطاعت الدولة العثمانية من الهروب من المصير الذي عرفتة تونس ومصر التي رقعتا تحت سيطرة أوروبا السياسية بسبب الإفلاس .

استطاعت الدولة العثمانية أن تعيد اعتبارها لدى الدول الأوروبية شيئاً فشيئاً وذلك يرجع إلى حسن سير العمل بالنظام الذي تم إقامته ، وفي عام ١٨٨١م استطاعت الدولة العثمانية التفاوض على قروض جديدة بشروط مناسبة ، ولكن لابد من الإشارة إلى أن إنشاء الدين العام قد مثل خسارة جسيمة بالنسبة لسيادة الدولة العثمانية لأنه كان بمثابة دولة داخل الدولة لأنه كان يملك ٧٢٠ فرعاً لجباية الضرائب ويستخدم ٥٥٠٠ شخصاً . كان ذلك العدد أكثر من الأشخاص الذين يستخدمهم وزارة المالية .

والى جانب الدين العام جرى فى عام ١٨٨٣م انشأ إدارة للتبغ برأسمال فرنسى وذلك لإدارة إيرادات التبغ، وكان هذا المشروع يستخدم فى عام ١٩٠٠م قرابة ٩٠٠٠ شخص بشكل جزء منهم جيشاً خاصاً مكلف بقمع تهريب التبغ .

وخلاف هذا فان الدولة العثمانية فى عهد عبد الحميد تواصل الاقتراض لكن القروض برجه عام تعتبر أقل أهمية مما فى عصر عبد العزيز وذلك يرجع إلى الاستخدام الأفضل فى عهد السلطان عبد الحميد ، وإذا تأملنا نسبة الاستثمارات فى عام ١٩١٤م نجد أن نسبة بريطانيا ١٥.٣٪ عام ١٨٨٨م إلى ٥٠.٤٪ عام ١٩١٤م والاستثمارات الألمانية من ١.١٪ ام ١٨٨٨م إلى ٢٧.٥٪ عام ١٩١٤م^(١).

وبذلك تتضح الهيمنة الغربية فى النواحي المالية والاقتصادية ، ومن قبلها الهيمنة العسكرية كما عرضت من قبل ولم يتبقى للدولة الأوروبية لإحكام السيطرة على الدولة العثمانية وعلى الخلافة الإسلامية سوى الهيمنة الثقافية ، وهذا ما سأعرض إليه الآن .

النفوذ الثقافى فى الدولة العثمانية :

عملت الدول الأوروبية الاستعمارية على زحزة الثقافة الإسلامية المهيمنة على الدولة العثمانية دولة الخلافة وعلى الدول الإسلامية وذلك لكى يسهل لها الانتقضاى على دولة الخلافة وتقويض دعائمها والقضاء عليها ، ويعتبر النفوذ الثقافى من أقدم محاولات الاستعمار الأوروبى للدولة العثمانية دولة الخلافة ، وقد وجدت الدول الأوروبية العلة المناسبة للتدخل الثقافى فى شئون الدولة العثمانية فى الأقليات غير الإسلامية التى تعيش فى كنف الدولة العثمانية دولة الخلافة الإسلامية .

فلقد شهد المجال الثقافى تنافساً حاداً بين الدول الأوروبية ، فلقد سعت كل الدول الأوروبية الاستعمارية على أن يكون لها مدارس خاصة وأعمال خيرية وصحف خاصة .

فبحو عام ١٨٣٠ تبدأ البعثات البروتستانتية الأمريكية تحت إشراف الهيئة الأمريكية للأرساليات الخارجية عملها الخيرى والمدرسى فى الإمبراطورية العثمانية ، لكن عملها يتطور بعد عام ١٨٧٠م بشكل خاص ، فنجد ٢٠٥ مدرسة أمريكية تجمع إجمالاً ٥٥٠٠ تلميذ ، وبحلول عام ١٩١٣م يصل عدد التلاميذ ٢٣٥٠٠ تلميذ والمدارس إلى ٤٣٠ مدرسة وكانت أغلبية هذه المدارس فى الأناضول بدون تصريح ، وتقدم تعليمًا أمريكى النمط لا صلة له بالنظام المدرسى العثمانى^(٢) .

١ - روبر مانتريان : تاريخ الدولة العثمانية (ترجمة بشير المباحى) ج ٢ ص ١٨١

٢ - نفس المرجع السابق ج ٢ ، ص ١٨٥ .

أما بالنسبة لفرنسا فنجد أن وجودها الثقافي في الامبراطورية كان راسخا ، فاللغة الفرنسية سائدة في الشؤون الخارجية ، وكذلك كانت اللغة الفرنسية مستخدمة في مجلس الدين العام وفي البنك العثماني ، وفي إدارة التبغ كما توجد عدة صحف كبرى صادرة بالفرنسية كصحيفة (ستامبول) وتحتل اللغة الفرنسية المكانة الأولى بين اللغات الأوروبية فهي اللغة التي تدرس في المدارس العثمانية وهي المتداولة بين العثمانيين الأكثر انفتاحاً .

ويتردد نحو ٩٠ ألف تلميذ على المدارس الفرنسية الموجودة في الإمبراطورية ، ونلاحظ أن التعليم الفرنسي تعليم موجه بشكل رئيسي إلى أبناء الأقليات غير الإسلامية خاصة العرب المسيحيين في سوريا ولبنان .

الفصل الرابع :

تعثر فكرة الجامعة الإسلامية

وانقضاؤها

الغاء الخلافة وردود الفعل في

العالم الإسلامي

الفصل الرابع

تعثر فكرة الجامعة الإسلامية وإنقياضها

العوامل التي أدت إلى تعثر فكرة الجامعة الإسلامية :

كانت هناك عوامل أثرت بالسلب في حركة الجامعة الإسلامية وأعاقت ترسيخ جذورها في العالم الإسلامي، ويمكن عرض الأسباب فيما يلي :

أولاً : كان العالم الإسلامي في مجموعه في حالة تفسخ وتخلف وركود وجهالة ، وكان من الصعوبة إن لم يكن في حكم الاستحالة أن يجتمع قاداته وزعماءه على كلمة سواء للوقوف صفا متراسا واحداً أمام المؤتمرات والاطماع الاستعمارية الأوروبية فضلاً عن نزعاتهم الشخصية والأقليمية واحقادهم وخطاتهم الطائفية .

ثانياً : لم تكن قد عرفت بعد وسائل الإعلام الحديثة التي تصل إلى الفياض والقفار وتدخل كل بيت وكل كوخ ولم يكن في مقدور الدعاة والوعاظ ومن إليهم من المبعوثين الذين أرسلهم عبد الحميد إلى أرجاء العالم الإسلامي في آسيا وأفريقية أن يصلوا إلى جميع التجمعات الجماهيرية الإسلامية المنتشرة في أقاليم هاتين القارتين .

ثالثاً : كانت قبضة الدول الاستعمارية الأوروبية على الأقليم الإسلامية الخاضعة لها قوية بحيث لم تكن تسمح بحركات سياسية مناهضة لها أو حتى ازدهار تيارات فكرية تشجيع هذا الاتجاه الوحيد ، والدليل على ذلك أن بريطانيا ضيق الخناق على جريدة العروة الوثقى التي كان يصدرها في باريس جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وميرزا محمد باقر الشهير بإبراهيم خان معطر ، ومنعت الحكومة البريطانية دخولها مصر والهند وتوقفت عن الظهور بعد أن صدر منها ثمانية عشر عدداً^(١)

أسباب فشل حركة الجامعة الإسلامية :

بعد ما تم عرضه من الأسباب التي أدت إلى تعثر حركة الجامعة الإسلامية فإن هذا التعثر لمسيرة الجامعة وتطور إلى عوامل أدت إلى فشلها وانقضائها ، وأبرز هذه العوامل :

العامل الأول :

الحركة الطورانية Pan Turanianism التي تعصب لها رجال الاتحاد والترقي واتخذوها دعامة من دعائم سياستهم بعد أن أنتهى إليهم حكم الدولة ، وقد أثرت الحركة الطورانية

١ - عهد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، ج ٣ ص ١٢٢٧ .

في الاتحاديين والشعب التركي العثماني وإخوانهم في الجنس في آسيا الوسطى وأصبح الرأي الشائع لدى الأتراك العثمانيين هو أن الحركة الطورانية هي الملاذ الوحيد لخلاصهم وسعادتهم^(١) ، لذا نجد أن الحركة الطورانية عملت على إحياء مجد الأتراك الأوائل وربط الأتراك العثمانيين بإضيقهم وتراثهم الحضاري ، كما عملت على تخليص الفكر التركي العثماني من المؤثرات الخارجية التي دخلت عليه ولا سيما المؤثرات الفارسية والعربية وكذلك قطعوا علاقاتهم باللغة العربية والتاريخ الإسلامي فكانت هذه الحركة الطورانية من أهم الأسباب إنصراف رعايا الدولة العرب المسلمين والألبان وغيرهم عن حركة الجامعة الإسلامية التي كانت تدعوا إليها حكومة استانبول .

العامل الثاني:

قدمت بريطانيا منذ عام ١٩١٥م الوعود إلى الحسين بن علي أمير مكة وشريفها بتوحيد البلاد العربية الخاضعة للدولة العثمانية في الشرق الأسوي واستقلالها وإقامة خلافة عربية مقابل إعلائه الثورة على الدولة العثمانية وانساق الشريف حسين وراء هذه الوعود ونجح في تحريك ثورة عربية ، كذلك نكثت بريطانيا وعودها بعد أن خرجت منتصرة من الحرب العالمية الأولى وعملت على تفتيت العالم العربي بإقامة كيانات سياسية في الشرق الأسوي ووضعت بعض البلدان تحت الانتداب البريطاني والبعض الآخر تحت الانتداب الفرنسي وابتقت على ممتلكاتها الإسلامية التي كانت لها قبل الحرب فجاء تصرفها قاضيا على حركة الجامعة الإسلامية^(٢) .

وهكذا وفي ظل حكومة الاتحاديين الدوثة في تركيا ظفرت بريطانيا بما تريده ، وجنت من خلال لعبة القوميات وإثارتها بين العرب والأتراك أهدافا بعيدة المدى ، فقد ضمنت وراء عوب الشام والعراق وبعض القبائل القريبة من القوات البريطانية ، وبذلك فوتت الفرصة على السلطان العثماني (محمد رشاد) إلى أعلن الحرب الدينية ضد الحلفاء ، كما أنها تمكنت من جهة أخرى من إقامة دول عربية مستقلة على أنقاض الدولة العثمانية تحت حمايتها ، تخدم كبديل للإمبراطورية العثمانية ، وتقوم بالدور التقليدي في حماية مواصلات بريطانيا مع الهند^(٣) .

العامل الثالث:

العامل الثالث هو موقف المعارضة الشديدة لحركة الجامعة الإسلامية والذي اتخذته المسيحيون العرب في الولايات العربية في الدول العثمانية ونادى المسيحيون العرب إلى

١ - عهد العزيز الشناوي : الدولة العثمانية دولة مفترى عليها : المرجع السابق ج ٣ ص ١٢٧٨ .

٢ - المرجع السابق ص ١٢٣٠ .

٣ - دور يهود الدوثة ، ص ٩٤ .

حركة القومية العربية كبديل لحركة الجامعة الإسلامية وقاموا بدور بارز فى حركة القومية العربية ودعمها (١).

العامل الرابع :

وإذا أمعنا النظر فى الإطار العام لخطة جمال الدين الأفغانى بشأن مشروع الجامعة الإسلامية لمجدها تقوم على عدة مقترحات ، وهى وإن كانت فى مجملها وفى ظاهرها جيدة إلا أننا إذا دققنا فيها لوجدنا بها الكثير من المطالب التى أثارت مخاوف السلطان عبد الحميد بل إن بعض هذه المطالب يوحى بأن وراء قوى كبرى تسانده بغية منافع خاصة ، وهكذا فإن هذه المطالب كانت تحمل فى طياتها بذور فشل حركة الجامعة فنجد أن من بين هذه المقترحات :

١ - أن تكون جميع المراسلات والمخابرات الدولية والرسمية مباشرة مع السلطان عبد الحميد ووزائه وسفرائه ورجال حاشيته بالطريقة التى يختارها سواء أكانت مع ناصر الدين شاه أم مع خديوى مصر أم مع سلطان مراكش أم مع سائر الأمراء .

٢ - أن يتعهد جمال الدين بالشرط الأكثر أهمية وهو المختص بعامة الناس من الشعوب الإسلامية بأن يقوم بمكاتبة علماء المسلمين وزعمائهم سواء أكانوا من أهل الشيعة أم من أهل السنة أم من غيرهم وأن يبسط القضية لكافة رؤساء الأمة الإسلامية وموادها بحيث تحظى بموافقتهم وتأييدهم .

٣ - لحسم الخلاف الدائر بين إيران والمذهب الشيعى مع أهل السنة اقتراح جمال الدين على السلطان عبد الحميد بأن يتعهد بنزع العتبات المقدسة وجزء آخر من بلاد الشيرين ، مما له صلة بالمشاهد المشرفة التى تزورها الشيعة ويضمها السلطان عبد الحميد إلى إيران إزاء ما تبدد له حكومة وشعبا فى تأييد الوحيدة الإسلامية .

٤ - كانت خطبة جمال الدين فى الاقتراح الرابع والأخير تتضمن تحويل الإمبراطورية العثمانية إلى مملكة الممالك وذلك بتنظيمها على أساس لامركزى ، وقد حاول إقناع السلطان بذلك .

والتأمل فى ذلك الموقف يجد السلطان عبد الحميد وهو يحاول جمع شمل دولته قد واجه مطلبين خطيرين وراء كل مطلب قوى كبرى تسانده .

المطلب الأول : اقتطاع فلسطين من الدولة العثمانية لتكون وطنا قوميا لليهود وكانت قوى الصهيونية بزعامة هرتزل تسانده ذلك المطلب وتلع عليه .

١ - عهد العزيز الشنارى : الدولة العثمانية دولة مفترى عليها : المرجع السابق ص ١٢٣٠ .

المطلب الثاني : اقتطاع العينات وأجزاء أخرى من العراق وضمها إلى إيران ، وكانت قوى الشيعة بزعامة جمال الدين الأفغانى تسانده وتدعو إليه ، وليس من المستبعد والحالة هذه أن ترى السلطان عبد الحميد يعرض على هرتزل أن يستوطن اليهود العراق بدلا من فلسطين ، وذلك جريا على عادته فى ضرب القوى المعادية للإسلام بعضها ببعض ^(١).

٥ - تشجيع الحركات القومية فى ظل الوحدة الإسلامية : فلقد شجع جمال الدين الأفغانى الحركات القومية داخل المجتمع الإسلامى لأنه كان يرى أن القوميات لا تتعارض مع فكرة الوحدة الإسلامية ولا غضاضة فى ذلك فإنه كان مكلفا من السلطان عبد الحميد بجمع شمل الشيعة الإيرانيين فى ظل الوحدة الإسلامية لئلا كان الإثنان بدعوان إليها ، ولكن هل كان ذلك النمط من الدعوة يعجب السلطان عبد الحميد؟ بلا شك أنها دعوة ترجس منها خيفة وخاصة فيما يتعلق بدعوة الأفغانى إلى العروبة والتعرب ، إذ ظن أنه يسعى مع الإنجليز لإحلال خليفة عربى محل الخليفة العثمانى ، إذا أنهم فيها الأفغانى أنه مدير لذلك الأمر ولخطط له مع الإنجليز ^(٢).

٦ - تشجيع الاتجاه الدستورى ومناصرة لأحرار : عرفنا سابقا أن السلطان عبد الحميد كان يهدك من وراء الجامعة الإسلامية إلى ضرب الأحرار المنادين بالدستور أو القانون الأساسى كما كان يهدك بها إلى الضغط على الاستعمار الغربى الذى يترص به وبدولته فى كل اتجاه ، ومن هنا كان من الطبيعى أن يحق السلطان عبد الحميد على جمال الدين الأفغانى إذا ما دعا إلى الإصلاحات الدستورية ومناصرة الأمراء المناوئين لحكمه وقد كان جمال الدين يريد أن يكون الاتجاه الإسلامى المحاداً دستوريا ، وتشير المراجع إلى أن جمال الدين حين كان فى الاستانة طلب من السلطان عبد الحميد إقامة نظام للشورى فى دولته وتغيير نظام الحكم تغييراً جذريا ، ولكن السلطان رفض ذلك ، فصار جمال الدين يعتقد أن حكم عبد الحميد الفردى لا يمكن أن يصلح للوحدة الإسلامية ^(٣).

الخفاء الخلافة وردود الأفعال فى العالم الإسلامى :

لقد دامت الخلافة العباسية حتى عام ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ عندما استولى المغول على بغداد فانتقلت إلى القاهرة واستمرت فى شكل رمزى حتى جاء السلطان سليم واستولى على مصر عام ١٥١٧م ونقل الخلافة إلى بنى عثمان ، ودام هذا الأمر حتى قام مجلس الأمة التركى الكبير بإلغاء السلطنة وإعلان تشكيل حكومة المجلس الوطنى التركى

١ - دور يهود الدوفة فى إسقاط الخلافة العثمانية ص ٨٢ .

٢ - المرجع السابق ص ٨٨ .

٣ - المرجع السابق ص ٨٩ .

الكبير عام ١٩٢٢م ألغيت السلطنة وبقيت الخلافة وفي ١٦ نوفمبر ١٩٢٢م يطلب السلطان وحيد الدين من قائد قوات الاحتلال الإنجليزي منحه حق اللجوء السياسي ويرسل إليه رسالة عاجلة يطلب فيها نقله بسرعة من استانبول إلى مكان آخر ، والملاحظ أنه في هذه الرسالة لم يستعمل وحيد الدين لقب سلطان حيث كانت السلطنة قد ألغيت وإنما وقع الرسالة باسم (خليفة المسلمين) (١) .

وهكذا وبناء على هذه الرسالة فقد أعلنت الصحف الأوروبية في اليوم التالي أن وحيد الدين لم يتنازل عن العرش والخلافة قبل أن يلجأ إلى الأسطول الإنجليزي (٢) .

ولكن لجوء وحيد الدين إلى الأسطول الإنجليزي قد أثار (زريعة) كبيرة عند حكومة المجلس الوطني الكبير ، وقد قام المجلس بعقد جلسة سرية ، حيث أعلن أن الخليفة وحيد الدين قد أهان الأمة الإسلامية بلجونه إلى أعداء الإسلام ، وقد أستصدر المجلس فتوى من الشيخ وهبي أفندي ناظر الأوقاف وشئون الدين آنذاك الذي أفتى بجواز خلع الخليفة وحيد الدين (٣) .

وبناء على قرار المجلس انتخب لمقام الخلافة عبد الحميد أفندي وهو من سلالة آل عثمان، وبناء على ما أعلنه بعض علماء الدين الأعضاء في المجلس طبقاً للأدلة التي ساقوها والمعلومات التي ذكروها بخصوص طبيعة الخلافة ومدى ضرورتها فقد ألغيت الخلافة في ٣ مارس ١٩٢٤م وطرد آخر خليفة خارج البلاد (٤) .

ولم تكن عملية إلغاء الخلافة وليدة لساعة بل أنها كانت مؤامرة كبرى تم تدبيرها منذ أمد بعيد واشترك فيها الاتحاديون والكماليون مع القوى الخارجية حتى يتمكنوا من الإجهاز على البقية الباقية من السلطة الإسلامية .

فقد عمل الاتحاديون والكماليون مع الدول الكبرى لإسقاط الخلافة العثمانية وإلغاء الحكم الشرعي ولقد أتبعوا في ذلك خطة قائمة على محورين .

المحور الأول : إبراز السلطان عبد الحميد بالحاكم المستبد وأن نظامه في الحكم (الخلافة الإسلامية) هو السبب في تخلف المسلمين ، وقد نالت هذه الخطوة حالة إعلامية كبرى في صحف ومجلات أوروبا ، ثم بعد ذلك تسربت إلى داخل البلاد بمعرفة الدوائر الاستعمارية التي دأبت على وصف السلطان عبد الحميد بالملك الأحمر .

١ - Prof . Dr . Turhan Feyzioglu : Türk Milli Mücadelesinin ve Atatürkçülüğün- Temel İlkelerinden Biri Olarak Millet Egemenligi Ankara 1987 . s. 40 .

٢ - (المرجع السابق) . a.e.s.40 .

٣ - (المرجع السابق) . a.e.s.43 .

Türk Ansiklopedisi - Cilt 19. s. 239 .

وقد أتت هذه الخطوة ثمارها على حساب النظم الإسلامية القائمة آنذاك إذ اندفع الكثيرون من أبناء تركيا بלהثون وراء بريق الحضارة الغربية ولا سيما المبعوثون لجامعات ومدارس الغرب ، فقد تلقوا على أيدي المستشرقين من اليهود والنصارى ما أفقدهم الثقة بخليفتهم ونظام الحكم في دولته الأمر الذي عجل باتضمام الكثيرين منهم إلى حركة الاتحاد والترقي لانتقاذ الدولة من براثن التخلف .

المحور الثاني : هو مؤامرة بيع الخلافة الإسلامية في عواصم أوروبا والذين قاموا بإجراء تلك الصفقة هم جماعة الاتحاد والترقي ، وقد ظهر ذلك جليا في مؤتمر الصلح الذي عقد في مدينة لوزان ، وقد مثل فيه تركيا كل من الحاخام (ناحوم) ^(١) اليهودي المعروف .

وجدير بالذكر أن حاييم باحوم هو الذي قدم لمصطفى كمال شروط كريتزون الأربعة

١ - أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام

٢ - أن تلغى الخلافة الإسلامية

٣ - أن تتعهد بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .

٤ - أن تختار تركيا دستورا مدنيا بدلا من الدستور العثماني المستمد من أحكام الشريعة الإسلامية والقائم على قواعدها ^(٢) .

والحقيقة أن المسلمين لم يكونوا يعلمون عن أسرار إلغاء الخلافة شيئا ولم يقفوا على نوايا الكماليين إذ أنهم انخدعوا بالدعايات التي كانت ترافق ثورتهم حتى أولوها محل دعم وتأييد وذلك لأن العالم الإسلامي كما قلنا كان قد فقد صوابه بعد انهيار الدولة العثمانية دولة الخلافة بل كان على أتم استعداد آنذاك لمنصرة أمة حركة تقوم في أمة ناحية لنصرة الإسلام وإعادة الخلافة . فانخدع بها المسلمون وظنوها حركة إسلامية وليست حركة غربية علمانية في انطلاقتها وأهدافها ومن ثم تعلقت قلوبهم بمصطفى كمال أتاتورك على أنه مسلم يقف في وجه الغرب وعما قريب سيعيد للمسلمين خلافتهم الإسلامية وسيعيد إليهم شأنهم وعظمتهم .

ولكن كان مصطفى كمال على عادة يهود الدوغة يبطن خلاف ما يظهر ويفعل خلاف مايقول إذ أنه ما كادت تستقر الأمور وينتصر نهائيا وبطمئن إلى مصيره حتى قام بإلغاء الخلافة العثمانية وإعلان الجمهورية ^(٣) .

١ - حاييم ناحوم أو ناحوم : كبير الحاخامين اليهود في تركيا ، كان في سلاتيك ، وبعد الثورة الاتحادية انتقل إلى استانبول ، وبعد انتهاء دوره في إسقاط الخلافة الإسلامية حيث كان صلة الوصل بين زعماء اليهود في أوروبا وأمريكا والسياسيين الإنجليز من جهة وبين كمال أتاتورك من جهة أخرى .

٢ - د . محمد محمد إبراهيم زعروت : دور يهود الدوغة في إسقاط الخلافة العثمانية ص ١١٥ -

١١٦ .

٣ - العلمانية ص ٢٥٥ .

وقبل أن يقدم مصطفى كمال على إلغاء الخلافة بشهرين صرح لمحرر العالمين (Revue de deux mondes) أن الخلافة تعنى الحكومة أو الإدارة وأنه بعد تأسيس الإدارة الجديدة لم يعد للخلافة معنى ، وكان هدف مصطفى كمال من هذا التصريح أن يعد الأذهان لتقبل الخطوة التالية ألا وهى إلغاء الخلافة .

وفى تلك الأثناء أخذت صحف استانبول تشير اشارات صريحة إلى الخليفة وإلى زواره وتحيطه بنفس الهالة القديمة ، ووصل الأمر إلى درجة أن قام رؤوف بك نائب استانبول بزيارة الخليفة فى قصره وهو الذى عارض إعلان الجمهورية ودعا أن يظل الخليفة رئيساً للدولة ، وقد قام عصمت باشا ابنونو بتوبيخ رؤوف بك على هذه الزيارة بعنف وقرعه بشدة فى اجتماع الحزب . وبما قاله له فى هذا الاجتماع « أن مسألة زيارة الخليفة هى قضية الخلافة نفسها ويجب ألا يغيب عن ذهننا أيضاً أن هناك إمكانية لخلق أسلحة خليفية »^(١) .

وأضاف عصمت قائلاً « لن ننسى أن فتوى من الخليفة هى التى دفعت البلاد إلى دخول الحرب العالمية الأولى وأن فتوى من الخليفة ضد النضال الوطنى كان لها تأثير أعمق وأقوى من كل أسلحة العدو » .

ولكن ما عجل بأجل الخلافة هو رسالة بعث بها فى أواخر كانون الثانى سنة ١٩٢٤م سكرتير الخليفة إلى عصمت ابنونو رئيس الوزراء آنذاك يلفت نظره إلى اهتمام الخليفة بالمقالات الصحفية التى تقلل من سلطة الخليفة دون سبب وأن الرسميين الحكوميين الذين يجيئون إلى استانبول يتجاهلونه ولا يزورونه .

ثم تناول السكرتير فى رسالته موضوع (خزانة الخليفة) . وقد استشاط غضب مصطفى كمال لدى سماعه بهذه الرسالة ، وكان آنذاك فى أزمير حيث كان من المقرر إجراء مناورات عسكرية فبعث برسالة إلى عصمت ابنونو تدل على مدى عصبية حين كتبها وقد ورد فيها : « إن سلوك الخليفة نفسه هو المسؤول عن سوء التفسير وسوء الفهم حول الخلافة . فالخليفة يتصرف وكأنه سلطان وهذا يتضح من احتفال صلاة الجمعة ومن استقباله ممثلى الدول الأجنبية ومن حياته الخاصة فى القصر حيث يصل به الأمر إلى درجة استقبال الضباط المرمجين فيصفى إليهم ويمزج دموعه بدموعهم . إن على الخليفة والعالم أن يدركوا أن الخليفة ومنصب الخلافة لا يعنى فعلاً ولا ينطوى على أى حق فى الوجود والحياة ولا على أية صبغة دينية أو سياسية ، ولا يمكن للجمهورية التركية أن تسمح لنفسها بأن تتعرض للخطر أو أن تعرض استقلالها له . وأمضى إلى أبعد من ذلك فأقول إن كرامة الخلافة هى جزء من ذكريات الماضى فقط ، ولهذا فإن مطلب الخليفة فى أن يتصل به المسؤولون فى الحكومة التركية هو انتهاك صارخ لاستقلال الجمهورية .

وفيما يتعلق بخزينة الخليفة فإننى لا أفهم هذا ولا يمكن أن يكون للخليفة خزينة ، يجب أن يحدد وضع الخليفة فقد بنيت قصور عديدة للخلفاء من خبز الشعب وأن شائعات كثيرة تردد عن أن المتصلين بالخليفة يبيعون نفائس القصور خلسة . وعلى الحكومة أن تضع يدها على هذه القصور ونفائسها « (١) .

وبعد أن بعث مصطفى كمال بهذا الرد القاسى حضر عصمت باشا وكاظم باشا وزير الحربية إلى أزمير لحضور المناورة العسكرية ، وهناك قال مصطفى كمال « لقد اتفقنا على ضرورة إلغاء الخلافة فى نفس الوقت قررنا إلغاء وزارة الشؤون الدينية والأوقاف وتوحيد التعليم » (٢) .

وحين عاد مصطفى كمال إلى أنقرة أعلم المسئولين بقراره حول إلغاء الخلافة وعقد اجتماعات مع أعضاء حزبه شرح لهم ضرورة اتخاذ هذا الإجراء فوراً حتى لا تتعرض الجمهورية وحتى لا يقوم باورو الخليفة ببعث الآمال فى نفسه أو بالمقامرة فى سبيل استعادة السلطة الضائعة .

ثم قدم أعضاء حزب الشعب النواب فى الجمعية الوطنية ثلاثة اقتراحات بإلغاء الخلافة ووزارة الشؤون الدينية والأوقاف والتعليم العام ، وألقيت كلمات أهمها الكلمة التى ألقاها وزير العدلية (سيد بك) الذى أوضح لمصطفى كمال الناحية القانونية والشرعية فى فصل السلطة عن الخلافة ، وفى إعلان الجمهورية ، وقد أقرت هذه الاقتراحات فاصبحت المدارس الدينية والخاصة خاضعة لوزارة التعليم العام ، وألغيت الخلافة ومنع أعضاء الأسرة الحاكمة من الإقامة فى تركيا ، والغريب أن بعض الأعضاء أصروا على أن ينتخب مصطفى كمال خليفة جديدا وتلقى برقية من الدكتور (راسخ افندى) وهو دكتور فى الشريعة الإسلامية يدعوه فيه إلى إعلان نفسه خليفة للمسلمين ، وكان راسخ آنذاك فى مصر فرد عليه مصطفى كمال ببرقية جاء فيها « لن أقبل هذا المنصب إلا إذا أعلن ملك العالم الإسلامى مرافقتهم على تنفيذ الأوامر التى أصدرها » (٣) .

وبعد أن قام مصطفى كمال بإلغاء الخلافة العثمانية ، وإعلان الجمهورية ، وطرد الخليفة من البلاد ، تنكر لكل القيم الإسلامية ، فنراه يحذف من الدستور التركى الفقرة القائلة بأن دين الدولة الإسلام ، ويستبدلها بالقانون المدنى السويسرى ، ويأمر بلبس القبعة مكان العمامة ، ويبيح زواج المسلمات من غير المسلمين ، ويمنع السفر لأداء فريضة

١ - Kemal Atatürk - Nutuk 1919 - 1927 .Yayına Hazırlayan Prof.Dr. Zeynep Kork-

maz , Ankara 1991 S.572 .

Bernard Lwis : The Emergence of Modern Turkey, . p258.

Kemal - Atatürk Nutuk 1919 - 1927 .

الحج ، ويجعل يوم الأحد عطلة رسمية بدلاً من الجمعة ، ثم يأمر واضع الدستور أن يصدره بالعبارة التالية :

" القرآن دستور البداوة " ^(١) ثم نراه يتهجم على القرآن الكريم يوم افتتاح المجلس الوطنى الكبير (البرلمان التركى) عقب إعلان الجمهورية عام ١٩٢٣م بقوله :

" نحن الآن فى القرن العشرين لا نستطيع أن نسير وراء كتاب تشريع يبحث عن التين والزيتون) ، فصق له الدوغة ورددوا مع شاعرهم (فاروق نافذ) : « سلمنا البلاد لأيدى أتاتورك الأمانة وتركنا الكعبة للعرب » ^(٢) .

وبالغاء الخلافة أكمل مصطفى كمال كل الخطوات اللازمة لصيانة الجمهورية ولتنفيذ برنامجه الإصلاحى الواسع .

وهكذا فإن منصب الخلافة الذى بدأ عام ٦٣٢م قد أصبح ذكرى فى ذمة التاريخ .

ردود الأفعال فى العالم الإسلامى

كان وقع سقوط الخلافة على المسلمين أليماً ، فلقد أصيب المسلمون بحالة من الإضطراب والحيرة ، فلم يعرفوا كيف يصنعون ، وقد أصبح العالم الإسلامى بلا خلافة . ولم يكذ المسلمون بفيقون من دهشتهم حتى تعالت أصوات عدة فى العالم الإسلامى محاولة أخذ البيعة لنفسها بالخلافة .

فعلى سبيل المثال نجد « أن الحسين بن على ملك الحجاز يدعى لنفسه الخلافة ، فلقد قام الحسين إذ ذاك بزيارة لأبيه عبد الله فى الأردن ودعا الأمير عبد الله الناس لبيعة أبيه خليفة وتردد الحسين ثم قبل ويوم فى الخامس من آذار عام ١٩٢٤م - ١٣٤٣هـ وبايعه الفلسطينيون فى الحادى عشر منه والعراقيون فى اليوم الثانى عشر وأيده قلة من السوريين وبعض أمراء الهند وجزيرة العرب » ^(٣) .

وإذا نظرنا لمصر وموقفها من إلغاء الخلافة نجد أن الأفراد والهيئات فى مصر قد احتجت على قرار حكومة أنقرة وأن هذا القرار فيه اعتداء على حقوق المسلمين وأن الأتراك لا يملكون حق التصرف فى الخلافة ، وكان الناس يرون أن بيعة عبد المجيد لاتزال قائمة وأن خلعه غير شرعى ، " وتنادى المسلمون إلى عقد مؤتمر للخلافة وأصدر ستة عشر عالماً من علماء الأزهر بياناً إلى العالم الإسلامى أعلنوا فيه أن المجلس الوطنى الكبير (التركى) لا يستطيع إلغاء الولاء والبيعة اللتين كانتا لعبد المجيد فى أعناق المسلمين ^(٤) .

١ - يهود الدوغة ص ١١٨ .

٢ - محمد على الزعبي : الماسونية فى العراق ص ٢٢١ .

٣ - عبد الكريم مشهناى : العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية فى تركيا ، ص ٢٦٢ .

٤ - المرجع السابق ص ٢٦٢ .

وقد عقد الأمير طوسون أحد أمراء العائلة المالكة المصرية اجتماعا فى الخامس عشر من آذار ١٩٢٤م ١٩ شعبان ١٣٤٣هـ برئاسة شيخ الأزهر ، وقد قرروا فى هذا الاجتماع بطلان خلافة عبد المجيد لأنها منفصلة عن السلطة الزمنية ومقتصرة على السلطة الروحية واستخلصوا أنه ليس لعبد المجيد بيعة فى أعناق المسلمين ودعوا إلى عقد مؤتمر إسلامى فى القاهرة فى آذار ١٩٢٥م ١٣٤٤هـ للبت فى أمر الخلافة وشكلت لجنة المؤتمر الإسلامى للإعداد للمؤتمر ، وأصدرت مجلة ناطقة باسمه ظهر العدد الأول منها فى تشرين الأول عام ١٩٢٤م ربيع الأول ١٣٤٣هـ ، ولم يتسن عقد المؤتمر فى الموعود المحدد بسبب المصاعب العديدة (٣).

وبخلاف ما حدث فى مصر فقد نشبت حرب بين السعوديين والهاشميين انتهت باخراج الهاشميين من الحجاز (٤).

ولقد كانت هذه الحرب بسبب محاولة الحسين بن على سالف الذكر فى أخذ الخلافة ، ولكن السعوديين وقفوا أمامه محاولين أخذ الخلافة لهم ، لذا نشبت الحرب بينهما . ويضاف إلى هؤلاء الملوك الطامعين فى الخلافة الملك فاروق ملك مصر والملك آمان الله خان ملك الأفغان ، ونتيجة لهذا الجدل الذى أثير عقب إلغاء الخلافة الإسلامية صدر فى الفترة ما بين عامى ١٩٢٤م و ١٩٢٥م أربعة كتب عن الخلافة .

" أولهم كتاب الشيخ رشيد رضا : « الخلافة أو الإمامة العظمى » ، وثانيهم كتاب بعنوان « الخلافة وسلطة الأمة » ظهر بالتركية ، والكماليون هم الذين أشرفوا على وضع الكتاب وترجم هذا الكتاب إلى العربية ولجحد فيه أن المؤلف يدافع عن الكماليين الذين فصلوا بين السلطنة والخلافة ، وثالث الكتب الأربعة هو كتاب شيخ الإسلام مصطفى صبرى « النكير على منكرى النعمة من الدين والخلافة والأمة » وفيه يتحدث عن فساد مصطفى كمال والكماليين وسوء سيرتهم وتعصبهم للطورانية ضد كل ما هو إسلامى ويؤكد الشيخ مصطفى صبرى أن الكماليين والاتحاديين شىء واحد كلاهما يعتمد على اليهود فيقول : " لن نجد ملة أو قوما خارج بلادنا وداخلها دامت مودة الكماليين والاتحاديين لهم غير اليهود " .

والكتاب الرابع أصدره الشيخ على عبد الرازق بعنوان (الإسلام وأصول الحكم) ولجحد الشيخ على عبد الرازق فى هذا الكتاب بهاجم الخلافة كنظام للحكم ويرى أنه نظام استبدادى وأن الخلافة غير ضرورية وأن القرآن لم يحدد شكلا معيناً للحكم . فيقول : " أما الخلافة فليس بنا من حاجة إليها لأمر ديننا ولا لأمر دنيانا فإنما كانت الخلافة ولم

١ - عبد الكريم مشهدانى : العلمانية ص ٢٦٣ .

٢ - المرجع السابق ص ٢٦٣ .

تزل نكبة على الإسلام والمسلمين » ودعا إلى فصل الدين عن السياسة . فيقول : " أن الإسلام دين وليس نظاما سياسيا " (١).

وقد أنبرى العديد من العلماء للرد على آراء الشيخ على عبد الرازق منهم الدكتور محمد عمارة في كتاب معركة الإسلام وأصول الحكم حيث يذهب إلى أن الخلافة ضرورية وأن هناك شبه إجماع على ذلك فيقول في كتابه « إن ابن خلدون لم ينفرد بحكاية الإجماع على نصب الإمامة ، بل تضافر عليها كثير من علماء الكلام أمثال : زين الدين العجمي في كتابه المواقف (٧٥٣ هـ ١٣٥٢ م) ومسعود بن عمر التفتازاني (٧١٢ - ٧٩١ هـ / ١٣١٣ - ١٣٨٩ م) في كتاب المقاصد ، ابن حزم الأندلسي (٣٨٥ - ٤٥٦ هـ / ٩٩٤ - ١٠٦٤ م) في كتاب « الفصل » اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الإمامة ما عدا النجدة من الخوارج فإنهم قالوا لا يلزم الناس فرض الإمامة وإنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم » (٢).

وفي شبه القارة الهندية تفاعل أهل الهند المسلمون مع مجريات الأحداث في تركيا ففي الفترة من عام ١٩٠٨م إلى ١٩١٤م فقدت الدولة العثمانية الكثير من البلدان وأصبحت الممالك الغربية في شبه القارة الهندية بالوهن والضعف حيث كانت الدولة العثمانية آخر قوى الإسلام السياسية لهذا بدأوا يفكرون في موضوع الخلافة ، وكانوا يعتبرون غاية في الأهمية من أجل النهوض بالعالم الإسلامي ، وقد تفاعل كتاب وشعراء الهند أمثال شبلى وأبو الكلام آزاد ومولاتا محمد على وظفر على خان ومحمد إقبال (٣).

وقد أسهم مولاتا أبو الكلام آزاد اسهاماً كبيراً في مسألة الخلاف ، فلقد كان عضواً في لجنة الخلافة الإقليمية وترأس مؤتمر الخلافة في البنغال الذي عقد عام ١٩٢٥م . ولقد بلور للمسلمين في كتابه الجامع (مسألة الخلافة) نظرية الخلافة ، وذكر في هذا الكتاب تاريخ الخلافة بالتفصيل (٤).

ومن بين الذين تأثروا بأحداث الخلافة مولاتا عبد الباري الذي قام بتأسيس جمعية خدام الكعبة عام ١٩١٣م ، وكانت هذه الجمعية تهدف إلى إنقاذ الأماكن المقدسة من أيدي غير المسلمين ومحاولة لم شمل المسلمين وقد لعب دوراً مؤثراً في حركة الخلافة فكان أول من دعى إلى جلسة طارئة في (لكناو) عام ١٩١٩م تحت اسم مؤتمر مسلمي عموم الهند

١ - أنظر في ذلك الإسلام وأصول الحكم : على عبد الرازق ص ١٢ .

٢ - معركة الإسلام وأصول الحكم : محمد عمارة ص ٢٣٦ .

٣ - معين الدين عقييل : تحريك آزادي مين اردو كما حصه ألجيمين ترقى اردو كراچی : اشاعت اول

١٩٧٦ ص ٣٤٧ .

٤ - المرجع السابق ص ٣٥٠ .

للاحتجاج على استيلاء الإنجليز على القسطنطينية وكان هذا المؤتمر تحت رئاسته ، وقد تناول فيه موضوعات الخلافة والإشراف على الحرمين والأماكن المقدسة ، كما أسس مجلس الخلافة .

وعلى هذا نجد أن مستقبل الخلافة قد أثار اهتمامات خارج حدود تركيا وسبب قلقاً بالغاً خاصة في الهند ، وهنا عتب مصطفى كمال قائلاً : * إن الذين هاجموا الخلافة ليسوا بغرباء . أنهم شعوب المسلمين الذين قاوموا الأتراك تحت العلم البريطاني في الدونبيل وسوريا والعراق ^(١) .

ومن علماء الهند الذين كان لهم دور هام في حركة الخلافة السيد سليمان الندوى ، وقد شارك مع الدكتور الأنصارى في وفد الاحتجاج الذي توجه إلى إنجلترا للاحتجاج على استيلاء الإنجليز على القسطنطينية ، وكان مع السيد سليمان الندوى في هذا الوفد مرلانا محمد على ممثلاً لعلماء الهند وقد رأس في عام ١٩٢٦ مؤتمر الخلافة الذي عقد في دلهي ، وقد ساهم بكتبه وكتابهاته في هذه المسألة ، فقد كتب عدة كتب حول موضوع الخلافة منها (خلافت اور هندوستان) خلافت عثمانية اور دنيای اسلام ، خلفاء اسلام کا اثر واقتدار ، خلافت عثمانية او مسيحي دنيا کا اعتراف .

الخلافة والهند ، الخلافة العثمانية والعالم الاسلامي ، تأثير خلفاء الاسلام وقوتهم ، الخلافة العثمانية واعراف العالم المسيحي بها ^(٢)

ومن هذا نجد أن مسألة الخلافة وما أحاط بها من أحداث قد أثرت في العلماء في جميع المعمور الإسلامي وتفاعلوها بها سواء بالكتابات أو بالثورات والاجتماعات ، وجاء أقوى احتجاج ضد إلغاء الخلافة من مسلمي الهند ومصر حيث أهرق اغا خان وأمير علي إلى مصطفى كمال بنحون عليه باللائمة لأخذ هذه الخطوة ، كذلك حاول الملك فاروق ملك مصر أن يحيى منصب الخلافة في عائلته إلا أن اقضاء عن العرش عام ١٩٥٢م قد حسم المسألة ^(٣) .

Bernard Lewis Islame et L'aicite .p.230

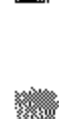
- ١

٢ - معين الدين عقل : المرجع السابق ص ٢٥١ .

Türk Ansiklopedisi cilt 19 s . 23.

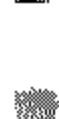
- ٣

القسم الثاني



الباب الأول

فكرة الجامعة الإسلامية وقضية الخلافة
في أدب إقبال بحامة
والفارسي بخاجة

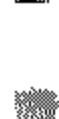


١٩٧٣

الفصل الأول

موقف إقبال

من حركة الجامعة الإسلامية



محمد إقبال :

ولد محمد إقبال في التاسع من نوفمبر عام ١٨٧٧ م الموافق الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٣٨٩ هـ في مدينة سيالكوت ، ينتسب إقبال أسرة برهمية دخلت في الإسلام منذ ثلاثة قرون كانت تقيم في كشمير ثم اضطرتها الحوادث إلى أن تهاجر إلى البنجاب ، وكان أبوه (الشيخ نور محمد) وأمه السيدة (أمام بي بي) معروفين بالصلاح والتقوى^(١) ويفخر محمد إقبال بأنه برهمي فنجده يقول في زبور عجم الطبعة السابعة ، مايو ١٩٥٩ م ص (١٧).

انظر إلى فلن ترى في الهند آخر

برهمي الأصل عارف برموز الروم وتبريز^(٢)

بدأ إقبال تعليمه في سيالكوت حيث درس الأدب الفارسي والعربي على يد « مير حسن » أحد الأدباء النابهين ثم انتقل إلى لاهور للدراسة العالية ، وتعلم على يد السير « توماس أرنولد » أستاذ الفلسفة الإسلامية ونال درجة الماجستير وصار مدرساً في إحدى الكليات . في عام ١٩٠٥ م سافر إلى أوربا وتعلم القانون في جامعة كمبردج ، ثم ذهب إلى ألمانيا فدرس الفلسفة ، ثم وجع إلى وطنه بعد ثلاثة سنوات حيث عمل في المحاماة فقصده الناس لإستشارته والإستفادة منه في كثير من الأمور التي كانت تهم المسلمين ، ولم ينس إقبال في أوربا أن يدافع عن الإسلام^(٣).

في الفترة التي سافر فيها إقبال إلى ألمانيا بين عامي ١٩٠٥ - ١٩٠٧ نال درجة الدكتوراة في الفلسفة من جامعة ميونيخ ، وكان عنوان رسالته « تطور ما بعد الطبيعيات في إيران »^(٤).

١ - مجلة إقباليات (عربي) العدد الأول عام ١٩٩٢ م ، أكاديمية إقبال الباكستانية بـ لاهور ص ١٣ .

٢ - مرا بنگر در هندوستان ديكر في بيني برهمي زاده آشنائي روم وتبريز است

محمد إقبال : زبور عجم ، الطبعة السابعة ، مايو ١٩٥٩ ، ص ١٧ .

٣ - مجلة الرسالة عدد ٢٥٦ - ٣٠ مايو ١٩٣٨ . عزام : محمد إقبال ص ٨٩٤ .

٤ - مجلة إقباليات (عربي) ١٩٩٢ م ، العدد الأول ص ١٤ .

واستغل الشاعر محمد إقبال زمن إقامته بأوروبا فأدى ما رآه لزائماً عليه نحو دينه ودافع عنه وجاهد في سبيله مظهراً مزايا الإسلام ، وألقى عن الإسلام عدة محاضرات في إنجلترا ، ثم عاد إلى الهند في عام ١٩٠٨م^(١) ، وكما أشرت من قبل فإن محمد إقبال حين عاد إلى الهند في عام ١٩٠٨م اشتغل بالمحاماة وقد استمر في عمله بالمحاماة حتى عام ١٩٣٤م أي قبل وفاته بأربع سنوات . إذ اضطره المرض لتركها ، وكان إقبال يقضى أكثر أوقاته في تأليف الكتب وقرض الشعر ، وكان يحضر جمعية حماية الإسلام السنوية وينشد فيها قصائده ومنها (العتاب والشكوى) التي أشتكى فيها إلى الله على لسان المسلمين لما حل بهم وذكر أعمال المسلمين الخالدة في سبيل نشر الإسلام وسبيل الجهاد والإصلاح^(٢).

الجانب الأدبي في حياة إقبال :

في البداية لابد من التوضيح أن الشاعر محمد إقبال كتب بلغات عدة فنجد للشاعر محمد إقبال أشعاراً باللغة الفارسية وأخرى بالإردية ، كما أن له أيضاً مقالات ورسائل باللغة الإنجليزية .

وكان الشاعر محمد إقبال يتأثر ويتفاعل كثيراً مع مجريات الأحداث في وطنه الكبير (العالم الإسلامي) والصغير شبه القارة الهندية ، وعلى هذا فإن الأحداث التي أحاطت به أثرت في إنتاجه تأثيراً مباشراً ، وعلى هذا يمكن تقسيم الإنتاج الأدبي لمحمد إقبال إلى أربع مراحل .

١ - المرحلة الأولى :

هذه المرحلة تمتد من بداية قوله للشعر وحتى سنة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م ، وهذه المرحلة شهدت بعض الأشعار التي تميزت بالتعبير عن الوطن مثل النشيد الهندي ومنظومة هذا وطني ، كما أعلن إقبال أنه لا ينتمي إلى مدرسة دهللي أو إلى مدرسة لكهنؤو وإنه أسير لجمال الفن وكماله أينما كان ، ونظم (أنين اليتيم) (خطاب يتييم إلى هلال العيد) وفي عام ١٩٠٤ م نظم قصيدة بعنوان (صورة الألم) في حفلة أقامتها جمعية حماية الإسلام^(٣).

١ - الأعلام الحسة للشعر الإسلامي : د . محمد حسن الأعظمي ، الصاوي على شعلان ص ٧ .

٢ - مجلة إقباليات (عربى) العدد الأول ١٩٩٢ - أكاديمية إقبال الهاكستانية - لاهور ص ١٠٢ .

٣ - د . سمير عبد الحميد إبراهيم إقبال والعالم العربى - مكتبة دار السلام ، الرياض ، الطبعة الأولى

١٤١٣هـ/١٩٩٢م ص ١٤ .

٢- المرحلة الثانية :

من عام ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م إلى عام ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م ، وتشمل الأشعار التي نظمها أثناء إقامته في أوروبا وتضمنت أشعاره نقداً للحضارة الغربية ، وتحرك إقبال من مرحلة الوطنية إلى مرحلة الشعور الإسلامي والشعور بالأهمية الإسلامية والإشادة بعظمة الإسلام وتذكير المسلمين بقوتهم وعظمتهم في ظل تمسكهم بالدين الخفيف^(١).

٣- المرحلة الثالثة :

من عام ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م إلى ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م وهي الفترة التي شهدت إنهاء حركة الخلافة وحوادث أخرى غيرت الكثير من معالم البلاد الإسلامية وظهور حزب الرابطة الإسلامية مطالباً بالحفاظ على حقوق المسلمين بالهند ، وهنا نجد أن الشاعر محمد إقبال قد ضمن أشعاره الأحداث التي مرت بهذه الفترة من حياته ، فأشار في أشعاره إلى فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى ، والخلافة الإسلامية ، كما أخذ إقبال يحذر الشباب من فتنة الحضارة الغربية ، كما ركز على إبراز الشخصية الإسلامية لمسلمي الهند . وقد كتب إقبال في هذه الفترة ديوان الأسرار والرموز (اسرار خودي ... رموز بيخودي) بالفارسية .

كما كتب بالأردية منظومة شكوى وجواب شكوى ، وقد أشاد بأتاتورك في مواجهته لليونان ، وبعد أن ألغى أتاتورك الخلافة تأثر إقبال كثيراً وعاتب أتاتورك ، وحذر الأتراك من اتجاههم إلى الغرب وكتب ديوان (بانگ درا) ، (صلصلة الجرس) وپیام مشرق (رسالة الشرق) ثم كتب بالفارسية زبور عجم .

٤- الفترة الرابعة والأخيرة :

وتمتد هذه الفترة من عام ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م إلى عام ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م ، وفيها تضمنت أشعاره أفكاراً جديدة ، فقد تحدث عن السياسات العالمية وهاجم السياسة العلمانية كما هاجم منتقداً النظم التي كانت موجودة والسائدة في تلك الفترة وهي الرأسمالية والشيوعية ، وأوضح أن الإسلام هو النظام الوحيد الذي سيكون طوق النجاة للعالم ، وله قصائد هامة في تلك الفترة مثل « ساقی نامه » ، « مسجد قرطبة » ، « ذوق وشوق » كما نظم في تلك الفترة ديوان « جاوید نامه » بالفارسية و « بال جبریل » أي جناح جبريل بالأردية ، و « ضرب کلیم » بالأردية ، و « مثنوی مسافر » بالفارسية ومثنوی (پس چه باید کرد ای اقوام شرق ؟) إذن ما العمل يا أمم الشرق ؟ بالفارسية و « ارمغان حجاز » هدية الحجاز بالفارسية والأردية^(٢).

١ - انظر سير عبد الحميد ابراهيم ، إقبال والعالم العربي ، ص ١٦ .

٢ - المرجع السابق ، ص ١٤ .

المراحل الأربعة التي ذكرتها كانت تخص الجانب الشعري في إنتاج العلامة محمد إقبال ، ولكن هناك إنتاج أدبي آخر للعلامة محمد إقبال من هذا الإنتاج كتابات متفرقة .

ولقد ذاع ضيت محمد إقبال في جميع أنحاء الهند ووصلت شهرته إلى كثير من أرجاء العالم الإسلامي كمفكر جاد ومجدد فاهم للفكر الإسلامي .

وهب إقبال فكره وقلبه للمسلمين يوقظهم ويعلمهم ويصف داخهم ودواخهم ، ويشيد بماضيهم ويبشر بمستقبلهم ، وقد صدق الشاعر الإسلامي محمد عاكف إذ قال : " لو أن جلال الدين الرومي صاحب اللحن في هذا العصر لكان محمداً إقبالاً ^(١) .

- الكتابات المتفرقة :

هناك محاضرة ألقاها محمد إقبال باللغة الإنجليزية كانت هذه المحاضرة بعنوان . مسح اجتماعي للأمة الإسلامية A Sociological Survey of the Muslim Nation .

وهناك حديث صحفي بالإنجليزية نشرته مجلة Sociological Review عام ١٩٠٨ م عن الخلافة الإسلامية تحت عنوان Pan Islamic Society ^(٢) .

وعلى ضوء ما سبق يمكن حصر آثار إقبال

بالفارسية:

- ١ - أسرار الذات ١٩١٥ (أسرار خودي)
 - ٢ - رموز نفي الذات ١٩١٨ (رموز بيهودي)
 - ٣ - رسالة المشرق ١٩٢٣ (پیام مشرق)
 - ٤ - أناشيد فارسية ١٩٢٧ (زبور عجم)
 - ٥ - رسالة الخلود ١٩٣٢ (جاويد نامه)
 - ٦ - المسافر ١٩٣٦ (مسافر)
 - ٧ - ماذا ينبغي أن نفعل يا أمم الشرق ١٩٣٦ « پس چه باید کرد ای اقوام شرق »
 - ٨ - هدية الحجاز ١٩٣٨ « أرمغان حجاز » .
- آثار محمد إقبال بالأوردية هي :
- ١ - صلصلة الجرس ١٩٢٤ (بانگ درا) .
 - ٢ - جناح جبريل ١٩٣٦ (بال جبریل) .
 - ٣ - ضرب الكلیم ١٩٣٧ .

ولقد تناول إقبال في أعماله الأدبية المختلفة من أشعار باللغة الفارسية والأوردية ومقالات ورسائل باللغة الإنجليزية ثلاث قضايا رئيسية حيث تأثر بها وتفاعل معها وتناولها في جميع أعماله الأدبية وهي القومية والاتحاد الإسلامي أو الجامعة الإسلامية وقضية الخلافة .

١ - مجلة رسالة عدد ٢٥٦ - ٣٠ مايو ١٩٣٨ : عزام : محمد إقبال ص ٨٩٤ .

٢ - د . أحمد معروض : محمد إقبال حياته وآثاره - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ ، ص ٢٧٦ .

موقف إقبال من حركة الجامعة الإسلامية

عاش إقبال في عهد شهد المد الأعظم لطغيان القوى الإستعمارية ولاسيما الإنجليز ، كما شاهد إزاء هذا الطغيان غفلة الشرق عامة والمسلمين خاصة والعرب بوجه أخص ورأى تفرق هذه الأمم والشعوب جميعا . لقد نهض عظماء في الشرق وبين المسلمين وفي أكناف الغرب أهابوا بالنوام أن يستيقظوا وبالعاقليين أن يتنبهوا وبالمترفين أن يتجمعوا وبالمثواكلين أن يجدوا ويعملوا ، ولكن هيهات لصيحات قوية مخلصة أن توقظ ملايين الرقود كالأموات من دون تهيئة أسس فكرية ومادية مكيئة ورصينة تجاه حديث الغرب وصاحبه ولؤمه ودخانه ، لقد عرف العرب الإصلاح السلفي في محمد بن عبد الوهاب ، والثورة الواعية المتمثلة في السيد جمال الدين الأفغاني والعلم الديني المستنير المتين في الشيخ محمد عبده والتنديد بالاستبداد والتفرق في عبد الرحمن الكواكبي والوطنية الشابة المتأججة في مصطفى كامل ، كما عرفت الهند بعض زعماء الإصلاح أمثال السيد أحمد خان والسيد امير علي فكان أمثال هذين المصلحين أرهاضا من بعض وجوه النظر بالفيلسوف والشاعر العظيم محمد إقبال^(١).

١ - بيان حال المسلمين والأسباب التي أدت إلى تدهورهم :

ولقد حزن إقبال حزناً شديداً من تدهور أحوال المسلمين الذين شيدوا في فجر حياتهم الإمبراطوريات العظيمة ، وقد رأى إقبال أن حال المسلمين اليوم (أي الفترة التي يعيش فيها) نقيضا تاما لما كانوا عليه بما يبعث على خيبة الأمل ومن هنا نشأ إهتمامه بمستقبل مسلمي العالم ، وكان إقبال بوصفه مفكراً سياسياً أول مسلم هندي يحلم بدولة إسلامية ، وأراد إقبال أن يستنهض المسلمين ، وأن يتوحدوا . كان محمد إقبال يرى أن الجامعة الإسلامية والخلافة هما الضمان لبقاء المسلمين ، وقد دعى إقبال إلى وحدة المسلمين لأنه يرى أن الحل لإنقاذ المسلمين هو الوحدة بينهم حتى يستطيعون مواجهة أطماع الغرب الاستعمارية. كان إقبال يتمتع بمزايا عديدة ساعدته على إيصال دعوته بصدق إلى المسلمين .

كان إقبال مطلعاً على الثقافة الغربية وعارفاً بأدق أفكار الثقافة الغربية في المجالات الفلسفية والاجتماعية حتى أن الغرب يعدونه مفكراً وفيلسوفاً غريباً ، ويعلم إقبال جيداً أنه برغم الثقافة والمعرفة التي لدى الغرب إلا أنهم قد فقدوا أيديولوجيتهم على عكس المسلمين فهم الوحيدون الذين يتمتعون بأيديولوجيتهم ويستفيدون منها كما أن إقبال قد وظف قدرته

١ - نداء إقبال مؤخر إقبال بدمشق د . عبد الكريم الباني ، محمد إقبال فيلسوف اللات وشاعر العشق ص ٣١ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٥ م .

الشعرية في خدمة الأهداف الإسلامية ، على كل حال لم يكن الشعر هدف بالنسبة لإقبال وإنما كان سبيله لإيقاظ وتوعية الأمة الإسلامية^(۱).

ويرى محمد إقبال أن انصار الباطل قد نجحوا نجاحاً كبيراً في فكرتهم وجهودهم في ضعف الشعور الديني في بلاد الإسلام وخمدت جذوة الإيمان ، وفقدت البطولة الإسلامية ، وروح الجهاد ، وفشت النفعية وجمحت المادية^(۲).

ويقول إقبال في قصيدة قالها في فلسطين

لا أرى في بلاد العرب تلك اللوعة القلبية التي كان يمتاز بها العرب

ولا في بلاد العجم ذلك السمو الفكري الذي كان يمتاز به العجم

لاتزال دجلة والفرات متعطشين إلى بطل من أبطال الإسلام

ولكني لا أرى في قافلة الحجاز أحداً يقوم مقام الحسين^(۳)

ويشعر محمد إقبال بهذا التدهور الذي وقع في حياة المسلمين ويتألم لذلك أشد الألم

وببكي دماء وشعره يفيض بهذه الأناث والدموع .

يا وارث التوحيد الإسلامي لقد فقدت الكلام الجذاب الساحر

والعمل المسخير القاهر ، لقد كنت يوماً من الأيام

إذا نظرت إلي أحد ارتعد فرقا منك وطار قلبه شعاعاً

قد أصبحت اليوم باثر الناس لا تحمل روحاً ولا تجذب نفوساً^(۴).

إن السجدة التي كانت تهتز لها روح الأرض طال عهد المحراب بها واشتاق إليها المسجد

كما تشتاق الأرض الجديدة الخاشعة للمطر

لم اسمع في مصر ولا في فلسطين ذلك الأذان الذي ارتعشت له الجبال بالأمس

لقد فقد المسلم لوعة القلب وأنطفأت نار الحياة فيه فأصبح ركاماً من تراب^(۵).

۱ - مرتضى مطهری : نهضتہای اسلامی در حد سالہ اخیر ، موسسہ تبلیغات اسلامی اسفہان ، دون تاریخ ص ۵۳ .

۲ - السيد ابو الحسن علی الحسيني الندوی ، روائع إقبال ، دار الفتح لطباعة والنشر ، بیروت ، الطبعة الثالثة ۱۹۶۸م/۱۳۸۸ھ ، ص ۱۰۹ .

۳ - ذکر عرب سرزمین فکر عجم سازمین

نہ عری مشاہدات ، نہ عجمی تخیلات ا

قافلہ حجاز مین اہک حسین بھی نہیں

کرچہ بے تاب وار ابھی کیسوئے دجلہ و فرات ا

محمد إقبال دیوان (بال جبریل) ص ۱۵۲ ، طبع چہاردم جون عام ۱۹۶۵م .

۴ - جہان صوت و صدامین سمانہین سکتی

لطیفہ ازلی بے چنگ و ریاب ا

سکھاد نیے ہین اسے شیوہ ہائے خانقہی

لقبہ شہر کوصولی نے کروایے خراب ا

۵ - وہ سجدہ روح زمین جس سے کانپ جاتی تھر

اسے کر آج کرستے ہین منہر و محراب ا

سنی نہ مصر و فلسطین مین وہ اذان مین نے

دیاتہاجس نے پہاڑن کر رعشہ سیماب

ذلك سر لا يفهمه ابن سينا والفارابي

إن الله سميع المسلم الأبهة التركية ، والذكاء الهندي ، والنطق العربى^(١).

يرى إقبال أن سبب تدهور وانحطاط المسلمين يرجع إلى ضعف الشخصية الإسلامية عما كانت عليه في العهود السابقة لمجد أن إقبال اهتم (بالذات) ويمكن أن نطلق عليها نظرية الذات . ديوان أشعار إقبال دليل على أفكاره السياسية ، وهي نظرية الذات وتحليل هذه الأفكار يصبح واضحاً أنه كان قد أخفى تحت هذا العنوان مطالبه ومثله العامة التي تميل إلى السلام وتحث المسلمين على الوحدة ، ولمعرفة الإسلام يجب أن تعرف نفسك ، إذا فمعرفة الله مرتبطة بمعرفة الذات ^(١) بل ويستند فكر إقبال على الحديث النبوي :

(من عرف نفسه فقد عرف ربه) ، أشعار

انت تقول خبرني عن نفسي ولكن ما معنى السفر داخل الذات

قلت لك ما هو بسط الروح والجسد سافر (تعمق) داخل ذاتك وانظر من أنت

وجودك جسدك أثر لذاتك وكل شيء تـــــــراه ناهم مــــن ذاتك .

حين ايتظت الذات النفس أوضحت العـالم^(٣)

لا سبيل إلى النظر ففى داخلها فلتراقب نفسك (من الخارج)^(٤)

ويقول آية الله خاميني زعيم الثورة الإسلامية في مقال بعنوان « إقبال بيننا » نشر في مجلة آشنا .

" إن إقبال اقترح فلسفة وهي فلسفة الذات وهي فلسفة ليست مثل أنواع الفلسفة العقلية المعروفة ، ومفهوم الذات مفهوم إنساني اجتماعي وتم توضيحه في إطار فلسفي ولكي

۱۔ تلاطم میانے سے ہے کوہر کی سیرابی
عظامو من کوہر در : اہ حق سے ہے والائے
شکوہ ترکمانی ذہن ہسندی نطق اعرابی

٢ - در شناخت إقبال « مقال بعنوان إقبال لاهوری المناہدی بالوحدة الإسلامية »، أہر الفضل نبوی، ص ٤٣،

۳- تومی گویی مرا از « من » خبر کن چه معنی دارد اندر خود سفر کن

ترا گفتم که بسط جان و تن چیست سفر در خود کن و بنگر که من چیست

پیکر مٹی و آثار « خودی » است هر چه می بینی زاسرار « خودی » است

خريستن را چون خودی بيدار کرد آشکار عالم بیدار کرد

محمد اقبال - جاوید نامہ

۴ - نگه را در حریش نیست راهی کنی خود را تا شاهی نگاهی

محمد إقبال - دیوان محمد إقبال گلشن راز ، ص ۲۲، الطبعة الرابعة ۱۳۷۰ هـ ش .

يستطيع إقبال الاعتماد على الذات في مثنويه بصفتها قاعدة مفهومة في شعره وغزله يحتاج إلى توضيح الذات توضيحاً فلسفياً . وفي نظري فإن بداية قضية الذات كانت تأتي في خاطر إقبال كفكرة ثورية وبعد ذلك تتبع الخطوات الفلسفية لهذه الفكرة ، والذات هي نفس الشيء الذي كان مكانه خالياً في الهند وفي جميع البلاد الإسلامية الأخرى أي أن الشعوب الإسلامية مع أنهم يمتلكون نظاماً إسلامياً عظيماً إلا أن هذا النظام قد ضاع من ذاكرتهم قماماً وآمنوا واعتقدوا وانخدعوا بنظام أجنبي متجربين من كل شيء حيث لابد من عودتهم إلى أنفسهم أي عودتهم إلى النظام الإسلامي وهذا هو نفس المفهوم الذي تتبعه إقبال لذلك كان إقبال يكتب هذا في قالب وتعبير فلسفي ، وكانت فكرة الذات ثورة على مظاهر الاتعاط وفقدان الهوية بين المسلمين وشدة المحن والمصائب ومعرفة الأسباب والعلاج * (١) .

ویقول كذلك :

لن أر فی محیطك أیها المسلم لؤلؤة الحياة
قد بحثت عنها موجة موجة وتفقدتها صدفه صدفه^(۱).
ویرجع محمد إقبال هذا التدهور إلى القلب قلب المسلم الذی خوی من الإيمان والرغبة فی
الحياة فيقول :

- لقد فقد المسلمون سورة الحب الصادق
ونزف منهم دم الحياة
فأصبحوا هیکلاً من عظام لا روح فيه ولا دم
الصفوف زائغة والقلوب مضطربة والسجدة لا لذة فيها
ذلك لأن القلب خال من الحنان

وكان إقبال یرى برغم هذه النکبات التي تعرض لها المسلمون إلا أن العقيدة مازالت راسخة
فی أعماقهم ، ويعتقد إقبال أن الصدمات السياسية التي أصيب بها العالم الإسلامي أقضت
مضاجع المسلمين وایقظهم ودب فيهم دبيب الحياة^(۲).

فيقول فی قصيدته طلوع الإسلام :
إذا رأيت النجوم شاحبة متكدرة تحقق
فاعلم أن الفجر قريب
- ها هي الشمس قد ذر قرنبا من الأفق
وولی الليل على أدباره

- إن عاصفة الغرب قد أعادت المسلم إلى الإسلام
فانما تتكون اللآلئ فی البحر المتلاطم الهائج^(۳)

-
- ۱- تیرے محیط میں گوهر زندگی نہیں
ڈھونڈ چکا میں موج موج ، دھکے چکا صدف صدف
۲- میر سپاہ ناسز الشکریان شکستہ صف
آہ ! وہ تیرنہم کش ، جس کا نہ ہو کوئی هدف
عشق تیرا سے ہاتھ اٹھا اپنی خودی میں ڈوب جا
نقش و نیکار ہر مین خون جگر تر کر تلف
محمد إقبال : دیوان (ہال جبرہال) ص ۶۰ ، طبع چہارنہم جون سنہ ۱۹۶۵ .
 - ۳- روائع إقبال : ابر الحسن علی الحسن الندوی ص ۱۱۱ .
 - ۴- دلیل صبح روشن ہے ستاروں کی تنک تابی
افق سے آفتاب ابھرا گیاد دور گران خرابی
عروق مردہ مشرق میں خون زندگی دوڑا
سمجھ سکتے نہیں اس راز کو سینا وفارابی
مسلمان کو مسلمان کر دیا طوفان مغرب نے

(ہناگ درا : ص ۳۰۳ ، ۳۰۴ الطبعة الثانية والعشرون ، ستمبر ۱۹۶۳ م) .

ہناگ درا

٢ - تذكير المسلمين بماضيهم ودعوته لهم بالرجوع إلى تعاليم الإسلام :

ولقد عانى إقبال من البداية من الألم والاضطراب بسبب معاناة الشعوب والدول الإسلامية من الانحطاط والضعف السياسى والأخلاقى والمشاكل والألام ، فحين كان يشرح فلسفته فى كتاب « أسرار الذات » أرجع تخلف وضعف وانحطاط المجتمع الإسلامى إلى الإهمال والغفلة التى تعرضت لها القيم المعنوية والفكرية للإسلام من جانب المسلمين ، وأكد ضرورة أن يعرف المسلمون شخصيتهم وهويتهم الإسلامية وأن يستعيدوا وحدتهم الإسلامية الضائعة^(١).

يقول فى شعره :

أيتها الأمة الإسلامية يا من أؤتمنت على أم الكتاب

أنهضى واستعيدى وحدتك الضائعة^(٢)

ومن الممكن أن نقول إن فكر إقبال مبنى على الذات (خودى)

أى أن اهتمام إقبال بأى موضوع من الموضوعات التى تعرض لها فى أشعاره إنما مبنى على هذه النظرية أى نظرية الذات ويقول الدكتور أحمد معروض فى كتابه العلامة محمد إقبال حياته وآثاره . " ولعل منهج إقبال الفكرى ونظراته الفلسفية يدور فى مدار واحد وينبثق من منبع واحد وينبعث من مصدر واحد هو ذلك الذى يسميه إقبال (خودى : الذات) ومرد أية فكرة من الأفكار التى قدمها إقبال، ومرجع أى رأى من الآراء التى أفصح عنها إنما كان إلى هذا المفهوم وحده ويتصل به علماً وعقلاً^(٣).

والقضية عند إقبال ليست مجرد معرفة فائرة تكشف دون أن تحفز وتجلوا دون أن تدفع . ذلك أن النفس إنما هى فى ذاتها نفس بقواها الدافعة الحافزة الخلاقة أنينها حركة دائبة وجهاد متصل وتوتر ناشط وكفاح مستمر وشعلة متوثبة النور .

وإن الذات لتتقوى بتوليد المقاصد وإيجاد الرغبات وتجديد الأمنى والغايات الرفيعة الجميلة تستهوى أصحابها وتبعث فيهم معين القوة ورئيس العشق^(٤).

١ - عبد الشكور حسن مقال فى كتاب مؤتمر بعنوان « إقبال والوحدة الإسلامية » ص ١٥٨ .

٢ - إى امين حكمت أم الكتاب وحدت كم كشته خود بازباب
الأسرار والرموز (اسرار خودى) الطبعة السادسة ١٩٦٤ ص ٧٨ .

٣ - أحمد معروض : العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ص ٣٢٩ .

٤ - نداء إقبال مؤتمر إقبال بدمشق ، د . عبد الكريم اليافى : محمد إقبال فيلسوف الذات وشاعر العشق ص ٣٥ .

ويمكن القول أن إقبال يحتم كشف الذات الإنسانية وإبرازها وتنميتها وترفير الأسباب لها وهذا لا يتأتى إلا بالإسلام . فيقول في كتابه تجديد الفكر الدينى : « أن منتهى قصد الحياة الدينية هو كشف الذات ان التجربة التى تؤدى إلى هذا الكشف ليست أمراً عقلياً قابلاً للتطرد بل هى حقيقة حيوية ناشئة عن تحول بيولوجى داخلى لا يمكن إقتناصه فى شباك المقولات المنطقية فهى لا تستطيع أن تندمج إلا صانعة العالم أو محركة له .

وفى هذه الصورة وحدها يتسنى لهذه التجربة البريئة من الزمان أن تكشف عن ذاتها أمام عين التاريخ^(۱).

وإقبال فى جميع مقالاته ورسائله يؤكد أن أسباب ضعف المسلمين يرجع إلى عدم فهمهم للقرآن ، وأنهم أيضاً لم يفهموا حديثه ومقالاته التى وجهها إلى المسلمين وشكروا من هذا فى مقدمة أسرار نفى الذات ، يقول إقبال :

يا من جعلكم الحق تعالى خاتم الأمم	وأنهى بكم كل بداية فى العالم
يا من مثلكم الأعلى الأنبياء المطهرون	وقلبكم الجريح لله تعالى
يا من تنظرون إلى جمال المخلوق	يا من تكونوا بميدان عن طريق الكعبة
يا من الدنيا هى حفنة تراب فى طريقكم	يا من وجوهكم هى بيعة العالم
مثل موج البحر وشعلة النار تسيرون	أنتم تذهبون إلى أين للنظر
تعلموا رموز الشجن من الفراشة	وفى شرارة العالم (أوشعلة النار) شيدوا بنيان
ضعوا الحب فى روحكم وكيانكم	وجدوا العهد مع المصطفى ﷺ
أفكارى امتلات بأحاديث الله تعالى	حين رفع النقاب من على وجوهكم (عرفتم) ^(۲)

۱ - تجديد الفكر الدينى ص ۱۰۹ .

۲ - محمد إقبال : رموز بيخودى ص ۹۳ .

ای ترا حق خاتم اقوام کرد	بر نهر آغاز را انجام کرد
ای مثال انبیا پاکان تو	همگر دلها جگر چاکن تو
ای نظر بر حسن ترسا زاده نی	ای ز راه کعبه دور افتاده نی
ای فلک مشیت غبار کوی تو	« ای قماش گاه عالم روی تو »
همچو موج آتش ته پا میروی	« تو کجا بهر قماش میروی »
رمز سوز آموز از پروانه نی	در شرد تعبیر کن کاشانه نی
طرح عشق اندازا اندر جان خویش	تازه کن بامصطفی پیمان خویش
خاطر از صبحت ترسا گرفت	تا نقاب روی تو بالا گرفت

إن أصحابي تكلموا عن الكبار ركتبوا قصصاً عن الوجه والشعر
 على أبواب حانة الساقى العجوز طوى قصير الكفر والإلحاد
 أنا شهيد الحسين لأمة الإسلام أنتم أنا تراب ومطمئن البسال فى دركم
 أنا أعلى من الممدوح والمدبح لا أطأطأ رأسى أمام أى غول
 من الحديث جعلونى مثل المرأة وجعلونى استغفنى عن الأسكندر
 لا ترفع طوق الإحسان من رقبتي فى هذا البستان تمتلئ أحضانى بالورود
 أسعى فى الدنيا بشدة مثل الخنجر وأحصل على ماء حياتى من الصخر الصلبة^(۱)

ويقول هنا عن زهده واستغفائه وفى ذلك الوقت يركع إقبال مع هذا الزهد أمام أمة الإسلام .

روحى محتاجة إلى بابك عطائى وهديتى لك هر شوقى وأشجانى
 قطر السماماء أمطاراً على قلبى المحروق كل قطرة
 سوف أجعلها أرفع من المر المائى حتى أرميها فى ساحة بستانك^(۲)

۱ - محمد إقبال : رموز بهخودى ص ۹۴ .

هم نوا از جلوه ی اغیار گفت داستان گیسو و رخسار گفت
 بر در ساقی جبین فرسوده او قصه ی مغ زاده گان پیموده او
 من شهید تیغ ابروی توام خاکم و آسوده ی کوی توام
 از ستایش گستری بالاترم پیش هر دیوان فرو ناید سوم
 باز سخن آئینه سازم کرده اند وز سکتدر بی نیازم کرده اند
 بار احسان بر نتابد گردنم در گلستان غنچه گرده دامنم
 سخت کوشم مثل خنجر درجهان آب خود می گیرم از سنگ گران

۲ - المصدر السابق : ص ۹۴ - ۹۵ .

بر درت جانم نیاز آورده است هدیه ی سوزر گذار آورده است
 ز آسمان آهگون ، یم می چکد بر دلا گرم دمام می چکد
 من ز جر باریکتر می سازمش تا به صحن گلشنت اندازمش

وقد عمد محمد إقبال إلى عرض أفكاره السياسية والاجتماعية والفلسفية باللغة الفارسية وخاصة أن هذه اللغة كانت تستطيع أن تكون وسيلة جيدة لتبليغ هذه الأفكار في هذه المنطقة من قارة آسيا والشرق الأوسط . وعمل إقبال على إيصال أفكاره الإصلاحية باللغة الفارسية للأسباب التي ذكرتها من قبل ، وكانت من بين أفكار إقبال الإصلاحية الإستقلال الثقافي ، إحياء الثقافة الشرقية على أسس الثقافة الإسلامية ، وكان يدعو الشرق للابتعاد عن تقليد الثقافة الغربية وما كان يؤذى روحه مثل آلاف المسلمين المثقلين الأحرار لفرد الاستعمار في الأرض الإسلامية وأن القومية هي التي تخضع المسلمين لسلطة الاستعمار لتقسيم العالم الإسلامي ، وكان إقبال يعتبر أن اتفاق المسلمين يكمن في وحدة العالم الإسلامي تحت لواء الجامعة الإسلامية (الاتحاد الإسلامي)^(۱) .

فقد تزامن نضج إقبال الفكري والشعري مع العصر الذي كانت فيه الوحدة الإسلامية تسيطر على الفكر الديني والسياسي للعالم الإسلامي فكان عقله مشبعاً بهذه الأفكار وكان مفهوم إقبال عن الأمة ينمو إلى الوحدة الإسلامية وإلى الدفاع عن العودة إلى القرآن باعتباره ناموساً للسلوك الإنساني^(۲) .

يقول إقبال :

إذا أردت أن تحبها مسلماً _____ فليس ممكناً سوى بالقرآن
حين استقر القرآن على العالم (في قلوب المسلمين) حطمت آياته الباطل والكاهن
حين يسرى القرآن في الروح فان الروح تتغير فحين تتغير الروح يتغير العالم
القرآن الكريم كتاب حي وحكمة قديمة أبدية وباقية
هو كشاف لاسرار الحياة بقوته يستقر كل ما هو متغير
كلامه لا ريب فيه ولا تبدل آياته لا تقبل التأويل
لقد أصبحنا بنعمته إخواناً _____ لنا لغة واحدة وقلب واحد وروح واحدة^(۳)

۱ - د . ابو الفضل نبي : إقبال لاهوري منادی وحدت اسلامي ص ۴۲۸ .

۲ - Iqbal and pan islamism . p . 142 , parveen shaukat Ali. Iqbal centenary papers Lahor 1977

۳ - اگر تومی خواهی مسلمان زستی نیست ممکن جز به قرآن زستی
نقش قرآن چونکه بر عالم نشست نقشه هایش پاپ و کاهن را شکست
چونکه در جان رفت جان دیگر شود جان چو دیگر شد ، جهان دیگر شود
آن کتاب رنده قرآن کریم حکمت اولی بزال است و قدیم
نسخه تکوین اسرار حیات بی ثبات از قوتش گیرد ثبات
حرف او را ریب نی تبدل نی آیه اش شرمنده تأویل نی
ما از نعمتهای او اخوان شدیم یک زبان و یک دل و یک جهان شدیم
رموز بی خودی ص ۱۱۹ ، ۱۱۵ ، ۹۳ .

موقف إقبال من فكرة القومية :

ولقد أدرك إقبال أن الشعوب الإسلامية مالت إلى تيار القومية التي تمجد الجنس (العنصر) بشدة معتقدة أن هذه هي الوطنية ، وأن هذا النوع من القومية استمدت جذوره من الأفكار السياسية والاجتماعية الأوروبية . وقد انزعج إقبال بشدة من هذا الاتجاه واعتبره معاديا لروح الإسلام وكان يخشى من هذا التيار على العالم الإسلامى لأن القومية بهذا الشكل تقضى على الوحدة المادية والمعنوية والروحية بين المسلمين لذلك فقد ندد إقبال دائماً بالقومية التي تقوم على تمجيد الفرق والحدود الجغرافية ولكنه لم يكن يعارض مطلقاً حب الوطن ولكنه كان يكره القومية التي تخلق التعصب العنصرى تلك القومية التي سببت الكثير من المشاكل لأوروبا مهدداً الأصل .

وقد كتب إقبال رسالة إلى المستشرق المعروف نيكلسون أوضح له فيها أن قيام الجماعات والشعوب على أساس الحدود الجغرافية والقومية إنما هي مرحلة فقط فى مسيرة تكامل الإنسان فى حياته الاجتماعية وقال أيضاً : أنه لا يعارض هذه المرحلة فى حد ذاتها ولكنه يرفض مطلقاً النظرية التي تقوم على اعتبار هذه المرحلة المؤقتة أساساً ومبدأً للنشاط البشرى^(١).

ويرى إقبال أن الفرد كقطرة من البحر والقوم كالبحر نفسه فيجب أن يكون نطاقاً واسعاً سعة البحر يقول إقبال :

لا تكن نهراً من السحب يد وكن البحر عباباً لا يحد^(٢)

ولا يمكن أن تكون القومية شاملة وسامية إلا إذا قام أساسها على المبادئ الروحية ، ولكن فلسفة القومية التي نراها اليوم فى عصرنا الحاضر تقوم على العنصر المادى وعلى الحدود الجغرافية للوطنية وعلى الجنس واللون وعلى جميع عناصر التفرقة العنصرية^(٣).

كما نبه إقبال أبناء الأمة الإسلامية من الانخداع بالقومية الجديدة المبنية على تقديس العنصر والأرض ، وأن الأمة الإسلامية لا تتقيد بالوطن وأن الوطن ليس أساس الأمة . يقول إقبال :

١ - عبد الشكور أحسن - إقبال روحنت جهان اسلام ، ص ١٥٨ .

٢ - مهرا آزاده رفتن آبروست عرصه آفاق زيرهاى اوست

(الاسرار والرموز ، ص ١٠٥) (رموز بهخودى ص ١٣٢) الطبعة السادسة ١٩٦٤ م .

٣ - الاتجاه الإسلامى فى شعر إقبال : صلاح الدين محمد شمس الدين الندوى ، الدار السلفية ١٩٩١ ، بمباى ، الهند ص ٢٥٣ .

قطعوا الأرحام بين الأخوة
 قدسوا الأوطان أعجبا بها
 طلبوا الجنة في « بئس القرار »
 سحق الجنة هذا الشجر
 انكر الإنسان وجه الآخرة
 ذهب الإنسان روحاً وانقضى
 منصب الدين حواء الساسة
 دين عيسى بطلت قصصته
 عجز الأسقف عن تقديره
 قوم عيسى حقروا بيعته
 مزق الدهر ثوب المذهب
 ذا الفلورنسى عبيد الوثن
 خط للأملك سفراً منكراً
 مزق الحق بحمد القلم
 آزر العيسى ، بدأ تزويره
 جعل الملك إلهاً دينه
 جعل النفع عيسى الزم
 صارت الحيلة فنا محكما
 خطة للوهن فبينا حبكا
 أرمد الناس بهلى الحكمة

صيروا الأوطان أس الأمة
 قسموا الإنسان أسرابا بها
 « فأحلوا قومهم دار البوار »
 ليس إلا الحرب فيه ثمر
 انتهت قصة الإنسانية
 بقيت أكرامه وهو مضى
 فنمت في الغرب هذى الآفة
 وخبث في دُوره شعلته
 حادت الأزام عن تدهيبه
 أبطلوا في سوقهم سكتته
 ومن الشيطان قد وافى نبى
 كسحله أودى بنور الأعين
 وبذر الحسب فبينا بذراً
 فطرة تؤثر عيش الظلم
 خطة بدعاً جلا تفكيره
 كل قبيح ناله تحسینه
 حينما خر لهنا الصنم
 ونما الباطل بما علمنا
 في طريق الدهر ألقى حسكا
 إذ دعا التزوير بالمصلحة^(۱)

۱ - محمد إقبال : دیوان الاسرار والرموز ، ترجمة : د . عبد الوهاب عزام ، ص ۱۰۵ - ۱۰۷ .

آن بنان نطع اخوت کرده اند
 تا وطن را شع محفل ساختند
 جنتی جنتند در بش قرار
 این شجر جنت ز عالم برداشت
 مردمی اند جهان افشانه شد
 روح از تن رفت و حفت آلام ماند
 تا بسات مند مذهب گرفت
 نفسی دین میحانی فرد
 اسقف از بی طاقتی در مانده تی
 قوم عیسی بر کلیا پا زده
 دهریت چون جامه می مذهب دید
 آن فلارادی باطل پرست
 نسخه تی بهر شهنشاهان نوشت*
 فطرت اوسوی ظلمت پرده وخت
 بتگری مانند آذر پشته اش
 ملکات را دین او معبود ساخت
 یوسه تا بر پای این معبود زد
 باطل از تعلیم او بالیده است
 طرح ندیر زبون فرجام ریخت
 شب بچشم اهل عالم چیده است

بر دامن تمیز ملت کرده اند
 نوع انسان را قبائل ساختند
 تا احلوا قومهم دارالبوار
 تلخی بیکار بار آورده است
 آدمی از آدمی یگانه شد
 آدمیت گم شد و اقوام ماند
 این شجر در کلتن مغرب گرفت
 شعله ی شع کلیانی فرد
 مهره ها از کف بیرون افشاند تی
 نقد آئین چلیا وا زده
 مرسلی از حضرت شیطان رسید
 سرمه ی اودیده هم مردم شکست
 در کل ما دانه ی بیکار کشت
 حق ز تیغ خامه ی اولخت لغت
 بت نقش تازه ای اندیشه اش
 فکر او مذموم را معبود ساخت
 نقد حق را بر عیار سود زد
 حبله اندازی قتی کردید ما ست
 این خسک در جاده ای پایا ریخت
 ملکت تزویر را نامیده است

کلیات إقبال لاهوری : رموز بی خودی ص ۱۶۱ ، ۱۶۲ .

وقد أوضح إقبال شعوره تجاه القومية التي تقوم على أساس تمجيد العنصر والتقيد بالحدود الجغرافية .
ففى ديوان رموزى خودى أى « رموز نلى الذات » يؤكد أن الأمة الإسلامية قائمة على أساس التوحيد وليس على الأرض ، وإنها لا تتقيد بالأماكن ولا تحدوها حدود .

قلبنا الحُفّاق بأبى مـــــــوطنًا ربحه العاصف تأبى مـــــــكنًا
إن قلوبنا ليست من الهند أو الروم أو الشام وليس للمسلم وطن سوى الإسلام
انت مسلم فلا تعلق قلبك بأقليم ولا تضع فى عالم الكم والكيف
إن المسلم لا يحد نفسه بشغور وحدود ولا يعلق قلبه بالشام والروم
من محــــرر قيد الجهــــات يصبح عامرًا مثل الفلك من الجهات الستة
أحذروا من خدعة العــــصر الجديد إلتباس النهج حاذر أيها العاقل^(۱)

ويتضح من هذه الأبيات أن الشاعر محمد إقبال يركز على أن المسلم لا يتعلق ولا يرتبط بنقطة معينة من الأرض بل أن تعلق المسلم يجب أن يكون بعالمنا الإسلامى وأرض رأيه فى القومية التي تقوم على تمجيد العنصر وخطورة هذا النوع من القومية على العالم الإسلامى وعلى المسلمين ويعتبر إقبال التعصب الفكرى أمرًا خطرًا لا طائل من ورائه ، وصحيح أن الناس ينسبون للمكان الذى يعيشون فيه وحبونه ، ولكن حب الوطن لا يجب أن يخلق فى الإنسان تعصبًا اقليميًا أو عنصريًا مرزولاً ويتخذ إقبال من الشمس دليلًا واضحًا وبارز لصدق مقولته .

۱ - جوهر ما با مقامى هسته نيست باده ي تندش بهجامى هسته نيست

قلب ما از هند ورم و شام نيست مرز بوم او بهز اسلام نيست

مسلم استى دل به اقليمى ميند گم مشر اندر جهان چون وچند

مى نگنجد مسلم اندر مرز و بوم در دل او پاوه گرد شام و روم

هر كه از قيد جهات آزاد شد چون فلك در شش جهت آباد شد

از فريب عصر نو هشيار باش ره نقد اى راهر و هشيار باش

(ديوان اشعار إقبال : رموز بهخودى ص ۱۵۸ : ۱۶۰)

وعلى هذا فبالرغم من أن المسلمين يعيشون في أراضى ودول متعددة فإن وطنهم الأصلي هو الإسلام . ويرى إقبال أن الأمة التي تتحد على أساس الدين والملة تدوم ولا تزول ولا تتقيد بوطن ولا تنحصر في مكان أو جماعة أو أمة دولة وكذلك زمانها غير متناه وغير محدود وتلك الأمة هي الأمة المسلمة فهي تبقى وتدوم وإن فنى بعض أفرادها فهي لا تتأثر بفنائه لأن الأمة والفرد يختلفان في الحياة والموت أصلاً حيث يتكون الأفراد من المادة وتتكون الأمة من الأصول الروحية فالمادة تموت والروح لا تموت بل تبقى وتدوم^(١) .
يقول إقبال :

ثابت في الدهر تقدير الأمم من مسير الغد سيار القدم
يفر الخلل وتبقى الصحبة يرحل الفرد وتبقى الأمة
ولهـا عيش وموت آخر ثم ذات وصفات آخر
ينشأ الفرد من الطين القليل تولد الأمة من قلب جليل^(٢)

وأن تفرقة المسلمين وتبنيهم للقومية التي تجدد الجنس والأرض إنما هو هدف الاستعمار لكي يشتتوا المسلمين ويمنعهم من الوحدة الإسلامية وعدم العمل بقول الله تعالى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾^(٣) .

ويقول أونولد توينبي المستشرق والمثول البريطاني " إن تراجع القومية مرهون بتراجع الاستعمار إلا أن القومية مؤثر يدل على وجود الاستعمار فحيث توجد القومية هناك استعمار والعكس صحيح " ^(٤) .

١ - الاتجاه الإسلامي في شعر إقبال ، د . صلاح الدين محمد شمس الدين الندوي ص ٢٦٩ .

٢ - همچنان از فردهای پی سپهر هست تقویم اسم پائنده تر
در سفر یاراست وصحبیت قائم است فرد دره گیراست وملت قائم است
ذات او دیگر صفا نش دیگراست سنت مرگ و حیاتش دیگراست
فرد برمی خیزد ز مژگن گلی قوم زاید از دل صاحب لعلی

(الأسرار والرموز ص ١٠٨ ، رموز بهخودی ص ١٣٦)

٣ - سورة آل عمران آية رقم (١٠٣) .

٤ - الفكر القومي إسلامياً وتاريخياً : نجاح عطا الطائي ، معارضة العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، مطبعة سپهر عام ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٨ .

ربوجه إقبال نصيحة للمسلمين جمال الدين الأفغانى بضرب قیها مثال بالشمس ، فبالرغم من أن الشمس تشرق من الشرق إلا أنها تعم الكون حالها مثل حال المسلم بنبت من أرض ولكن كل أراضى المسلمين وطنه .

حکام الفسرب وكلهم مکر وخداع علموا المتدينين القومية
بينما هم يفكرون فى الوحدة أنتم تفكرون فى الفرقة

فدعكم من مسميات الشام وفلسطين والعراق
لو تسطيع التمييز بين الحسن والقبيح ما قيدت قلبك بالحجر والطوب والأجر
ما الدين إلا الارتفاع والسمو عن الماديات كى يتعرف الإنسان على روحه الطاهرة
الذى يقول هو الله لا تسعه حدود هذا العالم
إن النبىات بنبت فى التراب ومنه لكن من الظلم أن تموت وتدفن الروح فى التراب
مع أن الإنسان خلق من الماء والطين إلا أنه كالزهر يستقى منهما اللون والرائحة
لو أنه ظل متمرغاً فى الماء والطين فهذا ظلم

ومن الظلم أيضا ألا يسموا عن هذا المقام
قال الجسد اندمج فى عالم الماديات قالت الروح انظر إلى اتساع العالم
أيها العاقل إن الروح لا تسعها حدود هذا العالم

فالحُر لا يعرف أى قيد أو حُر
فالحُر ينهض من التراب المظلم صاوخاً ومن ذلك فلا يأتى من الصقور عمل الفاران

۱ - لرد مغرب آن سراپا مکروفن اهل دين را داد تعليم وطن
او بفکر مرکز و تودر نفاق بهگلر از شام وفلسطين وعراق
تو اگر داری تمیز خوب وزشت دل نهندی با کلوخ وسنگ وخشت
چيست دين بر خاستن ازروی خاک تا زخود آگاه کرده جان پاک
می تگنجد آنکه گفت الله هو در حدود این نظام چارسو
پر که از خاک و بر خیزد زخاک حیف اگر در خاک میرد جان پاک
گرچه آدم برده مید از ب و گل رنگ ونم چون گل کشید از ب و گل
حیف اگر در آب و گل غاطد مقام حیف اگر برتر نپره زین مقام
گفت تن در شو به خاک وهگلر گفت جان پهنای عالم را نگر
جان تگنجد در جهات ای عرشند مرد حر بهگانه از هر قید و بند
حر ز خاک تیره آید در خروش زانکه از بازان نیاید کارموش
محمد إقبال : کلیات إقبال - دیوان جاوید نامه ص ۲۵۴ ، ۲۵۵

هذه الحفنة من التراب التى تسمى الوطن
هناك علاقة بين الوطن وأهل الوطن
إذا كان لك نظر فى هذه العلاقة
فإذا كانت الشمس تشرق من الشرق
فإنها تحترق بما فيها من نار
إنها أشرقت من مشرقها
فطرة الشمس بريئة من الشرق والغرب
ويتضح مما سبق أن إقبال يرفض الفرقة بين العالم الإسلامى فنجدته يقول فى پیام مشرق ويقول أن حب
الإنسان لوطنه يحول دون انتشار رسالة الإسلام فالمسلم يعتز بإيمانه .
يقول إقبال :

احرق طارق السفينة عند شاطئ الأندلس

نَقَالُوا إِنْ عَمَلِكْ هَذَا لَيْسَ عَمَلًا رَشِيدًا

بعبدين عن الوطن وكيف لنا أن نصل إلى الوطن ؟

ترك السبب اين جوازه من وجهة نظر الشريعة

امسك السيف بقوة وهو مبتسم

كل ملك ، ملك لنا لأنه ملك ربنا (٢)

۱ - آن کف خاکی که نامیدی وطن
 این که گونی مصر و ایران وین
 با وطن اهل وطن را نهستی است
 زانکه از خاکش لرع ملت است
 اندرین نسبت اگر داری نظر
 نکته بی بینی زمو باریک تر
 گرچه از مشرق برآید آفتاب
 با تجلی ای شوخ و بی حجاب
 در تب و تاب است از سرز درون
 تا زفید شرق و غرب آید برون
 بردمد از مشرق خود جلوه مست
 تا همه آفاق را آرد بدست
 فطتش از مشرق و مغرب بری است
 گرچه او از روی نسبت خاوری است
 محمد اقبال : المصدر السابق ص ۳۵۵ .

۲ - طارق چون برکناره اندلس سفینه سوخت
دور یم از سواد وطنی باز چون رسم ۱
خندید ردمت خویش به شمشیر برد و گفت
محمد اقبال : دیوان پیام مشرق ص ۱۵۰ .

۴ - الدعوة إلى وحدة المسلمين تحت ظلال الجامعة الإسلامية :

كان مصير العالم الإسلامي ومستقبله يستولى على فكر إقبال حتى أنه بدأ كتابه الثاني الذي ألفه بالفارسية « رموز بنی خودی » بتوجيه خطاب إلى الأمة الإسلامية ، في هذا الخطاب نلاحظ أن إقبال قد وجهه إلى الأمة الإسلامية بعامية ، ولم يخص قوماً أو عرقاً أو جنساً بعينه ^(۱).

فالقومية الإسلامية التي ينشدها إقبال ماهي إلا الوحدة الإسلامية لأن الهدف الأساسي لإقبال هو اتحاد المسلمين فيقول :

ان كثرة الأتباع تصنع الوحدة وحين تنضج الوحدة تقوم الأمة

وكل جمع يكون حياً برابط الوحدة ووحدة المسلمين هي من دين الفطرة

قوة الدين نابعة من الوحدة وإذا قامت الوحدة تقوم الأمة ^(۲)

ويؤكد إقبال على ضرورة الوحدة الإسلامية فيقول :

إن المسلم هو ابن الإسلام والرباط الذي بينه وبين أشقائه المسلمين هو اشتراكه معهم في القيم المعنوية والروحية .

يقول إقبال في رباعية جميلة :

لست افغانياً ولا تركياً ولا تتارياً فانا ابن حديقة الإسلام وأحد فروعها

لقد حرم ديننا تفاضل الناس بالعرق أو اللون فنحن أبناء ربيع جديد ^(۳)

لذلك فقد دعى إقبال المسلمين إلى الوحدة الإسلامية ووصف المسلمين بأنهم يتمتعون بنظرة عالمية وأفق عالمي ومن سوء الطالع أن المجتمع الإسلامي أضاع في مرحلة من الركود والتوقف هذه الصفات السامية . وقيد نفسه بقيود القومية والإقليمية الضيقة واتجه نحو الضعف والتجزئة والتشتت وعانوا أكثر من غيرهم من الشعوب والأديان من ضربات الاستعمار الغربي ، لذا سعى إقبال إلى تجميع ما تشتت وإلى بعث الحياة فيما تلاشى من عناصر المجتمع الإسلامي الواحد ، وعمل على تفهيم ما عانتة الدول الإسلامية من ذل سياسي وفقر اقتصادي واجتماعي وتحويله إلى حياة قوية عن طريق بعث الحياة في القيم الفكرية والمعنوية الإسلامية البنائة ^(۴).

۱ - عبد الشكور احسن : إقبال ووحدة جهان اسلام ص ۱۵۸ .

۲ - كثرت هم مدعا وحدت شود پخته چون وحدت شود ملت شود
زنده هر كثر زنده وحدت است وحدت مسلم از دين فطرت است
قوت دين از مقام وحدت است وحدت مسلم مشهود گردد ملت است
ديوان اشعار إقبال جاويد نامه ص ۳۶۹ .

۳ - نه افغانيم ونى ترك و تتاريم چمن زاهيم وازيك شاخساريم
نيز رنگ و بو بر ما حرم است كه ما پرورده يك نوبهاريم

۴ - عبد الشكور احسن ص ۱۵۹ در شناخت إقبال تهران - اسفند ۱۳۶۴ .

ویرضح إقبال أن الوحدة أساس الأمة الإسلامية ويجب ارتباط الفرد بالأمة الإسلامية ، وفي قصيدة بنفس المعنى في دیوان رموز بی خودی ای « رموز نفی الذات » ، بقول إقبال :

رحمة للفرد ارتباط الأمة	فكمال جهره من الأمة
كن صديقاً مع الجماعة قد استطاع	وكن مع الأحرار مثل الشعاع
راحت ما قاله خير البشر	الشیطان ينفر من الجماعة
الفرد مرآة الأمة والأمة مرآة الفرد	وهما فلك ودرر ولجوم في نهر المجرة
قيمة الفرد واحترامه من الأمة	ومن الأفراد تتحقق نظم الأمة
إذا انصهر الفرد في الجماعة	أصبح قطرة تنمو في ميناء القلزم
تجمعت سيرته القديمة	وأصبح الماضي والآتي مرآته
صلة الأمس والغد ذاته	أوقاته لا تنتهي كالأبد
لقد امتلأ قلبه شوق وذوق من الأمة	ولجج عمله وروح من الأمة
جسده من القوم وروحه أيضاً من القوم	سره من القوم وعلمه من القوم
بلغة القوم يتسحدث	ويسير على طريق الأسلاف
يصير أكثر نضجاً من حرارة الصبغة	حتى تراه الفرد وهو الأمة ^(۱)

۱ - فرد را ربط جماعت رحمت است جوهر او را کمال از ملت است
تاتوانی با جماعت یار باش رونق هنگامه ی احرار باش
حسز جان کن گفته ی خیر البشر هست شیطان از جماعت دورتر
فرد و قوم آئینه ی یک دیگرند سلك و گوهر ککشان و اخترند
فرد می گهرد از ملت احترام ملت از افراد می باید نظام
فرد تا اندر جماعت گم شود قطره ی وسعت طلب قلزم شود
مایه دار سبیرت دهرینه او رفتنه و آینده را آئینه او
وصل استقبال و ماضی ذات او چون آید لانتها اوقات او
در دلش ذوق نور از ملت است احتساب کار او از ملت است
پیکرش از قوم و هم جانش ز قوم ظاهرش از قم و پنهانش ز قوم
در زبان قوم گویا می شود برده اسلاف پویا می شود
پخته از گرمی صحبت شود تا بمعنی فرد هم ملت شود

محمد إقبال : دیوان رموز بی خودی ص ۹۷ ، ۹۸ .

وحدته محكمة من الكثرة والكثرة في وحدته وحدة
 عندما خرج اللفظ من بيته ضاع عنده جواهر المعنى
 تساقط الورق الأخضر من غصنه فحرق من وصل الربيع
 كل من لم يشرب من بئر الأمة انطفأت مشاعل النغم في عروده
 الفرد الوحيد يغفل عن المقاصد قوته تقيّل للتششت
 تجمع الأمة شمل المنة فيه تجبره عظيم الهمة
 يتقيد في الأرض مثل الشجرة الراسخة ونشأ حراً طليقاً وهو مقيداً
 يتقيد بنظام مثل الأبرر ظبيبه الوثاب هر أريج المسك^(۱)

ويتضح من أشعار إقبال أنه بحث المسلمين بالعودة إلى القرآن والتمسك بتعاليم القرآن وكيف وحد القرآن المسلمين وجعلهم أمة واحدة .

والأفكار التي ينادى بها إقبال هي نفس الأفكار التي كان ينادى بها السيد جمال الدين الأفغانى ويمكن القول أن عبقرية إقبال بلغت بفكر جمال الدين الأفغانى إلى ذروتها .

وقد عبر إقبال عن إعجابه الشديد بجمال الدين الأفغانى وكتابهاته ، وفى رسالة إلى محمد احسان فى أبريل ۱۹۳۲ كتب يقول :

" فى العصور الحديثة ومن وجهة نظرى الخاصة إذا كان هناك من يمكن تسميته (مجدد) فهو جمال الدين الأفغانى وسيدكر المؤرخون المسلمون فى كل من مصر وإيران وتركيا والهند اسم عبد الوهاب النجدى ، وبعده جمال الدين الأفغانى ، والحقيقة أن الأفغانى هو المهندس الحقيقى للنهضة الحالية فى العالم الإسلامى وإذا لم تكن الأمة الإسلامية قد اعتبرته مجدداً وإذا لم يدعى لنفسه هذا اللقب ، فان هذا لا يقلل من شأنه فى أذهان من لديهم فكر متعمق فى هذا الصدد " (۲) .

۸ - حدث او مستقيم از كثر است كثر اندر وحدت او وحدت است
 لفظ چون از بيت خود بيرون نشست گوهر مضمون بهجيب خود شكست
 برگ سبزی كرنهال خویش ريخت از بهاران نار اميدش گسيخت
 هر كه آب از زمزم ملت نخورد شعله هاى نغمه در عودش فسرد
 فرد تنها از مقاصد غافل است قوتش شفتگی را مایل است
 قسوم با ضبط آشنا گراداندش نرم رو مثل صبا گراداندش
 پا به گل مانند شمشادش كند دست رها بنده كه زاهش كند
 چون اسير حلقه ی آئين شرد آهوى رم خوى او مشكين شرد

محمد إقبال : ديوان رموزى خودى ص ۹۸ ، ۹۹ .

رقد عبر إقبال عن تقديره البالغ للأفغانى فى رده على سؤال وجهه جواهر لال نهرو قال فيه :

" كان مولانا جمال الدين الأفغانى رجلاً من نوع مختلف ، فكان من أشد المتقدمين بين مسلمى عصره سواء فى الفكر أو السلوك الدينى وكان يتقن كل اللغات الإسلامية تقريباً . كانت روحه تهيم من بلد إسلامى إلى آخر فكان يؤثر على بعض أبرز رجال مصر وإيران وتركيا وعلى أحد أعظم الفقهاء فى عصرنا وهو المفتى الشيخ محمد عبده وعلى بعض رجال الجيل الثانى الذين تولوا الزعامة السياسية فيما بعد ومنهم سعد زغلول فى مصر ، وكان يكتب قليلاً ويتحدث كثيراً ولم يكن يزعم أو يدعى النبوة أو حتى التجديد فليس هناك من حرك روح الإسلام أعمق منه فى عصرنا وروحه لاتزال نشطة فى العالم الإسلامى ولا أحد يدرى إلى أين تنتهى " (١)

وفى الشعر أيضاً تأثر إقبال بالأفغانى فى دفاعه عن قضية الإسلام فى العالم الحديث وفى ديوان جاوید نامہ خصص إقبال مساحة كبيرة لعرض أفكار الأفغانى وفى رحلته مع الرومى بإعتباره مرشداً له تعرف إقبال على روح الأفغانى وسعيد حلیم باشا ، ويقدم الرومى هذه الأفكار بقوله : " إن الشرق لم ينجب من هو أفضل منهم فقد حلت رؤيتهم العديد من المشاكل المعقدة التى تواجهنا ، وكان لجمال الدين من القوة والبلاغة ما بث الروح فى الجسد " (٢)

لم ينجب الشرق أفضل من هذين فقد حلا لنا الكثير من العقـــد

سيد السادات مولانا جمال نبعث الروح من كلامه فى الحجر (٣)

وكان إقبال يعتبر انقاذ المسلمين فى وحدة العالم الإسلامى تحت لواء الاتحاد الإسلامى استلزاماً من الأفكار السياسية للسيد جمال الدين ، ووفقاً لقول مرتضى مدرس چهاردهى : " أن روح السيد جمال الدين تتجلى فى وجه إقبال اللاهورى ، وذلك لأن السيد جمال الدين قد أعلن قبل إقبال فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر الهجرى أن انقاذ مسلمى العالم والدول الإسلامية فى الاتحاد والأجتماع تحت راية الإسلام المقدسة وكان يعتقد أنه طالما المسلمين غارقون فى الاختلاف والنفاق فإنهم لن يضيفوا ضعفاً إلى ضعفهم يوماً بعد يوم بل سيتسببون فى سيطرة الأجانب على العالم الإسلامى " (٤)

١ - Thoughts and reflections of Iqbal edited by : syed Abdul vahid , Lahore , 1964 . p . 278 .

٢ - Iqbal and pan islamism . p . 143 , parveen shaukat Ali .

٣ - گفت مشرق زین دوکسی نژاد ناخن شان عقده های ماکشاد

سيد السادات مولانا جمال رنده از گفتار او سنگ وسفال

محمد إقبال : ديوان جاوید نامہ ص ٦٥ .

٤ - إقبال لاهورى منادى وحدت اسلامى د . أبو الفضل تبنى « مقال فى كتاب در شناخت اقبال » ص ٤٣٩ .

لذا فقد أدرك إقبال أهمية الوحدة الإسلامية ، فلم تكن الجامعة الإسلامية مجرد مرحلة من مراحل الفكر عند إقبال ، فلقد استوعب إقبال روح الإسلام ودافع عن عالميته وكان يعتقد مثل جمال الدين الأفغانى أنه إذا لم تشرق فجر هذه الوحدة على المسلمين سيظلون على تخلفهم اجتماعيا وسياسيا .

يقول إقبال : " أنه يدين فى فكره الإسلامى الحديث للسيد جمال الدين الذى انتشر فكره فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وسعى إلى نشر النظرة العلمية والنهوض السياسى " .

وكان إقبال لا يهكل من الدعوة إلى الوحدة الإسلامية ورغم أن نقاده من غير المسلمين كانوا يطلقون عليه اسم الداعى إلى الوحدة الإسلامية وكان ذلك بأسلوب تهكمى وكان إقبال مقتنع أن عالمية الإسلام كانت أمراً حيويها للعقيدة الإسلامية لو أرادت أن تعيش فى العالم المعاصر فإن عليها أن تعثر على أداة يمكن أن تربط بينها من جديد . يقول إقبال : " هناك من النقاد من يعتبرونى مدافعا عن حركة الوحدة الإسلامية وأنا أعلن نفسى مدافعا عن هذه الحركة وعن اقتناع بأن امتنا لها مستقبل مجيد^(١) .

وفى محاضرة نشرت عام ١٩١١ م يقول إقبال : " إن الإسلام يمقت كل القبود ويقيم هويته على فكرة مجردة تتجسد فى عدد من الأشخاص ولا يعتمد فى حياته على عبقرية شعب من الشعوب ، وفى جوهره فإنه صالح لكل زمان ومكان " ^(٢) ويرى المراقبون أن إقبال وحماسه للمجتمع الإسلامى المتحد ما هو إلا فكرة مثالية ولكن كما يقول إقبال نفسه : " فإن الفكرة المثالية والواقع ليسا قوتين متناقضتين فالمثالية لا تعنى الخروج التام عن الواقع ، وكان يرى أن الإسلام كدين هو أبسط الأديان لأنه لا يطلب من المؤمنين به إلا الإيمان به واحد والإيمان بهذه المبادئ كاف لاستبعاد أى نوع من التفرقة فى الجنس أو العقيدة وهذه الحقيقة تضى سمة عالمية على النظام الاجتماعى والسياسى للإسلام ، وكان الإسلام يعطى لكل فرد الإحساس بالأمان الشخصى^(٣) .

فى سبتمبر عام ١٩٣٣ م أصدر إقبال بيانا يعبر فيه عن وجهة نظره تجاه الوحدة الإسلامية أو الجامعة الإسلامية ، وقد جاء هذا البيان فى أعقاب ما قاله السير فضل حسين عن الوحدة الإسلامية حين قال : إن الوحدة الإسلامية لم يكن لها وجود أبداً فى التاريخ الإسلامى .

١ - parveen shaukat Ali : Iqbal and pan islamism . p . 143 .

٢ - Thoughts and reflections of Iqbal edited by : syed Abdul vahid , Lahore , 1964 . p . 278 .

٣ - Iqbal and poin islamism . p . 142 , parveen shaukat Ali p . 146 .

يقول إقبال : " إن سير فضل حسين صادق في قوله أن الوحدة الإسلامية السياسية لم يكن لها وجود أبداً ولو وجدت ففي خيال من اخترعوها وحتى جمال الدين الأفغانى الذى يرتبط اسمه باسم حركة الجامعة الإسلامية لم يكن يحلم بتوحيد المسلمين في دولة سياسية واحدة ومن المهم أنه في اللغات الإسلامية ليس هناك عبارة تقابل كلمة Pan islamism إلا أن الإسلام كمجتمع يتكون من شعوب وأعراق وهو من بين كل الأديان لا يعترف بحواجز الجنس والقومية والحدود الجغرافية " (١).

ولقد وضع إقبال سبب إطلاق الغرب اسم « Pan islamism » على حركة الجامعة الإسلامية أو الاتحاد الإسلامى حين قال في سبتمبر عام ١٩٣٣ م :

" هذه الكلمة من اختراع الصحافة الفرنسية وقد عنى بها واضعوها مؤامرة مفروضة كانت تقصدها الدول الإسلامية ضد الدول الأوربية وكان مقصودهم بذلك تبرير المظالم الأوربية في البلاد الإسلامية احتجاجاً بتلك المؤامرة المزعومة " (٢).

وكان إقبال يرغب في توحيد مسلمى العالم تحت لواء الإسلام المقدس وأن يشكلوا مجتمعاً إسلامياً متحداً بعيداً عن اللون والخصائص العرقية والقومية واللغوية ، وأن يتجهوا نحو هدف واحد في مسار واحد ذلك المسار الذى حدده الإسلام تحت اسم (أمة محمد) و (الشريعة القرآنية) وأن تكون قبلتهم الكعبة وفى هذه الحالة سيستعيد المسلمون مرة أخرى عزتهم وقوتهم ولن يتأتى ذلك إلا إذا تركوا الذل والمهانة التى كان الاستعمار قد تحفهم بها (٣).

يقول إقبال : وسعت دائرة الأمة ، وجعلت عاصمتها بطحاء مكة
صرنا بالرسالة نعزف نغمًا واحدًا ، صرنا نفس واحدة ولنا قضية واحدة
الطينة الطاهرة هي جوهر المسلمين ، مائتها وحرارتها من بحر النبي
عانقتهها ماء أبريل ، واخرج من بحرها الأحمر جوهر
فلتسطع بنورك في العالم فوق الشمس ، فلك الخلود يا صاحب الشعاع (٤).

١ - speeches and Statements of Iqbal p . 204 ; Iqbal and islamism : Parveen shakat Ali p . 146 .

٢ - إقبال المفكر الإسلامى العملاق د . خليل الرحمن عبد الرحمن ، وحدة التعليم بسفارة جمهورية باكستان الإسلامية ، الرياض ، جدة ١٩٨٦ م / ١٤٠٧ هـ ، ص ١٣ .

٣ - إقبال لاهورى منادى وحدت اسلامى : د . أبو الفضل نهى ص ٤٤٤ .

٤ - حلقه ملت محبب افزاستى مرکز اور وادی بطحاستی
از رسالت همنوا گشتیم ما همنفس هم مدعا گشتیم ما
طبتت پاک مسلمان گوهر است آب و تابش از ہم پیغمبر است
آب نپسانی آغوشش درآ وز میان قلمش گوهر برآ
در جهان روشن تراز خورشید نو صاحب تابانی جاوید شر
رموز بیخودی . ص ٦٩ ، ٩٠ .

وگمانت هذه الأطروحة التي كان السيد جمال الدين الأفغانى قد رفع شعارها قبل نصف قرن من زمن إقبال تحت عنوان « العودة إلى الإسلام » وكان يوصى بأن عامل نجاة المسلمين هو اتحادهم^(۱).

وبوضع إقبال أن حياة الأمة تحتاج إلى مركز محسوس ، وهذا المركز هو بيت الله الحرام .

تنحل عقدة من عقد الحياة	حين أفشى لك سرًا من أسرار الحياة
كخيال تخشى من نفسها	حرة تحاول أن تتحرر من قيدها
هكذا سنة ميلاد الأمم	مركز فيه حياة تنتظم
للدائرة مركز مثل الروح في الجسد	نقطة وفيه خط مستتر
ومن المركز للقوم ربط ونظام	ومن المركز لعصرهم دوام
نقطة المركز منا البيت الحرام	شوقنا ولحننا البيت الحرام
عندما تنفخ النفس في صدره	يكون هو الروح الغالية ونحن الجسد
من نداء ازدهر يستنانا	ومن بثره انتعشت اغصاننا
الشمس مشرقة من عليائه	فانطلق غوصًا في أشراقة سمائه
نحن من دعواه في الدنيا دليل	نحن فيه من ابراهيم الخليل
صوتنا قد علا في العالم	واستحكمت قدمنا بالحسنة
وحد الملة البيضاء من حولها	مثل الصبح قد حو صدر لها
توحدت كثرتنا في حساب	واستحكمت قوتنا من الوحدة
إن في الجمع حياة الأمم	إن هذا الجمع سر الحرام ^(۲)

۱ - إقبال لاهوري منادی وحدت اسلامی : د . آبر الفضل نبی ص ۱۴۴ .

۲ - می گشایم عقده از کارحیات چون خیال از خودرمین پیشه اش
مازمت آگاه اسرار حبسات همچنان آئین میلاد امم
از جهت دامن کشیدن پیشه اش حلقه رازم کز چو جان در پیکر است
زندگی بر مرکزی آید بهم قوم را ربط ونظام از مرکزی
خط او در نقطه ی او مضمر است رازدار و راز ما بیت حرام
روز گارش را دوام از مرکزی چون نفس در سینه ی او پرویم
سرز ما هم ساز ما بیت حرام نازه رو بستان ما از شهنش
جان شبرین است او ما پیکرم تاب دار از ذره هایش آفتاب
مزرع ما آب گیر از زمزمش دعوی او را دلبستیم ما
غریه زن اندر قضایش آفتاب در جهان ما را بلند آوازه کرد
از براهیم خلیلستیم ما ملت بیضا ز طوفش هم نفس
با حدوث ما قدم شیرازه کرد از حساب او یکی بسبایت
همچو صبح آفتاب اندر قفس پخته از بند یکی خود داریت

محمد إقبال : رموز بی خودی ، ص ۱۷۴ ، ۱۷۵ .

موقف الدول الأوروبية من الجامعة الإسلامية ،

وكان الغرب يتخوف من الوحدة الإسلامية أو الجامعة الإسلامية ، والدليل على هذا هي أقوال الغرب أنفسهم عن الجامعة الإسلامية والتحضير إلى قمعها ومنعها من النشر .

يقول القس سيمون : " إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية وتساعد على التخلص من السيطرة الأوروبية والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة ومن أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية " .

ويقول لورانس براون : " إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً وأمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له ، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير ، ويجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين ليبقوا بلا قوة ولا تأثير " .

ويقول ارنولد توينبي : المستشرق والمسؤول البريطاني : " إن الوحدة الإسلامية نائمة ولكن يجب أن نضع في حسابنا أن النائم قد يستيقظ " .

وفي عام ١٩٠٧ م عقد مؤتمر أوربي كبير ضم نخبة كبيرة من المفكرين والسياسيين الأوروبيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا الذي قال في خطاب الافتتاح : " إن الحضارة الأوروبية مهددة بالانحلال والفناء ، والواجب يقضى علينا أن نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول دون إتهيار حضارتنا ، فقرر المؤتمر وضع خطة تقضى ببذل جهودهم كلها لمنع ايجاد أى اتحاد بين دول الشرق الأوسط لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوربا " .

وأخيراً قرر إنشاء قومية عربية معادية للعرب والمسلمين شرقى قناة السويس ليبقى العرب متفرقين وبذا أسست بريطانيا أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية التى كانت تدعو إلى إنشاء دولة يهودية فى فلسطين .

ويعتقد الغربيون أن العرب هم مفتاح الأمة الإسلامية ، قال « موررو بيرجر » فى كتابه العالم العربى " لقد ثبت تاريخياً أن قوة العرب تعنى قوة الإسلام فليدمروا العرب ليدمرهم الإسلام " (١) .

ولقد كان إقبال متفهماً لكل المخططات الغربية التى تحاك ضد الدول الإسلامية والنوايا الاستعمارية للدول الأوروبية ، وكان يخشى الفرقة والعداوة بين المسلمين وكان على وعى بتاريخ الإسلام وأن الوحدة مستحيلة فى ظل الظروف المعاصرة إلا أن هذه الظروف لا تحول دون الوحدة فى وقت الحاجة لكى يسمر فوق القيود وكان يؤمن بأن الاتفاق على الأخوة الإسلامية هو الذى يستطيع التصدى مباشرة لعملية التقريب السريعة فى العالم الإسلامى فالمسلمون فى ظلها فقدوا اهتمامهم بالدين وانقسموا إلى فرق فكان إقبال يدعو المسلمين إلى التغلب على هذه العقبات .

١ - الفكر القومى اسلامياً وتاريخياً ، لجاح عطا الطائى ، معاونية العلاقات الدولية فى منظمة الإعلام الإسلامى ،

الجمهورية الإسلامية الإيرانية ، مطبعة سپهر ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ص ٢٠٦ ، ٢٠٨ .

يقول : " لو استطعت التمييز بين الحسن والقبح لما قيدت قلبك بالطوب والحجر والأجر
مالدين ؟ هو السمر عن وجه التراب والماديات لكي يطلع المرء على روحه الطاهرة (۱)

وكان المبدأ الأساسي لحركة الجامعة الإسلامية عند الأفغانى يتمثل فى انتقاذ العالم الإسلامى من
السيطرة الأجنبية وكان يهدف إلى تنقية الإسلام من الحرافات (۲).

فى ديوان (ارمغان حجاز) هدية الحجاز قصيدة تعرف باسم مجلس شورى ابليس ! فى هذه القصيدة
قام إقبال بتصوير جلسة برلمانية حضرها وتناقش فيها شياطين العالم ووكلاء النظام الإبليسى والمقصود
بالنظام الإبليسى هذا هى دول الغرب الاستعمارية التى تحاول السيطرة على العالم العربى وعلى العالم
الإسلامى ، وقد ترأس هذه الجلسة (ابليس) والحاضرون بالطبع هم أعران ابليس ، وقد ناقشوا فى هذه
الجلسة المذاهب والحركات السياسية العصرية التى تحدثت مهمتهم فى افساد كل شئ واضلال الصالحين
وخرجوا من هذه الجلسة برأى كبيرهم ابليس وهو أن المسلم هو المنافس الوحيد والمصارع الكفء لنظامه وهو
الشرارة التى تتحول إلى نار بسرعة فالمصلحة والرأى أن يركز الزملاء (أى أعوان ابليس) تفكيرهم على
محاربة هذا العدو أر الهائه وتنويمه (۳).

وبالنظر إلى هذه القصيدة نلاحظ أن ابليس وأعوانه قد عرضوا الانظمة الموجودة فى العالم فنرى فيها
الملكية الجمهورية الاشتراكية ثم يناقش الإسلام وخطره على العالم .

يقول إقبال : عرضت على الأفرنج حلم الملوكية

وحطمت سحر المسجد والمعبد والكنيسة

علمت الجهلاء درس القدر

واعطيت الغنى جنون الرأسالية (۴)

۱ - تواگر داری قیمر خوب وزشت دل نه بندی با سکرخ و سنگ و خشت

چيست دين برخاستن از روی خاک تازه خود آگاه گردد جان پاک

ديوان جاوید نامہ ، محمد إقبال ص ۶۷ .

۲ - Parveen shaukat Ali . Iqbal . Pan Islamism . p . 148 .

۳ - روائع إقبال ، السيد ابر الحسن على الحسنى الندوى ص ۱۰۳ .

۴ - مین نی دکھلایا فرنکی کوملوکیت کا خواب

مین نی توڑا مسجد و دهر و کلیسا کافسون

مین نی ناداروان کو سکھلایا سبق تقدیر کا

مین منعم کو دیا سرمایہ داری کا جنوں

ارمغان حجاز ص ۲۱۴ الطبعة الثانية ، نوفمبر ۱۹۶۴ م .

ثم يوضح بعد ذلك كم هو نظام محكم ومتين وقرى فيعلن جهرا

من يستطيع أن يطفى ناره المتأججة

أن من هيجانها الحزمة الابليسية

يقول المستشار الأول في هذه الجلسة الابليسية :

لاشك في أن نظام إبليس محكم ومتين ففى ظله تعود الشعب طبع العبودية

والخضوع والمذلة على جبين هؤلاء المساكين فقبلتهم تقتضى منهم صلاة بلا قيام

لا يمكن أن تخلق بداخلهم الأملانى فهى إن تظهر قت أو تبقى كشيء خامل لا ينضج أبدا

وهذه هى معجزة جهنم المتواصل فاليوم ترى الصوفى والملا عبدا للملكية (۱)

وناقش مستشار آخر في هذا البرلمان دعوة كارل ماركس الاشتراكية وخطر هذه الدعوة على النظام

الابليسى ووصفوها بأنها فتنة من الفتن الجديدة فى العالم : يقول

لا بأس إذا بقيت روح الملوكية ، ولكن ماذا يقول النائب المحترم فى هذه الفتنة الدهماء التى أثارها هذا

اليهودى الذى يدعى (كارل ماركس) ذلك الباقعة الذى ليس نبيا ولكن يحمل عند اتباعه كتابا مقدسا ،

هل عند نيا ، انه أقام العالم واقعه ، وأثار العبد على السادة حتى ترعزعت مباني الإمارة والسيادة (۲) .

۱ - اس میں کیا شک ہے کہ محکم ہے یہ ابلیس نظام

پختہ تر اس سے ہوئے خونے غلامی میں عوام

سے ازل سے ان غریبوں مقرر میں سجدہ

ان کی فطرت کا تقاضا ہے ناز ہے قیام

آرزو اول تو بیدار ہو نہیں سکتی کہیں

جو کہیں پیدا تو مرجاتی ہے یا رہتی ہے خام

یہ ہماری سعی بہیم کی کرامت ہے کہ آج

ارمغان حجاز د . سمیر عبد الحمید ص ۱۷۵ - دیوان ارمغان حجاز ص ۲۱۵ الطبعة ۸ نومبر ۱۹۶۷ م

۲ - روح سلطان رہے باقی تو پھر کیا اضطراب

سے مگر کیا اس یہودی کی شرارات کا جواب ؟

وہ کلیم ہے نبلیا وہ مسیح ہے صلیب ا

نیت پیغمبر ولیکن در بغل دار د کتاب ا

کیا بتائیں کیا ہے کافر کی نگاہ پردہ سوز

مشرق و مغرب کی قوموں کیلئے روز حساب ا

اس سے بڑھ کر اور کیا ہو گا طبیعت کا فساد

توزدی ہندون نے اقاون خیمون کی طناب

دیوان ارمغان حجاز ص ۲۱۸ ، ۲۱۹ طبعة ۸ نومبر ۱۹۶۷ م .

فقال آخر مخاطباً رئيس المجلس :

يا صاحب الفخامة ان سحرة أوربا وإن كانوا يريدوك المخلصين ولكن لم أعد أثق بفراستهم ها هو السامري اليهودي الذي هو نسخة من (مزدك) قد كاد يأتي على العالم بقواعده فاستنسر البعثات وأصبح الصعاليك يزاحمون الملوك بالناكب ويدفعونهم بالوواح انا قد استهنا بخطب هذه الحركة الاشتراكية وها هي قد استفحلت وتفاقم شرها وها هي الأرض تزحف بهول فتنة الغد ، يا سيدى إن العالم الذى كنت تحكمه سينقض عليك ، وينقلب نظام العالم ظهراً لبطن^(۱).

ولقد وصف إقبال فى هذه القصيدة كارل ماركس على لسان أحد مستشاريه

فقال موجهاً كلامه إلى رئيس البرلمان أيليس :

ما الجواب عن خبث هذا اليهودى ؟ (يشير إلى كارل ماركس) ، ذلك الكلیم بل تجل ، المسيح بلا صليب ، ليس نبياً ، ولكن يحفظ تحت إبطه كتابها^(۲).

۱ - گرچه میں تیرے مریدا فرنگ کے ساحر تمام

اب مجھے ان کی فراست پر نہیں بے اعتبار

وہ یہودی فتنہ گردہ روح مزدک کاہروز

ہر قبائونے کوئے اس کے جنون سے تار تار

زاغ دشتی بویا حایے ہر شاہین وچرغ

کتنی سرعت سے بدلتا سے مزاج روزگار

چھاگڈی آشفته ہوکر وسعت افلاک پر

جس کونادائی سے ہم سمجھے تھے اک مشت غبار

فتنہ مزداکی ہیبت کاہہ عالم بے کہ آج

کانپتے بعین کوہسار و مرغزار وچر تبار

میرے آقارہ جہان دیروز بر عونے کوئے

جس جہان کاے فقط تیری سیادت پرامدر

روائع إقبال : السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى ، ارمغان حجاز ص ۲۲۱ - ۲۲۲ طبعۃ ۸ ، نوفمبر ۱۹۶۴ .

ص ۱۵ .

۲ - روح سلطانی رہے باقی تو پھر کیا اضطراب

بے مگر کیا اس یہودی کی شرارت کا جواب ؟

وہ کلیم بے تجلی وہ مسیح بے صلیب

نیست پیغمبر ولیکن در ہنل دار د کتاب

ارمغان حجاز ص ۲۱۸ طبعۃ ۸ ، نوفمبر ۱۹۶۴ م .

الأعلام الخمسة للشعر الإسلامی ، محمد حسن الأعظمی ، الصاری علی شعلان ص ۹۰ .

ولقد وصف إقبال حركة كارل ماركس على لسان أحد مستشاري إبليس بهذا الوصف الذي ذكرته حتى يخلص إلى كلام إبليس رئيس المجلس بأن كل هذه الحركات لا تؤثر على نظامه وسيطرته إنما الذي يقلق نومه هو الإسلام والمسلمين وأنهم الخطر الوحيد بالنسبة له فيقول :

الحذر ، الحذر مائة مرة بنظام الرسول

فهو حافظ لكرامة المرأة ومختبر المرء وباعثه من سباته ^(۱)

ويقول أيضا :

ولكن لو اخاف واعدده خطرا فمصدره تلك الأمة التي توجد إلى الآن في ترابها شراوة الأمل إلى الآن يوجد فيهم أولئك الذين يتوضؤون من دموع الصباح .

يعرف ذلك الذي قد انكشفت لبصيرته بواطن الأيام

ان فتنة الغد ليست المزدكية بل هي الإسلام

إنى اعلم أن هذه الأمة ما بقيت حاملة للقرآن ، بل صارت

الرأسمالية ديناً للمؤمن اليوم وأعلن أيضا أن أكرام شيخ الحرم خالية من اليد البهضاء في ليالي الشرق المظلمة .

ولكن نظراً إلى حالات العصر الحاضر أخاف كل الخوف أن يظهر شرح النبي الحذر من شرع النبي ، والحذر مائة مرة ^(۲) .

۱ - الحذر آئین پیغمبر سے سوہار الحذر / ارمغان حجاز د . سیر عبد الحمید ابراہیم ص ۱۴۷

حافظ ناموس زن ، مرد آزما ، مرد آفرین

۲ - بے اگر مجھ کو خطر کوئی تو اس امت سے بے

جس کی فاکٹر میں بے اہتک شرار آرزو

خال خال اس قوم میں اہتک نظر آتے ہیں وہ

کرتے ہیں اشک سحرگاہی سے جو ظالم وضو

جانتا ہے جس پہ روشن باطن اہام ہے

مزدکیت فتنہ فردا نہیں ، اسلام ہے

جانتا ہوں میں یہ امت حامل قرآن نہیں

بے ہوں سرمایہ داری ہندہ موصن کا دین

جانتا وہی میں کر مشرق کی اندھیری رات میں

بے بد بیضا ہے پیران حرم کی آستین

۱ - ارمغان حجاز ص ۲۲۵ ، طبع ۸ ، نومبر ۱۹۶۴ م .

۲ - المصدر السابق ص ۲۲۴ ، ۲۲۵ ، ۲۲۶ .

فہر حافظ واضح الدستور مجرب الرجال ، خلاق الأبطال .
 إن هذا الشرع رسالة الموت لكل نوع من العبودية فلا فغفور وخاقان
 ولا لفقير مدقع شحاذ .

فانہ بظہر الثروة وينظفها من كل تلوث ويجعل الاغنيا . امنا . الثروة والمال .
 وماذا يكون انقلاب الفكر والعمل أكثر من هذا بأن الأرض لله فقط لا للملوك .
 فلو بقى هذا الشرع مستورا من عيون العالم فذاك حسن لنا وحسن جداً ان المؤمن بنفسه محروم من
 اليقين ، ويستحسن أن يبقى المؤمن متورطاً في الالهيات والمناظرات الدينية ويبقى مرتبكا في تأويل كتاب
 الله (۱) .

وينصح ابليس عن قلقه وخوفه من هذه الأمة ، ووصيته لهم في اشغال هذه الأمة عن التفكير في
 الأشياء الهامة وذلك للسيطرة على المنطقة .

إنى أخاف من بقظة هذه الأمة مع كل نفس يتردد بداخلي
 فحقيقة دينها هي احتساب الكائنات
 اسكروه واجعلوه ينتشى بالذكر والتفكير في الاسرار
 وانضجوا فيه طبع الخائقات (۲)

۱ - عصر حاضر کے تقاضاؤں سے بے لیکن بہ خوف

ہوند جانے آشکارا شرع پیغمبر کہیں

الحذر آئین پیغمبر سے سوار الحذر

حافظ ناموس زن ، مرد آزما ، مرد آئین

موت کا پیغام ہر نوع غلامی کے لئے

نئے کوئی فغفور وخاقان نے فقیر رہ نشیں

کرتا ہے دولت کوہر آلودگی سے پاک وصاف

منعمون کو مال و دولت کاہنا تا ہے آمیں

اس سے بڑھ کر اور کہا فکر و عمل کا انقلاب

پادشاہوں کی نہیں ، اللہ کی ہے یہ زمین

چشم عالم سے رہے پوشیدہ یہ آئین تو خوب

بہ غنیت سے کر خود مومن سے محروم یقینی

سے بھی بہتر آلہیات میں الجہاد ہے

یہ کتاب اللہ تاویلات میں الجہاد ہے

الأعلام الخمسة للشعر الفارسی : محمد حسن الأعظمی ، الصاوی علی شعلان ص ۹۷ ، ارمغان حجاز ص ۲۲۴ .

۲۲۵ ، ۲۲۶ .

۲ - ہر نفس دز تاهوں اس امت کی بیداری سے میں

سے حقیقت جس کے دین کی احتساب کائنات / ارمغان حجاز : د . سبر عبد الحمید ص ۱۴۸

مست رکھو ذکر و فکر صبحگاہی میں اسے ارمغان حجاز : ص ۲۲۸ ، طبع ۸ ، نومبر ۱۹۹۴ م

پختہ ترکرد و مزاج خانقاہی میں اسے

ويؤكد إقبال كلامه عن مؤتمرات الغرب الإستعماري في القضاء على الوحدة الإسلامية التي تخيف الغرب وكيف أن النظام الإبليسى متفهماً لهذه الحقيقة ، كما ذكرت من قبل في قصيدة مجلس شورى أبلّيس ، فإن إقبال يؤكد كلامه مرة أخرى في ديوان (جاويد نامه) أي الكتاب الخالد في وصف فلك عطار . ويورد إقبال كلامه على لسان السيد جمال الدين الأفغاني فيقول :

إن سادة الغرب وكلهم مكر وخداع علموا المسلمين البعد عن الدين وعن روحه العالمية فاصيبوا بضيق الأفق وغلبوا الأثرة الإقليمية على المبادئ الإنسانية الشاملة التي تنطوي عليها طبيعة الإسلام على أن مكر ساسة الغرب وخداعهم إنما يتمثل في أنهم يفكرون في المركزية ويسعون نحو الوحدة ولكنكم تفكرون في الانقسام والتجزؤ . قل لي بريك ما معنى الشام وفلسطين والعراق ؟ « ليس لهذه المناطق معنى إلا في الخطيرة الإسلامية فليس ثمة اختلاف بين شعوبها ، ولو كان في مقدورك أن تميز بين الحسن والقبح لما ربطت قلبك بالطوب والحجر والآجر » .

« ما الدين ؟ هو السمو عن وجه التراب وعن الماديات لكي يطلع المرء على ما بين جوانحه من روح طاهرة بريئة من اضرار المادة » .

« إن من قال (هو الله) لا يحتويه هذا النظام ذي الأبعاد » فمن شأن المرحد الذي ينطق بالشهادة إلا يحتويه هذا الكون على سعته . لكن الوطنية تجعل الإنسان محصوراً في نطاق جدران الوطن الأربعة ، فكيف يمكن للوطن أن يحتوى المسلم المرحد بالله إذن . إن نبتة العشب من تراب وماتزال تنبت من تراب ولكن من الظلم حقاً أن تموت في التراب » .

« فالروح لا تحتويها الجهات ، أيها الذكي والرجل الحر بمنائي عن كل قيد »

« الرجل ينهض صائحا من التراب المظلم فالصقور لا يليق بها أن تعمل عمل الفار »

ويقصد من هذا أن الروح لا تتقيد بزمان أو مكان وأن المؤمن يُغلب من متطلبات روحه عن متطلبات جسده إذ أن المؤمن الحر ينفر ويتعد عن الماديات .

ويوضح إقبال على لسان جمال الدين الأفغاني أن العالم كله وطن للمسلم .

يقول : " سأحدثك عن تلك القبضة من التراب التي سميتها الوطن أو ما يقال عنه مصر وإيران واليمن " .

" فثمة علاقة بين الوطن والشعب فمن تربته نما هذا الشعب لكنك إذا دقت النظر في هذه العلاقة فستجد أن ثمة حقيقة أدق من الشعرة ، ولأضرب لك مثلاً يسيراً بالشمس فرغم أن الشمس تشرق من الشرق مجلبة نفسها في جراًة وتألّق ودون حجب فانها تظل تحترق وتتوهج بما فيها من نار داخلية حتى تفر من قيد المشرق والمغرب وتقف وسط السماء عند انتصاف النهار فتصبح لا شرقية ولا غربية " .

"إنها بزغت من مشرقها ثملة بالجلوه لكنها ظلت تواصل سيرها الحثيث إلى أن استولت على الآفاق كلها عندما انتصف النهار وسطرت على المشرق والمغرب ففطرة الشمس بريئة من المشرق والمغرب برغم كونها مشرقية على سبيل النسب" (۱).

وقد ذكر إقبال هذا لكي يوضح للمسلمين أن العالم كله وطن لهم وألا يتعلقوا بالماديات وألا يحققوا للغرب الاستعماري أمانيه في تثبت جميع المسلمين بشغلهم بالماديات وبقضايا جانبية غير قضية الإسلام والرجوع إلى الإسلام الصحيح حتى تتحقق لهم الوحدة التي ينشدونها .

وعمل إقبال على تذكير المسلمين بأنهم أمة واحدة وأن وحدة العالم الإسلامي لا تقتصر على شعب أو دولة بعينها وللمسلمين إرث مشترك معنوي وثقافي يدعو للفخر وهو إرث لا يجزء وهو يرى أن مسلمي العالم أسرة كبيرة وعليهم أن يتقاسموا الأفراح والاتراح والفرح والحزن والأمال والآلام ، وهو يشبه المسلمين في شعره بأنهم كقطرة ندى في صبح ضاحك

نحن من الحجاز إلى الصين إلى إيران قطرة ندى في صبح ضاحك (۲)

وقد أرسى إقبال رأيه هذا على أساس من عقيدة التوحيد والنبوة وهو يرى أن العقيدة الإسلامية هي التي وحدت المسلمين بعد فرقة وإضاعت قلوبهم بنور الإيمان والمعرفة ومنحت القوة لأمالهم ، ويعتقد إقبال أن مبدأ التوحيد يقوم على أساس وحدة لا تنقسم عراها ومن هذا المبدأ نشأت وحدة المسلمين فكراً وعملاً : الفرد يبقى حياً بعقيدة التوحيد والمجتمع يبقى حياً بإيمانه بالرسالة ومن هذه الرسالة تنبع كل أفكارنا وأهدافنا وغاياتنا ومثلنا (۳).

لقد وحدتنا الآمال المشتركة الكثيرة وحين نضجت مشاعر الوحدة داخلنا أصبحنا أمة واحدة

تعلمنا من النبي دين الفطرة وحملنا مشعلا على طريق الحق

إن هذه المنة السميئة من بحر الذي لا ينتهي وهذه الروح الواحدة التي دبت فينا هي من احسانه (۴)

۱ - محمد إقبال جاوید نامہ ترجمہ و شرح تعلیق د. محمد السعيد جمال الدين مطابع سجل العرب القاهرة ۱۹۷۴ ، ص ۱۴۵ .

۲ - از حجاز وچین وایرانیم ما / شبنم یک صبح خندا نیم ما

۳ - إقبال و وحدت جهان اسلام د . عبد الشکور احسن ص ۱۵۷ .

در شناخت إقبال مجموعه مقالات / کنگره جهانی بزرگداشت علامه إقبال لاهوری ، تهران ۱۳۶۴ هـ .

۴ - کثرت هم مدعا وحدت شود / پخته چون وحدت شود ملت شود

دين فطرت از نبی امروختیم / در ره حق مشعلی افروختیم

این گهر از بحر بی پایان اوست / ما که یکجا نیم از احسان اوست

رموز بیخودی ص ۱۱۷ .

ويرى إقبال أنه لا يمكن تصور الإسلام بدون عظمة وقوة فالمسلمون الحقيقيون هم المسلمون الأقوياء .
المتصرين الذين لا يعتبرهم الضعف وإنما نعلم جيدا أن الدين لا ينفصل عن السياسة ، فعندما نقر وحدة
المسلمين لا يكون هناك انفصال بين الدين والسياسة * .

بناء على ذلك تشكلت في المدينة حكومة قوية بايديولوجية إسلامية على أساس الإيمان والوحدة ، وبناء
على هذه الأصول نفسها طالب إقبال من المسلمين في العصر الحاضر أن يكونوا مجتمعا جديدا على أساس
الإيمان : " كلمة قوم هي مجموعة رجال وتشكل هذه الجماعة في حالات مختلفة وفي نواحي كثيرة على
اعتبار القبيلة والفرق في اللون ، اللغة والوطن ، ولكن قومية تلك الجماعة التي تشمل جميع هذه الصفات
المشتركة من الممكن أن يطلق عليها شعب أو أمة ، ولكن هذه اللقطة لا تجد صدى لدى الأقوام ومن
وجهة نظر القرآن في المعنى السياسي والثقافي فإن القوم يستمدون قوتهم من الدين الإسلامي ولهذا السبب
فالقرآن يؤكد على هذه الحقيقة بوضوح وهي أن القانون الذي هو غير إسلامي لا يعقل ومرفوض " (١) .

ومع شرح إقبال لآلام العالم الإسلامي المهلكة في حزب المسليك (الرابطة الإسلامية) تحدث عن
الإسلام وفلسفته قال : " لو أننا نختار في بلادنا قوانين الحياة البسيطة والتشكيلات الأساسية على أساس
تعاليم الدين الإسلامي فقط فسوف نقدم للعالم نموذجا قيما للغاية عن المجتمع الإسلامي وهذا النموذج
يمكنه أن يترك أثرا عميقا في حياة جميع المسلمين ولعله في جميع العالم وهذا هو الهدف الذي سعى إليه " .
وعرف إقبال التقليد الأعمى بتجرع السم وأنه عامل معرقل ومفقد للجذور الثقافية وحذر المسلمون من
تبعيتهم للغرب واستهتارهم (٢) .

تقليدنا للغرب افقدنا قيم الشرق وكان ينبغي على شعوبنا أن تنقد الغرب (٣)

هربنا من أنفسنا بتقليدنا للفرجة الذين لم يروا صلة بين الملك والدين (٤)

ويوصف عام سواء من الناحية الثقافية والفلسفية أو من الناحية السياسية يمكننا القول بأن إقبال كان
شخصية قيمة للعالم الإسلامي وفي العصر الذي كان يعيش فيه وكان المسلمون في أمس الحاجة إلى مثل
هذه الشخصية وعندما كان ينادي بالوحدة كان يدرك إدراكا تاما بأنه ينبغي رفع شعار الوحدة

١ - د . جاوید إقبال : إقبال اتحاد عالم اسلام وجهان سوم : ص ٣٩ .

٢ - إقبال لاهوري منادی وحدت اسلام : د . ابر الفضل نبی ص ٤٤٥ .

٣ - جاوید تامه : محمد إقبال ص ٣٦٥ .

شرق را از خود بره تقلید غرب باهد ابن اقوام را تنفید غرب

٤ - به تقلید فرنگ از خود رمیدند میان ملک و دین ربطی ندهد ند

گلش راز : محمد إقبال ص ١٦٦ .

فى مواجهة سياسة الفرقة التى اتبعتها أعداء العالم الإسلامى (فرق تسد) ، وحذر المسلمون ودعاهم للوحدة وقال :

" إن قدرة المسلمين تنبع من وحدتهم ، ووحدة المسلمين بمثابة قبضة قوية مسددة إلى فم الاستعمار . إن أساس الدين الإسلامى هو الجهاد ضد الاستعمار ، ويجب على المسلمين أن يكونوا عالمين بواجباتهم الإسلامية وأن يتسلحوا بسلاح الإيمان من أجل مواجهة الأعداء ، وأن يتعدوا عن تشتت الكلمة والفرقة ، ويجب على المسلمين أن يضعوا فى اعتبارهم أنه ليس هناك سلاح أقوى من الوحدة " .

وكان رجال الدين الإسلامى المتأدين بالإصلاح فى كل عهد يعملون بندااء الوحدة فالسيد جمال الدين الأنغائى وإقبال لاهورى من الرواد المرموقين فى العالم الإسلامى ^(١) . وكان إقبال مقتنعا بأن مجتمعنا لا يستطيع أن يلعب دوراً حاسماً طالما ظل المسلمون متفرقين ، وقد استمر إقبال بدافع عن الوحدة الإسلامية سياسياً ودينياً . ومن ثم يمكن القول أن الوحدة الإسلامية كانت تعنى تطبيق شريعة القرآن على كل نواحي الحياة وإزالة الممارسات غير الإسلامية من خلال التفسيرات الإصلاحية ، وكان إقبال كالأنغائى مقتنعا بأن التحديات المتمثلة فى التغريب لا يقضى عليها إلا بوحدة المسلمين ، وقد أشار إقبال إلى ذلك فى خطاب ألقاه فى الله أباد : " هناك درس تعلمته من تاريخ المسلمين . ففى اللحظات الحرجة كان الإسلام هو الذى ينقذ المسلمين وليس العكس . فإن ركزتم اليوم على الإسلام واستلهمتموه فإنكم ستجمعون شتاتكم وتستعيدون كرامتكم وتنقذون أنفسكم من الدمار الشامل " . والإسلام الذى يدعوا إليه إقبال هو الإسلام النقى والأصيل الذى تكمن قوته فى الاجتهاد والوحدة بين المسلمين ^(٢) .

ولقد وجه إقبال كلمة إلى الأمة العربية فى ديوانه المعروف باسم والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق : (پس چه باید کرد ای اقوام شرق) فى هذه القصيدة يذكر العرب بقدرهم الرفيع وماضيهم المجيد مع بيان الأسباب التى كانت مصدراً لتقدمهم ورفيهم وأن مرد الفضل فيها إلى الرسول ﷺ وكونهم من أمته وجميع ما حققه المسلمون من امجاد لم تكن إلا لحظة من تاريخ الرسول ﷺ وتجلى أنواره ، وفى هذه القصيدة أيضاً يشكو إقبال العرب لأنفسهم فقد حطموا بأيديهم ما كان لهم من بناء رفيع ومزقوا بتفرقهم ما كان لهم من شمل جميع وكيف رغم ذلك استسلموا للغير وألقوا بأنفسهم فى أحضان مدنية الغرب الزائفة ويقول للعرب لم يصنع شعب بنفسه ما صنعتكم أنتم بأنفسكم من تمزق الصفوف والانحراف عن جادة الرسول ﷺ .

يقول إقبال فى هذه القصيدة :

١ - د . ابو الفضل تبنى : إقبال لاهورى منادى وحدت اسلام ، ص ٤٤٦ .

Iqbal and Pan Islamism . Parveen shauk At Ali . p. 150 .

(۱) ای درو دشت تو باقی نماند
 در جهان نزد و دور و دیر و زود
 رمز الا اله کرا آموختند؟
 علم و مکتدیزه می از خوان کیت؟
 از دم سیراب آن امی لقب
 حریت پرورده می آغوش اوست
 از دای در پیکر آدم نهاد
 هر خداوند کهن را از شکست
 گرمی مشکامه می بدر و حنین
 سلوت با یک سلوات اندر برد
 نسیخ ابویی نگاه بایزید؟
 عقل و دل را مثنی از یک جام می
 علم و حکمت، شرع و دین، نظم امور
 حسن عالم سوز الحمر و ناج
 این همه یک لحظه از اوقات است
 ظاهرش این جلوه های دلفروز
 دحد بیحد هر رسول پاک را
 هر که از بند خودی و ارست، مرد
 آینه نو با خویش کردی کسی نکرد
 حکمتش هر قوم را بن چاره کرد
 تا عرب در حلقه می داشت قتاد
 عمر خود را بنگر ای صاحب نظر
 گر چه شیرین است و نوشین است او
 مرد سحر این پخته تر کن خام را

نرمی لایمرد کسری که زده
 اولین خواننده می قرآن که بود؟
 این چراغ اول کجا افروختند؟
 آیه می فاصیتم اندر شان کیت؟
 لاله رست از یک صحرای قرب
 یعنی امروز ام از دوش اوست
 او نقاب از طلعت آدم کشاد
 هر کهن شاخ از نم او غنچه بست
 حیدر و مدیق و فاروق و حنین
 قرأت الصافات اندر نبرد
 گنجهای هر دو عالم را کلید
 اختلاط ذکر و فکر روم وری؟
 اندرون سینه دلها ناسبور
 آنکه از قدوسیان گیرد خراج
 یک تجلی از تجلیات ارست
 باطنش از عارفان پنهان مغرور
 آن که ایمان داد مشت خاک را؟
 هر که با یگانگان پیوست، مرد
 روح پاک مصطفی آمد بدرد
 وحدت اعرایان حد یاره کرد
 آسمان یک دم امان او را نداد
 در بدن باز آفرین روح عمر
 کج خرام و شوخ و بی دین است او
 بر عیار خود بزن ایام را

وبعد أن خاطب إقبال الأمة العربية بوجه خطاب إلى أمم الشرق عامة في قصيدة بعنوان والآن ما ذا نصنع يا أمم الشرق وهي من نفس الديوان الذي يحمل نفس الاسم والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق (پس چه باید کردای اقوام شرق)

يقول فيها :

تتألم البشرية من الفرلحجة والآن ماذا يجب أن نفعل يا أمم الشرق ظهرت ثورة في داخلها لقد تاهت أوروبا عجباً بسيفها أنه ذئب في جلد حمار مل مشكلات الإنسانية منه في رؤيته الإنسان ماء وطن أن كل مسساتراه من أنوار الحق كل من يعمى النظر في آيات الله حر العبد المؤمن يصبح أكثر إشراقاً وسعادة به حين يشرق بنور العلم قلبه إن علم الأشياء كيمياء لتراينا إن عقله وفكره لامعبار له يفرق بين الخير والشر العلم متستر منه في الفياق والقفار وأصبح علم الفرلحجة سيفاً قابضاً على الرقاب يتساوى عندهم الخير والشر في الدنيا وحسرتا على الفرلحجة وقسوانينهم تعلم السحر علم الحق واندلعت منبات الفتن من كل صوب يامن تدرك الروح من الجسد يجب أن تنفس روح الشرق في جسده والعقل إلى في حكم القلب لقد أصبحت في صراع في كل زمان إن قانون أوربا هو التباحت وعدم النزاع يجب رسم صورة جديدة في العالم ماذا ترى في جينوا غير فنون المكر والخداع إن الجبال لا يتسع للحديث يا أسير اللون تطهر من اللون الفائدة والخسارة ملامها في يدك حافظ على هذه الأقرام القديمة ولا تزال الحياة خاضعة للفرلحجة فسوف تشرق أيام الشرق مرة أخرى من جديد مضى الليل واشرقت الشمس من جديد وبسطت اللادينية في الأفق والحمل يبدو داخل الكمين في كل عصر وحزن البشرية العميق منه قافلة الحياة لا مقرر لها وحكمة الأشياء من أسرار الحق أصل هذه الحكمة من قوله (الله) انظروا ويصبح أكثر عطفاً وحنواً واشفاقاً على الآخرين فإن بدنه يصبح أكثر خشية وأسفاً ليس له تأثير في الغرب عيناه بلا دموع وقلبه حجر أصم واضع جبريل من كلامه شيطاناً يسعى بكل ما يستطيع في هلاك البشرية ولا يقسمون رزناً للعلم والفن واسفاه على أفكارهم اللادينية وعلم الساحر الكافر الغنيمة (الطمع) وخذ السيف من قضة المستعدين فلتتحرر من خداع القيم اللادينية حتى يدركوا جوهر الدين وحين تحرر من القلب يصبح شيطاناً فخذوا العبرة من أحوال الحبش ولكنهم حرموه على الحمل وأحلوه للذئاب ولكن أي أمل هذا الذي يربح من لصوص الأكفان وهذه الماعز هي صيدك وهذا الحمل هو صيدى فإنه عالم مضطرب ودنيا تقتل بالفتن ا كن مؤمناً وأكفر بالفرلحجة كرامة وشرف شعوب الشرق في يدك وارفع راية الصديق والصفاء (١)

(۱۶) آدمیت دار سالد از فرنگ

زندگی هنگامه بر چید از فرنگ
باز روشن می شود ایام شرق
شب گذشت و آفتاب آمد پدید
زیر گردون رسم لادینی نهاد
هر زمان اندر کسین برهمنی
آدمیت را غم پنهان از دست

پس چه باید کرد ای اقوام شرق
در ضمیرش انقلاب آمد پدید
یورپ از ضمیر خود بسلطان
گرگی اندر پوشین برهمنی
مشکلات حضرت اسان از دست

در نگاش آدمی آب و گل است

کاروان زندگی بی منزل است

حکمت اشیا ز امراد حق است
اصل این حکمت ذ حکم الطرات
هم به حال دیگران دل سوز بر
از خدا نرسنده بر گردد دلش
آه در افرنگه تأثیرش جد است
چشم او بی ام دل او سنگ رخت
جبرئیل از صحبتش ابلیس گشت
در ملاک نوع اسان سخت کوش
در نازد متی علم و هنر
آه از اندیشه لادین او
ساجری بی کافری آموختند
نیغ را از پنجه ی رمزن بکیر
سحر این تهذیب لادینی شکن
نا بگردو نقل معنی را کلید

هر چه می بینی زانوار حق است
هر که آیات خدا بیند حراست
بنده ی مؤمن از بهر روز تر
علم چون روشن کند آب و گلش
علم اشیا خاك ما را کیاست
عقل و فکرش بی بار خوب رخت
علم از دوسواست اندر شهر و دشت
دانش افرنگیان یعنی بدوش
با خان اندر جهان خیر و شر
آه از افرنگه و از آئین او
علم حق را ساجری آموختند
مرطوف مدقت می آرد غیر
ای که جان را بازمی دانی ز تن
روح شرق اندر تنش باید دمید

عقل اندر حکم دل بر دانی است

چون نذل آزاد شد شیطان است

زندگانی هر زمان در کشمکش
شرع یورپ بی نزاع قبل و قال
نقش نو اندر جهان باید نهاد
در جینوا چیست غیر از مکردفن
بیرت آموز است احوال جنس
بره را کرد است بر گرگان حلال
از کفن دزدان چه امید کناد
سید نو این میش و آن نه جبرمن

نکته ها کو می نه کنجد در سخن

بك جهان آشوب و بك کیتی قتن

مؤمن خود کافر افرنگ شو
آبروی خاوران در دست نیت
دایت صدق و صفا را کن بلند

ای اسیر رنگ باغ از رنگ شو
رشته ی سود و زیان در دست نیت
این کهن اقوام را شیرازه بند

حياة أهل الحق تنبع من القوة
أن رأى بلا قوة هو كله مكر وخداع
إن الحزن والألم والضيق والحرقه من الطاحونة
لقد تعلمنا العشق والحب والمواساة
كل الذى تظاهر به كان محجوبا
ولكل صدفه جواهر من وعدنا
لقد رأينا روحنا في محبة البلبل
فكرنا باحشا عن أسرار الوجوه
لنا علامة مميزة في منتصف الصدر
يا أمين حكمة الدين والتفهذيب
انهض ومهد الطريق أمام شئون الأمم
ارسم صورة لشعوب الشرق
تعلم من الفرلجة ومن عمل الفرلجة
المسرح منه والألم والحسرة منه
أنت تعلم أنه ملك ظالم
حانوته شريك في العرش والتاج
ذلك الحكم الذى كله فائدة ونفع
إذا كنت تعلم ما بداخله جيدا
فأترك مصنعه فإنت لا حاجة لك به
فقانون القتل بلا حرب أو قتال
لا تعطى نسبيك ليصنع سجادة
جواهره بهرج زائف وياقوته به شوائب
لا تغفل عن غدر قاطع الطريق
لقد ألقى مائة عقده في عمله
لا تشرب أيها العاقل الخمر من كأسه
وقت الفائدة ضحكات كثيرة والأم قليلة
فالحقيقة في قلب ووجدان المشتري
لقد ربح ليجار اللون والرائحة
أبها الرجل الحر كل هذا نبع من خير أرضك
أولئك الميسرين رأوا أنفسهم
يا من أنت غافل عن شئون العصر الحالى
لقد صنعوا السجاد من حريرك
لقد سحروا عينيك بمظاهرهم
أه من ذلك البهر الهادئ

وقوة أى أمة تنبع من الشعب
وقوة بلا رأى جهل وجنون
نفس الشراب ونفس الكأس من الطاحونة
وتعلمنا قانون الإنسانية (البشرية)
فالشمس منا ونحن من الشمس
وقوة أى بحر من طرفائنا
ورأينا دماء الإنسان في فروع مزهرة
وأول بشر ضربت على آلة الوجوه
روضنا هذا المصباح على أول الطريق
أرفع تلك اليد البيضاء من كم الثوب
وأبتعد عن نشوة الفرلجة
وخلص أرضك من يد الشيطان
فإلى متى ستظل مقيدا بالفرلجة
نحن ودمائنا وآمالنا مستكثا له
الظلم في عصرنا ربح وفائدة له
وله من التجارة فائدة ومن الملك خراج
مظهره خبير وباطنه شر
لكان نسبيك أنعم من حرير
ولا تشتري أثوابه الجلدية في الشتاء
فهم صرخوا عجلات سيارته
فلا تعطه بيضا بالوزير
ومسك هذا المنتفع من نابحة الكلب
ولا تنعم بنسبيك به الملون
فلا تصنع عمامتك من قماشه
فكل من شرب من هذه الحانة فهو هالك
نحن مثل الأطفال وهو بائع للسكر
يارب أهذا سحر أم هذه منفعه
ونحن مشترون لكل ما هو ضال
فجمع ذلك والبس هذا وكُلها
هم الذين نسجوا سجادهم بأنفسهم
فانظر إلى مسهات أروبا
واعادوه إليك مرة ثانية
وقضت عليك أسرارهم
ويشتري جواهره من الفرواصين (١)

(۱) اعلیٰ حق را ندگی از قوت است

رای بی قوت همه مگردون

سوز ساز و درد داغ از آبیست

عشق را ما دلبری آموختیم

هم هنر هم دین از خاک خاور است

و انمودیم آنچه بود اندر حجاب

نرم صدف را گوهر از نیان ماست

روح خود در سوز بلبل دیدیم

فکر ما جویای اسرار وجود

دانیم اندر میان سینه داغ

ای امین دولت تهذیب و دین

خیزو از کار ام بگشا گره

نقشی از جمیعت خاور فکن

دانی از افرنگه و از کار افرنگه

زخم ازو بشر ازو سوزن ازو

خود بدانی پادشاهی قاهره است

تخته‌ی دکان شریک تخت و تاج

آن چهاربایی که هم سوزنا گراست

گر تو می دانی حسابش و درست

بی نیاز از کارگاه او گذر

کشتن بی حرب و ضرب آئین اوست

بودیای خود به فالینش مده

گومریش نف؟ داردند امش رنگ است

رمزن چشم تو خواب مخلصش

صد گره افکنده می در کار خویش

موشندی از خم آه می خورد

وقت سودا خند خند و کم خروش

محرم از قلب و نگاه مشتری است

ناجران رنگه و بو بردند سود

آنچه از خاک تو دست ای مرد حر

آن نگویشان که خود را دیدمانند

ای ز کار عمر حاضر بی خبر

قالی از ابریشم تو ساختند

چشم تو از ظاهرش انون خورد

رای آن دریا که موجش کم نبید

قوت هر ملت از جمیعت است

قوت بی رای چهل است و چشون

هم شویاب و هم اباغ از آبیست

شیوهی آدم گری آموختیم

رنگه گردون خاک پاک خاور است

آفتاب از ما و ما از آفتاب

شوکت هر بحر از طوفان ماست

خون آدم در رگه گل دیدیم

زد نشین زخمه بر تار وجود

بر سر راهی نهادیم این چراغ

آن بدینا بر آرد از آتشین

بشی افرنگه را از سر به

داستان خود را از دست اهرمن

تا کجا در قید زلزل افرنگه

ما د جوی خون و امید رفو

قاهره در عصر ماسودا گری است

از تجارت نفع و از شاهی خراج

بر ذبایش خبر و اندر دل شراست

از حریرش نرم تر گریاس نت

در زمستان پوشین او منور

سر کجا در گردش ماشین اوست

بیذوق خود را به فرزینش مده

شک این سوداگر از ناف سگ است

رمزن تو رنگه و آب مخلصش

از قشای او سکن دشار خویش

هر که خورد اندر همین میخانه مرد

ما چو غفلانیم و او شکر فروزش

بارباین سحر است با سودا گری است

ما خبر بداران همه کورد کبود

آن نروزش و آن پیوش و آن بخور

خود کلیم خویش را با فیدماند

چرب دشتیهای یورپ را نگر

باز از را پیش تو انداختند

رنگه و آب او ترا از چا برد

گوهر خود را از غواسان خرید

وفى دیوان الأسرار والرموز لمجد إقبال بوضع أن الوحدة الإسلامية تقوم على ركنین أساسیین هما :

الركن الأول « التوحید » :

طاف العقل فى عالم الكيف والكم	فهداه التوحید إلى المنزل
لبس لهذا المسكين منزلاً	سفينة الفكر اختلت الساحت
قلبنا متعلق بالغيب ونحن شهود	لقد تحررنا من حدود وقیود
خبط هؤلاء القوم مثل النجوم	كالبصر لا تدركه الأبصار
وحسد النظرة والرؤى والفكرة	مثل الهام فى جمعة واحدة
نحن أمل ورجاء ومآل واحد	وفكر وخيال واحد
نحن من نعماته إخوان متحدین	لغتنا وروحنا والقل واحد ^(١)

الركن الثانى « الرسالة » :

ابراهيم الخليل تارك النجم الأفل	قواعده للأنبياء دليل
إنه آية لله فـ.....	فى قلبه أمـ..... للأمة
خلق ذات محيط واسع	مرکزها وادى البطحاء
نحن من حكم نسبـ.....	أرسلت رحمة لأهل العالم
تنهض من أمواج بحرها	مثل الموج المتصل الذى لا ينفصل
أمتـ..... فى حفظ سور الحرم	فاطلق الصيحة مثل الأسد فى الغابة ^(٢)

١ - در جهان كيف وكم گردید عقل
ورنه این بیچاره را منزل کجاست
حاضریم و دل بفاهب بسته ایم
رشته این قوم انجم است
تیر خوش پیکان کیشیم ما
مدعای ما مآل ما یکیت
ما زنه منهای او اخوان شدیم

محمد إقبال : دیوان رموز پیخودی ص ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٧ .

٢ - تارك آفل ابراهيم خليل
آن خدای لم یزل را آیتى
حلقه ی ملت محیط افزاستى
ما ز حكم نسبت او ملتیم
از میان بحر او خیزیم ما
امتش در حرز دیوار حرم

محمد إقبال : دیوان رموز پیخودی ص ١١٥ ، ١١٦ .

حيث الأمة من أنفساسه
والفسرد حتى من حق الأمة
وحدث الرسالة فينا النغمه
كثيرة الألف هي عين الوحدة
حياة الكثرة من القيد والوحدة
تعلمنا دين الفطرة من النبي
هذا الجوهر من فيضه
هذه الوحدة إذا لم تضيق منا
وهذا السحر من اشراقه
مضى وساطع من شعاع رحمتها
والطوايا والمنى والألم
ومن الوحدة تنشأ الأمة
وحدة المسلم من دين الفطرة
وأضئنا المشعل في طريق الحق
نحن روح واحد من إحسانه
تحفظنا جميعا إلى الأبد^(١)

ويقوم محمد إقبال بتوجيه دعاء إلى الأمة الإسلامية يدعو فيه الله أن تتحد الأمة الإسلامية وأن تتخلى عن الفرقة والضعف الذي ألم بها وأن تتحلى بالوحدة ، فنجد في ديوان « أسرار خودي » يدعو قائلا :

يا من أنت في الوجرد مثل الروح
النغمة من فيضك في عود الحياة
أظهر البركان من أعوادنا
لقد ضاع خبط الوحدة من أيدينا
نحن في العالم مثل النجوم الحائرة
قم باعسادة تنظيم هذا الورق
واجمعنا إلى نفس الخدمه
امنح السالكين منزل التسليم
علم العشاق من أعمال « لا »
أنت روحنا ومنا تستتسر
الموت في طريقك محسود الحياة
واحرق كل ما سوى الله من نيراننا
فما أكثر العقيد في أمرنا
أخوة نعم لكن غرراء
وقم باحياء قانون المحبة من جديد
وأودع أمرك لأحبائك
وامنحنا قوة إيمان ابراهيم
وعلم الفاعل رمز إلا الله^(٢)

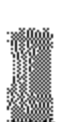
١ - زندگی قوم از دم او یافته است
فرد از حق ملت ازوی زنده است
از رسالت هم نوا گشتیم ما
کثرت هم مدعا وحدت شود
زنده هر کثرت زنده وحدت است
دین فطرت از نهی آموختیم
این گهر از بهر بی پایان اوست
تا نه آن وحدت ز دست ما ورد
محمد إقبال : المصدر السابق ، ص ١١٧ .

٢ - ای چو جان اندر وجود عالمی
نغمه از فیض تو در عود حیات
کوه آتش خیز کن این گاه را
رشته ی وحدت چو قوم از دست داد
ماپیشان در جهان چون اختریم
باز این اوراق را شبرازه کن
باز ما را بر همان خدمت گمار
رهر وان را منزل تسلیم بخش
عشق را از شغل لا آگاه کن
جان ما باشی و از ماسی رمی
موت در راه تو محسود حیات
ز آتش ما سوز غیر الله را
صد گره بر روی کار ما فشا
همدم و بیگانه از یکدیگریم
باز آئین محبت تازه کن
کار خود با عشقان خود سپار
قوت ایمان ابراهیم بخش
آشنای رمز الا الله کن

محمد إقبال : دیوان اسرار خودی ص ٨٦ ، ٨٧ .

الفصل الثاني

موقف إقبال من قضية الخلافة



إقبال ومبدأ الخلافة :

من عام ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م إلى ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م ، وهي الفترة التي شهدت إنها ، حركة الخلافة وحوادث أخرى غيرت الكثير من معالم انبلاذ الإسلامية وظهور حزب الرابطة الإسلامية مطالباً بالحفاظ على حقوق المسلمين بالهند ، نجد أن الشاعر محمد إقبال قد ضمن أشعاره الأحداث التي مرت بهذه الفترة من حياته ، فأشار في أشعاره إلى فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى ، والخلافة الإسلامية ، كما أخذ إقبال يحذر الشباب من فتنة الحضارة الغربية ، كما ركز على إبراز الشخصية الإسلامية لمسلمي الهند ، وقد كتب إقبال في هذه الفترة ديوان الأسرار والرموز (أسرار خودي ... رموز بيخودي) بالفارسية ، كما كتب بالأردية منظومة شكوى وجواب شكوى ، وقد أشاد باتاتورك في مواجهته لليونان ، وبعد أن ألغى أتاتورك الخلافة تأثر إقبال كثيراً وعاتب أتاتورك وحذر الأتراك من تجاههم إلى الغرب^(١).

وهناك حديث صحفي بالإنجليزية نشرته مجلة Soviological - Review عام ١٩٠٨ عن الخلافة الإسلامية تحت عنوان Pan islamic society ، وكذلك هناك أيضاً : الإسلام والأحمدية Islam and Ahmadism^(٢).

ولقد ذكرت من قبل أن إقبال كان قد عاش في فترة المد الأعظم لطغيان القوى الاستعمارية وذلك من أجل القضاء على الإسلام والمسلمين ، وكيف أثر ذلك في إقبال لذا عمل جاهداً على تحفيز الأمة الإسلامية لكي تنهض من ثباتها وتقارم أعداءها .

ولقد كانت هناك قضيتان مطروحتان في المجتمع الإسلامي : الأولى وهي قضية الجامعة الإسلامية (والتي ذكرت أراء إقبال فيها وكيفية معالجته لهذه القضية) أما القضية الثانية وهي قضية الخلافة الإسلامية وما كانت تواجه إلى أن تم القضاء عليها باسقاط الدولة العثمانية دولة الخلافة وإلغاء الخلافة على يد مطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٤م .

فقد كان لانتصارات المسلمين في الأندلس وانتصارات صلاح الدين الأيوبي وآل عثمان الأتراك دافعاً للغرب من أجل تدمير القوة العثمانية ، متأثرين بالنزعة الانتقامية الصليبية وقد قضاوا في سبيل اتمام هذا الهدف حوالي ثلاثة قرون ، فالذين يرون هذا الكفاح الغربي الطويل ناتجاً عن هوس أهل الغرب الاستعماري والاقتصادي فقط فهم يقررون نصف الحقيقة

١ - ذ . سمير عبد الحميد إبراهيم : إقبال والعالم العربي ، ص ١٦ .

٢ - د . احمد معروض : محمد إقبال - حياته وآثاره ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠ ، ص

وذلك لإنخداعهم بدعاية الغرب الكاذبة ، وقد يظن بعض السذج أن الغرب الذي قد ترك الدين مهجوراً ولم يعد يؤمن بالله والرسالة والروحانية مطلقاً لا يمكن أن يفكر في انتقام صليبي أو بتأثير نزعة دينية ولكن ذلك الظن ناتج عن نقص في الفهم وغفلة عن الحق فإن الصليب والكنيسة كامة في قلب كل مستعمر ، سواء كان ديمقراطياً أو اشتراكياً^(١).

هل أنت جاهل لتستعطف الفرنجي الغاضب

ألا تدري أن قلب الصقر لا يرق لطائر يقع في مخالفه^(٢)

فلما تأكد للغرب بأن الدولة العثمانية الإسلامية والخلافة الإسلامية هما الخطر ، اجتازت القوات الإنكليزية والإيطالية واليونانية الأراضي التركية واشترطت أنها لن تنسحب منها إلا بعد تنفيذ الشروط التالية :

١ - إلغاء الخلافة الإسلامية وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله .

٢ - أن تتعهد تركيا باخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .

٣ - أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام .

٤ - أن تختار لها دستوراً مدنياً بدلاً من دستورها المستمد من أحكام الإسلام .

وقد قال كرزون وزير خارجية بريطانيا في مجلس العموم حين تم توقيع معاهدة لوزان لمعارضى هذه المعاهدة : " لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين ، الإسلام والخلافة ، فصق النواب الإنكليز كلهم وسكتت المعارضة " ^(٣).

كما ذكرت في فصل الأوضاع السياسية فإن تركيا والدولة العثمانية كانت قد انحازت إلى الألمان والإيطاليين في الحرب العالمية الأولى ضد الإنجليز وفرنسا ، وعندما انتهت الحرب بهزيمة الألمان والإيطاليين والدولة العثمانية قامت القوات البريطانية والفرنسية بالاستيلاء على المناطق التي تخضع للخلافة العثمانية ، وتعرضت تركيا للتمزق والانقسام ، وقاد الزعيم التركي مصطفى كمال حركة الاستقلال ضد الإنجليز في تركيا حتى

١ - إقبال المفكر الإسلامى العملاق ، د : خليل الرحمن عهد الرحمن ص ١٢ .

٢ - ترا نادان اميد غمگسار ابهازا فرنگ است دل شاهين نسوزد بهرآن مرغيكه در چنگ است

محمد إقبال ، ديوان غزليات (زبور عجم) ص ١٨٢ طبع هفتم منى ١٩٥٩ م .

٣ - نجاح عطا الطائي : الفكر القومى إسلامياً وتاريخياً : نشر معاونية العلاقات الدولية في منظمة

الإعلام الإسلامى ، الجمهورية الإسلامية الإيرانية . مطبعة سپهر سنة ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م ص ٢٢١ .

تمكن من تحرير تركيا بعد المعارك الطاحنة مع الجيوش الإنجليزية واليونانية ولكن مصطفى كمال تعهد بالقضاء على الخلافة العثمانية الإسلامية وإعلان تركيا جمهورية علمانية ، وذلك طبقاً لهنود معاهدة لوزان (سالفه الذكر) .

وبطبيعة الحال حزن المسلمون في العالم على الخلافة الإسلامية وطالبوا زعماء وعلماء المسلمين إبقائها بأي شكل من الأشكال حتى لا يتعرض المسلمون للتمزق والتفكك ، ولكن مصطفى كمال لم يصغ إلى مطالب المسلمين^(١) .

وكان مصطفى كمال يعلل إلغاء الخلافة الإسلامية بأن الخلافة تحولت منذ زمن بعيد إلى مجرد رمز لسلطة مفقودة .

ولقد أبدى محمد إقبال موقف مصطفى كمال في البداية ولكنه عارضه بعد ذلك ، فلقد كان إقبال يوافق مصطفى كمال على إلغاء الخلافة لنفس الأسباب التي ذكرها مصطفى كمال وهي أن الخلافة العثمانية تحولت منذ زمن بعيد إلى مجرد رمز لسلطة مفقودة ، ولقد قدم محمد إقبال رأياً صريحاً لصالح التطور التركي وكان ذلك في كتاب إحياء الفكر الديني في الإسلام .

وكانت فكرة الخلافة قابلة إلى التنفيذ عندما كانت الأمة الإسلامية متحدة الأواصر سليمة البنيان فلما انقسمت على نفسها وتفرقت شيعاً تخلفت عنها وحدات سياسية مستقلة فأصبحت فكرة الخلافة غير ممكنة .

" ولكن كيف مكن تبرير إلغاء الخلافة وفقاً للنظرية السياسية السنية " ؟ ، تقرم إجابة إقبال على هذا السؤال أساساً على أن الاجتهاد التركي رأى أن روح الإسلام تبيح اسناد الخلافة أو الإمامة إلى جماعة من الناس أو مجلس منتخب وأن فقهاء الدين من المسلمين في مصر والهند لم يبدوا وأبهم بعد في هذا الموضوع ويرى أن الرأي التركي رأى صائب سليم ولا يكاد يوجد ما يدعوا إلى الجدل فيه ونظام الحكم الجمهوري لا يتفق مع روح الإسلام فحسب بل لقد أصبح كذلك ضرورة من الضرورات نظراً للقوى الجديدة التي انطلقت من عقالها في العالم الإسلامي ، ويذكر إقبال نموذجين لتطبيق الخلافة عند أهل السنة ، الأول حذف شرط القرشية على يد القاضي أبي بكر الباقلاني (المتوفى ٤٠٣ هـ / ١٠١٣ م) وكان ذلك نتيجة تطور من واقع التجربة أي اضمحلال قریش سياسياً وعجزها عن حكم الإسلام والثاني هو اقتراح ابن خلدون لما كانت قوة قریش قد تضعفت ، فلا سبيل هناك إلا أن يبايع الأقوى في إحراز السلطة للإمامة والخلافة " ويصل إقبال إلى

١ - محمد إقبال : قصائد مختارة ودراسات إعداد دكتور خالد عباس اسدي ، مكتبة مدبولي -

هذه النتيجة القائلة أنه لا فرق بين وجهة نظر ابن خلدون وسلوك الأتراك المعاصرين الذين يستوحون حقائق التجربة لا تفكير الفقهاء المتفلسفين الذين عاشوا وفكروا تحت ظلال أحوال من الحياة متباينة ^(١) .

فلقد كان إقبال معجباً أشد الإعجاب بتركيا الحديثة فقد كان يرى أن تركيا في الحق هي الأمة الإسلامية الوحيدة التي نفضت عن نفسها سبات العقائد الجامدة ، واستيقظت من الرقاد الفكري ، وهي وحدها التي نادى بحقها في الحرية العقلية وهي الوحيدة التي انتقلت من العالم المثالي إلى العالم الواقعي ، تلك النقلة التي تستتبع كفاً مبرراً في ميدان العقل والأخلاق ^(٢) .

موقف إقبال من إلغاء الخلافة :

ولكن بعد أن تعهد مصطفى كمال لجيوش أوروبا بالقضاء على الخلافة وإعلان تركيا دولة علمانية ذات نظام جمهوري حزن المسلمون بطبيعة الحال على الخلافة الإسلامية وطالبوا زعماء وعلماء المسلمين إبقاها بأي شكل من الأشكال حتى لا يتعرض المسلمون للتمزق والتفكك ولكن مصطفى كمال لم يصغ إلى مطالب المسلمين ، وكما ذكرت من قبل أن إقبال كان قد أبدى ولكن لما حاد مصطفى كمال عن طريق الإسلام وبدأ تغريب المجتمع التركي تحت شعار « الإصلاحات » حزن إقبال من تصرفات « مصطفى كمال » فوجه إليه خطاباً في ديوان پیام مشرق الذي كتبه بالفارسية مسجلاً انطباعاته في قصيدة بعنوان إلى مصطفى كمال يقول فيها :

أمة كانت ومن حكمتها نحن آثار على مر العصور
قد عرفنا سر تقدير مضي فمضينا نقتفي سر الدهور
شرراً كنا ، أجسادنا نظراً فإذا شمس على الكون تسير
شبخنا أطفأ في أحشائه نار عشق فختعنا في فتور
صرصر البیداء فی فطرتنا أذهلت ریح الصبا فينا الزهور ^(٣)

١ - الفكر السياسي الإسلامي المعاصر ، حميد عنایت ، ترجمة ابراهيم الدسوقي شتا ص ١٢٧ .

١٢٨ .

٢ - امتی بود که ما از اثر حکمت او والف از سرنها نخواند تقصیر شدیم
اصل ما یک شرر باخته رنگی بودست نظری کرد که خورشید جهانگیر شدیم
نکته عشق فروشت زدل پیر حرم در جهان خوار باننازه تقصیر شدیم
باد صحر است که با فطرت مادر سازد از نفسهای صباغچه دلگیر شدیم
دیوان پیام مشرق ص ١٦١ ، طبع دهم ١٩٦٣م خطاب به مصطفى كمال پاشا ابده الله (جولای ١٩٢٢م) . انظر عبد الوهاب عزام ترجمة پیام مشرق ص ٧٥ ، ٧٦ .

وعلى الأفلاك دوى صوتنا فاسمعنه اليوم فى نوح الأسير
 ربّ صيد قد أخذنا وثبة دون أشراك كما انقضت صقور
 وغدونا بترسع الصيد بنا ولنا قوس وسهم فى الجفير
 "كلما أمكن طرف فار كضن كم أمات العزم تدبير الأمور" « هذا البيت للشاعر
 نظيرى »^(۱)

وكان من الطبيعى أن يحزن إقبال لما آلت إليه أوضاع المسلمين من ضعف مثلما حزن
 جميع المسلمين ، فلقد هزت هذه الأوضاع مشاعر إقبال وعواطفه فنظم قصيدته المشهورة
 (طلوع الإسلام) يدعو فيها الشباب المسلم للنهوض والثورة ضد الاستعمار وضد التخلف
 والجمود : ولقد كتب محمد إقبال قصيدة طلوع الإسلام سنة ۱۹۲۲م وكان مصطفى كمال
 فى ذلك الوقت قد انتصر على اليونان فى حرب (سقاريه) وأكد للعالم كله أن الأتراك
 منتبهين وكتب إقبال هذه القطعة وهو فى حالة رجاء وأمل .

وقصيدة طلوع الإسلام هى الجزء الأخير من ديوان بانگ درا لمحمد إقبال يقول فيها :

- خفت ضوء النجوم هو دليل الصباح المضى
 ولقد أشرقت الشمس عبر الأفق وتلاشت فترة النوم العميق
 - جرت دماء الحياة فى عروق الشرق الميتة مرة أخرى
 ولا يستطيع ابن سينا ولا الفارابى ان يفهما هذا السر
 - لقد حولت عاصفة الغرب المسلم إلى مسلم حقيقى
 فتلاطم الأمواج هو الذى يروى اللائى
 - وسينال المزمّن من جناب الله مرة أخرى
 قوة الأتراك والعقل الهندى والنطق العربى^(۲)

۱ - آه آن غلفله کز گنبد افلاك گذشت ناله گردید چو پابند به وزیر شديم
 اى بسا صيد كه به دام بفتراك زديم در بغل تيروكمان ، كشته نخجير شديم
 هر كجاء دهد اسب بران تاز كه ما بارها مات درين عرصه بتدبير شديم « نظيرى »

۲ - دليل صبح روشن به ستارون كى تنك تاهى
 افق به آفتاب ابهراگيا دور گران خواهى
 عروق مرده مشرق مين خون زندگى دوزا
 سبجه سكتى نهين اس راز كوسينا وفارابى
 مسلمان كو مسلمان كردها طرفان مغرب نه
 تلاطم هائى درياهى به به گرهر سيراى
 عطا مومن كويهر در گاه حق به هونى والاى
 شكوه تركمانى ذهن هندى نطق اعرابى

ديوان « بانگ درا » ص ۳۰۳ : ۳۰۴ طبع بهست ودوم ، سپتمبر ۱۹۶۳ : ترجمة فوزية الصباح فى
 رسالة بانگ درا ص ۳۴۳ .

- ایہا البلبل إن أثر النوم باق حتى الآن فی البراعم
 وحينما تجد ان مذاق النعمة ضعيف فلتفن بصوت أكثر مرارة
 - فلتضیی مصباح الأمل فی ضمیر الاقحوان
 واخلق لدى كل ذرة من ذرات الحديقة دافعها للبحث^(۱)
 - آثار المطر بادية فی دموع عیون المسلمین
 وسوف تظهر اللآلی مرة أخرى فی بحر الخلیل
 - سوف یجلد کتاب الملة البيضاء مرة أخرى
 لقد حان الوقت أن یورق ویشعر هذا الغصن الهاشمی مرة أخرى
 - لقد خطف الترمکی الشیرازی قلب كل تبریز وکابل
 وریح الصبا تجعل رائحة الزهر مقترنة بالسفر
 - إذا تحطم جبل الحزن علی العثمانيين فلا داعی للحزن والألم
 لأن خلق السحر یكون من دم مائة ألف نجم^(۲)
 یرید إقبال فی هذه الأبیات من قصيدة (طلوع الإسلام) فی دیوان « بانگ درا » أن
 یقول :

-
- ۱ - اثر کچھ خواب کاغنجون میں باقی ہے تو اے بلبل
 "نوارا تلخ ترمی زن چو ذوق نغمہ کم باہی"
 ضمیر لالہ میں روشن چراغ آرزو کردے
 چمن کے ذرے کو شہید جستجو کردے
 دیوان « بانگ درا » المرجع السابق ، ص ۴۰۵ .
 ۲ - سرشک چشم مسلم میں ہے نہسان کا اثر پیدا
 خلیل اللہ کے دریا میں ہون گے پھر گھریدا
 - کتاب ملت بیضا کی پھر شیرازہ بندی ہے
 یہ شاخ ہاشمی کرنے کوئے پھر برگ و بریدہ
 - رہو آن ترک شیرازی دل تبریز وکابل را
 صبا کرتی ہے ہوئے گل سے اپنا ہم سفر پیدا
 اگر عثمانیوں پر کوہ غم ٹوٹا تو کیا غم ہے
 کہ خون صد ہزار الجیم سے ہوتی ہے سحر پیدا
 المرجع السابق ص ۴۰۵ ، ترجمة فوزية الصباح فی رسالة بانگ درا ص ۲۳۸ .

إن خفت ضوء النجوم ما هو إلا دليل على ظهور الصباح وهو هنا يمثل حال المسلمين وأن ثباتهم هذا لابد أن تعقبه صحوة . فلقد دبت الحياة مرة أخرى في المسلمين وجرى الدم في عروق الشرق الذي يمثل موطن المسلمين ولا يستطيع أحد أن يفسر هذه الثورة ودبيب الحياة مرة أخرى في جسد المسلمين وأن الفارابي وابن سينا وهما من كبار فلاسفة المسلمين لا يستطيعون تفسير هذه الثورة .

ثم بعد ذلك يحاول إقبال تفسير هذه الثورة ويرجعها إلى أن الاستعمار والاحتلال هما اللذان حركا المسلم وحشوه على النهوض ، وفي المصراع الثاني من هذا البيث يشبه المسلمون باللائى ويصف النكبات التي حلت بالمسلمين بالأمواج التي كان من شأها أنها روت تلك اللالئ ، ثم بعد ذلك كل هذا سيؤدى إلى اتحاد القوة العثمانية مع العقل الهندى مع النطق العربى .

ثم يحدث البلبل حتى يصدح بالغناء ويرفع صوته حتى يمحو آثار النوم التي لاتزال في البراعم الصغيرة ، ثم يحثهم على الأمل الذى من شأنه أن يدب الحياة في كل ذرة من ذرات العالم الإسلامى .

ولقد ترجم الشيخ الصاوى شعلان هذه القصيدة في شكل شعرى (۱) .

ثم نجد إقبال في جزء آخر من هذه القصيدة يقول :

ترنم آیہا البلبل فـان نغمـاتک
تخلق کبد الشاہین فی جسد الحمامة الرقیقة
ولتذع سر الحیاة المختفی فی صدرك
ولتسجل حرقرة ونغمـة المسلمین
انت قـدردہ ید اللہ الدائم وأنت لسنانہ
فاخلق الیقین فی ذاتک آیہا الغافل فـان الظن طغى علیک

۱ - الشيخ الصاوى شعلان : ایوان إقبال ص ۱۰۲ ، ۱۰۴ .

۲ - نوایبرا ہوائے بلبل کہ ہو تیرے ترنم سے
کبوٹر کے تن نازک میں شاہین کا جگر پیدا
ترے سینے میں ہے پوشیدہ راز زندگی کھدے
مسلمان سے حدیث سوز و سوزندگی کھدے
خدائے لم یزل کادست قدرت تو زبان تو ہے
یقین پیدا کرائے غافل کہ مغلوب گمان تو ہے

منزل المسلم أبعد من السماء الزرقاء
فأنت القافلة التي غبار طريقها النجوم
فالكان فان والمكين غير دائم والإقامة غير دائمة ولك الأزل ولك الأبد
وأنت أخسر رسالة الله ولك الخلود
ودم كعبك كالحناء لعروس الأقحوان
أنت إبراهيمي النسب وأنت عمران الحبيبة^(۱)

نلاحظ هنا أن الشاعر محمد إقبال يدعو المسلمين إلى محو آثار الطفیان المتمثلة في الاستعمار فيقول لمصطفى كمال مشبهاً إياه بالبلبل الذي يصدح ويحش على الغناء بصوت عالي حتى يوقظ عالم الإسلام وذلك بحروبه ضد الاستعمار فإن هذه الانتصارات سوف تقوى قلب المسلمين وتحوله من قلب حمامة رقيق إلى قلب شاهين أي صقر . فها فتى الإسلام سر وحقق المحال وكن برهاناً لكتاب الله وقدرته ، واعلم أن منزلتك كبيرة عند الله واعلم أنك وارث مكانة أجدادك الذين رفعوا كلمة الله عالية ، فإن مكانة المسلم عليه تعلو السماء . ثم يشبه المسلم بالقافلة التي تسير وتخلف وراءها لجرماً وهذا دليل على علو المكانة ، ثم بعد ذلك ينصح المسلمين ويحذرهم بأن المكان يزول وأيضاً سكان المكان إلى زوال ولكن أنت أيها المسلم باق برسالة الله والرسالة خالدة ، أن الآمال لا تتحقق إلا بالآلام وأن دمك حناء للعروس .

وكما ذكرت من قبل أن إلغاء الخلافة العثمانية من قبل كمال أتاتورك قد لاقى بعض القبول من محمد إقبال في البداية ولكن حين رأى ممارسات مصطفى كمال وكيف أنها مالت إلى العلمانية وبعدت كل البعد عن الإسلام وتعاليمه حزن ووجد أن إلغاء الخلافة يشكل صدمة للمسلمين ، كما وجد إقبال أن قادة المسلمين في العالم الإسلامي قد وقفوا مكتوفي الأيدي تجاه هذه الأفعال وكان الموقف السلبي لرضا شاه ملك إيران في تلك الفترة أثره على المسلمين ، فلقد وجد إقبال أن الإسلام موجود في أرواحنا ولكن لا توجد الشخصية التي تمثله .

۱ - پرے سے چرخ نیلی قام سے منزل مسلمان کی
ستارے جس کی گرد راہ ہوں وہ کاروان توئے
مکان فانی مکین آنی ازل تیرا ابد تیرا
خدا کا آخری پیغام ہے تو جاودان تو ہے
حنابند عروس لالہ ہے خون جگر تیرا
تری نسبت براہیمی ہے معمار جہان تو ہے

محمد إقبال : دیوان « بانگ درا » قصیدۃ طلوع اسلام ، ص ۳۰۶ ، ۳۰۷ طبع بیست و دوم ،

سپتمبر ۱۹۶۳ .

كان لإلغاء الخلافة من جانب مصطفى كمال صدمة لمسلمي الهند ومنهم إقبال ، كما كان للموقف السلبي لرضا شاه بهلوی أثره على المسلمين ، وظل إقبال يتطلع هنا وهناك لعله يرى قائداً يقود قافلة المسلمين التي راحت تبتعد عن منزلها يوماً بعد يوم^۱ . يقول إقبال :

” شدت حتی مزقت شقائق النعمان جیوبها وجداً ، ونسیم الصبح لا يزال يطلب روضاً
يُنظر أزهاره ، لا مصطفى كما ولا رضا بهلوی مطهر لروح الشرق ، والروح تطلب الآن
شخصية تظهر فيها ” .

جیب الشقائق غدا مزقاً

ونسمة الصبح روضاً تطلب الآن

ما مصطفى أو رضا جلی حقیقتها

فالروح فی الشرق جسماً تطلب الآن^(۱)

ولقد وجه إقبال نداءً إلى قادة المسلمين آنذاك إلى الملك فؤاد وإلى الأمير فيصل وإلى الملك عبد العزيز يقول فيه :

یا فؤاد یا فیصل یا ابن سعود

إلى متى تظلون متفرقين مثل الدخان

أحبوا فی صدوركم حرقة المحبة التي ولت

أعيدوا إلى الدنيا ذلك اليوم الذي ولی

فلتنجی یا أرض الحجاز خالداً آخر من جدید

وانشدي لحن التوحيد من جدید

یا من ينمر النخيل العالي فی وديانك

ألا تنجی لنا فاروقاً آخر ؟^(۲)

۱ - إقبال والعرب . د . سمير عبد الحميد إبراهيم ، مكتبة دار السلام الرياض ، المملكة العربية السعودية سنة ۱۴۱۳هـ ص ۹۶ ، ۹۷ .

۲ - ای فؤاد ای فیصل ای ابن سعود تا کجا برخیز پيچیدن چودود

زنده کن در سينه آن سوزی که رفت در جهان باز آید آن روزی که رفت

خاک بطحا خالدي ديگر برای نغمه توحيد را ديگر سراي

ای نخيل دشت تو بالنده تر بر نخيزد از آید تو فاروقی ديگر ؟

محمد إقبال : ديوان (جاويد نامه) ص ۱۱۰ طبع پنجم جنوری عام ۱۹۶۶م .

وفى ديوان جاويد نامه (الكتاب الخالد) نجد أن إقبال يختار سعيد حليم باشا الصدر الأعظم لتركيا أبان الحرب العالمية الأولى ليسوق على لسانه رسالة إلى الأمة الإسلامية موجهاً نقداً إلى حركة التتريك التى تبناها مصطفى كمال أتاتورك وجدير بالذكر أن سعيد حليم باشا كان زعيماً لحزب الإصلاح الإسلامى المناهض لحركة التتريك . يقول إقبال على لسان سعيد حليم باشا :

- أن المهارة عند أهل الغرب هى بضاعة الحياة ، أما عند أهل الشرق فالعشق هو سر الكون .

- المهارة تصير عارفة بالله من خلال العشق ، وتتوطد أركان العشق بالمهارة .
 - إذا ما رافقت المهارة العشق ، يصبح العشق قادراً على تعمير عالم جديد .
 - فقم أيها المسلم وضع تصميماً لعالم جديد ، وامزج العشق بالمهارة .
 - شعلة الأوربيين خابية ، أعينهم بصيرة وقلوبهم ميتة .
 - لقد أصيبوا بالجراح من سيوفهم هم ، وقعوا صرعى كحيوان اصطادوه .
 - لا تبحث عن السكر فى كرمهم ، فليس فى أفلاكهم عصر جديد .
 - من نارك أنت يأتى التوهج للحياة ، إن مهمتك هى خلق عالم جديد ^(١)
- يوضح إقبال أن جل اعتماد العرب قائم على العقل أما المسلمون فسر الحياة عندهم قائم على العشق الإلهى .
- فالعشق هو الذى يهدى العقل إلى معرفة الحق تعالى . فإذا تلازم العشق والعقل معاً وضع شكل جديد للعالم .
- " نيا أيها المسلم لا تقلد أهل الغرب فلا تتخدع بهم وأن ظهوراً كالعارفين إلا أن قلوبهم ميتة لا روح فيها فإن المادة مسيطرة عليهم .

١ - غریبان را زیرکی سازجیات شرقیان را عشق راز کائنات
 زیرکی از عشق گرده حق شناس کار عشق از زیرکی محکم اساس
 عشق چون بازیرکی همبر شود نقشند عالم دیگر شود
 خیز و نقشست عالم دیگر بنه عشق را بازیرکی آمیزده
 شعله آفرنگیان نم خورده است چشم شان صاحب نظر دل مرده است
 زخمها خوردند از شمشیر خویش بمل افتادند چون نخچیر خویش
 سوزومستی را مچو از تانك شان عصر دیگر نیست در أفلاك شان
 زندگی را سوزوساز از تار تست عالم نور آفریدن کار تست
 محمد إقبال : ديوان (جاويد نامه) المرجع السابق : ص ٧١ ، ٧٢ .

لقد تنافسوا فيما بينهم فأصابوا أنفسهم بسيوفهم ووقعوا صرعى كالحیوانات فلا تنخدع بهم ولا بحضارتهم لأن حضارتهم لا يمكن أن تسفر عن عالم جديد لأن تلك الحضارة لا روح لها فإن خلق عالم جديد مسئوليتك وليس أحد سواك " (۱).

ثم يقول إقبال على لسان سعيد حليم باشا موجهاً نقداً لمصطفى كمال :

- لا ليس في قيثارة التركي « مصطفى كمال » لحن جديد ، فإن ما يسمونه جديداً إنما هي نغمة تركتها أوروبا وأصبحت قديمة بالية .

هذا البيت يتحدث عن القومية التركية التي رفع لواها مصطفى كمال حتى يستطيع أن يقضى على الخلافة الإسلامية .

- لم يدخل صدره نفس جديد ، ليس في ضميره عالم آخر .

- إن الأصالة يا صحتي كامنة في جذور كل مخلوق وهذا الشيء يعرفه الجميع ، واصلاح الحياة وتقويمها لا يكون أبداً بالتقليد .

- إن القلب الحي هو الخلاق للعصور والدهور وروحه تصبح دون حضور بالتقليد .

ثم يمضي سعيد حليم يخاطب بني وطنه الأتراك .

يقول : إن كان لك قلب كالمسلمين ، فانظر في ضميرك والقرآن .

- في آياته ماثات من العوالم الجديدة ، عصور بأكملها تنطوي في آياته ولحظاته

- إن عالماً واحداً من عوالمه يكفى العصر الحاضر ، فتمعن إن كان في صدوك قلب

مدرك .

- فالعبد المؤمن آية من آيات الله ، كل عالم كالشوب على صدره

- وحين يتقادم عالم على صدره يمنحه القرآن عالماً آخر (۲) .

۱ - مصطفى كـ ... از تجدد می سرود	گفت نقش کهنه را باید زدود
- سینه اوراد می دیگـر نبود	در ضمیرش عالمی دیگر نبود
- طرفگیها در نهـاد کائنات	نیست از تقلید تقویم حیات
- زنده دل خلاق اعصار ودهور	جانش از تقلید گردد بی حضور
- چون مسلمانان اگر داری جگر	در ضمیرش خویش و در قرآن نگر
- صد جهان تازه در آيات اوست	عصرها پیچنده در آيات اوست
- يك جهانش عصر حاضر را پس است	گیر اگر در سینه دل معنی رس است
- بنده مومن ز آيات خداست	هر جهان اندر بر او چون لباس است
- چـون کهن گردد جهانی در برش	می دهد قرآن جهانی دیگرش است

محمد إقبال : دیوان (جاوید نامہ) : المرجع السابق ، ص ۷۲ ، ۷۳ ترجمها و شرحها وعلق علیها :

د. محمد السعيد جمال الدين ص ۱۵۰ ، ۱۵۱ .

وفى ديوان ارمغان حجاز أيضاً يوجه النقد للأتراك العثمانيين ، وقد جعل العنوان « الأتراك العثمانيون » . يقول إقبال :

- صار العثماني أميراً فى بلده

قلبه مطلع وعينه بصيرة

لا تظن أنه وجد الخلاص من قيد الأفرنج

فهو حتى الآن أسير فى طلسمهم

- سعداء من حموا سحره

سعداء من لم يربطوا القلب بميثاق الأفرنج

لا تكن يائساً واعرف ذاتك

فالرجال كانوا قبلاً ومازالوا وسيبقون كذلك

- اعطوا الأتراك أملاً جديداً ورغبة

وضعوا أساساً آخر لعملهم

أنهم كشفوا النقاب عن وجه القدر

لكن أين المسلم الذى يرى^(١).

وهذه الأبيات تدل على أن إقبال تابع باهتمام دقيق وقلق التطورات السياسية والاجتماعية فى تركيا وأهد بعض الخطرات ، وعلى سبيل المثال أجاز التصور التركى فى مجال الاجتهاد فى قضية الخلافة ولكن إقبال استاء من بعض التحولات التى شهدتها تركيا بعد ذلك ورأى إقبال أن الإصلاحات الاجتماعية التى بدأتها تركيا آنذاك هى تقليد أعمى لأسلوب الحياة الاجتماعية والثقافية للغرب ، وقال أن ما أتخذ من إجراءات فى تركيا ليس فيه أى جديد وما يتصوره الزعماء السياسيون فى تركيا جديداً اعتبره الغرب

١ - بلك خورش عثمانى امير است دلش آگاه وچشم او بصير است

زيندارى كه رست از بند افرنگ هنوز اندر طلسم او اسير است

خك مردان كه سحر او شكستند به پيمان فرنگى دل نه بستند

مشونوميد ويا خود آشنا باش كه مردان پيش ازين بودند وهستند

به تركان آرزونى تازه دادند بنائى كارشان ديگر نهاوند

وليكن كومسلمانى كه بپند نقاب از روئى تقديرى كشادند

محمد إقبال : ديوان ارمغان حجاز ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، نوفمبر ١٩٦٤ : ترجمة : سمير عبد الحميد

قدیمًا وبالیا ، ویری اقبال أن التقليد هو علامة الركود والتوقف وأن التقدم الحقيقي في الحياة لا يتحقق إلا برؤية عميقة وروح خلاقة بناءة ، فالتقليد يجعل الحياة منفصلة عن الحقيقة والواقع ، وكان يرى أيضا أن القرآن هو نبع الهداية وأن هداية الناس لا تتحقق إلا باستلھام هذا الكتاب المقدس لأن كل كلمة منه كافية لإضاءة مائة عالم^(۱) .

كان مصطفى كمال قد رفع لواء القومية التركية وتوحيد الجنس التركي وذلك على غرار القومية الأوروبية .

لذلك فقد كتب محمد اقبال قصيدة بعنوان « الدين » في ديوان (بانگ درا) يقول فيها :

- لا تقس دينك بالأمم الغربية
- فإن أمة الرسول الهاشمي ﷺ لها تكوين خاص بها
- فاتحادهم ينحصر في الملك والنسب
- أما اتحادك فيستحكم بقوة الدين
- إذا أفلت ذيل الدين من اليدين فكيف يكون الاتحاد
- وإن ذهب الاتحاد فستضيع معه الملة أيضا
- فلتكن مرتبطا بالشجر ولتضع الأمل في الربيع
- ان الغصن الذي انكسر من الشجر أبان فصل الخريف
- لا يمكن أن يخضره سحاب الربيع
- فعهد الخريف خالد بالنسبة له
- ولن تكون له أي صلة بالأوراق والثمار^(۲)

۱ - دكتور عبد الشكور احسن : وحدة العالم الإسلامي ، مقال في كتاب در شناخت اقبال ، ص

۱۶۲ .

- ۲ - اپنی ملت پر قیاس اقوام مغرب سے نہ کر
- ان کی جمعیت کا بے ملک و نسب پرانحصار
- دامن دین ہاتھ سے چھوٹا تو جمعیت کھان
- پیوستہ رہ شجر سے امید بہار رکھ
- ذالی گئی جو فصل خزان میں شجر سے ٹوٹ
- بے لازوال عہد خزان اس کے واسطے
- کچھ واسطہ نہیں ہوا سے برگ و بار سے
- محمد اقبال : دیوان (بانگ درا) ص ۲۷۹ ، ۲۸۰ ، طبع بیست و دوم ستمبر ۱۹۶۲ م ؛ ترجمہ :
- نوریزہ الصباح ص ۲۲۸ رسالہ ماجستھر غیر منشورہ .

وفی دیوان « بانگ درا » بشرح محمد اقبال احوال العالم الاسلامی فی قصیدہ بعنوان (العالم الاسلامی) :

- لماذا تقص على ملحمة الأتراك والعرب ؟
- فان حرقة ونفمة المسلمين ليستا خافيتين على
- ذهب أبناء التثليث بميراث الخليل
- وهكذا أصبح تراب الحجاز طوب أساس الكنيسة
- لقد افتضح « الطربوش » الأحمر الأقحوانى فى العالم
- والشعب الذى كان عزيزا قويا فى الماضى أصبح اليوم مجبرا على الذلة
- والفرس يأخذون الحمر من الخمارين الأوربيين
- تلك الحمر التى تذهب حرارتها الدن
- لقد قطعت حكمة الغرب الملة
- كما يقطع ماء النار الذهب
- وأصبح دم المسلم رخيصا كالماء
- وأنت مضطرب لأن قلبك لا يعرف السر
- قال الرومى * : حينما يريدون بناء عمارة مكان عمارة قديمة
- ألا تعرف أن أول ما يقومون به هو إزالة أساسه ^(۱)

* الرومى : - هو محمد بن محمد بن حسين الخطيبى البكرى وشهرته جلال الدين الرومى ، واشتهر بالرومى بسبب طول فترة إقامته فى مدينة قونية ، كما اشتهر بلقب (المولوى) ، وتخلصه فى بعض اشعاره (خاموش) و (خموش) و (خامش) . ولد فى عام ۶۰۴ هـ فى بلخ ويعتبر من أعظم الشعراء الفرس إن لم يكن أعظمهم ، ومن كبار شعراء الصوفية ومزلفاته عبارة عن « المثنوى المعنوى » وهو من الأعمال العظيمة فى التصوف ، و غزليات شمس التبريزى « وهو ديوان ضمنه من الغزليات الوجدانية العميقة وعمر باسم مرشده ، وله أيضا « رباعيات واثاوثرية » : فيه ما فيه « ، « مكاتيب » ، « المجالس السبعة » . وقد تأثر بشمس الدين التبريزى فى العشق الإلهى وأسس الطريقة المولوية (لفت نامه المنقحة ، على أكبر دهخدا ، ص ۱۹۲۸۵ ، ۱۹۲۸۶) . وحظى فى مصر بدراسات عديدة وترجمات لأعماله.

- ۱ - کیاستاتا سے مجھے ترک و عرب کی داستان
- مجھ سے پنهان نهين اسلاميون کاسر و ساز
- لے کتے تثلیث کے فرزند میراث خلیل
- خشت بنیاد کلیساہن گئی خالک حجاز ا
- ہو گئی رسوا زمانے میں کلاہ لالہ رنگ
- ہو سراپا ناز تھے ہیں آج مجبور نیاز ا
- لی رہا ہے فروشان فرنگستان سی پارس

- انفتحت عیون الملة حينما ذهبت الدولة من أيديهم
- لقد أعطاك الله العين فانظر بها أيها الغافل
- التفت والتحطم أفضل من استجداء الموميا للعلاج
- فيا أيها النملة العاجزة لا تعرضي حاجتك أمام سليمان
- فنجاح المشرق منوط بالاتحاد والألفة في الملة البيضاء
- وحتى الآن لا يدري الآسيويون هذه الحكمة
- عليهم أن يتركوا السياسة ويدخلوا مرة أخرى في قلعة الدين
- فإن الملك والثروة ثمرة من ثمرات الحرم فقط
- فليتحدا المسلمون من ساحل النيل إلى تراب كاشغر لحراسة الحرم
- فسوف يفنى كل من شيد التفرقة العنصرية
- سواء أكان تركياً صاحب الإبروان أم عربياً ذا الطبع السليم
- إذا تقدمت العنصرية على دين الإسلام
- فسوف ينتشر وجودك من هذه الدنيا مثل تراب الطريق
- لكي تحكم أسس الخلافة في الدنيا مرة أخرى
- عليك أن تحجد وتجاهد جهاد الأسلاف
- يا من تستطيع أن تفرق بين الظاهر والباطن خذ حذرك
- ويا أسير أبي بكر وعلى رضى الله عنهما لتكن حذراً
- كان البكاء من لوازم العشق وقد انتهى دوره

-
- = - وہ نے سرکش حرارت جس کی ہے بیٹا گذار
 - حکمت مغرب سے ملت کی یہ کیفیت ہوئی
 - نکڑے نکڑے جس طرح سونے کو کر دیتا ہے گاز
 - ہو گیا مانند آب ارزان مسلمان کالہو
 - مضطرب ہے تو کہ تیرا دل نہیں دانائے راز
 - گفت رومی ہر بنائی کہنہ کا آبادان کنند
 - می فدائی اول آن ہنسیادراویران کنند ؟
 - ملک ہاتھوں سے کیا ملت کی آنکھیں کھل گئیں
 - حق ترا چشمے عطا کردست غافل درنگر !
 - مومیائی کی گدائی سے تو بہتر ہے شکست
 - مور سے پرا حاجتے پیش سلیمانی میر
 - ربط وضبط ملت بیضا ہے مشرق کی لہجہ
 - ایشیا والے ہیں اس نکٹے سے اہتک پیخیر
 - پھر سیاست چھوڑ کر داخل حصار دیں میں ہو
 - ملک و دولت ہے فقط حفظ حرم کا اک ثمر =

فانتبه الآن وانظر إلى آثار الشكوى
 لقد رأيت سطوة وعروج سبل النهر
 فانظر الآن كيف يتحول الموج المقهور إلى سلاسل
 - أيها المسلم أنظر اليوم إلى تعبير حلم الحرية العامة الذي رآه الإسلام
 - إن رمادنا هو سبب معاش البحر
 فانظر إلى بعث العالم القديم مرة أخرى بعد مرته
 - دقق النظر في مرآة حديثي
 وانظر إلى صورة الأيام القادمة غير الواضحة
 هناك فتنة أخرى مجرية في أيدي الفلك
 فانظر إلى فضيحة التدبير أمام التقدير
 - أنت مسلم فليكن قلبك عامر بالآمال
 وليكن دائما نصب عينيك قوله تعالى (لا يخلف الميعاد) (۱)

= اہک ہوں مسلم حرم کی پاسبانی کے لئے
 نیل کے ساحل سے لیکر تاہخاک کاشغرا
 جوکرے گا امتیاز رنگ و خوں مٹ جائے گا
 ترک خر گامی ہوا اعرابی والا گھر ا
 نسل اگر مسلم کی مذہب پر مقدم ہوگئی
 ازگیا دنیا سے توماتند خاک رہگزر ا
 تا خلافت کی بنادنی میں ہو پھر استوار
 لا کہیں سے ڈھونڈھ کر اسلاف کا قلب وچکر
 اے کہ شناسی خفی را از جلی ہشیار باش
 اے گرفتار ابو بکر وعلی ہشیار باش ا
 عشق کو فریا دلازم تھی سو وہ بھی ہو چکی
 اب ذرا دا تھام کر فریاد کی تاثیر دیکھ ا
 تونے دیکھا سطوت رفتار در ہا کا عروج
 مرج مضطر کسی طرح ہنسی سے اب زنجیر دیکھ ا
 عام حریت کاجو دیکھا تھا خواب اسلام نے
 اے مسلمان آج تو اس خواب کی تعبیر دیکھ ا
 اپنی خاکستر سمندر کو بے مسلمان وجود
 مر کے پھر ہو تا ہے پیدایہ جہان پیر دیکھ ا
 کھول کہ آنکھیں مرے آئینہ گفتار میں
 آنے والی دروکی دھندلی سی اک تصویر دیکھ ا
 آزمودہ فتنہ ہے اک اور بھی گردون کے پاس
 سامنے تقدیر کے رسوائی تدبیر دیکھ ا
 مسلم استی سینہ را از آرزو آہاد دار
 ہر زمان پیش نظر لا بخلف الميعاد وار

محمد اقبال : دیوان (ہانگ درا) ص ۲۰۱ ، ۲۰۲ ، ۲۰۳ ، طبع بہشت دوم ستمبر ۱۹۶۳ م

۱ - فوزیۃ الصباح : رسالۃ ماجستير غیر منشورۃ ص ۲۲۶ ، ۲۲۷ ، ۲۲۸ .

ویشکو إقبال إلى رسول الله موقف وأحوال المسلمين وما آلوا إليه من ضعف ، ويقوم إقبال بتخيل رحلة إلى مدينة رسول الله المدينة التي تغنى بها كثيراً في شعره ولكن لم يستطع أن يتوجه إليها بجسده لذا تخيل أنه ذهب إلى المدينة وتحدث إلى رسول الله عن نفسه وعن عصره وعن أمته وعن مجتمعه .

وهذا الحديث موجود في النظم الفارسي الموجود في ديوان ارمغان حجاز تحت عنوان « إلى الرسالة » ، وقد قام بترجمة هذه القصيدة السيد (أبو الحسن علي الحسيني النوري) وأوردها في كتابه المعروف (روائع إقبال) تحت عنوان (في مدينة الرسول ﷺ) كما ترجمها الدكتور (سمير عبد الحميد إبراهيم) .

يقول إقبال في هذه القصيدة موجهاً حديثه إلى الناقة التي تخيل أنه يركبها في رحلته إلى المدينة .

تمهلى في السير فالراكب متعب ومريض وعجوز

فسارت تمشى في نشوة وطرب كأن رمال الصحراء تحت قدميها حريراً^(۱)

ويوجه إقبال حديث إلى رفيق الرحلة

- تعالى أيها الرفيق لنبكي معاً

فأنا وأنت قتلى آثار الجمال

- تعالى لتتحدث قليلاً عن آمنيات القلب

ونمسخ أعيننا بقدم السيد^(۲)

ثم بعد ذلك يوجه إقبال حديثه إلى رسول الله يقول :

المسلم ذلك الفقير الذي يرتدى قلنسوة معوجة

انبعثت من صدره آه محرقة

۱ - محسراً با ناهه گفتم نرم ترور که راکب خسته و بیمار و پیراست

قدم مستانه زد چندان که گوئی بیایش رنگ این صحرا حریراست

ديوان محمد إقبال « ارمغان حجاز » ص ۳۱ ، طبع هشتم ترمبر ۱۹۶۴ .

۲ - بیا ای هم نفس باهم بنالم من وتو کشته شان جمالم

دو حرفی بر مراد دل بگوئیم بیای خواجه چشمان را بمالم

بقصد بالسید : النبی ﷺ ، ديوان ارمغان حجاز ص ۳۶ .

انظر الترجمة العربية د : سمير عبد الحميد إبراهيم ص ۱۸۹ .

قلبه ینوح لماذا ینوح ؟ لایدری
 النظرة یا رسول الله النظرة
 ماذا أقول عن ذلك الفقیر المحزون المتألم ؟
 المسلم ذو جوهر نفیس
 فلیعن الله صاحب الروح القویة هذا
 لأنه سقط من السقف العالی
 کیف أحکی أحواله بلسانی
 فأنت تعرف ظاهری وباطنی
 هذا یکفی تقریراً عن مائتی عام
 أن لدى قلب کعریش القصاب
 دورة الفلک الأزرق معرجة حتی الآن
 فالقافلة حتی الآن بعیدة عن المقام
 ماذا أقول عن عمله وقد خلا من کل نظام
 أنت تعرف أن الأمة بغير إمام^(۱)
 لم یبق الوهج ولم تبق الحرارة فی دمه الصافی
 لم تنبت شقائق النعمان فی حقله الخرب
 فغمد سیفه فارغ کحافضة تقوده
 وکتابه فی طاق منزل خرب^(۲)

۱ - بشیر الشاعر هنا إلى إلغاء الخلافة لأنها كانت هی إمامة المسلمین أما الآن فالمسلم بغير إمام .

۲ - مسلمان آن فقیر کج کلامی رمید از سینه او سوز آهی
 دلش نالد چرانالد ؟ نداند نگاهی یا رسول الله نگاهی !
 چه کریم زان فقیری درد مند مسلمانی به گوهر ار جمندی
 خدا این سخت جان را بار بادا که افتاد است از بام بلندی !
 چمان احوال اورا بر لب آرم تومی بینی نهان رآشکارم
 زور داد دو صد سالش همین پس که دل چون کنده قصاب دارم !
 هنوز این چرخ نیلی کج خرام است هنوز این کاروان دور از مقام است
 زکسار بی نظام اوجیه گویم تومی دانی که ملت بی امام است
 غمانسد آن تاب و تب در خون ناهش نروید لاله از کشت خراش
 نیام او تهی چون کیه او بطاق خانه ویران کناهش !

محمد إقبال : دیران (ارمغان حجاز) ص ۲۸ - ۴۰ ، ۴۱ ، طبع هشتم تیرمهر ۱۹۶۶ م .

ولمجد فی الأبیات السابقة شکوی إقبال لرسول الله وكيف أصبح حال المسلم . فلقد أصبح المسلم بانسًا فقد لوعة القلب وأصبح قلبه حزینا ولكنه لا يعرف سر ذلك ، إن المسلم هبط من قمته العالیة التي أوصلته إليها یا رسول الله وكل ما ارتفع مكان السقوط كان الألم الذي یصاب به الإنسان شديداً .

فإن المسلم یا رسول الله لا يزال ركبہ تائها فی الصحراء بعيداً عن غايته ومنزله فالأمة یسودها فوضى واضطراب فإنها تعيش بغير إمام ، فالمسلم أصبح فقيراً اعزل إن غمده فارغ وأن الكتاب الذي فتح به العالم تركه ووضع فی بيته الحرب علی طاق تراکمت علیه الأثرية ونسج علیه العنکبوت خيوطه .

وفی دیوان بانگ درا : يؤكد إقبال أن نهاية المسلمين والعالم الإسلامي لیست مرهونة بانتها ، الخلافة الإسلامية العثمانية فإن الإسلام والمسلمين باقین إلى أن يرث الله الأرض ومن علیها وليس كما یعتقد الغرب بأنهم حين وصلوا إلى فلسطين انتقموا من صلاح الدين الأيوبي الذي استرد منهم هذه الأرض ، فإن ضاع الملك من يد المسلم فعليه ألا یحزن ولكن لابد أن یكون باقیا علی عهده مع الله بأن یكون رقیاً لحکمه وقضائه فلیس عاراً أن تفقد ملکك فهذه سمة من سمات الزمان ولكن العار أن تقبل هذا الذل وهذه المهانة وتستسلم لهذا الوضع وأن تصبح أسيراً للغرب لا تملك قوتك ولا تملك دوائك .

یقول إقبال فی قصيدة بعنوان متسول الخلافة
 إن ضاع الملك من يدك فدعه یفلت
 ولا تكن غیر وفی لأحكام الله
 هلا تعرف التاريخ ؟
 لقد كنت خليفة وأصبحت شحاذاً
 الحكم الذي لا نشتریه بدمائنا
 ذلك الحكم والدولة عار علی المسلمين
 أنتی لا أشعر بالعار من التحطم إلى هذا الحد
 مثل الذي أشعر فيه بالمذلة عند طلب المرهم من الآخرين (۱) .

۱ - اگر ملک ہاتھوں سے جاتا ہے جائے تو احکام حق سے نہ کہ بیوفانی
 نہیں تجھ کو تاریخ سے آگہی کیا ؟ خلافت کی کرنے لگاتو گدائی !
 خریدہ نہ ہم جس کو اپنے لہو سے مسلمان کو یہ ننگ وہ پادشائی !
 "مرا از شکستن چنان عار ناید کہ از دیگران خواستن مومیائی"

محمد إقبال : دیوان (بانگ درا) ص ۲۸۶ ، ۲۸۷ ، طبع بیست و دوم ستمبر ۱۹۶۳ : ترجمہ

فرزیه الصباح ص ۲۳۱ .

موقفه إقبال من الحركات التي ظهرت لإحياء الخلافة :

وفى تلك الأثناء ارتفعت الأصوات تنادى بإحياء الخلافة الإسلامية من جديد ففى مصر ارتفعت من جديد تطالب بتنصيب الملك فاروق ملك مصر آنذاك خليفة للمسلمين .
فرأى إقبال أن يوجه خطاباً مهذباً إلى الملك وإلى أصحاب هذا الرأى بوضع لهم فيه أن فكرة الخلافة لا تعنى الملك والتاج ، فالخلافة أسلوب عمل إسلامى ينبع من داخل القلوب المؤمنة بربها الخاشعة لخالقها وتشامخ إقبال (أنى يأتى الفاروق عمر) مرة أخرى ليفهم فاروق ملك مصر معنى الخلافة فما كان فى ذهن إقبال هو خلافة أبى بكر وعمر وتساؤل مستمر هل يمكن أن يعود هذا الزمان الطاهر فى عصرنا هذا ^(١) .
يقول إقبال فى هذه القصيدة التى أسماها (رسالة الفاروق) ويقصد هنا الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

هوى يا رياح الصحراء من جزيرة العرب
وأثيرى موج نيل المصريين
وبلقى فاروق رسالة الفاروق « رضى الله عنه »
بأن يمزج فى نفسه الفقر والملك
الخلافة هى أن يكون الفقر مع التاج والملك
ما أحسن هذه الثروة التى لا تنتهى
يا صاحب الحظ الفتى ، لا يفلت من يدك هذا الفقر
فبدونه تموت المملكة بسرعة .
الشاب الذى يعرف نفسه تماما
هو الذى يستطيع أن يعيد خلق العالم القديم
فى طوافه توجد آلاف المجالس
إلا أنه بفضل الخلو مع نفسه ^(٢)

١ - د . سمير عبد الحميد إبراهيم / إقبال والعالم العربى مكتبة دار السلام الرياض الطبعة الأولى

عام ١٤٣ هـ ص ٦٥

٢ - وای باد بیابان از عرب خیز ز نیل مصریان موجی برانگیز
بگو فاروق را پیغام فاروق رضى که خود در فقر و سلطانی پیامیزه
خلاقت ، فقر با تاج و سریر است زهی دولت که پاهان نا پذیراست
جوان بختا آمده از دست این فقر که بی او پادشاهی ارد میراست
جوان مردی که خود را فاش بیند جهان کهنه را باز آفریند
هزاران المجهش اندو طوافش که او باخوشتن خلوت گزیند
محمد إقبال (دیوان ارمغان حجاز) ص ١٠٩ ، ١١٠ طبع هشتم نومبر ١٩٦٤ م .

افتح جميع الأبواب أمام العقل والقلب
خذ قدحا من شيخ كل خمارة
علك أن تجتهد بعواطفك الجياشة التي تری القلب
لكی بق ذبلک طاهرا ، وکمک ندیة .
سعيدة تلك الأمة التي عرفت نفسها
لا تستريح من ألم البحث
بريقها تحت هذه السماء الزرقاء
كالسيف المسلول من الغمد .
ما أعذب غناء الملاح التركي
ذو الوجه الأحمر والعيون الزرقاء
لو تعقد أمری فی البحر
فلا أطلب الحل إلا بالطوفان .
نأمل فی تراپنا السيطرة على العالم
كتبوا على جبيننا الأمانة
أنظر إلى ذلك العالم بداخلک
- ذلك العالم - الذي زرعوا بذرتہ فی قلب الفاروق .
إن من يعرف أسرار اليقين
يجعل النظرتين نظرة واحدة
وقد مزجوا بنور قنديلين
فلا تفكر فی التفرقة بين الملك والدين
المسلم الذي إمتحن نفسه
جعل غبار طريقه سماء
لو لديك شرارة من شوق فاحتفظ بها
فيمكن أن تخلق بها الشمس !!

== به روی عقل ودل بگشای مردور - بگير از پيرهر ميخانه ساغر
در آن گوش از نیاز سينه پرور - که دامن پاک داری آستین تر
خنگ آن ملتی برخود رسیده - ز درد جستجو نا آرمیده
درخش او ته این نیلگون چرخ - چوتیغی از میان بیرون کشیده
چه خوش زد ترک ملاهی سرودی - رخ او احمری جشمش کبودی
بلر با گرگزه افتد به کارم - بجز طوفان قیخوام گشودی
جها نگیری بخاک ما سرشتند - امامت در جبین ما نوشتند
درون خویش بنگر آن جهان را - که تخمش در دل فاروق کشتند
کسی کوداند اسرار یقین ، را - یکی بین می کند چشم دویین را
بیا میزند چون نور دو قنديل - سیندیش افتراق ملک و دین را
مسلمانی که خود را امتحان کرد - غبار راه خود را آسمان کرد
شرار شوق اگر داری نگهدار - که باری آفتابی میتوان کرد

محمد اقبال دیوان : (ارمغان حجاز) ص ۱۱۱ ، ۱۱۲ ، ۱۱۳ طبع هشتم نومبر ۱۹۶۶ م ، ترجمه : ترجمه سیر عبد الحمید ص ۲۲۰ ، ۲۲۱ .

وفى رأى إقبال أن الإسلام ليس قومية ولا ملكية بل هو فقط حكومة لدول مشتركة .
لقد توقع إقبال من مسلمى شبه القارة الهندية أن يواصلوا سعيهم من أجل وحدة الدول
الإسلامية

ولا يعتبر إقبال إقامة دولة إسلامية واحدة فى شبه القارة الهندية التى عرفت فيما بعد
بالباكستان هى الهدف والغاية بل يعتبرها فقط وسيلة لإتحاد الدول الإسلامية وتشكيل
قوة واحدة لجميع الدول الإسلامية تسمى « اسلامستان » .

ويعتبر إقبال وحدة المساواة والحرية للدول الإسلامية ضرورة ، ومن أجل تقوية الوحدة
والمساواة والحرية للدول الإسلامية نبه على ضرورة الأخذ بالتكنولوجيا^(١) .

وتأكيداً لما سبق فقد نظم إقبال قصيدة بعنوان (الخلافة والملكية) ضمن ديوان ارمغان
حجاز وضع فيها الفرق بين الخلافة والملكية وكيف أن تحول الخلافة إلى الملكية سببت لنا
التدهور حتى وصلت حالة المسلمين إلى ما هو عليه الآن :

يقول إقبال :

أحرق العرب أنفسهم بنور المصطفى

فأضاء مصباح الشرق المنطفى

لكن تلك الخلافة ضلت الطريق

فقد علمت المسلمين فى البداية الملكية .

الخلافة شاهدة على مقامنا

الملكية حرام علينا

فكلها مكر وخداع واحتيال

أما الخلافة فهى حفظ الناموس الإلهى^(٢) .

١ - جاويد إقبال : إقبال الاتحاد عالم إسلام وجهان سوم ، ص ٤٢ ، مجموعة مقالات : درشناخت

إقبال ، مجموعه مقالات كنكره جهانى بزر گداشت علامه إقبال لاهورى تهران اسفند ١٣٦٤ هـ ش .

٢ - عرب خود را به نور مصطفى سوخت چـراغ مرده شرق برافروخت

ولیکن آن خلافت راه گم کرد که اول مومنان را شاهی آموخت

خلافت بر مقام ما گواهی است حرام است آنچه بر ما پادشاهی است

ملوکیت همه مکر است ونهر نگ خلافت حفظ ناموس الهی است

معد إقبال دیوان (ارمغان حجاز) ص ١٢٦ ، طبع هشتم نومبر ١٩٦٤ م .

هذه الخلافة توقع الكلیم بالملکية
 وهو فقير بلا قلنسوة ولا غطاء
 من ألعيب القدر أحيانا
 أن تنال من النسیم ما یأتی به الريح الصرصر
 الإنسان حتى الآن عبد فی الدنيا
 نظامه غیر ناضج ، أعماله ناقصة
 أنا ملاذ الغلام الفقير فی هذه الدنيا
 ففی دینه الملكية حرام .
 المحبة بنظرته خالدة باقية
 سلوكه معيار العشق والسكر
 مع أن مقامه هو مقام العبد
 لكنه خالق لعالم الشوق^(۱) .

- ويرى إقبال أن الدول الإسلامية يمكنها الاتحاد مع بعضها بعضا فی أشكال ثلاثة :
- ۱ - أن تكون جميع الدول الإسلامية تحت زعامة واحدة وبما لا شك فيه لا يمكن تحقيق ذلك فی هذا الوقت .
 - ۲ - تشكيل الاتحاد فيدرالى من جميع الدول الإسلامية . لكن تحقيقه مستحيل .
 - ۳ - جميع الدول الإسلامية المستقلة يمكنها أن تتحالف على شكل اتفاقيات ، اقتصادية ، عسكرية مع توحيد مساعيها مع بعضها البعض ، وهذا الشكل هو الأرجح .
- وبناء على هذه المبادئ نستطيع أن نقرب أكثر بين جميع الدول الإسلامية المستقلة الحرة.

۱ - در افتد با ملوکیت کلیمی فقیری بی کلامی بی کلیمی
 گهی باشد بازی های تقدیر بگردد کار صرصر از نسیمی
 هنوز اندر جهان آدم غلام است نظامش خام و کارش نا تمام است
 غلام فقر آن گیتی بنامم که در دینش ملوکیت حرام است
 محبت از نگاهش پاهدارا است سلوكش عشق و متی راعیار است
 مقامش عهد هو آمد ولیکن جهان شوق ورا پروردگار است

محمد إقبال دیوان (ارمغان حجاز) ص ۱۲۷ ، ۱۲۸ ، طبع دهمتم نومبر ۱۹۶۶ م .

وحسب قول إقبال فإن هذه الحالة قابلة للتنفيذ لإيجاد اتحاد العالم الإسلامي في العصر الحالي .

ويرى إقبال أن اتحاد الدول الإسلامية يمكنه أن يفضّل ويتلاشى في حالتين :
الحالة الأولى : أن يتخلى مسلمي إحدى الدول عن المبادئ المذهبية والقوانين السياسي والاقتصادية .

الحالة الثانية : أن تهاجم إحدى الدول الإسلامية دولة إسلامية أخرى .
وأشار إقبال في كتاباته عدة مرات إلى زيادة الاهتمام بالبقاء الاجتماعي ووحدة الدول الإسلامية وأن ظهرت مشكلة يسعون فوراً لحلها لأنه من الممكن أن يكون اتحاد المسلمين مانعاً للمشاكل التي تؤدي لانفصالها عن بعضها البعض^(١) .

ويشكو إقبال من هذا العصر الذي ضعف فيه المسلمون وتشتتوا وأصبحوا بلا قائد وكيف أصبح المسلم مقلداً للغرب وكيف أن هذا العصر معلم سيئ لشباب المسلمين وأن المسلم في هذا العصر أصبح يجمع بين الفقر والسلطة ثم بعد ذلك يحذر المسلمين من العصر الحاضر :

يقول إقبال في قصيدة بعنوان العصر الحاضر :

ما هذا العصر الذي ستغيث منه الدين

آلاف القيود كامنة في حريته

سلب من وجه الإنسان اللون والطراوة

رسم رسماً خاطئاً وبعده عن كمال فنه

نظره يرسم الدلال

وكمال فنه تقليد آزر

الحذر من حلقة تجاره

فهذه التجارة كلها قمار

١ - جاويد إقبال : إقبال اتحاد عالم إسلام وجهان سوم ، مرجع سابق ص ٤٣ .

٢ - چه عصر است این که دین فرهادی اوست هزاران بند درآزادی اوست

زروی آدمیت رنگ و نم برد غلط نقش که از بهزادی اوست

نگاهشی نقشبند کافری ها کسما صنعت او آزی ها

خطر از حلقه بازار گانش قمار است این همه سود آگری ها

محمد إقبال دیوان (آرمغان حجاز) ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

هذا العصر معلم سيئ للشباب
 هذا العصر نهار لليلة إبليس
 أتلقى بذيله كاللهب
 فهذا العصر بلا نور وبلا حرارة
 جمع المسلم الفقر مع السلطة
 جمع ضميره بالبقاء والفناء
 ولكن الأمان من العصر الحاضر
 فقد جمع السلطة والشيطنة معا
 ماذا أقول عن رقصك - هل يجب أن يكون هكذا ، أو لا يكون ؟
 هذا ليس من نشاط داخلك - إنه من أثر الحشيش
 إنك تدق قدميك مقدار رقص الأفرنج
 ما في عروقك ليس ثورة الدم^(١).

وعلى هذا يمكن القول أن قلب إقبال كان ينبض بوجود الشعوب والدول الإسلامية واستعادة الإسلام لقوته وعظمته ، وكان يتمنى أن يتخلص العالم الإسلامي بمعنى الكلمة من كل شكل من أشكال السيطرة الغربية في المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية وأن تستعيد حياة المسلمين التي تمر بفترة من الركود والآلام والتعاسة أزدهارها بنور المعرفة وهدف الحب وبقظة القلب وبعث الآمال والغايات السامية وأن يجاهد في نشاط لكي تستعيد جمالها وعظمتها وقوتها^(٢).

١ - جوانان را بد آموز است این عصر شب ابليس را روز است این عصر
 بنا مانش مشال شعله پیچم که بی نور است وی سراز است این عصر
 سلمان فقر و سلطان بهم کرد ضمیرش باقی وفانی بهم کسرد
 ولیکن الامان از عصر حاضر که ملطمانی به شیطانی بهم کرد
 چه گریم رقص چون است و چون نیست حشیش است این نشاط اندرون نیست
 به تقلید فرنگی پای کوی به رگهای تو آن طغیان خون نیست
 محمد إقبال : دیوان (آرمغان حجاز) ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، طبع هشتم نومبر ١٩٦٤ م ؛ ترجمة :
 سمیر عبد الحمید ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

٢ - عبد الشکور احسن : إقبال و وحدت جهان اسلام ص ١٦٤ .

ويقول إقبال في قصيدة وهو يوجه خطابه إلى المسلمين :
 إن الشرق يبدو وكأن التراب قد علا رأسه
 فلم يبق منه إلا أنه صامتة وآهة ضائعة
 لقد علا هذا التراب كل ذرة من العالم الإسلامي
 نهض أيها المسلم وسمرقند والعراق وهمدان
 فلتنهض من نومك العميق ، فلتنهض من نومك العميق ، فلتنهض من نومك العميق ،
 فلتنهض من نومك العميق
 فأنت أيها المسلم إثمك الله على ناموس الاذل
 فارضك ممتدة من الشرق إلى الغرب
 يا ابن الأرض هذا عصرك وهذه أرضك
 انهض وامتط صهوة اليقين ولتنفض عنك الشكوك القديمة
 فلتنهض من نومك العميق ، فلتنهض من نومك العميق ، فلتنهض من نومك العميق ،
 فلتنهض من نومك العميق
 آه من الفرلجة وحيلهم
 آه من الفرلجة ومعسرل كلامهم وحيلهم
 لقد خرب جنكيز الفرلجة العالم اجمع
 فلتنهض يا معمر الحرم لتعمير العالم .
 فلتنهض من نومك العميق ، فلتنهض من نومك العميق ، فلتنهض من نومك العميق ،
 فلتنهض من نومك العميق ^(۱)

۱ - خاور همه ما تند غبار سراهی است يك تاله خاموش واثر باخته آهی است
 هر ذره این خاك گره خورده نگاهی است از هند و سمرقند و عراق و همدان خیز
 از خواب گران ، خواب گران خواب گران خیز از خواب گران خیز
 ناموس ازل راتو امینی توامینی دا رای جهان راتو یساری تویمینی
 ای بنده بنده خاکی تو زمانی تو زمینی صهبای یقین درکش راز دیر گمان خیز
 از خواب گران ، خواب گران خواب گران خیز از خواب گران خیز
 فریاد زافرننگ ودلا ویزی افرنگ فریاد شیرینی و پرویزی افرنگ
 عالم همه ویرانه زچنگیزی افرنگ معمار حرم ا باز به تعمیر جهان خیز
 از خواب گران ، خواب گران خواب گران خیز از خواب گران خیز
 محمد إقبال : دیوان (زبور عجم) ص ۱۱۷ ، ۱۱۸ ، طبع هفتم منی سنة ۱۹۵۹ م .

وَمَا سَبَقَ بِتَضَعِ إِنْ إِقْبَالِ كَانَ يَدْرِكُ إِدْرَاكًا تَامًا قُصُورَ مُسْلِمِي الْعَالَمِ وَنُقَاطَ ضَعْفِهِمْ وَكَانَ عِلْمُ أَنْ رُوحَهُمْ فَقَدَتْ حِمَاسَهَا وَوَجَدَهَا وَذُوقَهَا وَأَمَانِيهَا السَّامِيَةَ فَقَدْ الْحَقَّ الْاِسْتِعْمَارُ الْغَرْبِيَّ وَالْغَفْلَةَ وَالْجَهْلَ الضَّرَرَ بِالْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ ، نَالَ مِنْ فَضَائِلَةِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَتَقَالِيدِهِ الْعَرِيقَةِ ، كَمَا كَانَ إِقْبَالٌ يَعْلَمُ الْفَارَقَ الْهَائِلَ بَيْنَ الرَّاقِعِ وَالْمُثَالِيَةِ (الْهَدَفِ) ، وَكَانَ يَعْتَرِفُ فِي بَعْضِ مِرَاسِلَاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ الَّتِي اتَّسَمَتْ بِالْحُزْنِ وَالْأَلَمِ بِمَا كَانَ يَلْمُ بِهِ مِنْ بَأْسٍ وَقَنُوتٍ .

عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ شَكَّى إِقْبَالٌ فِي وَاحِدَةٍ مِنْ رِسَائِلِهِ مِنْ أَنْ قُلُوبَ الْجَيْلِ الْجَدِيدِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَفْتَقِدُ الْمَشَاعِرَ الرُّوحِيَّةَ الَّتِي هِيَ بِمُثَابَةِ الْأَسَاسِ لِتَطْلُعَ الْإِنْسَانُ نَحْوَ الْمُثَالِيَةِ إِلَّا أَنْ نَزَعَةَ إِقْبَالٌ إِلَى التَّفَائِلِ كَانَتْ تَزِيحُ عَنْ نَفْسِهِ بِسُرْعَةٍ هَذِهِ اللَّحْظَاتِ الْحَزِينَةِ ، حَتَّى أَنَّهُ لَمْ يَفْقَدْ حَسَّ التَّفَائِلِ الطَّبِيعِيِّ الْقَوِيَّ لَدَيْهِ فِي أَحْلَاكِ أَهْلِ الْأُمَّةِ وَأَشْدَّهَا ، وَكَانَ يَبْشُرُ دَائِمًا بِعُودَةِ الْيَقِظَةِ وَالْجُهْدِ إِلَى الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ بِمَا يَحَقُّ لَهُ الْمُسْتَقْبَلُ النَّاصِعُ حَتَّى أَنَّهُ كَانَ يَسْمِي نَفْسَهُ طَائِرَ الرَّبِيعِ الْمُبَكَّرِ ^(۱)

إِنْ طَائِرَ الرَّبِيعِ الْمُبَكَّرِ يَبْشُرُ بِوُصُولِ قَافِلَةِ الرَّبِيعِ

وَرِغْمَ وَقُوفِهِ وَحْدَهُ فِي الْقَفْصِ فَإِنَّهُ قَالَ رِسَالَتَهُ ^(۲)

كَانَ إِقْبَالٌ يَزْمِنُ إِيْمَانًا لَا يَتَزَعَزَعُ بِالْحَيَاةِ الْخَالِدَةِ الْقَوِيَّةِ لِلْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ وَكَانَ دَائِمًا يَدْعُو لِلْإِتِّحَادِ الْإِسْلَامِيِّ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ أَنْ حِمَايَةَ الْحَرَمِ لِحْتَاجٍ لَوْحَدَتِكُمْ

مِنْ أَرْضِ النَّيْلِ إِلَى أَرْضِ كَاشْفَرِ ^(۳)

وَيَقُولُ إِقْبَالٌ إِنَّ الشُّعُوبَ تَتَصَارَعُ وَتَفْنَى وَقَدْ رَاجَهُ الْمُسْلِمُونَ أَنْفُسَهُمُ النَّارَ وَالْدَّمَ فِي تَارِيخِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ شَعْبٌ وَأُمَّةٌ سَتَبْقَى حَيَّةٌ لِأَنَّ الْحُبَّ الَّذِي هُوَ سِرُّ الْحَيَاةِ فِي الْعَالَمِ يَخْرُجُ مِنْ حَرَقَةِ قُلُوبِهِمْ وَيَشْعُ مِنْ نُورِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

۱ - عبد الشكور احسن : إقبال و وحدت جهان اسلام ص ۱۶۵ .

۲ - قافله بهار را طائر پيش رس نگر آن كه بخلوت قفس گفت پيام خویش را

من إحدى غزليات ديوان (زبور عجم) ص ۱۵ طبع هفتم منى ۱۹۵۹ م .

۳ - ايك هوى حرم كى پاسيانى كے لئے نيل ساحل سے ليكرتا بھاك كاشفر

محمد إقبال ديوان (بانگ درا) ص ۳۰۱ طبع بيست و دوم بتمبر ۱۹۶۳ م .

كان الأذان في العالم وسيظل موجوداً

وكانت أمة الإسلام وستظل موجودة

الحب هو دستور حياة العالم

وهو سر استمرار وجود العالم

الحب حسي ينبضة قلوبنا

وهو مشع بنور لا إله إلا الله^(١)

ولقد حدد إقبال أربع مبادئ كان يؤمن بها من شأنها إستعادة المسلمين لنهضتهم وصحوتهم :

المبدأ الأول : هو حب القرآن والعمل به .

إذا أردت أن تعيش مسلماً فانك لا تستطيع ذلك إلا إذا عشت بالقرآن^(٢)

المبدأ الثاني : هو طاعة السنن والروايات الإسلامية ويعتقد إقبال أنه حين تكون الأمة مهددة بالزوال فإن الروايات والسنن الماضية كفيلة بالحفاظ عليها .

المبدأ الثالث : هو اتباع الشريعة الإسلامية . وقال إقبال أن المسلمين حين نسوا تعاليم نبيهم الكريم ﷺ فقدروا شخصيتهم البناءة وقوتهم الدافعة وانحدروا إلى أعماق الدل والانحطاط .

المبدأ الرابع : وجود مادي لمركز قوى أى عاصمة لوجودهم .

ويقول إقبال أن الأمة الإسلامية لديها هذه العاصمة ، وهي بيت الله الحرام وهي الكعبة التي تعد مركزاً أساسياً وقوة لا تفنى لوحدة المجتمع الإسلامي وحب الحرم هو أحد الموضوعات الأخاذة في شعر إقبال^(٣) .

١ - در جهان بانگ اذان بودست وهست ملت اسلامیان بودست وهست

عشق آئین حیات عالم است امتزاج سالوات عالم است

عشق از سر دل مازنده است از شرار لا اله تاینده است

محمد إقبال (اسرار ورموز) ص ۱۳۹ ، بار ششم ۱۹۶۶ م .

٢ - اگر تو میخواستی مسلمان زستی نیست ممکن جزیه قرآن زستی

المرجع السابق ص ۱۴۲ .

٣ - عبد الشکور احسن : إقبال ووحدت جهان اسلام ، ص ۱۶۶ .

يقول إقبال :

اللهم اعد الغزال الشارد إلى حرمك المطهر^(۱)
وقد أشار إقبال في آخر أيام حياته إلى أهمية الحرم قائلا :
ليس للقافلة منزل سوى الحرم

وليس في قلب القافلة إلا الحق (اسم من أسماء الله)^(۲)

كان إقبال محبا للعالم الإسلامي والأمة الإسلامية وكان قلبه يحترق بما تعانيه هذه الأمة من نواحي القصور والهزائم ، ولم يكن يدعو المسلمين فحسب إلى الجهاد والنضال بل كان يضرع إلى الله عز وجل لكي يعيد للعالم الإسلامي عظمته وقوته وكان يبلع في الدعاء وكانت ادعيته تفيض بالحب الذي لا مثيل له وكان يرغب في أن يعود للمسلمين نار الشوق والعشق والإيمان والوجد والذوق^(۳).

يقول إقبال :

يا إلهي امنح ابناء المسلمين نصيباً من هذه النار التي اتقدت في قلبي^(۴).
كما يقول :

يارب امنح هذا الفقير المشرّد ضميراً حياً متقدماً

انر قلبه واحيه بالأمل الذي مصدره اليقين^(۵)

ويبرهن إقبال على دوره الرائد في هذه الرباعية التي قالها قبل وفاته بقليل وأهداها إلى خاتم المرسلين ، يقول فيها :

لقد بعثت الحياة في هذه الأمة وبعثت الأمل في قلوبها

إذا كان أبلغ الكلام ما قل ودل فقد جعلت القلوب تنبض وتنفخ فيها الروح^(۶)

وعلى هذا نجد أن محمد إقبال يؤيد وجود رأس للدولة بصرف النظر عن المسمى ، خليفة أو إمام أو رئيس أو مجلس ، المهم أن يكون هناك رأساً للدولة .

۱ - آهواراه گم کرده را باز به حرم راهنمائی کن

۲ - جز حرم منزل ندارد کاروان غیر حق در دل ندارد کاروان

محمد إقبال دیوان : جاوید نامہ ص ۸۶ ، طبع پنجم جنوری ۱۹۶۶ م .

۳ - عبد الشکور احسن : المصدر السابق ص ۱۶۶ .

۴ - از آن آتش که جان من برافروخت نصیبی ده مسلمان زاده گان را (محمد إقبال : (ارمغان حجاز) مرجع سابق ص ۸۳ .

۵ - از سوز این فقیر ره تشینی بده او را ضمیر آتشینی

دلش را روش و پابنده گردان زامیدی که زاید از یقینی (المرجع السابق ص ۵۵)

۶ - حضور ملت بیضا تپیدم نرای دلکدازی آفریدم

ادب گوید سخن را مختصر گو تپیدم ، آفریدم ، آرمیدم (المرجع السابق ص ۷۵) .

الباب الثاني

فكرة الجامعة الإسلامية وقضية الخلافة

في أدب محمد عاكف في

ديوان « صفحات » ومقالاته التي نشرت في

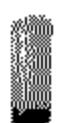
جريدتي « الصراط وسبيل الرشاد »



الفصل الأول

موقف عاكف

من حركة الجامعة الإسلامية



محمد عاكف

هو : محمد عاكف بن محمد طاهر افندى .

ولد فى عام ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣م من أب ألبانى وأم من بخارى ، كان أبوه مدرساً فى جامع الفاتح وقد اتضح تأثير والده عليه وخاصة فى تربيته لإبنه حيث غرس فيه جميع الصفات الحميدة التى يجب أن يتحلى بها المسلم الحق وقد حبيب إليه دراسة القرآن الكريم والعلوم الدينية وأيضاً اللغتين العربية والفارسية ، ويقول عاكف عن والده : " إنه والدى ومعلمى فكل ما تعلمته أخذته عنه " (١) .

وقد أتم محمد عاكف دراسته فى كلية الطب البيطرى بجامعة استانبول وأخذ إلى جانب هذه الدراسة الطبية نصيباً وافراً من الثقافة الدينية ثم تدرج فى وظائف حكومية إلى أن تركها بعد إعلان الدستور عام ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٩م حيث تولى رئاسة تحرير المجلة الدينية والسياسية المسماة بالصراط المستقيم التى تغير عنوانها فيما بعد وأصبح سبيل الرشاد .

اشتهر محمد بأشعاره السياسية الدينية التى نشرها فى المجلة المذكورة حتى لقب بشاعر الإسلام فى الأوساط الأدبية مما اعتبرته الحكومة يومئذ أكثر الكتاب جدارة لترشيحه سكرتيراً لدار الحكمة الإسلامية الملحقة بالمشيخة الإسلامية ، وقد تولى الشاعر هذه الوظيفة حوالى سنة ١٩١٧ م . واحتفظ بمركزه فى رئاسة التحرير لمجلة سبيل الرشاد والمذكورة حتى الأيام التى خرجت تركيا فيها مهزومة من الحرب العالمية الأولى وقامت ثورة عسكرية فيما بعد فى الأناضول وتشكلت فى أنقره سنة ١٩٢٢ حكومة الثورة التى لم تعترف بوجود الحكومة القائمة بأمر السلطان الخليفة بالاستانة . فالتحق الشاعر بحكومة الثورة وألف لها شعره المعروف باسم نشيد الاستقلال وقد انتخب الشاعر فيما بعد نائباً فى البرلمان الجديد فى أنقره وظل فيه إلى أن قطعت الحكومة شوطاً بعيداً فى تطبيق الانقلاب الاجتماعى الذى اقتبسته من الغرب وكان من ضمنها قانون لبس القبعة التى عز على عاكف لبسها فما كان منه إلا أن هاجر إلى مصر حوالى سنة ١٩٢٤ وكان قد زارها قبل ذلك عدة مرات واستقر مقامه فيها بعد هذه السنة وقد عينته الحكومة المصرية مدرساً لتدريس اللغة التركية وآدابها فى كلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة حالياً) حيث اشتغل بالتدريس حتى اعتلت صحته ولما اشتدت وطأة المرض عليه سافر إلى استانبول بغية العلاج (٢) .

١ - Nihad Sami Banarlı : Resimli Türk Edebiyatı s 1157 - cilt 2 , İstanbul 1976 .

٢ - الظلال لمحمد عاكف ترجمة إبراهيم صبرى ص ٨ - ٩ .

وتوفى عاكف عام ١٩٣٦ م ، « حوالى الساعة ثمان إلا ربعا مساء الخميس التاسع والعشرين من ديسمبر »^(١).

ويتضح من تاريخ مولد الشاعر وتاريخ وفاته أن الشاعر قد عاش فى فترة تدهور الإمبراطورية العثمانية وظهور التيارات القومية فى العالم الإسلامى وكان من الطبيعى فى الوقت ذاته أن يظهر الحجاب يقوده جماعة من ينافحون عن الإسلام لحجاء ما ساد من فكر قومى رأوا فيه مناهضة للفكر الإسلامى فهبوا للدفاع عن الإسلام والأفكار الإسلامية ، وكان من بين هؤلاء فى تركيا محمد عاكف ، الذى سخر فكره وقلمه للدفاع عن الإسلام والفكر الإسلامى ويتضح ذلك من استعراضنا لمؤلفاته ونشاطه وتنقلاته ولم يكن عجباً أن يرى فى مصر منبراً يذيع فيه فكره وبخاصة وأن فكرة القومية كانت قد وجدت فى مصر أرضاً خصبة ورأى هذا الفريق الفكرى أن فى الرجوع إلى الإسلام وفكره الصحيح المتمثل فى مصدره الأساسيين القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ما يحقق الغاية التى ينشدونها من إصلاح للفرد والمجتمع الإسلامى بعيداً عن النزعات الضيقة التى تقسم الأمة إلى أمم شتى ، فرغم أن للقومية دورها الإيجابى فى بناء الفرد والدولة إلا أن نظرة الإسلام أشمل وأعم ، بل استطيع القول أنها تحتضن القوميات بداخلها وليس الأمر ببعيد فالقرآن الكريم يجعل معيار المفاضلة هى التقوى بقوله جل شأنه { إن أكرمكم عند الله أتقاكم } ويقول النبى ﷺ فى خطبة الوداع : " ألا إن أكرمكم عند الله اتقاكم ولا فضل لأبيض على أسود ولا لعربى على أعجمى إلا بالتقوى " وهذا ما ذهب إليه صاحب كتاب تاريخ الأدب التركى^(٢).

وفى ذلك يقول الشاعر محمد عاكف مخاطباً الألبانيين .

" أى قومية كانت للإسلام ؟ القومية ما القومية لو التفتتم حول دينكم بقوة واعتصمتم به ، البانيا ما هى ، ألهما محل فى الشريعة السمحاء ؟ إن دفع قومكم إلى الأمام لن بعد إلا كفرًا . أى فضل لعربى على تركى أو للاح^(٣) على شركس وأى فرق بين كردى وعجمى وصينى ؟ هل كان للعناصر وجود فى بلاد الإسلام أنى يكون هذا ! إن النبى يلعن فكرة القومية " ^(٤).

١ - الرسالة : عبد الرهاب عزام ، مقال بعنوان شاعر الإسلام محمد عاكف ، العدد ١٨٩ ، ١٥ فبراير ١٩٣٧ ، ص ٢٦٧ .

٢ - حسين مجيب المصرى : تاريخ الأدب التركى ، القاهرة ١٩٥١ الطبعة الأولى ، ص ٥١٥ .

٣ - للاز : اسم قبيلة من اصل جورجى تسكن فى الجنوب الشرقى من البحر الأسود . المرجع السابق ، ص ٥١٥ .

٤ - حسين مجيب المصرى : المرجع السابق ، ص ٥١٥ .

وفى رأى محمد عاكف أن للمسلم عالمه الخاص به وكل ما فى الخارج غريب عن تقاليده وروحه معاد له ، ثم يقر بأن كل العلوم والفنون موجودة ومزدهرة فى هذا العالم المتحضر إلا أن الذاهبين إليه لا يعودون إلى وطنهم بهذا الخير بل بكل الشرور ، ثم يقول أن الأخذ بالمدنية الأوروبية هو السبب فى هذا الإتحلال الخلقى والشقاق العائلى والتقليد الأعمى للفريين فلا خلاص من هذا الشر المستطير إلا باحترام التقاليد وتقويم الخلق وإصلاح المؤسسات الدينية على الخصوص^(١).

ومن هنا يتضح أن شعر محمد عاكف يمثل شعر الدعوة الإسلامية بكل خصائصه . فمحمد عاكف آمن بمبدأ وتلكته فكرة ظل طوال حياته مخلصاً لها مكافحاً فى سبيلها ، وقد كان مبدأ العروة إلى مبادئ الإسلام الأولى حتى تستقيم حياتنا الاجتماعية والاقتصادية وتوحيد صفوف المسلمين حتى يجابهوا الحروب الصليبية الحديثة بالإضافة إلى عاطفة دينية جياشة وثقافة إسلامية واسعة مصدرها الكتاب والسنة^(٢) - كما ذكرت من قبل - وهكذا امتاز شعر محمد عاكف بميزتين كانتا السبب فى بقاء وخلود شعره ألا وهى العاطفة وموهبة فكرية عظيمة ، ويقول محمد عاكف واصفاً شعره :

فلتسل عزيزى القارئ وأنا أجيبك

عن هوية شعري المائل أمامك

أنه حشد من الكلمات فضيلتها الصدق ليس إلا

لا أعرف الصنعة فأنا لست بصانع

يقولون الشعر هو دموع العين لا أعرف

أنى أراه دموع عجزى

إننى أبكى ولا أستطيع أن أبكى ، أحس وأعجز عن التعبير عن حسى

كم يثست من قلبى الأخرس هذا^(٣)

١ - حسين مجيب المصرى : تاريخ الأدب التركى ص ٥١٦ .

٢ - محمد عبد اللطيف هريدى : الأدب التركى الإسلامى ص ٢٠١ .

Bana sor sevgili kaarı'. sana ben söyliyeyim.
Ne hüviyyette şu karşında duran eş'ârım:
Bir yığın söz ki, samîmiyyeti ancak hüneri;
Ne tasavvuf bilirim, çünkü ne san'atkârım.
Şi'r için «göz yaşı» derler; onu bilmem, yalnız
Aczimin gırgısidir bence bütün âsârım!¹²
Ağlarım, ağlatamam; hissederim, söyliyemem;
Dili yok kalbimin, ondan ne kadar bîzârım!
Oku, şâyed sana bir hisli yürek lâzımsa;
Oku, zira onu yazdım, iki söz yazdımsa.

وكان عاكف قد إلتقى بأحد مسلمى الهند فى استانبول ، وسمع منه عن محمد إقبال وأعجابه بشعر جلال الدين الرومى مما جعله فى شوق لمعرفة المزيد عنه فأرسل له ديوان صفحات ، ومن هنا حدث تبادل المؤلفات والأفكار بين الأديبين المسلمين ، وكان عاكف يقرأ لإقبال ويترجم له بل يستشهد بأقواله فى شعره لأن إقبال كان يكتب بالفارسية ، أما عاكف فكان يكتب بالتركية التى لا يعرفها إقبال ^(١) .

يقول عاكف ^(٢) :

بل لو جعلت العود بل العالم بأسره يردد هذا الأتین

فمن المحال أن أجعل النراح ينطق عن ذلك الألم ..

ولقد قال شاعر الهند الفيلسوف إقبال :

" لقد هاج القلوب

أصوات قلبى الهائجة

إن قلبى يجيش بتلك

التي لا يمكن ترنيمها " ^(٣)

مؤلفات محمد عاكف :

نشر محمد عاكف شعره فى سبعة أجزاء صغار كلها تحمل اسم صفحات ، ولكل جزء عنوان خاص ماعدا الجزء الأول ، وهى على النحو التالى : -

١ - الجزء الأول وقد وضع عليه بعد العنوان العام : « صفحات » هذا الاسم « برلجى كتاب » أى الكتاب الأول . وفى هذا الجزء أربع وثلاثون منظومة فى موضوعات شتى . ويتبين فيها كلف الشاعر بالتخلل فى طبقات الأمة . ووصف المعيشة العادية ، والراقعات المألوفة بكشفها عما وراءها من عظات ، وينطقها بما استسر على الناس من عبر . وحسب

١ - محمد هريدى : الأدب التركى الإسلامى ص ٢٠٦ .

2- Degil ki udu , bütün kâinatı inletsen,

Figana söyletebilmek bir ızdırabi , hayl !

Diyordu sairî Hind'in o feylesof İkbâl:

" Heyecana verdi gönülleri,

Heyecanlı sesleri gönlümün;

Ben o nâgmedden müthecâyim:

Ki yok ihtimali terennümün"

Mehmed Akif Ersoy :Safaha.s 514.

- محمد عاكف : الظلال ، ترجمة : ابراهيم صبرى ، القاهرة

، بدون تاريخ ، ص ١١٧ .

القارئ أن يرجع إلى المنظومات : قفه وحصير ، والحانة ، وقهورة المحلة ، ليرى قدرة الشاعر على تصوير الحياة وجلالها ودقاتها في بيان يجمع بسر النثر إلى جمال الشعر .

وقد عرف قراء الرسالة من منظومات هذا الجزء اثنتين : سيفى بابا ، والزامر الأعمى .

٢ - والجزء الثانى سماه الشاعر : « فى كرسى السليمانية » (سليمانى كرسينده) . وهو منظومة مزدوجة فيها زهاء ألف بيت يصف فيها جامع السلطان سليمان القانونى أعظم مساجد استانبول ، ويتحدث على لسان واعظ سياح اعتلى كرسى الوعظ فى هذا المسجد واصفا ما شهده فى سياحته من أحوال المسلمين وبين أذواقهم وأدويتهم . وقد اختار لهذا الحديث السائح المعروف عبد الرشيد إبراهيم الذى يطوف فى أرجاء العالم منذ ستين سنة أو أكثر ، والذي قدم مصر مرات آخرها قدومه قبل سنتين فى طريقه إلى اليابان ، وهو اليوم نزيل طوكيو ، فعليه منا تحية وسلام ^(١) .

٣ - الجزء الثالث أصوات الحق (حقل سسلرى) وهو منظومات فى معانى آيات قرآنية مثل (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء) ^(٢) الخ . (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) ^(٣) . (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ^(٤) .

٤ - والجزء الرابع فى كرسى الفاتح (فاتح كرسينده) منظومة فى نحو ثمانمائة بيت يبدؤها الشاعر بوصف مسجد الفاتح وصفا يذكر القارئ بالشاعر الفرنسى فكتور هيجو فى رواية Notre Dame de Paris . ثم تكلم على لسان واعظ فى عقائد المسلمين وأعمالهم كلاما يتجلى فيه سمو الفكر ، وصفاء القلب ، والبصر بأسرار الدين ، والحزن لما أصاب المسلمين .

٥ - والخامس « خاطرات » (خاطره لر) . وفيه منظومات فى معانى آيات من القرآن ، وأخرى فى موضوعات مختلفة ، كقصيدته فى وصف آثار الأقصر التى أهداها إلى الأمير عباس حليم باشا ورحمة الله ، ومنظومة « خواطر برلين » وهى طويلة تنتظم زهاء أربعمائة بيت .

٦ - عاصم : قصة طويلة منظومة فى نحو ألف ومائتى بيت بطلها شاب من الذين جاهدوا فى الحرب الكبرى ، اسمه عاصم . وهو ابن كورسه إمام تلميذ طاهر آفندى والد الشاعر . وقد أهان فيها عن حال تركيا القديمة والحديثة ، ووصف كثيرا من الأمور .

١ - كان هذا إبان كتابة عزام لهذا العرض .

٢ - النمل : الآية ٥٢ .

٣ - آل عمران ، الآية ٢٦ .

٤ - آل عمران : الآية ١١٠ .

الأخلاقية والاجتماعية وصفا بليغا دقيقا يتناول أشد الموضوعات استعصاء على النظم في أسلوب مطبوع بين لا أثر فيه للتكلف والجهد . وكان الشاعر يوصى بقراءة هذه القصة لما فيها من عبر ولما قاربت لغتها ، اللغة العامية في التركية

٧ - الظلال (گولگه لر) هي الجزء الأخير الذي نشره الشاعر قبل وفاته بعامين ، وقد نظم بعض منظوماته في استانبول وبعضها في انقره ومعظمها في حلوان . ومنها قصيدة في الآثار المصرية سماها « مع فرعون وجها لوجه » وأهداها إلى الأميرة خديجة حليم . ومنها قصيدة نشرت ترجمتها في الرسالة بعنوان الفنان يصف فيها صديقه الشريف محي الدين^(١) .

وقد أهدى الشاعر اجزاء الديوان إلى عدد من تلاميذه وأصدقائه وقد صدر الشاعر الجزء الأول من صفحاته بخمسة أبيات لاعتوان لها ، وافتتح الجزء الأخير بستة أبيات عنوانها خسران . ويرى القارئ . في ترجمة هاتين القطعتين كيف كان فكر الشاعر في أول شعره وآخره^(٢) .

ولقد أطلق الترك على محمد عاكف لقب « شاعر الإسلام » لأنه من هؤلاء الذين دعوا إلى الوحدة الإسلامية ومريد للشيخين محمد عبده وجمال الدين الأفغانى .

١ - أحد الموسيقيين المسلمين من العرب ، أقام في بغداد فترة طويلة .

٢ - الرسالة ، العدد ١٩٩ في ٢ مارس ١٩٣٧ .

موقف محمد عاكف من فكرة الجامعة الإسلامية

عاش محمد عاكف في فترة من الفترات التي شهدت انحطاط أحوال المسلمين وبخاصة الدولة العثمانية دولة الخلافة الإسلامية وحامية المسلمين في تلك الفترة ، فلقد تكالبت الدول الإستعمارية متمثلة في إنجلترا وفرنسا وروسيا وإيطاليا على الدولة العثمانية دولة الخلافة لكي يقضوا عليها ، وكل هذه الظروف التي مر بها المسلمون أدت إلى ظهور شخصيات تدافع عن الإسلام والمسلمين فكان من بين هؤلاء السيد جمال الدين الأفغاني الذي تبنى فكرة وحدة العالم الإسلامي ودعى إلى ما يعرف باسم الجامعة الإسلامية ، وكان معه تلميذه وصديقه الشيخ الإمام محمد عبده . ولقد لعب الاثنان دوراً كبيراً في إيقاظ العالم الإسلامي وقاما بالدعوة لفكرة الجامعة الإسلامية فكان لهما تأثير كبير على العالم الإسلامي . فلقد تأثر محمد إقبال في الهند بآراء السيد جمال الدين الأفغاني . ولقد أوضحت ذلك في الباب السابق .

وفي هذا الباب أعرض أيضاً التأثير الذي وقع على الشاعر التركي محمد عاكف وكيف تأثر بأفكار السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ الإمام محمد عبده وكيف تبنى فكرة الجامعة الإسلامية ودعا إليها .

ويمكن القول أن محمد عاكف كان واحداً ممن عبروا عن فكرة الجامعة الإسلامية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وكان في ذلك متأثراً بكل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، فساهم محمد عاكف بشعره في ترسيخ التيار الفكري للجامعة الإسلامية في عاصمة الدولة العثمانية ^(١) .

ومن خلال أعمال محمد عاكف يمكن القول أن محمد عاكف دعا إلى الجامعة الإسلامية من خلال أربعة أفكار وهي : -

- ١ - بيان حال المسلمين والأسباب التي أدت إلى تدهورهم .
- ٢ - تذكير المسلمين بماضيهم ودعوته لهم بالرجوع إلى تعاليم الإسلام .
- ٣ - موقف عاكف من القومية والعنصرية .
- ٤ - الدعوة إلى وحدة المسلمين تحت ظلال الجامعة الإسلامية .

١ - حركة الجامعة الإسلامية ، أحمد فهد بركات الشوابكة ، ص ٥١ .

١ - بياض حال المسلمين والأسباب التي أدت إلى تدهورهم :-

لقد تجول محمد عاكف في بلاد المسلمين وشاهد بعينه الإنحطاط الذي وصل إليه حال المسلمين ، ولم يكن عاكف راضياً عن الأوضاع السياسية آنذاك فقد تفشى الفساد بين رجال الحكومة . فيقول في إحدى قصائده واصفاً حال المسلمين :

نظرت إلى حال الأمة فوجدته يدمى القلوب

فلا عمل يوفر الخبز ولا نقود لشراء الخبز

لا معسكرات ولا مساكن ولا مدارس ولا معاهد

لا سيف ولا قلم كل ما تسأل عنه فهو معدوم

لم تعد هناك تربية لدى العسكر ، وكيف تكون ؟

فعلى حين نجد أحدهم يقضى عمره في رتبة ملازم

نجد الآخر يرقى إلى أعلى الدرجات ويصل إلى رتبة فريق وهو مازال في المدرسة

هل هناك رتبة المشير ! الله ولي التوفيق ^(١)

ويرى محمد عاكف أن أحد أسباب تدهور أوضاع المسلمين يرجع إلى ضعف رجال الدين

وجهلهم .

يقول : إن الدائرة المعروفة باسم دار الافتاء هي مجمع الأميين والجهلاء .

فهو مجاز (عالم) وهو في رحم أمه تماماً مثل الأجداد

يمشي ، يرتدى عمامة ، يصير قاضياً للعسكر !

أما بالنسبة لكبار رجال الدولة فيصف عاكف فسادهم بقوله :

أي صنف هؤلاء الوزراء ؟ إنهم إما مخبر أو مزور أو حقير

لا يخشون الله ولا يستحون

يعجزون عن القراءة ولا يستطيعون الكتابة أبداً إنهم عصاة من اللصوص ^(٢) .

Ummetin haline baktım ki: Yürekler yarası!
Ne bir ekmek yedirir iş, ne de ekmek parası.
Kışla yok, dâire yok, medrese yok, mektep yok;
Ne kılıç var, ne kalem... Her ne sorarsan, hep yok!
Kalmamış terbiye askerde. Nasıl kalsın ki?
Birinin ömrü mülâzınlıkta geçerken öteki,
Daha mektepte iken tayy-ı merâtıble ferik!"
Bir müşirlik mi var? Allahu vehyy-üt-tevfik!
Hele ilmiyye bayâğdan da aşâğ bir turşu!"
Bâb-ı Fetvâ denilen dâire ümmî koğuşu
Ana karnından icâzethidir, ecdâda çeker;
Yürüsün, bir de sarık, al sana kaadîasker!
Vükelâ neydi ya? Curnacı, müzevvir, âdi;
Ne Hudâ korkusu bilmiş, ne utanmış ebedi,
Güç okur, hiç yazamaz, bir sürü hırsız çetesi.

1- Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 463.

الأغلبية بلا عقل ومن لديه ذرة من العقل يقول وقد تنحى جانباً

" إن هذه الحكومة ثوب حيك لهذا الشعب !

فخبرنى الآن إلى من تشكوا آلامك

أليس هناك أحد غيرى ما شأنى " (١)

ثم ينتقل عاكف ليبين موقف أهل العلم وذوى الفضل فيقول :

" أردت أن أقف على أفكار بعض الأساتذة الأفاضل

الذين أحسنت بهم الظن فقلت : أما أن لكم أن تنبهوا أن تفيقوا أن تستيقظوا !

إن البلاد تمضى نحو الزوال والضياع إنها تضيع ويضيع معها الدين هل تعاليم القرآن

تقول لكم هي « أن تقفوا موقف المتفرج من بعيد فقط ؟ »

ستزول البلاد ، لن يكون أرلوا الأمر

يفكرون فى حل لذلك إن كان هناك حل

أما بالنسبة للدين فليس من الممكن العمل على إنقاذه

وإذا أتينا إلى الدين

بدأ الدين غرباً ولا شك أن هذا القول سيتحقق (٢)

Ekseriyyet kafasız; varsa biraz beyin olan
«Bu hükümet şu ahâliye biçilmiş kaftan»
Kime dert anlatacağsın? Hadi anlat şimdi..
Ben mi kaldım, neme lâzım!» diyerek yan çadı

1 - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 463.

Hüsn-ü zanneylediğim bir iki fâzıl hocanın,
İttedim fikrini açmak; dedim: «Artık uyanın!»

Memleket mahvoluyor, din de beraber gidiyor;
Size Kur'an «Bakınız sade uzaktan!» mı diyor?
— Memleket mahvolacak, alınacak... Baştukiler,
Düşünürler ona, mevcûl ise, bir çare eğer.
Görelim dine; ne mümkün çalışıp kurtarmak?
Bed'e-ed-dinu gariben... sözü elbet çıkacak...»

2 - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 463, 464.

أما طائفة العامة من الشعب فقد اتسمت بالاحمول واللامبالاة ، ويتضح ذلك من قول عاكف:

قالوا : لنتفقد الآن فكر طائفة العوام
قلت : بحثت عنهم وقرعت الباب فلا مجيب
هكذا هم مستغرقون في سبات
كانهم سمعوا صور إسرائيل
فنفضهم قليلا من المكان الذي هم فيه رقود
فإذا هم بسIRON على أرض بالية
كانهم مقبرة متحركة كل ناصية تبدو وكأنها حجر قبر^(١).

وقد تناول عاكف أوضاع المسلمين في المشرق والمغرب وتحدث عن تردى أوضاعهم وتفرقهم وتأخرهم وانحلالهم وما تمارسه الحكومات المختلفة من ظلم وكبت للحريات وتشكيل بالمسلمين.

وفي إحدى القصائد نرى محمد عاكف يتحدث عن المسلمين وكيف انهارت فيهم الأخلاق الإسلامية الحميدة ، مما أدى إلى ضعفهم هذا الضعف الذي بدوره أدى إلى ذل المسلمين وهوانهم يعانون من اللامبالاة الشديدة .

Dediler, Yokliyayım şimdi avâmın da biraz,
Nedir efkârı dedim. Hey gidi vurdum duymaz!
Öyle dalgın ki, meğer sûrunu İsrâîl'in,
İyitip, yatığı yerden azıcık silkinsin!
Yürüyor, altı çürük topraĝa gelmiş, seyyar
Bir mezarlık gibi: her nâsiye bir senk-i mezar!"

١ - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 164.

فكل واحد منهم انكب على نفسه فقط يقول عاكف :
 إن الإسلام بينما كان عبارة عن سيرة طاهرة وأسفاء
 لقد غصنا في الوحل والقاذورات ولم نخرج منه حتى الآن
 عبادة الظلم وترك العدل والتفاضى عن الحق
 مادمت أهنا بالراحة فلا أبالي حتى لو احترق العالم
 نقض العهد وعدم محاشى الكذب فى الحديث
 والتغنى بالقرة وعدم الإقرار بالعجز ،
 مراسم رخيصة حقيرة من انحنايات وركوع
 الدجل والنفاق والخداع المستمر
 الفرقة القرميات ، التمزق المستمر باسم (تباين) الألسنة
 هذا هو أصدق حال فى عقول أخلص الناس
 يستأسد فى الخفاء وينقلب إلى قطة : فى وضع النهار

.....

إن الإسلام لم ير ذلا كهذا قبلنا
 إن حالنا لهو حال جسد قد فسد وتخلل
 إن روح انحطاطنا يكمن فى انحطاط أخلاقنا
 ولكن أوجز الحكم إنها كلمة بسيطة
 هناك سبيل واحد للنجاة : يجب أن تسموا أخلاقنا
 وإلا فإن هلاكنا سيكون مضاعفاً ورهيئاً
 ذلك لأننا لو لم نعمل فستضيع الدنيا ويضيع الدين أيضاً^(١) .

مُسلِمانlık pāk sîretten ibâretken, yazık!
 Öyle saplandık ki levsiyyâtı: hâlâ çıkmadık!^١
 Zulme tapmak, adli tepmek, hakka hiç aldırmamak;
 Kendi üsûdeyse, dünya yansa baş kaldırmamak;
 Ahdi nakzetmek, yalan sözden, tehâşi etmemek;
 Kuvvetin meddâhı olmak, aczi hiç söyletmemek;
 Mübtezel birçok merâsim: inhinâlar, yatmalar,
 Şaklabanlıklar, riyâlar, muttasıl aldatmalar;
 Fırka, millîyyet, liân nâmiyle dâim ayrılık;
 En samimî kimseler beyninde en ciddî açık;
 Enseden arslan kesilmek, cepheden yaltak kedi

.....
 Müslümanlık bizden evvel böyle zillet görmedi!
 Hâlimiz bir inhilâl etmiş vücûdun halidir!^٢
 Rûh-u izmihlâlinuz ahlâkın izmihlâlidir.
 Sâde bir sözdür fakat hikmetlerin en nücmehi!^٣
 Bir halâa inkânı var: ahlâkımız yükselmeli.
 Yoksa pek korkunç olur katınerleşip husrânımız...
 Çünkü hem dünya gider, hem din, eğer yapmazsanız.

ويؤكد عاكف أن ما وصل إليه حال المسلمين إنما يرجع إلى أن المسلمين فقدوا صوابهم وانحرفوا عن جادة الصواب وأن دماهم الحارة المليئة بالغيرة على الإسلام أصبحت دماء باردة برغم كل الذل والمهانة التي يتعرض لها المسلمون والإسلام ، يقول عاكف عن هذا :

ليس هذا هو الإسلام لقد انحرفنا عن جادة الصواب

لم يكن لنا صنم لنعبده فقلدنا وفعلنا

إن عالمك الإسلامى قد صدق (آمن) باليأس

إن دينه الرسمى هو ذاك (اليأس) لايحيد عنه مهما قال القائل

إن الإيمان القوى الذى قلب فيما مضى القارات الأربع رأساً على عقب

وبعد ذلك صار حوالى أربعمئة مليون رجل^(١) كلهم فى ثبات عيمق

فاتجه إلى الشرق أو يم شطر المغرب فلن ترى ثورة

كيف حدث أن أصبحت دماء هذه الأمة دماء باردة

هل الحياة حق مكفول لى ؟ نعم أن أى منطق

لا يمكن إنكار هذا (الحق) لأنه شئ بديهي

إذا فإنه من البديهي أيضاً أن يكون العمل دين فى عنقى «

ولكن ليست لى إرادته فأنا مفلوج (مشلول) بنفيس حياة^(٢).

١ - عدد المسلمين آنذاك ، بينما يصل عددهم حالياً إلى مليار ومائتى مليون مسلم .

- ٢ -

Müslümanlık bu değil, biz yolumuzdan saptık,
Tapacak bir putumuz yoktu, özendik, yaptık!
Göreyim gel de büyük bildiğin Allah'ı kayır...
Hani, tevlik-i ilâhiye kanan var nu? Hayır.
Ya senin Âlem-i İslâmın inanmış ye'se;
Din-i resmîsi odur, vazgeçemez kim ne dese!
Önce dört kıt'ayı alt üst eden iman-ı metîn;
Sonra, dört yüz bu kadar milyon adam, hepsi cebin!
Şarka in, Mağribe yüksel göremezsün galeyan...
Nasıl olmuş da uyuşmuş bütün ümmetteki kan?
Neye tutmuş da bu şevket, bu şehâmet dini,
Benden imsâk ediyor ceddime bezl ettiğini?
Yaşamak hakk-ı sarîhim mi? Evet. Bir mantık,
Bunu inkâr edemez, çünkü bedîhî artık.
Bir bedâhet de bu öyleyse: «Çalışmak boreum.»
Yok iradem ki, fakat, dîpdiri bir meflûcum!

2 - Mehmed Akif Ersoy : Safahat . s 459 .

٢ - تذكير المسلمين بماضيهم ودعوته لهم بالرجوع إلى تعاليم الإسلام :

وبعد أن شرح محمد عاكف حال المسلمين في هذه الفترة وكيف آلت إلى هذا التدهور حاول أن يذكر المسلمين وخاصة العرب بماضيهم وببطولاتهم التي حققوها بالرغم من أنهم بدأوا فئة قليلة وكيف أن فئة قليلة قد استطاعت أن تنشر الدين الإسلامي في ربوع الدنيا من الصين شرقا حتى أسبانيا غربا وكان حافزا في ذلك هو التوكل والاعتماد على الله والثقة في أن النصر من عند الله . يقول عاكف في هذا الشأن :

عندما انبثق نور الدين وبدد ظلام الشرك
انتشرت حياة جديدة في أرجاء البطحاء
وقبل أن تشعر روح الغرب بتلك الثورة
فقد استطاعت فئة قليلة من العرب أن تبسط سيطرتها وسطوتها على الدنيا
وأمتدت أطراف بلادهم حتى سور الصين
وأما طرفها الآخر فقد تجاوز آلاف الأبراج
العالية مثل السحاب وامتد فجأة حتى نهاية أسبانيا
فكر أين الحجاز وأين الصين ؟ وابن بيرينا ما سر هذه المعجزات ؟
إنه دائما التوكل
وإنها العزيمة وقوة التحمل الناجمة عن الثقة في النصر^(١) .

Zalâm-ı şirki yarıp fıskınca dîn-i mübin,
Yayıldı sine-i Bathâya bir bayat-ı nevîn.
Bu inkılâbı henüz ruhu duymadan Garb'ın,
Kuşattı salveti, dünyayı, bir avuç Arab'ın!

Dayandı bir neu tâ Sedd-i Çine; diğer neu,
Aşıp bulut gibi, binlerle yükselen bureu,
Uzandı ansızın İspanya'nın eteklerine,
Hicaz'ı Çin'i düşün nerde? Nerededir Pirene!
Nedir bu hârikanın sırrı? Hep tevekküldür:
Ki r'ûmâd-ı zaferden gelen tahammüldür.

1 - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 271 & 272

دعوة عاكفة المسلمين إلى الرجوع إلى تعاليم الإسلام ،
 إن الإسلام يدعو إلى السعى والجهد والاجتهاد وعدم التواكل وذلك مصداقاً لقوله تعالى
 « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى »^(١) ، وعاكف لاهكل عن دعوة المسلمين إلى العمل
 والاجتهاد حتى تنهض الأمة الإسلامية وتلحق بركب الحضارة والتقدم .
 يقول في الحث على السعى والعمل في قصيدة له بعنوان « دورما يالم » أي لا ينبغي
 أن نتوقف .

" يقول سعدى(*) : ذات ليلة كنا مع القافلة
 وبينما كنا نمضي على مهل في طريقنا ، وجدنا أنفسنا أمام صحراء قاحلة
 ولكي نجتاز هذه الصحراء الموحشة بسرعة
 ضحى كل المسافرين براحتهم وهنائهم
 وواصلوا طريقهم ، ولكن أنا لم تعد لي طاقة على السير
 وضعفت قواي ورحت في سبات عميق
 ولكن هل تنتظر القافلة رجلاً صعلوكاً ؟
 أنها مضطرة إلى المضي قدماً حتى تصل إلى بغيتها
 واستيقظت فإذا بي أجد الجمال يقول لي
 أنهض أيها المسافر المسكين فإن القافلة قد ابتعدت كثيراً
 وكان الناس يلفني ولكن في مثل هذه الصحراء القاحلة
 أوجد مكان للراحة وهناك آلاف الأخطار والمخاوف
 إن الذي يمضي في طريقه ولا يتوقف ، يصل إلى بغيته
 ولا توجد بارقة أمل في النجاة إلا باجتياز هذه الصحراء .

١ - سورة النجم الآية ٣٩ .

* - سعدى : هو مشرف الدين مصلح بن عبد الله سعدى الشيرازي ، كاتب وشاعر إيران الكبير في
 القرن السابع ، من مؤلفاته " سعدى نامه أو البوستان ٦٥٥ " ، " الكلستان ٦٥٦ " ، وله أيضاً قصائد
 وغزليات وقطعات ، ترجع بند وربعيات ، مقالات وقصائد عربية جمعت كلها في كليات سعدى ، وقد
 توفي بين عامي ٦٩١ ، ٦٩٤ في شيراز .

انظر : علي أكبر دهخدا : لغت نامه المتفحة ١٣٧٣ هـ . ش ، ص ١٢٠٤ .

وهيئات ، فإن من يقع أسير النوم هكذا في الطريق
سوف يبقى وحده (في مواجهة الأخطار) بينما يمضي الآخرون في طريقهم ^(١) .
ويعضى عاكف قائلاً :

إنك محق إذا قلت أن هذه الحكاية ليست ذات بال ، ولكن فكر
وكن منصفاً فهل يوجد اليوم فعلاً حكيماً يمكن عمله غير هذا
أن سعدى يقول : إذا كنت تريد أن تصل إلى الهدف الذي تبغيه
فحتى لو كانت الطرق التي تسلكها لا نهاية لها
فشد الرحال وأمض ولا تتوقف ، وحذار أن تتوقف في الطريق
فما مضى شيء بعيد المثال وشئ قريب المثال بالنسبة لأولى العزم
أى صعب لا تهون ولا تحمل طالما كانت كانت هناك همة وعزيمة
وأبهة مخاوف وأخطار لا يقهرها الإنسان
وانظر إلى آثار المغاور (الأبطال) (ذوى الإقدام) وخذ منها العبرة
فإن الجبال تصير دكا دكا أمام عزيمة وإصرار الرجال التي تقهر الجبال ^(٢) .

Sa'dî diyor ki: «Bir gece biz kârban ile
Âheste-seyr iken yolumuz düştü bir çöle.¹
Sür'atle tayy için o beyâbân-ı vahşeti,
Hep yolcular fedâ ederek istirâhatı,
Gitmektelardı. Bir aralık bende meşye tâb,
Hiç kalmamış ki düşmüğümler artık zebûn-i bâb.²
Âvâre bir piyâdeyi bekler mi kaafile?
Nâçâr şedd-i rahl edecek tâ be-merhale.³
Durmuş, diyordu, bir de uyandım ki, kârban:
«Kalk ey zavallı yolcu, uzaklaştı kârban!
Uykum benim de yok değil ammâ bu deşt-zâr,
Ârâmgâh olur mu ki bin türlü korku var?
Ser-menâzârı merâma varır, durmayıp giden;
Yoktur necât ümidi bu çöllere geçilmeden.
Heyhât, yolda böyle düşen uyku derdine,
Hep yolcular gider de kalır kendi kendine!»⁴

1 - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 28 ,

Vak'a hiç bir şey değildir; haklısın, lâkin düşün.
Başka bir düstûr-i hikmet var mı, insâf et, bugün?¹
Varmak istersen —diyor Sa'dî— eğer bir maksada,
Tuttuğun yollar tükenmekten muarrâ olsa da;
Şedd-i rahl et, durmayıp git, yolda kalmaktan sakın!
Merd-i sâhib-azm için neymiş uzak, neymiş yakın?²
Hangi müşküldür ki, himmet olsun, âsân olmasın?
Hangi dehşettir ki insandan hirâsân olmasın?³
İbret al erbâb-ı ikdâmın bakıp âsârına:
Dağ dayanmaz erlerin dağlar söken ısrârına.⁴

2 - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 29

إن التوقف في الطريق والتقاعد إن لم يكن انتحاراً
 فإنه يعني أن يقوم ملك وينزل عليك من السماء فراشاً
 وعلى حين يقول الله سبحانه وتعالى « أن ليس للإنسان إلا ما سعى »
 فأنا لا أفهم ماذا تنتظر أنت وماذا تأمل من هذا الذل والهوان^(١).
 لا تتوقف وأنهض وهول والحق بالقافلة
 فإنه محكوم عليك بالهلاك والفناء إن توقفت بلا عمل هكذا ولو دقيقة واحدة^(٢).
 ويحذر عاكف من مغبة البعد عن الثقافة الشرقية الإسلامية والإتساق وراء المظاهر
 الخادعة البراقة للغرب ، فنجد الشاعر يهدى سخطه وتذمره من الاتجاه نحو الغرب في
 التعليم وإهمال اللغة العربية لغة القرآن .
 فنجده يقول في إحدى قصائده :
 أتدعه أبداً ؟ من يقرأ العربية الآن ؟
 نعم لقد انحرفنا نحو تيار الكفر (الفرنجة) وكأنا قد صنعنا شيئاً !
 يالها من أهام مضت حيث كنا نتم دراسة كتاب « بناء »^(٣) في ثلاث سنين !
 لم يعد هناك علم ولا معرفة
 في الواقع ماذا بقي لنا ؟ لاشئ على الإطلاق
 إننا نحتاج إلى مدرسة الحى كما كانت على نهجها القديم
 وإلا فإن خط الثلث والنسخ وكل شئ سينمحي
 ولكم مطلق الحرية^(٤).

İntihâr etmek değilse yolda durmak, gitmemek,
 Asûmandan refret indirsin demektir bir melek!^{١٨}
 «Leyse il-insân-i illâ mâ seâ» derken Huda;
 Anlamam hiç meskenetten sen ne beklersin daha!^{١٩}

١ - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 3٥

Davran artık kârbânın arkasından durma, koş!
 Mahv olursun bir dakikan geçse hattâ böyle boş.

٢ - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 3١ .

« - بناء : كتاب في تعليم اللغة العربية كان يدرس في المدارس التركية في عهد الدولة العثمانية ،

انظر : هامش كتاب صفحات ص ١٢٤ .

— Koyar mı hiç? Arabî gımdı kim okur artık?
 — Evet, gâvureaya düştük de sanki iş yaptık!
 — Binâ'ya* üç sene gittimdi hey zamanlar hey!
 Hîm de kalmadı...

— Zâten ne kaldı? Hiç bir şey.

Mahalle mektebi lâzımdır eski yolda bize;
 Sülûs, nesih* bitiyor yoksa hepsi... keyfinize!

٣ - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 124.

ويقول عاكف فى إحدى قصائده الموجودة فى الكتاب الثالث « حَقِّگ سسلرى »
« أصوات الحق » من ديوان صفحات وهو يلعن الحضارة الغربية وما جرته على المسلمين من
ويلات وينعى أبناء الإسلام الذين أصبحوا عبارة عن جسد بلا روح ويستنهض همهم
فيقول :

آه ! إن أمامى الآن مقبرة تسمى وطن
مسجى الآن كيف جاس الإنسان خلال الأماكن ؟
إيها المسافر تلك المقابر التى تتراعى على امتداد البصر
انظر من اين بدأت ترتفع وانظر إلى أين تمتد أطرافها
ما هذا الفراق الأبدى ؟ ، ما هذا الخسران المبين ؟
إن روح السماء تئن وينفطر قلب الأرض
انبش هذا التراب قليلا ، وانظر ماذا سيخرج منه
جماجم سحقته ومزقت تحت كعوب البنادق
ووجوه تتطايرت هوياتها من قبعاتهم
من بدرى بأى وحشية فقأت العيون
إنها تلعن تلك الوحش المعروف باسم المدينة
كثير من الثنايا البارزة المقطعة
آلاف الأجساد التى مزقتها السناكى وتجمدت دماؤها
آلاف الرؤوس والأذرع التى انفصلت عن أجسادها ^(١).

Ah! Karşımda vatan nâmına bir kabristan
Yatıyor şimdi... Nasıl yerlere geçmez insan?
Şu mezarlar ki uzanmış gidiyor, ey yolcu,
Nereden başladı yükselmeye, bak, nerde ucu!
Bu ne hicrân-ı müebbed, bu ne husrân-ı mübin...
Ezilir rûh-u semâ, parçalanır kalb-i zemin!
Azıcık kurcala toprakları, seyret ne çıkar:
Dipçik altında ezilmiş, paralanmış kafalar!
Bereden reng-i hüviyyetleri uçmuş yüzler!
Kim bilir hangi şenâatle oyulmuş gözler!
«Medeniyet» denilen vahşetle lânetler eder,
Nice yekpâre kesilmiş de sırtmış dişler!
Süngülenmiş, kanı donmuş, nice binlerle beden!
Nice başlar, nice kollar ki cüdâ ciâminden!

1 — Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 198 .

يا من تركتم على هذه الأرض نقوشاً مبعثرة
 موكب الأرواح المخلق ا حذارى أن تنظروا إلى الأرض
 لا تحسبوا أن هناك دمًا قد انتفض شوقًا إلى الشهادة
 إن لدينا أرواحًا أكثر تبلدًا
 وأكثر تعفنًا من الجيفة النتنة
 لا تنظر بل وابصقوا في وجهنا المتبلدة ا
 ابصقوا فلربما يبعث فينا قليل من الإحساس
 ابصقوا في جبين هذا الشرق الذي لا يبالى ابصقوا
 ابصقوا حتى نرى حمية الناس وقد اشتعلت
 ابصقوا في وجه تلك المؤامرات التي تطعن الأمة بكل خسة ودناءة
 ابصقوا في وجوه تلك العاهرات اللاتي يصفقن لها
 ابصقوا في وجه أهل الصليب الذين لا يستحيون
 ابصقوا في وعودهم التي لا مصداق لها .
 وامعنوا النظر في ذلك المخلوق المحتال المعروف باسم (المدنية)
 ابصقوا في ضمير هذا العصر المقتنع ابصقوا
 خاصة تلك الحرب الملعونة في هذا الزمان ^(١) .

Ey, bu toprakta birer na'ş-i perişan bırakıp
 Yükselen mevkib-i ervâh! Sakın arza bakıp,
 Sanmayın: gevî-i şehâdetle coşan bir kan var...
 Bizde leşten daha hissiz, daha kokmuş can var!
 Bakmayın, hem tükürün çehre-i murdârimıza!
 Tükürün: belki biraz duygu gelir ârımıza!
 Tükürün cebhe-i lâkaydına Şarkın, tükürün!
 Kuşkulansın, görelim, gayreti halkın, tükürün!
 Tükürün, milleti alçakça vuran darbelere!
 Tükürün onlara alkış dağıtan kahpelere!
 Tükürün Elh-i Salibin o hayâsız yüzüne!
 Tükürün, onların asla güvenilmez sözüne!
 Medeniyet denilen maskara mahlûku görün:
 Tükürün maskeli vicdânına asrın, tükürün!

" إن أفكار الغرب العامة لازمة لنا

وهذا يكون بالابتعاد عن الله "

إنهم يلقنوننا هراهم وكأنه الإيمان وصوت الدين

أبصقوا كثيراً وكثيراً في عقلية وفكر هذا الأحق الذي يخرس صوت الدين ^(١).

ويقول أيضاً في الكتاب الثالث (حثك سسلى) « أصوات الحق » مذكراً المسلمين بأن الوطن الذى لأصاحب له محكوم عليه بالفناء ومطالباً إياهم بالعمل والجد وترك العويل والصراخ .

يقول :

لاشك أن غرق الوطن الذى لأصاحب له أمر محتوم

وإذا لم تتخل عن الوطن وكنت صاحباً له فإنه لن يغنى

فدع الصباح والصراخ وافق فإن الوقت قصير

إسع واجتهد فإنك بهذا سوف تتلقى إضراراً عديدة

إن كان هناك حاجة للعليل بالصراخ والعويل فاصرخ !

كلا - كلا فهلا حطمت تلك السلاسل التى تقيد عزيمتك !

لا تكل ولا تقل « إن الأمر انتهى وإن الصمود لا نهاية له »

أيتها الأمة المرحومة حذارى أن يأخذك اليأس ^(٢).

«Bize efkâr-ı umûmiyyesi lâzım Garb'in;
O da Allah'ı bırakmakla olur» herzesini,
Halka iman gibi telkîn ile, dînin sesini
Susturan aptahın idrâkine bol bol tükürün!..

1 - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s199

Sâhipsiz olan memleketin batması hakur;
Sen sâhip olursan bu vatan batmayacaktır.
Feryâdı bırak, kendine gel, çünkü zaman dar...
Uğraş ki: telâfî edecek bunca zarar var.
Feryâd ile kurtulması me'mûl ise haykır!
Yok, yok! Hele azmindeki zincirleri bir kır!
«İş bitti... Sebâtın sonu yoktur!» deme, yılma.
Ey millet-i merhûme, sakın ye'se kapılma.

2 - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s240.

ويقول أيضاً في نفس الكتاب
 يارب أليس لتلك الليلة المشؤومة من صباح ؟
 أم أن فلاح المساكين سيكون يوم الحشر !
 نريد نوراً ... وأنت تشعل لنا حريقاً
 نقول " احترقنا " ! فترسل دماء تفرقنا !
 إذا لم تهب علينا في القريب العاجل نفحة أزلية
 يا إلهي فإنة بين نار جهنم تلك وبين هذا الطوفان
 فإن عالم الإسلام سيكون أرضاً ممزقة ورمال مبعثرة
 وستنفجر الأرض أصناماً .
 أخشى ما أخشاه إن ذلك سوف يؤذى جد الحسين
 وبعد ذلك نرى الحرمين وقد أصبحتا غابة للصليب
 إن أرض الحجاز منذ ألف وثلاثمائة وخمسة وثلاثين عاماً
 والقلوب ضارعة ملتهبة في ذلك المحيط المشتعل ^(١) .

Yâ Râb, bu uğursuz gecenin yok mu sabâhı?
 Mahşerde mi bîçârelerin, yoksa felâhı!
 Nûr istiyoruz... Sen bize yangın veriyorsun!
 «Yandık!» diyoruz... Boğmaya kan gönderiyorsun!
 Esmezse eğer bir ezeli nefha, yakında,¹
 Yâ Rab, o cehennemle bu tûfan arasında,
 Toprak kesilip, kum kesilip Âlem-i İslâm;
 Hep fışkıracak yerlerin altındaki esnâm!²
 Bizâr edecek, korkuyorum, Cedd-i Hüseyin'i,³
 En sonra, salîb ormanı görünmek Harameyn'i!⁴...
 Bin üç yüz otuz beş senedir, arz-ı Hicaz'ın
 Ateşli muhitindeki sûzışli niyâzın

{ - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s243 .

على حين تصعد أمواجها المتلاطمة إلى عنان السماء
 أتخفقها أصوات الأجراس ويطوبها الصمت ؟
 أنتظني يا إلهي شعلة الرحدانية المشتعلة هذه ؟
 أيخيم الظلام مع التثليث على كل أرجاء المعمورة ؟
 والإيمان الذي يحى مايقرب من ثلاثمائة مليون
 أيكون قرباناً لإلحاد بضعة معاتبه
 أينظني الوجه المضيئ للقرآن الكريم
 بفعل الأرواح اللثيمة والأنفاس الحبيسة ليضعه
 أيسحق الإسلام تحت الأقدام في نهاية الأمر
 ياإلهي ماهذا الخسران وماهذا الذل ؟^(١)

Emvâci hurûş-âver olurken melekuta;
 Çan sesleri boğsun da gömülsün mül sükûta?
 Sönsün de, İlâhî, şu yanan meş'al-i vahdet,¹
 Teslis ile çöksün mü bütün âleme zulmet?²
 Üç yüz bu kadar milyonu canlandıran iman
 Olsun mu beş on sersemin ilhâdına kurban?³
 Enfâs-ı habîsiyle beş on rûh-u leîmin,⁴
 Solsun mu o parlak yüzü Kur'an-ı Hakîm'in?⁵
 Islâm ayak altında sürünsün mü nihâyet?
 Yâ Rab, bu ne husrandır, İlâhî..bu ne zillet?

1 - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 213, 214

٣ - موقف عاكف من القومية والعنصرية :

كان التيار القومى فى تلك الفترة سائداً ويهدف إلى استقلال كل قومية عن الأخرى ، أى انفصال كل جنس وكل عرق عن الدولة العثمانية دولة الخلافة الإسلامية ، وكان يتزعم هذا التيار ضيا غوك آلب ، وقد صادفت آراء ضيا غوك آلب وتعاليمه هوى فى نفوس بعض المثقفين فأخرجوا مجلة « كادرو » أى الإطار ، وتبارت الأقلام وأعلنت الآراء فى الإصلاح الاجتماعى ، والاحياء القومى وشطوا كثيراً فزعموا أن أعرق مدنيات فى العالم فى القدم هى المدنية التركية وأن الترك أول جنس بشرى ظهر على وجه الأرض^(١).

وينقد محمد عاكف الأفكار التى كان يروج لها أصحاب النزعة التووانية وعلى رأسهم ضيا غوك آلب .

يقول عاكف :

كيف ترى بنى هذا البنك أترأه جميلاً

إلى حد ما

ليس رديئاً إنه حائط له شكل

وبالمقارنة بالجامع ... عجباً

إذا نظرت بعينى : ياله من بناء عظيم ورائع

هذا شئ آخر إذا سألوا عن الأسلوب « الطراز »

فلا يقال « هو هذا »

أولا يجب أن تكون هناك أصالة فى الفن أما هذا فهو خليط^(٢) .

١ - تاريخ الأدب التركى : حسين مجيب المصرى ص ٥١٤ .

- ٢

— Nasıl şu banka güzel bir bina mı?

— Pek o kadar

Fena değilse de, nisbetle, bir biçimli duvar.

Mesâbesinde kalır camiın yanında...

— Garip!

Benim gözümle bakarsan: ne muhteşem! ne mehib!

—O başka... Sorsalar üslûb için «şudur» denemez.

Asâlet olmalı san'atta evvelâ... Bu: melez!

2 - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 243 .

لا ليس خليطاً أيضاً ربما كان مزيجاً من عدة طرز
 إنه خليط . وإذا ما أراد أحد أن يحلله : يطول الأمر !
 إذا كنت تبحث عن أثر عميق (أصيل) فانظر إلى السبيل
 ها هي ^(١).

بينما يفيض كل هذا الشعر الجميل وينهمر مدراراً
 فإن الفطرة الصافية (الأصيلة) (الخالصة) : إنه طاهر أصيل
 إن الدماء التي تسيل في عروقه والروح عثمانية أيضاً
 وترى روح الأجداد في هذا الفن الفيض
 لابد من أن يصيب السأم والملل ابن المدنية هذا الذي لا يعرف الملل
 السأم والملل إنه شيء نادر ما يرى عند القدماء
 إنه تعبير كان يطلق على إحدى البلايا والآن انقض عهده لماذا ؟
 إن الحالة الروحية قد تغيرت ، وذلك طبقاً لروح العصر ^(٢).

- ١

Hayır, melez de değil... Belki birçok üslûbun
 Halîta hâli ki, tahlîle kalkışılca: uzun!
 Necib eser arıyorsan: Sebîle bak, işte...
 Taşıp taşıp dökülürken o gi'r-i berceste,*
 Safâ-yı fitratı şahit ki: tertemiz aslı;
 Damarlarında yüzen kan da, can da Osmanlı!

1-Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s243

Görüp bu cûş-i san'atta rûh-u ecdâdî,*
 Biraz sıkılmalı şehrin sıkılmaz evlâdî!
 — Sıkılmak, eski adamlarda nâdiren görülen
 Bir iptilâyâ denirmiş ki, şimdi geçti!
 — Neden?
 -- Değişti hâlet-i rûhiyye, çünkü asra göre...

2-Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 244

يا إلهى تلك « الحالة الروحية » وأيضاً « مفكوره » *
 ليس عيباً ياسيدى ، إنها تثير أعصابى
 لماذا بشيرك هذا ؟ أهذا مجال للتعصب والعنصرية
 إن هذه العقلية البالية آن لها أن تتغير ولو قليلاً ...
 المناداة بـ « لا تجددوا فى اللغة مطلقاً » : جنون
 ليس هناك من يتعصب لذلك : كل ما فى الأمر : هو ماتمليه الضرورة
 لابد وأن يتحقق وأيضاً
 فإن هذه التحديات المرادة لابد أن تتم على أيدي أربابها. ^(١).

* كلمة مفكورة : هى اصطلاح ابتكره الأديب والعالم التركى ضيا غوك آلب (١٨٧٦ ، ١٩٢٤)
 وهى تعبر عن الوطن المثالى الذى نادى به ضيا غوك آلب حيث كان يرى أن تركيا وبلاد التركستان ليست
 هى الوطن المثالى الأبدى للأتراك ، ولكن « توران » هى الوطن المثالى وقد عبر عن ذلك فى منظومته
 المعروفة باسم توران والتى نشرها فى مجلة " كنج قلندر " أى الأعلام الشابة فى ٢٢ فبراير ١٩١٠ ، فى
 سبلايك وهذه النظرة عرفت باسم توران مفكوره سى .

ولقد كان لهذه الدعوة صدى واسع فى نفوس الأتراك لأنها قائمة على أساس عرقى ، والواقع أن
 ضيا غوك آلب قد عدل بعد ذلك عن فكرته هذه وذلك فى منظومة تحت عنوان (وطن) التى نشرها فى
 كتابه (بكى حبات) أى الحياة الجديدة عام ١٩١٨م وأصبحت الفكرة المثالية للوطن الجديد المنشود أو «
 وطن مفكوره سى » تعنى فقط الأرض التى يعيش عليها الأتراك وهى تركيا بحدودها المعروفة وذلك دون
 النظر إلى الأرض التى فقدتها الدولة العثمانية أو التى استقلت عنها وإنما الوطن هو الأرض التى تعيش
 عليها أمة الترك وتقيم عليها صناعاتها وفنونها ومؤسساتها .

انظر : Nihad sami Banarli Resimli Türk Edebiyatı , Tarihi , c . 11 - s 1114 .

ونحن أمام شاعر قومى عنصرى تتعارض دعوته مع دعوة محمد عاكف إلى الجامعة الإسلامية .

— Aman şu «hâlet-i rûhiyye» bir de «mefkûre»

Ayıp değil ya, gıcıklar benim sinirlerimi!

— Niçin sinirleniyorsun? Taassubun yeri mi?

Biraz değişimeli artık bu eski zihniyyet...

«Lisana hiç yenilik sokmayın!» demek: cinnet.

— Hayır taassub eden yok... Şu var ki: icâbı

Tahakkuk etmeli bir kerre; bir de, erbabı

Eliyle, olmalı matlûb olan teceddüdler...

1 — Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 244.

فكر أليس الأمر كذلك عندنا ؟ بلا شك

لا اعتقد « ليس واقعاً »

دليل ذلك : هو كلماتك أنت نفسك

أنا ، أكلماتى أنا ؟

نعم

ماذا قلت ؟ لقد نسيت

يا حبيبى كلمة « ذهنيته » تلك

ألم تروق لك

ألا يوجد فى الفرنسية *mentelité* ؟

إنه ما يقابلها .

فالحقيقة أن هذا هو بيت الداء (١) .

Düşün ki böyle midir bizde?

— Şüphesiz.

— Ne gezer!

Delil: kendi sözündür...

— Kimin, benim mi?

— Evet!

— Ne söylemiştim? Unuttum...

— Canım şu «zihniyyet!»...

— Beğenmedin mi? Fransızca yok mu «mentalité»?

Onun mukabili...

— Zaten budur ya dert iste!

[-Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 244

يقول العالم التركي فاروق تيمورتاش : الواقع أن محمد عاكف هو رجل فكر وشاعر قومي، ولكن قومية عاكف تختلف قليلا عن مفهومنا نحن عن القومية . وأيضا لا يمكن أن نطلق عليها اسم أمية (ümmetçilik) فإن القومية التي نادى بها عاكف هي حب الوطن والشعب الذي يقوم أساسا على عنصرى الدين والوطن ويستمد عناصر قوته من التاريخ وتتماشى مع ما كان يستوجبه وضع الإمبراطورية آنذاك فعلى هذا فهي قومية تركية إسلامية . إلا أنها لا تحتوى كل العالم الإسلامى ولكنها كانت قائمة على مفهوم احتواء العناصر الإسلامية داخل الإمبراطورية العثمانية ^(١).

يقول محمد عاكف : " ولكن نحن ماذا كنا سنفعل ؟ هل كنا سنقوم بتشكيل حكومة إسلامية عظيمة وضخمة عن طريق توحيد كل المسلمين ؟ لا " ^(٢).

إن عاكف لم يكن يتصور قيام قومية لا ترتبط بالدين ولكن كان يرى وجوب إنصهار القومية بالدين على أنهما شئ واحد لا يمكن فصله .

نراه قد وقف بالمرصاد ضد كل الأفكار والنظريات الهدامة والمعادية للقومية وعلى رأسها الشيوعية والشمولية السياسية « Cosmopoletice » ومع هذا فإننا لمجد محمد عاكف قد عارض تيار القومية التركية ، الذى كان قد اشتد آنذاك ، وكان يؤمن إيمانا عميقا بأن التيارات القومية القائمة على أساس عنصرى مثل القومية التركية ، الأرناؤطية ، الكردية ، الشركسية . كل هذه تفسد الوحدة وتؤدى إلى تمزيق البلاد .

يقول عاكف فى ذلك : " أن الأسباب الرئيسية وراء المصائب الحالية باتى على رأسها التمزق الذى نتج عما يسمى بالتيار القومى ، أى حال تردينا إليه خلال أربع أو خمس سنوات بسبب هذا التيار ؟ لقد أزهقنا جيوشنا من أجل إخفاء الفتن والثورات التى ظهرت بسبب ما يسمونه بالقومية فخرجنا من ثورة لتدخل ثورة أخرى وخرجنا من أزمة لتدخل أزمة أخرى (١٣٢٩ حرب البلقان) ^(٣) .

إن الإسلام الذى يجمع تحت ظله وحدة إسلامية واحدة كل هذا العدد المتباين من الأقوام ، فإن الزلزال الذى سوف يهدمه من أساسه هو زلزال القومية (العنصرية) إن الألفية هي نسيان ذلك لمدة لحظة .

١ - Mehmet Akif ve Cemiyetimiz , Ankara , 1987 . s. 53 .

٢ - محمد عاكف : سبيل الرشاد المجلد رقم (٩) العدد (٢٣٠) ص (٣٧٥) .

٣ - المرجع السابق : ص (٣٧٤) .

يقول عاكف : " إن هذه الأمة لا يمكن أن تمضى فى طريقها بما يسمى بالعربية والارناؤطية. إن ما يسمى الحزب أو القومية إنما هو انفصال دائم " (١).

ويقول أيضا : " أهنالك ما يعرف باسم العنصرية فى الإسلام حاشا ! إن الرسول ﷺ يلعب فكرة القومية (العنصرية) إن أكبر أعداء روح رسول الله ﷺ هى الفرقة " (٢).

كما يرى محمد عاكف أن سلامة وأمن البلاد هو فى أن ترتبط العناصر المسلمة حول رباط الإسلام وأن ترتبط العناصر غير المسلمة برباط الوطن .

ويقول محمد عاكف أن فكرة القومية سوف تقودنا إلى التمزق والانحلال والواقع أن السماح للتيارات القومية بالظهور والتكون كان يعنى آنذاك خطوة إلى الأمام فى طريق الإمبراطورية والقضاء عليها (٣).

يقول محمد عاكف على أثر اندلاع الثورات القومية الانفصالية فى منطقة البلقان

حيثما أرى أمامى سهلا مخضبا بالدماء

أهو أنت ، أم هو خيالك ؟ يا قصوره (٤) الخائنة

إن كل شبر فيك كان مليئا بآلاف المفاخر ... فأين

أين ذلك الطريق الذى شقه « يلدرم » فى صدرك وعبره

أين الجنود ؟ أين الشاه الشهيد الذى يرقد فى قلبك

آه فأين ضحية النصر أين هو اليوم ؟ (٥).

١ - صفحات : الكتاب الثانى سلجانيه كرسى سنده (على منبر السلجانيه) ص ١٧٨ .

٢ - المرجع السابق ص ٤٣٢ .

٣ - الصراط المستقيم ، المجلد الثالث العدد ٧٨ ص ٤٠٩ .

٤ - اسم بلد من بلاد البلقان تتبع الصرب الآن وتقع فى الجنوب .

Nerde oluam çıkıyor karşıma bir kanlı ova...

Sen inuün, yoksa hayalin nü? Vefâsız Kosova!

Hani binlerce mefâhirdi senin her adımın?

Hani sinende yarıp geçtiği yol «Yıldırım» ın?

Hani asker? Hani kalbinde yatan Şâh-ı Şehîd?

Ah o kurban-ı zafer nerde bugün? Nerde o iyd?

5- Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 2064

أجبنى يا مشهد ، لأركع وأقبل ثراك أجبنى
ألا يوجد على ثراك بقعتين أو ثلاث من دماء مراد (١).

.....

ليحكم قطاع طرق قراداغ (الجبل الأسود) وحمير الصرب وأفاعى البلقان
ومن بعدهم كلاب اليونان حصارهم حول الوطن
وليمزقوا جيوشنا شز ممزق
وليخرجوا من ديارنا ويستولون عليها
البعض كانوا طعاماً للسيوف ممن لا سند لهم
والبعض أرتقوا فى الأحضان تلفهم آلاف الفجائع
ما تهتكت أعراض البعض وسفكت دماء الآخرين (٢).

.....

هكذا يا عناصر التمرد والثورة هذا الاضحلال المؤلم
إن الذين أثاروكى حفنة من الأشرار الفاسدين
فلماذا كنتم لا تنتظرون هذه العاقبة الوخيمة
ألم تكن ملتك الإسلام ... فما هى القومية إذا ؟ (٣).

Söyle, Meşhed, öpeyiñ secde edip toprağını:
Yok mudur sende Murâd'ın iki üç damla kanı?

1-Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 204

Karadağ haydudu, Sırp eşeği, Bulgar yılanı,
Sonra Yûnân iti, çepçevre kuşatsın vatânı..
Târumâr eyleyiversin de bütün ordumuzu..
Bizi kovsun, elimizden alarak yurdumuzu..
Kimsesiz ailelerden kimi gitsin bığağa;
Kimi bin türlü fecâatle çekilsin kucuga.
Birinin ırzı heder, diğerrnin hûnu belâl

İşte, ey unsur-u isyan, bu elim izmihlûl,
Seni tahrîk eden üç beş alğın ma'rifeti!
Ya neden beklemiyordun bu rezil âkibeti?
Hani, milliyyetin Islâm idi... Kavnîyyet ne!

2-Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 205

ليتك كنت تمسكت بملتك واعتصمت بها
 ماذا تعنى الأرناؤطية (الألبانية) ؟ ألها محل فى الشرع ؟
 إن تفضيلك لقوميتك على « ملتك » كفر ليس إلا
 أهناك فضل للعربى على التركى ، أو للأظ على الشركس أو على الكردى
 وهل هناك فضل للأعجمى على الصينى ؟ أين ذلك ؟
 أهناك عنصرية فى الإسلام ؟ كلا
 إن الرسول يلعن فكرة القومية
 إن الفرقة هى أعدى أعداء روح النبى ﷺ فليذهب إلى الجحيم
 ذلك الفاسق الذى أدخل هذا (الفكر) فى الإسلام (١)

.....

إن الصبح قد لاح فاستيقظى أيتها الأمة المرحومة
 هل فتر احساسك بصوت الأذان فتدق الأجراس (٢)
 ويتناول محمد عاكف الوحدة الإسلامية ويهيب بالمسلمين أن يتمسكوا بالإسلام وينبذوا
 فكرة القومية والعنصرية لأنها من عمل الشيطان وأن فكرة القومية هذه سوف تزلزل
 الإسلام من أساسه وينتهى الأمر بالمسلمين إلى الضياع ويصبحوا لقمة سائغة لتلثمها
 أوربا .

Sarılip sınısıki dursaydın a milliyetine.
 «Arnavutluk» ne demek? Var mı şeriatte yeri?
 Küfr olur, başka değil, kavmini sürmek ılerı!
 Arabın 'Türke; Lâzın Çerkese, yahut Kürde,
 Acemin Çinliye rüçhâni mı varmış? Nerde!
 Müslümanlıkt: «anâsır» mı olurmuş? Ne gezer!
 Fıkr-i kavmiyyeti tel'in ediyor Peygamber.
 En büyük düşmanıdır ruh-ı Nebi tefrikânı!
 Adı batsın onu Islâm'a soker kaltabanın!

1-Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s ٢٥٦.

Arık ey nûllet-i merhûme, sabah oldu uyan!
 Sana az geldi ezanlar, diye ötsün mü bu çan?

2-Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s ٢٥٦

يقول عاكف :

بينما كان ينبغي أن يجعلكم الإسلام بنيانا واحدا قويا عزيزا
لم أفهم ولم استطع أن أفهم
كيف استولى عليكم إحساس الفرقة
أهو الشيطان الذي دس فكر القومية في أذهانكم
إن كل هذه الأتواء المتباينة
قد وحدها الإسلام وجعلها أمة واحدة
وإن زلزال القومية هو الذي سيقوض دعائمها
إن نسيان ذلك للحظة واحدة لهو الخسران المبين
إن هذه الأمة لا يمكن أن تمضي في سبيلها وهناك دعاوى العربية والأرناؤطية
إذا كانت هذه هي آخر لعب السياسة فإن سياسة كهذه لن تدوم^(١)

١ - يلاحظ أن ناشر الكتاب قد ذكر أن المتن الأصلي كان على النحو التالي :

Son Siyaset ise Türklük , 6 siyaset yürünez

ومعناه : إذا كانت لعبة السياسة الأخيرة هي دعوا التترك فتلك إذا سياسة خاسرة .

Müslümanlık sizi gâyet sıkı, gâyet sağlam,
Bağlamak lâzım iken, anlamadım, anlıyamam,
Ayrılık hissi nasıl girdi sizin beyninize?
Fikr-i kavmiyyeti şeytan mı sokan zihninize?
Birbirinden müteferrik bu kadar akvâmı,
Aynı milliyetin altında tutan İslâm'ı,
Temelinden yıkacak zelzele, kavmiyyettir.
Bunu bir lâhza unutmak ebedî haybettir..."
Arnavutlukla, Araplıkla bu millet yürümez!..
Son siyasetse bu! Hiç böyle siyaset yürümez!"

1 - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 178 , 179

لقد قال الأجداد « إن القلاع تؤخذ من داخلها »
 يقصد أن فساد أهلها يسهل الاستيلاء عليها
 ليس هناك من يصفى إلى ... أن الأمة المرحومة صماء !
 إن المحكوم عليه بالزوال ليس واحداً إنما هي الدولة الإسلامية كلها
 لقد قُبر المسلمون جميعاً من جراء تلك السياسة
 أن العدو لا يستطيع أن يندس داخل الأمة قبل أن تستولى عليها الفرقة
 كلما كانت دقات القلوب واحدة فإن المدافع لا تخمد
 دعوكم من الحكومات السابقة
 كفى : انظروا حولكم واعتبروا إن كان لكم فى ذلك عبرة
 ها هي فاس المغرب وتلك تونس وهذه الجزائر قد ضاعت جميعها
 والآن جاء الدور على إيران وبدأوا يتقاسمونها
 وهذا امر طبيعى فإن الميدان فسيح للفارس المغوار ^(١).

Diye dursun atalar: «Ka'a içnaen alınır.»
 Yok ki hiçbir işiden . Millet-i merhûme sağır !
 Bir değil mahvedilen devlet-i islâmiyye .
 Girdiler aynı siyâsetle bütün makbereye.
 Girmeden tefrika bir millete, düşman giremez;
 Toplu vurdukça yürekler, onu top sindiremez.
 Bırakın eski hükûmetleri meydandakiler
 Yetişir, şöyle bakıp ibret alan varsa eğer.
 İşte Fas, işte Tunus, işte Cezâyir, gitti!
 İşte İran'ı da taksim ediyorlar şimdi.
 } Bu da gâyetle tabii, koşanıdır meydan;

إن الخالق (سبحانه وتعالى) قد منح حق الحياة للقوى
والمسلمون أصابهم الضعف بعد أن اهتلوا ببلاء الفرقة
ألا يمكن لأوروبا المتحضرة أن تمزقهم لقياسات ثلاث وتبتلعهم
يا أمة الإسلام كفى استيقوا بالله عليكم
وإلا فإن صوت الأجراس سوف يصم الأذان^(١).

والواقع أن فكر محمد عاكف بذكرنا بما قاله نامق كمال الذى كان يرى ضرورة التمسك
بفكرة العثمانية ، وكان نامق كمال يرى : " أن جميع أفراد الشعب داخل الإمبراطورية يجب
أن يشكلوا بنيانا متكاملا لا يتجزء دون النظر إلى الجنس أو المذهب " .
" وكان لا يمكنه أن يفكر بأسلوب آخر غير ذلك خاصة بما تمليه علينا ظروفنا الحالية . إذ
أن حب الوطن (الوطنية) كانت تحول دون ذلك " .

ذلك أن تبنى أى فكر آخر إنما كان سيسهل عليه انهيار الإمبراطورية آنذاك .
وكان عاكف يحزن حزناً شديداً لما تؤدي إليه التيارات القومية حينما تتخذ منحى أو
اتجاهها سياسيا وتؤدي إلى الفرقة والتمزق .
ومع هذا كان عاكف دائما يجيز قومية اللغة والثقافة ويستحسنها .
يقول :

" ماذا كان يحدث لو أن هذا التيار الملعون المعروف باسم القومية لم يتخذ شكلاً
سياسياً ، ومادام قد اتخذ شكلاً سياسياً (لو أنه قدم قليلاً ثقافة ولغة المجموع)^(٢) .

١ - يقصد عاكف هنا أن صوت الكنيسة سيملأ على صوت الأذان .

Yaşanuk hakkını kuvvetliye vermiş Yaradan.
Müslüman, fırka belâsiyle zebun bir kavmi,
Medenî Avrupa üç lokma edip yutmaz mı?
Ey cemâat, yeter Allah için olsun, uyanın!
Sesi pek müthiş öter sonra kulaklarda çanını!

Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 179

فماذا كان يحدث لو أنه حين شرع فى الإيقاع بين العناصر الإسلامية وتمزيقها عن طريق خطبه ومؤتمراته وصحافته ورسائله ونشراته ومراكزه الثقافية ، لو أنه قدم ولو قليلا عن طريق الوسائل السابقة ثقافة ولغة المجموع (الجماعة) ، فإننا بذلك كنا قد لمسنا أو عشنا بعض الخير لعلك الشر المستطير .

إن المحتمة الاجتماعية والتاريخية أدت إلى تجمع أناس من قوميات مختلفة داخل الإمبراطورية .

وإن إخراج هذه العناصر أو إبعادها مع بلادهم عن الإمبراطورية ليس من صالحنا وهذه الحركة لم تكن حركة عاقلة .

ويذهب فاروق تيمورتاش إلى أن محمد عاكف يرى أن بلوغ الوطن الكبير إلى درجة الكمال يتأتى ببلوغ كل جزء على حده ، وهكذا فإن الإمبراطورية لكى تصل إلى درجة الرفعة والتقدم الشامل (من جميع الوجوه) إنما يكون عن طريق تقدم ورفعة العناصر التى تشكلها كل على حده ، ولكن كيف كان سيمكننا تنمية وتطوير تلك القوميات المختلفة إلى درجة الكمال (١) .

ولكننا إذا تصفحنا أشعار وآثار عاكف نرى أن وجهة النظر التى عرضها تيمورتاش لا تتوافق مع دعوة عاكف إذ أن عاكف كان دائما بالمرصاد لكل ما هو قومى عنصري .
وهناك سؤال يطرح نفسه كيف سنستطيع تنمية وتطوير تلك القوميات إلى درجة الكمال؟ .

يرى عاكف أن السبيل إلى ذلك هو فى : أن ندع النهضة فى المجال الثقافى واللغوى لكل قوم لعلمايتهم وعقلايتهم وليعمل هؤلاء العلماء والعقلاء على الوصول باقوامهم إلى أعلى مستوى ولكى يتم توجيه هذه النهضة يتم تشكيل هيئة من هؤلاء مقرها العاصمة وتبدأ حركتها طبقاً لأسس معينة متفق عليها (٢) .

ويعلق تيمورتاش على رأى عاكف بقوله : "الواقع أن عاكف كان مخدوعاً فيما ذهب إليه ذلك أن الحركات القومية آنذاك كانت على أشدها . ولذلك فإن اقتراحه هذا كان لا يمكن قبوله بطبيعة الأمر .

لم يكن عاكف بعيد النظر تماماً في موضوع القومية . فنجد أن ضيا گول آلب استشف ببعيرته أن رباط الإسلام سوف لا يستطيع أن يكون كتلة واحدة من الآن فصاعداً .

ولقد كان الإنحلال قدراً مقدوراً على الإمبراطورية والواقع أن العناصر التي أردنا أن نربطها بالإمبراطورية قد تمادت في حركتها وأصبحت القومية أكثر اشتعالا . وناصبوا الأتراك العداء ، وإذا كان هناك عنصر واحد لم يناد بمبدأ القومية فهو نحن الأتراك . ولقد اكتشف ضيا گول آلب حاجتنا إلي مثل هذا واشعل فينا روح القومية ^(١) .

ثم يذهب تيمورتاش بعد ذلك إلى أن دعوة محمد عاكف إلي الوحدة الإسلامية قد تذبذبت وطرأت عليها تطورات وذلك تبعاً للأحداث السياسية التي كانت تمر بها الدولة العثمانية آنذاك يقول :

" وهنا يجب علينا أن نوضح هذه النقطة . أن ضيا گول آلب في بداية الأمر لم يستطع أن يفصح ويعلن أفكاره صراحة خشية هذا أو ذاك . فمثلاً لمحده في مؤلفه باسم Türkhes mek , islamlasmak Mussirlamak يقول أن الدولة يشكلها الترك والعرب ثم لمحده يفصح عن فكره بشكل كامل دون مواربة بعد قيام الجمهورية وإعلان الحكومة داخل حدود الوطن ^(٢) .

وهكذا فإننا لمحده محمد عاكف قد نحى هذا المنحى إبان حرب الاستقلال أي بعد انهيار الإمبراطورية وقيام الحكومة الوطنية لمحده في أشعاره يتحدث عن الجنس والقومية وتردد هذه الكلمات بين ثنايا أشعاره وهو يقصد بها بلا شك الجنس التركي والقومية التركية (انظر في ذلك على سبيل المثال استقلال مارشيه - نشيد الاستقلال) ^(٣) .

ولكن تيمورتاش قد جانبه الصواب فيما ذهب إليه ، ذلك أن عاكف إن كان قد كتب شعراً حماسياً يمجّد فيه بسالة وشجاعة الترك إنما لأنه كان يرى أنهم يمثلون الجماعة الإسلامية ويدافعون عن وحدة الإسلام .

وبينما نحن بصدد تحليل ونقد موقف عاكف إيذاء فكرة القومية يجب ألا ننسى أن نأخذ في الاعتبار الظروف والأوضاع الاجتماعية والظروف الشخصية والفكرية التي كان تحيط به آنذاك .

١ - Mehmet Akif ve Cemiyetimiz s. 56 .

٢ - انظر مؤلفه التشريك عام ١٩٢٤ م .

٣ - Mehmet Akif ve Cemiyetimiz s. 56 .

٤ - الدعوة إلى الوحدة الإسلامية تحت ظلال الجامعة الإسلامية :

لقد ذكرت من قبل أن جمال الدين الأفغانى يعتبر الرائد الأول الذى نهض لمقاومة فكرة القومية التى كانت قد بدأت تسود العالم الإسلامى فى نهاية القرن التاسع عشر ولقد دعا جمال الدين الأفغانى إلى الاتحاد الإسلامى أو الوحدة الإسلامية والتى عرفت باسم الجامعة الإسلامية وكما أن جمال الدين الأفغانى كان له التأثير المباشر على شعر محمد إقبال أيضاً كان له نفس التأثير فى محمد عاكف الشاعر المعاصر للأحداث ، والتطورات التى حدثت فى العالم الإسلامى آنذاك فكما ذكرت من قبل قد جال جمال الدين الأفغانى فى كثير من البلاد الإسلامية وكان من الطبيعى أن يزود تركيا دولة الخلافة الإسلامية .

وكان من الطبيعى أن تجد صحة جمال الدين الأفغانى صدى لها فى تركيا وخاصة عندما سافر إليها عام ١٨٧٠م وعقد الكثير من المؤتمرات فى مسجد آياصوفيا ومسجد السلطان أحمد وغيرهما من الأماكن ، مما أكسبه شهرة كبيرة .

وإذا كان الأفغانى انطلقاً من أحساسه بالمرارة على الفرقة التى أصابت المسلمين والضعف الذى حل بهم كانت دعوته إلى الوحدة الإسلامية . فإن شاعرنا محمد عاكف قد رأى اضمحلال أمته وانهارها ليرى الإسلام وقد جافاه أصحابه ليرى منابرهم ومساجدهم خالية من الجماعة ولم يكن هناك شئ يقلق عاكف على الإطلاق ويقلق مضجعه سوى أمر وطنه ومقدراته ^(١) .

ولقد تأثر محمد عاكف بكل من محمد عبده وجمال الدين الأفغانى وبدأ عاكف حياته الأدبية بترجمة أعمال محمد عبده عن العربية ونشرها فى مجلة الصراط المستقيم التى ترأس تحريرها عام ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨م .

واستقى من محمد عبده أفكاره الإصلاحية التى كانت تدرر حول تصفية عقيدة المسلمين وتربيتهم تربية إسلامية ، ثم توحيد صفوفهم أمام الاستعمار الغربى وحكام الشرق المستبدين. وقد عبّر الشاعر عن هذه المبادئ فى حوار تخيله بين محمد عبده وأستاذه جمال الدين الأفغانى ^(٢) :

حينما كان يتحدث محمد عبده أعظم أساتذة مصر

مع جمال الدين ، عن أى موضوع

كان يقول الأفغانى لتلميذه :

١ - فتحى عبد المعطى النكلاوى : محمد عاكف حياته وآثاره ، رسالة ماجستير غير منشورة ص

٢ - محمد هريدى : الأدب التركى الإسلامى ، ص ٢٠٥ .

اسمع يا محمد

إننى أنشد تغييرا سريعا ، لائى غير ذلك
نهوى إلى القاع لو لم نرتفع بالإسلام
لا تظن أن النظريات ستجدى فتिला

.....

هيا تذهب إلى أى مكان وليكن سودانا ،
ونفتح هناك مدرسة جديدة للعربان ،
ولنصحب معنا ثلاثة أو خمسة مجاهدين آخرين ،
ولنعمل على تهذيب الجيل والسمو به ^(١).

وكما ذكرنا من قبل فإن الوحدة الإسلامية التى دعا إليها محمد عاكف كان متأثرا فيها بمبادئ وأفكار محمد عبده ، ولما كان الاتحاديون هم القائمون على الحكم فى الفترة من ١٩٠٨ إلى ١٩١٨ وكان الصوت الأعلى فى سياستهم هو صوت دعاة القومي التركية وصوت ذوى النزعة العارمة إلى الغرب ، ولما رأى عاكف فى سياسته الاتحاديين والدور الذى أدوه بنشرهم فكرة القومية التركية سببا من أسباب الكارثة التى منيت بها الدولة العثمانية والتى أدت إلى تمزقها ، كان رفضه لفكرة القومية ناهيا من أنها وسيلة للفرقة ودعوة من دعاوى العنصرية التى تتنافى والإسلام ولذلك أنضم عاكف إلى الجناح الإسلامى فى حزب الاتحاد والترقى فكان انضمامه هذا استمرارا لنضاله فحاول أن يبين خطر الارتقاء فى أحضان الغرب والتخلى عن الإسلام ولكن لم تكن هناك أذان مصغية فلما نشبت حرب البلقان سنة ١٩١٣م وتلتها الحرب العالمية الأولى تألم محمد عاكف من ذلك ورأى فى هزيمة تركيا إنهيار آخر صرح للعالم الإسلامى ولكنه كان يأمل فى بعث الدولة التركية من جديد فقام بحث أبناء وطنه على التمسك بالإسلام مذكرا إياهم بأنه الوسيلة الوحيدة للخلاص ^(٢).

'Mısr'ın, en muhteşem Ustâdı Muhammed Abdü,
Konuşurken neye dâirse Cemaleddin'le;
Der ki tilmîzine Afgan'lı:

- ١

«— Muhammed dinle!

İnkılâb istiyorum, başka değil, hem çabucak.
Öne bizler dülûp İslâm'ı da kaldırmazsak,
Nazariyyât ile bir şeyler olur zannetme!...
Gidelim bir yere, hattâ şu bizim Sûdân'a;
Yeni bir medrese te'sîs edelim Urbân'a.
Daha üç beş de faziletli mücâhid bulalım,
Nesli tehzib ile, ilâ ile meşgûl olalım.

١ — Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s ١٤٤

٢ - د : عزة عبد الرحمن الصاوى : على منبر السليمانية لشاعر الإسلام محمد عاكف ص ١٩ .

يقول عاكف :

ما كان هواى أن أقف هكذا معقول اللسان ،
بل كان هواى أن اصرخ كى أوقظ الإسلام
فإنما يجيش صاحب العاطفة القوية والإيمان الفياض
أما أنا فقد كنت عاجزاً حتى عن التصادى فى التفكير ..
ولكن بمن أنادى ؟ ... ولقد تولى أصحاب الوطن !
نظرات ذات البعین وذات الشمال فإذا الأجانب قد احتلوا كل ناحية ،
فما كان منى إلا أن خنقت صراخى ثم أخذت جثمانه
وقطعته إربا إربا ثم دفنته فى شعرى ..
هيهات ، أن يغمر أنينى صفحات الوادى كأنه السيول !
فكأنى انحدرت بدون خربير مثل الدمع المنهمر
فلا أثر لأملى تحت هذه القبة الصماء
كما أن خيبتى تشن فى صفحاتى بدون عويل (١)

ولقد دعى محمد عاكف إلى الوحدة ونبذ الفرقة التى دبت بين المسلمين حتى أنه صدر
بعض قصائده بعض الآيات القرآنية التى تدعوا إلى الوحدة ومنها قصيدة (حالا مى
بوغوشمق) (إلى متى النزاع) سنة ١٩١٨م (٢) والتى استهلها بقول الله تعالى « ولا
تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » (٣).

Ben böyle bakıp durmayacaktım, dili bağı,
İslâmı uyandırmak için haykıracaktım.
Gür hışı, gür imanlı beyinler, coşar ancak,
Ben zaten uzunboyu düşünmekten uzaktım!
Haykır! Kime, lâkin? Hani sâhipleri yurdun?
Ellerdi yatanlar, sağa baktım, sola baktım;
Feryâdımı artık boğarak, na'sını, tuttum,
Ben parça edip şî'rine gömdüm de bıraktım.
Seller gibi vâdîyi eninim saracakken,
Hiç çağılamadan, gizli inen yağ gibi aktım.
Yoktur elemimden şu sağır kubbede bir iz;
İler «Safahat» ındaki husran bile sessiz!

١-Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 447

٢ - عزه عبد الرحمن الصاوى : گولگه لر / الظلال ص ٢٨ .

٣ - سورة الأنعام آية ٤٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم
ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم

دع الألسنة تقول : أنا أنت ، وفرق وحدة الجماعة !
فيومئذ تقوم القيامة التي تفنى الأمم .
غص في الماضي وطف بمحتشد تلك العهود الخوالي ،
فلن ترى لسنة الله تبديلا .

إن التاريخ وهو تلك الخربة الدامية التي نحفرها
تختبئ لحوداً لا حد لها وآثاراً لا عداد لها .^(١)
ويقول :

إن تلك الأحجار المحطمة على الأرض ،
إن هي إلا معان مهدمة لسطور جباه الأمم !
فإن استطعت جمع أشتاتها بيدك فسوف تسمع
العظة الجليلة التي تبدر من ثنايا تلك الألفاظ المبعثرة :
« كل حفرة أمة وكل هؤلاء الراقدين أمم ! »
وصروف الدهر دائرة تسوق إلى هذه النهاية ..
أيها الزائر التائه لقد سمعت إذن :
« تعددت الأسباب والموت واحد » .^(٢)

Sen! Ben! Desin efra, aradan vahdeti kaldır;
Milletler için işte kıyamet o zamandır.
Mâzilere in, mahşer-i edvârı bütün gez;
Kaanûn-u İlâhî, göreceksin ki, değişmez.

Târihi, o bizim çatığımız kanlı harâbe,
Saklar sayısız lâhd ile milyonla kitâbe.

1-Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 461

Taşlar ki biter parçadır üstünde zeminin,
Ma'nâ-yı perîşânı birer nakş-ı cebinin!
Eczâsını birleştirebildinse eline,
Gel, şimdi o elfâz-ı perâkendeyi dinle:
«Her hufre bir ümmet, şu yatanlar bütün akvâm;
Encâma bu ahengi veren aynı serencâm!»

Ey zâir-i âvâre, işittin ya! Demek ki:
Birmiş bütün ümmetlerin esbâb-ı helâki.

Mehmed Akif Ersoy :Safahat,s 461

انظر : محمد عاكف : الظلال ، ترجمة ابراهيم صبرى ص ١٣ - ١٤ .

ولكن لا أعرف أمن الصواب أن أشهد
 الماضى والأمم الغابرة ؟ هيهات !
 على جيل قد انطوى يومه على أحداث الدهور ؟
 ما الجدوى من إضاعة وقته بضرب الأمثال له من التاريخ ؟
 إنه لعبث أن تحس الأعماق تبتغى العبر ،
 على حين تزخر الآفاق والأنفس بالآيات !
 والذين يبصرون تلك الأسرار التى تتجلى فيها ،
 يدركون أين روح البقاء ، للأمم
 بيد أنى لا أعرف على أى شئ كنا نعتمد ونرجو الخير ،
 نحن الذين أغمضنا عيوننا عن تلك الآيات ؟
 هل اتعظ الشرق بما مر به من المواعظ والعبر ؟
 لقد مرت به الكوارث تترى وأهله فى خيبة بعمهون ^(١) .

Lâkin, bilemem, doğru mudur eylemek işhât.
 Mâzileri, mâzîdeki millelteri? Heyhât!
 Bir nesle ki, eyyâmı asırlarca vekaayi',
 Etmek ne demek, vaktini Lârih ile zâyi'?
 Boştur, hele ibret diye a'mâkı tecessüs,
 Ayât-ı İlâhî dolu âfâk ile enfüs.
 Bunlarda tecellî eden esrâra bakanlar,
 Ummetler için rûh-u bekaa nerededir, anlar.
 Bilmem neye bel bağliyerek hayr umuyorduk,
 Bizler ki o âvâta bütün göz yumuyorduk?
 Dünyada nasihat mi olur Şark'a müesir?
 Binlerce musibet, yine hâib, yine hâsir!

1-Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 467 c 4 62

انظر : محمد عاكف : الظلال ، ترجمة ابراهيم صبرى ص ٤٤ .

أيتها الأمة الميتة ، لقد غربت الشمس ألا تستيقظين ؟
 ألا يزال دوى السيول وأنين الآفاق
 الذى هز الأمم وهز حكوماتها يهددك لتستغرقى
 فى سباتك العميق الذى انغمست فيه طوال القرون ؟
 تلك الشعوب التى لا يحصى عددها
 لاتفتأ تدب ساعية فى طلب البقاء ،
 هم المحدوا لغاية واحدة وقاموا قومة واحدة
 رغم اختلافهم فى الجنس وفى اللغة
 وفى الأقاليم وفى الأخلاق وفى الحياة . . .
 وهذه أمة تفرقت لا بعدد عددها العشرات ،
 وما نزاعها إلا من الحرص على الجاه !
 إلى متى النزاع ، يا اللغظة يا للفضيحة !
 قالوا : لقد ظفرنا بالحرية ... آمنة بالغيب ..
 « وا أسفاه ، قد خسرنا فى هذه اللعبة أيضا »
 رسمينا الجماعة فرقة فانتهى ذلك إلى التفرقة
 وإلى هدم كيان الأمة بينما كان يثيان قوياً (١) .

Ey millet-i merhûme, güneş battı... Uyansan!
 Hâlâ mı, hükûmetleri, dünyâları sarısan,
 Seylâbelerin sesleri, âfâkın enini,
 A'sâra süren uykun için gelmede hinni?
 Efrâdı hemen milyar olur bir sürü akvâm,
 Te'mîn-i bekaa nâmına eyler durur ikdâm.
 Bambaşka iken her birinin ırkı, lisânı,
 Ahlâkı, telâkkîleri, iklimi, cihânı,
 Yekpâre kesilmiş tutulan gâye için de.
 Vahdetten eser yok bir avuç halkın içinde!
 Post üstüne hem kavgaların hepâi nihâyet;
 Hâlâ mı boğuşmak? Bu ne gaflet, ne rezalet!

«Hürriyyeti aldık!» dediler, gaybe inandık;
 «Evvâh, bu bâziçede bizler yine yandık!»
 Cem'îyyete bir fırka dedik, tefrika çıktı:
 Sapağları iken milletin erkânını yıktı.

1— Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 462

انظر : محمد عاكف : الظلال ، ترجمة إبراهيم صبرى ص ٤٤ - ٤٥ .

وخلقنا أسطورة « وطن التوران » *

وكم بذلنا المجهود لتحقيق هذا الحلم المنشود ؟

وكم خسرنا من البلاد في هذا السبيل ؟

كفى ماضع فأشفقوا على ما بقى ! .. (١)

وبحاول عاكف أن يستحث همم المسلمين دائماً ويناشدهم أن يهبوا إلى الجهاد والقضاء
على كل من تسول له نفسه أن ينال من وحدة الإسلام والمسلمين ، يقول في قصيدته
المعروفة باسم : أغنية الحرب :

امضى في طريقك ودع وطنك يرعاه الله

قل الحرب وسر حتى ينجو الوطن

أهذا الغزو ميسر لكل عبد ؟

هيا أيها الجندي المغوار صاحبتك السلامة

.....

هيا إلى البلقان محلقا مثل الطائر

وأعمل سيفك في البلغار المسعورين

حتى لا تقوم لهم قائمة أمام العثمانيين

أذهب وعد يابنى صاحبتك السلامة (٢)

* - الوطن القومي التركي الأسطوري .

«Türân İlis» nâmiyle bir efsâne edindik;
«Efsâne, fakat, gâye!» deyip az mı didindik?
Kaç yurda veda etmedik artık bu uğurda?
Elverdi gidenler, acıyın eldeki yurda!

1 - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 462

Yurdunu Allah'a bırak çık yolu:
«Cenge» deyip çek ki vatan kurtula,
Böyle müyesser mi gazâ her kula?
Haydi levend asker, uğurlar ola.

«Yükselerek kuş gibi Balkanlara
Öyle satır at ki kuduz Bulgar'a:
Bir daha Osmanlı'ya güç sırtara!
Git de gel evlâdın... uğurlar ola.

2 - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 552

بوضع عاكف الخطر الذي يترصص بالدول الإسلامية ، فالدوا، الأوربية كانت دائما بالمرصاد لوحدة المسلمين فكانت تحين الفرص لمهاجمة لدول الإسلامية والقضاء على أى تجمع إسلامى ونرى محمد عاكف فى هذه القصيدة يبين لنا مدى تحالف الدول الغربية والصليب المسيحى لقضاء على الهلال .

يقول محمد عاكف فى قصيدته التى تحدث فيها عن حرب چانق قلعه :

أن العالم القديم والحديث وكل أقوام البشر

تحاكى الرجال عدد وكأنها طوفان ، بل أنه يوم الحشر

إن أقاليم الدنيا السبع تقف فى مراجعتك

فإذا نظرت وجدت كندا مع استراليا

الوجوه متباينة والألسنة مختلفة وألوانهم عديدة

هناك فى الميدان حادثة واحدة فقط شئى ينم عن الوحشية

فمنهم من هو هندى ومنهم من هو آكل لحوم البشر ومنهم من لا أعرف أى بلاء .^(١)

Eski Dünya, Yeni Dünya, bütün akvâm-ı beşer,
Kaynıyor kum gibi, tûfan gibi, mahşer mahşer.^(١)
Yedi iklimi cihânın duruyor karşında,
Ostralya'yla beraber bakıyorsun: Kanada!
Çehreler başka, lisanlar, deriler rengârenk;
Sâde bir hâdise var ortalda: Vahşetler denk.
Kimi Hindû, kimi yamyam, kimi bilmem ne belâ...

لو نظرت لوجدت خيالا واضحا من أجساد الشهداء
 إن تلك الرؤوس ما كانت لتنعنى فى العالم لولا الركوع
 لقد أصيب فى جبينه الطاهر وهو يرقد بمدأ
 يا الالهى كم من شمس تغرب فى سبيل هلال^(١).

ثم يعود عاكف مرة أخرى ليؤكد على ضرورة الوحدة بين المسلمين لأنها السبيل الوحيد
 لخلاصهم من هذا الضعف

ويقول فى الكتاب الخامس فى قصيدة من صحارى لمجد إلى المدينة :
 أن الأبدى التى تملأ الفضاء تتضرع إلى الحق
 تشق أعناق الفضاء وتبحث عن نور يعينها
 الألسنة مختلفة متباينة والأصوات متداخلة
 كل منها كلف يتضرع إلى المولى ... وهى ضراعة واحدة
 نعم إن هذا العجوز الذى يقف فى المقدمة من سرنديب
 وذاك المغربى المسكين الذى يقف فى الصفوف الخلفية
 يحلق فى سماء الرحمة مستغرقاً
 سواء فيما يتعلق بهذا العالم أو بالآخرة^(٢).

Şühedâ göğdesi, bir baksana, dağlar, taşlar...
 O, rükû olmasa, dünyâda eğilmez başlar,
 Yaralanmış temiz alından, uzanmış yatıyor;^(١)
 Bir hilâl uğruna, yâ Rab, ne güneşler batıyor!

1-Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 426

Fezâyı dolduran eller ki Hakk'a yalvarıyor;
 Yarıp da loşluğu bir müttekâ-yı nûr arıyor!^(١)
 Bu başka başka lisanlar, bu herc ü merc âvâz,
 Birer niyâz idi Mevlâ'ya... Hem de aynı niyâz!
 Evet, şu önde duran ihtiyar Serendib'li,
 Yn arka saflara düşmüş zavallı Mağrib'li;
 Dalıp dalıp gidiyorken semâ-yi merhamete,
 Gerek bu âleme âid, gerekse âhirete,

2 - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 357.

ماذا عساه يطلب حتى أطلب أنا أيضا معه ؟
 أنا ذلك الذى احن لكل منهم على حدة
 اتفترق الأرواح التى اندمجت فى الأزل
 أيمكن لها أن تتزعزع فى وحدتها حتى ولو انهار العالم
 إن منبرنا واحد وعرشنا واحد وديننا واحد
 إن النور الذى انتظره أنا هو غاية أيضا
 يا الهى أبعث لنا بذلك النور لقد مرت العصور والدهور
 فكفى لقد تلبدت آفاق الأمة وتريد أن يشرق الصباح
 وخلص بعنايتك الإسلام الذى ينتفض
 حتى لا تحتويه موجات الظلام

Ne istesin ki, beraberce ben de istemeyim?
 Şu ben ki... Her birinin ayrı ayrı kardeşiyim.
 Ezelde kaynayan ervâha ayrılık var mı?
 Cihan yıkılsa bu vahdet yerinden oynar mı?
 Olunca minberimiz, argımız, Hudâ'muz bir;
 Benim de beklediğim nûr onun da gâyesidir.
 O nûru gönder, ilâhî, saârlar oldu, yeter!
 Bunaldı nûlletin âfâkı, bir sabâh ister.
 İnâyetinle halâs et ki, dalga dalga zalâm
 İçinde kaynamasın çarpınıp duran îslâm!...

1-Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 357.

وبعد ذلك يرى عاكف أن الأمل الوحيد لنجاة المسلمين من حالة الضياع التي يعيشون فيها هي وحدة المسلمين وبحاول محمد عاكف أن يذكر المسلمين بماضيهم .

فنجد محمد عاكف يعود بذاكرته إلى الماضي فيذكر معركة اليرموك وكيف كان اتحاد شمل المسلمين سبباً في غلبة الإسلام في أعظم المعارك الفاصلة في تاريخ إمبراطورية الروم والإسلام^(١). فيتحدث في (وحدث) « الوحدة » التي ألفها عام ١٩٢٥م :

قال حذيفة العدوي : « حميت المعركة

في حرب اليرموك وكان يوماً شديداً الحر

وكاد يهدأ وطيس القتال وقت العصر

فألقيت السلاح وبادرت إلى الماء

أحملة لإمداد المجاهدين

من جرحوا جروحاً خطيرة في النواحي البعيدة

يا لها من معركة ! .. كان صدر الأرض بأسره مضرجاً بالدم ،

سرت أحدث نفسي : ما أكثر هؤلاء الشهداء الذين رقدوا

وتفتحت قلوبهم لرحمة الله ! أما منهم من غاز لا يزال على قيد الحياة ؟

إذا بى أسمع أنينا عميقاً ولكن من أين هذا الصوت ؟^(٢).

١ - عزه عبد الرحمن الصاوي : كوكبه لـ / الظلال ص ٣٠ ، ٣١ .

Huzeyfet-ül Adevi der ki:

« — Harb-i Yermük'ün,

Yaman kızıştığı bir gündü, pek sıcak bir gün.

İkindi üstü biraz gevşeyince, sanki kital,

Silâhı attım elimden, su yüklenip derhal,

Mücahidin arasından açıldım indâda,

Ağır yarayla uzaklarda kalmış efrâda.

Ne ma'rekeydi ki, çepçevre, göğsü kandı yerin!

Hudâ'ya kalbini açmış, yatan bu gövdelerin,

Şehidi çoksa da, gâzisi hiç mi yok?... Derken,

Derin bir inleme duydum... Fakat, bu ses nerden?

2-Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 485.

إن الصدر التي تحسستها قد فارقت الحياة ..
 وإذا الجريح الذي يشن هو ابن عمي !
 قلت هذا الماء ، فهل لك شيء منه ؟
 كاد يقول لي هات ... وإذا بي أسمع
 أنينا من الخلف ، فرأيت في عينه الرحمة
 وكأنها تقول : « إذهب إليه » مشيراً إلى مصدر الأنين !
 ألححت عليه فلم يشرب وعبثا كان اصراري
 فاسرعت نحو الصوت الذي ارتفع فإذا به : هشام بن العاص !
 مارأى ظلي حتى أنقطع أنينه فجأة
 كان نظر المسكين بدور طالبا ماء ،
 انحنيت لأسقيه وإذا بأهة ثالثة قصيرة
 تنطلق بحسرة من الأمام بغتة ،
 هذا هشام يشير بحاجبيه
 وهو بين الحياة والموت ، قائلاً : لا أريد إذهب واسق المستغيث !^(١)

Sırayla okşadığım sineler bütün bi-rûh...
 Meğerse aıncamın oğluymuş inleyen mecrûh.
 Dedim: «Biraz su getirdim, içer misin, versem!»
 Gözüyle: «Ver!» demek isterken, arkadan bir elem,
 Enine başladı. Baktım: nigâh-ı merhameti,
 «Götür!» deyip bana inâda ses gelen eiheti.
 Ne yapsam içmiyecek, boştu, anladım, ibrâm;
 O yükselen sese koştum ki: Âs'ın oğlu Hişâm.
 Görünce gölgemi birden kesildi nevhuları;
 Su istiyordu garibin dönüp duran nazarı.
 İçirmek üzre eğildim, üçüncü bir kısa «ah!».
 Hırâlarla boşanmaz mı karşıdan, nâgâh!
 Hişâm'ı gör ki, o hâlinde kaşlarıyla bana,
 «Ben istemem, hadi, git ver, diyordu, haykırana.»

1 - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 495.

بحشت برهة على المحتضر الذى يتأوه
وأدركته أواه ! لقد شخص نظره إلى بارئه ..
قلت ليتنى أدركت هشاما حيا فرجعت
وإذا الموت كان أسرع منى إلى فريسته ،
لم يبق لى أمل إلا فى ابن عمى
وعدوت فلما بلغتْه كان هو أيضا بطلا شهيدا ! ..
.....

إن الشرق الذى قد ملئ ماضى كماله بالفاخر
يالها من قرحة الآن لا تلتئم يارب !
كأن عقد الإيمان قد انتشرت جباته ،
لتترنح على الأرض متقطعة ومتداعية ،
هل كانت الوحدة شعاره ؟ انظروا الآن
كل قطعة منها أصبحت لعبة فى يد الأيام ! ...
أيتها الأمة الضالة بسم التفرقة !
بيننا وعد تاريخك من الأزل بالخلود ،
فهل لاتزالين فى الطريق التى تؤدى إلى الزوال ؟
لاحول ولا قوة إلا بالله ! .. (١)

Epey zaman aradım âh eden o muhtazarı...
Yetiştim, oh, kavuşmuştu Hakk'a son nazarı!
İtişâm'i bâri bulaydım, dedim, hemen döndüm:
Meğer şikârına benden çabuk yetişmiş ölüm!
Demek, bir aincanın oğlunda vardı, varsa, ümit...
Koşup hîzâsına geldim: o kahraman da şehit.»

..

Şark'ın ki mefâhir dolu, mâzî-i kernâli,
Yâ Rab, ne onulmaz yaradır şimdiki hâli!
Şirâzî kopmuş gibi, manzûme-i îman,
Yaprakları yırtık, sürünür yerde, perişan.
«Vahdet» mi şîrîydi? Görün şimdi gelin de:
Her parçası bir mel'abe eyyâmın elinde!
Târîhine mev'ûd-u ezelken «ebediyyet»,
Ey, tefrika zehriyle şağırmış giden, ümmet!
«Nisyan» a çıkan yolda' mı kaldın güm-râh?
Lâ-havle velâ-kuvvete illâ-billâh!

1 - Mehmed Akif Ersoy : Safahat , s 486

انظر : محمد عاكف : الظلال ، ترجمة ابراهيم صبرى ص ٧٥ .

الفصل الثاني

موقف عاكف
من قضية الخلافة



محمد عاكف وقضية الخلافة

القضية الثانية التي حاول محمد عاكف أن يعالجها في أشعاره هي قضية الخلافة ، فالخلافة العثمانية التي تمثل الخلافة الإسلامية في ذلك الوقت قد تعرضت في الفترة التي كان يعيش فيها الشاعر محمد عاكف إلى أخطار كبيرة . فقد تكالبت جميع الدول الأوربية للقضاء على الدولة العثمانية دولة الخلافة ليقسموا ممتلكاتها فيما بينهم ، لأنهم كانوا يرون أن الخطر الأكبر الذي يهدد أوربا هو الإسلام الذي يرتبط بوحدة واحدة متمثلة في الخليفة والخلافة ، لذا كان لابد من إنهاء الخلافة الإسلامية ، وهكذا نجد أن الدول الأوربية عملت على التغلغل في الدولة العثمانية دولة الخلافة إما عن طريق التغلغل الثقافي وإما بالطرق الاقتصادية أو العسكرية . فتم استقطاع أجزاء كبيرة من الإمبراطورية وكذلك أيضاً بتشجيع الأقليات غير المسلمة داخل الإمبراطورية بالثورة والانفصال وإحداث قلاقل ، كل هذا أدى بالشاعر محمد عاكف أن يتغنى بمفاخر الدولة العثمانية في عصورها الذهبية . وهذه الأشعار التي يضمها ديوان عاكف تنطوي كلها على رسالة فكرية يعالج فيها موضوعات سياسية إسلامية شتى لهذه الدولة المغلوبة على أمرها ^(١) .

وحين اندلعت الحرب العالمية الأولى وهزمت تركيا وحاربت بدون الأمة العربية لأول مرة ، رغم ذلك لم يفقد الشاعر الأمل وانضم إلى صفوف المقاتلين في حرب الاستقلال ، وكان يرى في هذه الحرب الأمل الأخير لانتصار الأتراك المسلمين وعودة الإسلام قوياً في تركيا واشتغل في نفس الشاعر حماس المجاهد فظل يطوف مدن الأناضول واعظاً في المساجد ، وأصدر مجلة « سبيل الرشاد » ، وترجم كتاب « التشكيلات السياسية في الإسلام » عن الفرنسية لسعيد حليم باشا ونظم « نشيد الاستقلال » الذي لا يزال النشيد القومي لتركيا حتى الآن ، يردده كل طفل وشيخ . بيد أن آمال الشاعر في عودة تركيا لقيادة العالم الإسلامي تحطمت على صخرة الانقلاب الكمالي التي لم تكن لتتفق وأهدافه ومبادئه الإسلامية فلم يكن إلغاء الخلافة الإسلامية ، وإغلاق المعاهد الدينية والمحاكم الشرعية والتكاييا وإجبار الناس على إرتداء القبعة بدلا من الطربوش وتحريم الحجاب على المرأة وتغيير الحروف العربية إلى اللاتينية لترضى الشاعر ^(٢) . كل ذلك جعل محمد عاكف يفقد الأمل في عودة تركيا رائدة وراعية للوحدة الإسلامية ومقرراً للخلافة الإسلامية .

ويمكن تقسيم العناصر التي تناولها عاكف فيما يخص قضية الخلافة إلى : -

١ - محمد عاكف : الظلال ، ترجمة إبراهيم صبرى ص ١٨ .

٢ - محمد عيد اللطيف هريدى : الأدب التركي الإسلامى ، ص ٢١١ .

١ - عاكف ومبدأ الخلافة الإسلامية :

إن عاكف يرى أن الخلافة الإسلامية المثلثة في سلطان الدولة العثمانية لازمة من لوازم الدولة الإسلامية .

وقضية الخلافة لا يمكن تناولها منفصلة عن فكرة الجامعة الإسلامية ، ذلك لأن وحدة العالم الإسلامي عندما تتحقق لابد من أن يوجد على رأسها خليفة يجمع شتات المسلمين ويحيى عصر الدولة الإسلامية في صدر الإسلام . إن عاكف الذي طالب في معظم أشعاره بوحدة المسلمين لم يعلن صراحة رأيه في قضية الخلافة . ونحن إذا حاولنا أن نبحث عن أسباب ذلك وجدناها كثيرة ومتعددة ، منها أولاً : إن الخلافة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالوحدة الإسلامية كما ذكرنا فالخليفة رمز لوحدة العالم الإسلامي ، ومن هنا فإنه يمكن القول أن شاعرنا لم يجد ضرورة ملحة للإقصاص بشكل مباشر عن ضرورة وجود خليفة على رأس الدولة ذلك أن الخليفة المثل في سلطان الدولة العثمانية كان موجوداً بالفعل ولكن ينقص العالم الإسلامي في ذلك الوقت التوحد والاتصاء تحت لواء الجامعة الإسلامية ونبذ القومية العنصرية .

وبهيب عاكف بالمسلمين أن يحافظوا على السلطنة العثمانية ، ومن المعروف أن سلطان الدولة العثمانية هو خليفة المسلمين مما يعنى تمسك المسلمين بالسلطنة هو تمسك بالخلافة . يقول عاكف :

لقد أسسوا هذا الصرح لدولة عظيمة بعد حياة بداوة
فهل يجوز أن ينهض الأجداد ويروئكم تسكنون خيام مبشرة
قلت مبشرة خيام مبشرة وأخشى أن يصبح هذا أيضاً
إذا إنهار وطنكم * معاذ الله ^(١)

ومع هذا لمجد عاكف وهو يدعو المسلمين إلى الالتفاف حول رأس الدولة وهو في نفس الوقت خليفة المسلمين ، ويذكر المسلمين أن التخلي عنها سيؤدي إلى تفككهم وضياعهم يقول عاكف.

* - النص الأصلي في الطبعة الأولى للدبران هو : Saltant devrilecek olsa , iyâzen billâh,
وترجمة الشطر هذه : إذا إنهارت السلطنة معاذ الله .

١- Güçbeyken koca bir devlete kurmuş bünyât,
Çerge hâlinde mi görsün sizi kalkıp ecdât?
«Çerge hâlinde...» dedim... Korkarım ondan da tebâh:
Yurdunuz bir çökecek olsa, iyâzen billâh.

نعم نعلم علوم العصر للشباب
ولكن مع تبجيل واحترام المقدسات
إذا كنتم تقصدون حياة الوطن
فانظروا أى ركن من أركان الإسلام
استطاع أن يحفظ هذا الوطن المشترك من التمزق
فلا تشاققوا وراء دعاة الإصلاح وتهملوه
إن هذه الأمة إذا أفلحت فسيكون فلاحها لاغتصامها بهذا الرباط
فإذا انفرط عقدها انتهى كل شئ معاذ الله
إذا كنتم تتكيدون لحياة هذا الوطن ... فالأمر مختلف !
ولكن هل تتحمل هذه المسألة العبث ؟ لا أدرى
لا فإن حياة الوطن هى غاية الجميع
هناك من يزعج بنفسه فى قضية الجهاد قاتلا الوطن
وبالطبع فإن الذين ينجون بانفسهم يجد أنها عندما يعلو نباح
جماعة من أراذلهم فإنهم يهاجمون (كل شئ) حتى المقدسات

.....
إن حب الوطن إنما يتأتى ببذل الروح فى سبيل الأمة
وخلاصة القول أن كل الأحاسيس هى حس الأسرة
وهو الذى ينبض فى القلب من أجل المقدسات
أى خير يرجى من صدر يحمل بداخله جيفة قدرة (١)

- ١- Evet, ulûmunu asrın gebâba öğretelim;
Mukaddesâta, fakat, çokça ihtirâm edelim.
Eğer hayatını kastyliyorsanız vatanın:
Bakın, anâsur-ı İslâmı hangi râbitanın
Devâmı bağliyabilmış bu müsterek vatana?
Kapılmayın onu ihmal edip salâh umana!
O râbitayla bu millet bulur bulursa felâh;
O, bir çözüldü mü, her şey biter maâzallah.
Eğer hayatına kastyliyorsanız... Başka!
Fakat bu mes'ele, bilmem ki, kaldırır mı şaka?
Hayır, hayat-ı vatandır umûm için gâye;
«Vatan!» deyip giriyor her giren mücâhedeye.
Bu «her giren» le, tabii, tutunca it damarı,
Mukaddesâta kadar saldıran beş on çomarı.
Vatan muhabbeti, millet yolunda bezl-i hayat;
Hulâsa, aile bissiyle cümle hissiyyât;
Mukaddesâtı için çırpanan yürekte olur.
İçinde leş taşıyan sineden ne hayır umulur?

ولكن انت لست كذلك إن كبدك يحترق
وسوف تموت وأنت تهتف قائلا « الوطن » وسيكون مكانك في السماء
كيف يتحمل الحرّ استعباد الوطن
أيها الوطن من لن تهزه فجميعتك عماء الله
يا جماعة « المسلمين » كفى استيقظوا من غفلتكم
وتذكروا حوادث الماضي ابتغاء مرضاة الله
إننا إذا لم ننتبه اليوم فلن تقوم لنا قائمة
تذكروا أن الغفلة الثانية ستكون القاضية (يا لها من موت رهيب)
إن الموت سهل إذا استطعنا أن نقول في النهاية (نجونا)
هذا انتحار فهناك ثلاثمائة وخمسون مليون
وسيكون هذا الأمر مفاجئاً بالنسبة للعالم الإسلامي المسكين
فإذا قضى علينا أصبح العالم الإسلامي بكل ما يملك يتيماً^(١)

١ - «Vatan!» deyip öleceksin semâda olsa yerin.
Nasıl tahammül eder hür olan esâretine?
Kör olsun, ağlamayan, ey vatan, felâketine!
Cemâat, elverir artık, bu uykudan uyanın!
Hudâ rızası için, dünkü hâdisâtı anın!
Kimildamaz, yine gelmezsek intibâha bugün,
İkinci uyku ne dehşetli bir ölüm, düşünün!
Ölüm kolay... Diyebilsek sonunda: «Kurtulduk!»
Bu intihar, öteden, üç yüz elli milyonluk,
Zavallı Âlem-i İslâm için elim olacak!
Biz olmasak bu kadar hânumân yetim olacak!

برغم صرير سرير شوكتنا ؟
 إن حكومتنا فقط هي منقذ هذا الدين
 في تونس وفي المغرب وفي الجزائر وفي الصين وفي إيران
 وجاوا وبلاد الهند وربما في بلاد الأفغان
 وفي مناطق سيبيريا وخبوه وبخارى والقرم
 بينما هي تترزع تحت نير سيطرة أهل الصليب
 فإن العالم الإسلامي المسكين إذا كان لا يزال غير ملتف حول الصليب
 فإن قدرتهم* أنتم هي التي تشده من ذراعه
 وإذا زالت هذه القدرة فإن الدنيا سوف تنتصر
 لهذا فإن الموت ليس من حقنا الآن
 ألا يكفيما ما حملناه في هذا العالم ؟
 حتى نتحمل نحن أيضاً غداً ذنوب العالم
 أن الرغبة في الانتحار هي خسران سرمدى (أهدى)
 قد تخلصوا من هذه الفكرة في كل حدب وصوب إن كنتم مسلمين

* - هذا البيت كان في الطبعة الأولى للديوان على النحر التالي :

Sarılmıyorsa, Kolundan çeken : Hilâfetiniz

Hilâfet olmasa : Dünya tanassur eyleyecek ...

وعلى ذلك تكون الترجمة هي : فإن « خلافتكم » هي التي تشده من ذراعه (محول بينه وبين ذلك)
 فإن لم تكن « الخلافة » فإن الدنيا سوف تنتصر
 والواقع أن التحريف الذي طرأ على هذه الأبيات قد جاء بعد قيام حكومة أتاتورك بإلغاء الخلافة
 وتحكم الرقابة وقيامها بحذف كل ما يخالف قانون إلغاء الخلافة الذي أصدرته حكومة أتاتورك
 انظر حاشية صفحات ، ص ٢٨٣ .

"Gıcırdamakla beraber acır-i gevketimiz,
 Bu dini kurtaran ancak bizim hükümetimiz.
 Tunus'ta, Fas'ta Cezayir'de, Çin'de, İran'da,
 Cava'yla, Hıta-i Hindî'de, belki Efgan'da,
 Sibirya, Hıyve, Buhâra, Kırım muhitinde,
 Yaşarken ehl-i salibin nüfûzu altında:
 Zavallı Âlem-i Islâm eğer salibe henüz
 Sarılmıyorsa, kolundan çeken: bu kudretiniz.
 Bu kudret olmasa: dünya tanassur eyleyecek..."
 O halde, şimdi bizim hakkımız değil ölmek.
 Yetişmiyor mu ki dünya evinde çektiğimiz,
 Yarın da yüklenelim âlemin günahını biz?
 Hem intihâra özenmek ne sermedi husran!
 Bucak bucak savuşun, Müslümansanız, bundan.

Mehmed Akif Ersoy :Safahat,s 283

ثم يختتم عاكف قصيدته وهو يناشد المسلمين الإلتفاف حول رمز السلطة ، ويذكرهم بأن الحفاظ عليه فيه بقاء وفلاح لهم فيقول :

قولوا ما هذا التفور وبغض الحياة الذي سيطر عليكم

إن انتحار كبير العائلة هو جنون

إن سقوط عرش(*) الحكومة الذي لا يزال قائما

سیکون مروعا فحذار أن یسقط ، هلمرا وتشبثا به

ما هذه الفرقة أيها الناس ألا تستحون

ألا زلتم لاتصدقون البلية التي حلت بالأمس القريب (١)

ويرى عاكف أن الدين الإسلامي بمبادئه يستطيع أن يواكب كل عصر ولكن المفكرين لم

يفهموا كنه الدين وأنهم فسروا الدين خطأ .

يقول عاكف :

إن المفكرين لم يفهموا أبداً كنه الدين

وَأَن تَفْسِيرُهُمْ لِرُوحِ الدِّينِ كَانَ تَفْسِيرًا مَعْنَا فِي الْخَطَا

إنهم يظنون أنه لا يستطيع أن يساير التقدم والتطور

ولا يستطيع أن يتكامل مع آثار ومنجزات العصر

ولا يعلمون أنه أساس كل العلوم منذ الأزل

وأنه سيكون أساس رفعة البشر ذات يوم (٢١)

ثم بعد ذلك يحذر المسلمين من عاقبة تفككهم واختلاف رأيهم وعدم تماسكهم بوحدةهم

تحت ظل سلطتهم الروحية فيقول :

« - في الطبعة الأولى للديوان كانت كلمة « الخلافة » مستعملة بدلا من كلمة « العرش » . وكان

نص البيت على النحو التالي :

Hükûmetin, o henüz pâyidar olan ilâfetin

Sukuutu müthis olur .. Düşmesin aman , yapisin !

وتكون ترجمته على النحو التالي :

أن سقوط الخلافة التي لاتزال قائمة

میسکون مروعاً ... فحذار أن تسقط ، علموا وتشبثوا بها

انظر صفحات ص ۲۸۳ .

4- Hayata karşı nedir, söyleyin, bu yılgınlık?

Reis-i ailenin intiharı: çulgunluk!

Hükûmetin, o henüz pâyidar olan arşın^(b)

Sukuutu müthiş olur... Düşmecein aman, yapışın!

Nedir bu tefrika, yahu! Utanmuyor musunuz?

Geçen fecâyî hâlâ inanmıyor musunuz?

Mehmed Akif Ersoy :Safahat,s 283

2- Mütefekkirlerimiz bin de hiç anlamamış:

Rûn-u İslâm'ın tetakkileri: gâyet yâniş.

Saniyolar her terakkiye tahammül edemez.

Akrın âsâr-ı ke'vâ'ye tekâmül edemez.

bu sözler ki, "Allah, ezeli dâyesidir,

... az új vállalkozók pályázatait

Mehmed Akif Ersoy :Safahat,s 185

فإنتهروا وافتحوا أعينكم فلن تبقى لا العربية ولا التركية
وأصغى إلى كلمات الحق للنبي العظيم
إن التركي لا يستطيع الحياة بدون العربي ومن يقل إنه بحيا فهو مجنون
أما التركي فهو للعربي عينه اليمنى ویده اليمنى
فانحدوا فإن عاقبة حالكم هذا هو الحسران المبين
فلن تقم لكم حكومة والله ولن يكون هناك دين
إن الحضارة (العربية) تترص بكم منذ أمد بعيد
هي ترجو في البداية أن تقطعكم وتبتلعكم
على حين أنه كان ينبغي أن تعتبروا بما حدث للأروناؤط فانكم لازلتم
ولكنكم لاتزالون صرعى سياسة مضطربة وأسرى فكرة فاسدة (١)

Ne Araplık, ne de Türklük kalacak aç gözünü!
Dinle Peygamber-i zîgânın ilâhî sözünü.
Türk Arapsız yaşamaz. Kim ki «yaşar» der, delidir!
Arabın, Türk ise hem sağ gözlü, hem sağ elidir.^(١)
Veriniz başbaşa; zira sonu büsrân-ı mübîn
Ne hükûmet kalıyor ortada, billâhi ne dîn!^(٢)
«Medenîyyet!» size çoktan beridir dîş biliyor;
Evvelâ parçalamak, sonra da yutmak diliyor.
Arnavutlar size ibret olacakken, bâlâ,
Ne bu gûride siyâset, ne bu fâsîd dâva?

Mehmed Akif Ersoy :Safahat,s 206

٢ - صفات الخليفة كما يراها عاكف :

يرى عاكف دائما أن البلاد في حاجة إلى حاكم قوى يمسك في يده أمور الدولة ويعمل على توفير الأمن والأمان لكل الرعية ويضرب بيد من حديد على العابثين ، يقول منتقداً

لقد بلغت الأمور حداً لا يمكن تصوره

فياسم السلطنة وباسم الدين ترتكب آلا المهازل والردائل

إن أوضاع ذلك العصر تعج بالمصائب ويكل ما هو مشين

يوجد على رأس (البلاد) دمية ، ومستقبل الأمة كلها

ألعوبة في يد فئة قليلة عابثة ترجه تلك الدمية كيفما شئت

كانوا يقولون إنها السياسة وأنا واثق من أنها سياسة قراقوش (١)

وبعد ذلك لمجد عاكف في بعض منظوماته يعدد الصفات التي يجب أن يتحلى بها

الخليفة ففي قصيدة له بعنوان « Koçakari ile OMER » « المرأة العجوز وعمر » . يرى

عاكف أن الخليفة لابد وأن يسهر دائماً على راحة الرعية وأن يتفقد أحوالهم ويستطلع

أخبارهم ليستطيع أن يوفر لهم كل ما يحتاجون إليه ، والخليفة وهو يفعل ذلك لا ينشد

لنفسه راحة فنجدته يتجول بين الرعية في ظلام الليل الحالك والبرد القارس ، يقول عاكف

على لسان الصحابي الجليل العباس (٢) :

Sığıyor en büyük endâzeye işler artık;
Saltanat nâmına, din nâmına bin maskaralık...
Ne felâket, ne rezâletti o devrin hâli!
Başta bir kukla, bütün milletün istikbâli
İki üç kuklacının keyfine mahkûm olmuş;
Bir siyâset kıldıkları, eminim Karakus!

Mehmed Akif Ersoy :Safahat,s 162 - 163

٢ - المقصود : هو «العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ» كما هو واضح من سياق القصيدة .

كانت ليلة حالكة السواد ، شديدة البرودة
ولكى أرى ابن الخطاب قليلا
خرجت من البيت وكانت الطرقات خاوية
ولقد كنت أنا السارى الوحيد فقط ؛
ولم يكد يمضى وقت طويل
حتى ظهر على بُعد وهو يتهدى
مثل عقدة فى صدر الظلام
ظهر فجأة شخص عربى فارح
وكان فى ردائه الأبيض غربا ؛
وكان قادما بخطوات ثابتة وطلعة مهيبة
واتجهت صوبه وأقدم هو على ، وتقاربنا
وتبادلنا السلام دون توقف
وبينما كنت أفكر فى صورته الذى بادلنى السلام
امتدت تلك الشبع وأمسكت بى

- 1- Bir karanlık geceydi pek de ayaz...
İbni Hattâb'ı görmek üzre biraz,
Çıktım evden ki yollar ısıssız.
Yolcu bir benmişim meğer yalnız!
Aradan geçmemişti çok da zaman,
Az ilerden yavaşça oldu iyan,
Zulmetin alnesinde ukde gibi,¹
Ansızın bir mûbeykel a'râbî!
Bembeyaz bir rîdâ içinde garîb,
Geliyor muttasıl mehib mehib
Ben sokuldum, o geldi, yaklaştık;
Durmadan kargıdan selâmlaştık.
Düşünürken selâm alan sesini,
O beyûlâ uzandı tuttu beni:

ونظرت أليس هذا عمر !
 نعم إنه عمر ! هكذا فى هذا الوقت المتأخر ، ما هذا الأمر ؟
 لقد خرجت أتفقد تلك الديار ...
 فتعال معى نسير بضع خطوات
 ليس هناك صوت ولا من يقظ سائر
 كل الديار يلفها سكون أخرى
 وعمر يتجول من أجل حفظ الحق
 انظر إلى الراحة والطمأنينة التى تعم تلك الديار الثامنة
 وعمر يقف أمام كل بيت

يستمع وينصت إلى من بالداخل وهم لا يدرون عن ذلك شيئاً (١)

وتمضى هذه المنظومة لنستشف من خلالها الكثير من الصفات التى يجب أن يتحلى بها
 الخليفة ، فالخليفة لابد أن يكون رحيماً عطوفاً شغوفاً رحب الصدر بتقبل النقد حتى ولو
 كان مرأ ، وهكذا فمن الحوار الذى دار بين عمر وبين المرأة العجوز تبدو كل هذه الصفات
 بارزة بوضوح وجلال :

١- Bir de baktım, Ömer değil mi imiş!
 — Yâ Ömer! Böyle geç zaman, bu ne iş?
 — Şu mahallâtı devre çıkmıştım...
 Gel beraber, benimle, üç beg adım.

Ne sadâ var, ne bir yûrür bîdâr;
 Uhrevî bir âlikûn içinde civâr.
 Ömer olmuş gezer, sıyânât-ı Hak...²
 Şu yatan beldenin huzûruna bak!
 Duruyor her evin önünde Ömer,
 Dinliyor, bî-haber içerdekilere.

وانتهى بنا المطاف فى نهاية الأمر إلى خارج المدينة
ورأى خيمة فتوقف أيضا يستطلع
هناك امرأة عجوز تجلس أمام الموقد
وإزاء صياح وعويل الأطفال الذين يصرخون إننا جوعى ، إننا جوعى
وبينما هى مستمرة فى تقليب الطعام الذى تعده
خرج صوتها متحشرجا مع قطرات الدموع الهبسة
لقد بلغ قوامه يا أعزائى ، والآن سوف ينضج
ولكن - لسبب ما - فإن الطعام لم ينضج بأى شكل
وبدأ صراخ وعويل الأطفال يعلو من جديد
وفى آخر المطاف ألقى عمر بالسلام ، وولج داخل البيت
وردت المرأة السلام بوجه باش
يا خالة لماذا يبكى هؤلاء الأطفال الصغار ؟
إنه هذا هو اليوم الثانى الذى يبيتون فيه جوعى

-
- ١ - Geldik artık Medîne hâricine;
Bir çadır gördü, durdu kaldı yine.
- Ocak başında oturmuş bir ihtiyarca kadın.
«Açız! açız!» diye feryâd eden çocuklarının,
Karıştırıp duruyorken pişen nevâlesini;
Çıkardı yuttuğu yaşlarda çarpınan sesini:
— Durundu yavrularım, işte şimdicek pişecek...
Fakat ne hâl ise bir türlü pişmiyordu yemek!
Çocukların yeniden bağlamıştı nâleleri...
Selâmı verdi Ömer, daldı âkıbet işeri.
Selâmı aldı kadın pek beşûş bir yüzle.
— Bu yavrular niçin, ey teyze, ağlıyor, söyle?
— Bugün ikinci gün, aç kaldılar...

لماذا اذن

ألا تضعين لهم قليلا من الطعام ؟

أى طعام ؟

أتظن هذا ثريدا ؟ إن ما بداخله عبارة عن ماء فقط

إنه يغلى طوال الوقت مع ما به من حصوات !

ما الحيلة ! ، قلت ربما يسكتون ، فلا تلومنى !

حسنا ، ولكن أين زوجك أو ابنك أو أخوك أو خالك

أليس لك من رجل أى رجل ؟

جميعهم ماتوا ليس لى من أحد

هل هؤلاء الصغار أبناؤك ؟

أحفادى

إنهم كثيرون

أليس من الواجب أن يذهب الإنسان ويخبر الأمير عن حاله ؟ آه !

أخبر الأمير ، أليس كذلك ؟ ليقهره الله قريبا !

وعن قريب تنتكس رايات العز والاقبال

وأرجو الله أن يبتلى عمر ببلواه فى هذه الحياة الدنيا ! (١)

1- Biraz yemek komuyorsun?

— O halde, neden

— Yemek mi? Çömleği sen,

Tirid mi zannediyorsun? İçinde sâde su var;

Çakıl taşıyle beraber bütün zaman kaynar!

Ne çâre! Belki susarlar, dedim. Ayıplamayın.

— Peki! senin kocan, oğlun, ya kardeşin, ya dayın...

Tek erkeğin de mi yok?

— Hepsi öldü... Kimsem yok.

— Senin midir bu küçüklükler?

— Torunlarım.

— Ne de çok!

Adam, Emüre gidip söylemez mi hâlini?

— Ah!

Emüre, öyle mi? Kahretsin an-karib Allah!"

Yakında râyet-i ikbâli ser-nigûn olsun..."

Ömer, belâsını dünyada isterim bulsun!

Mehmed Akif Ersoy :Safahat,s 95 - 96

ماذا فعل عمر باخالة حتى يستحق شر الدعاء هذا ؟
 هل ينبغي أن ينام الأمير ملء جفنيه ، بينما أنا أرى البتامة ؟
 إننا نحن رعاياه ، إننا رديعة الله أودعنا إياه ،
 أليس من الواجب أن يأتى ويتفقدنا ؟
 أنت على حق ، ولكن
 أن المسكين لديه الكثير من الأعمال ، لا يستطيع أن يجد وقتا ويأتى
 وأنت لم لا تذهبي وتقصى عليه حالك ، فهو لا يستطيع أن يعرف حالك
 لماذا إذن قبل الخلافة حين عرضت عليه ؟
 ومن يقبل منه عذراً واهياً كهذا آخر الأمر ؟
 " المسكين لديه الكثير من الأعمال ! ... ، ما هى ، هل هناك حرب ؟ "
 ليس لك أن تسمع آهات المتألمين وهم بجوارك ،
 ولك أن تترك أهل المدينة عرايا ، وتحبب مصر ...
 إذ هب واسرق العالم واجلس لتتقاسم الغنائم قائلاً إنه « الفوز ! الفوز ! » (١)

- ١ - — Ne yaptı, teyze, Ömer, böyle inkisâr edecek?
 — Ya ben yetim avuturken, Emir uyur mu gerek?
 Raiyyetiz, ona bizler vedia-tullâhız;
 Gelip de bir aramak yok mu?
 — Haklısın, yalnız,
 Zavallının işi pek çok, zaman bulup gelemiz;
 Gidip de söylememişsen ne haldesin bilemez.
 — Niçin bilâfeti vaktiyle eylemişti kabûl?
 Sonunda böyle çürük özü kim sayar makbûl?
 Zavallının işi çokmu?... Nedir, muhârebe mi?
 İgitme sen de civârında inleyen elemi,
 Medine halkını üryan bırak, Mısır'da dolaş...
 «Gazâ! Gazâ!» diye git soy cihânı, gel paylaş!

وعندما ارتفع صباح وعويل الأطفال هذه المرة
بلغ غضب المرأة حد الجنون
هذا النواح والعويل الذى يرتفع إلى عنان السماء
يصير صواعق من اللعنات تنزل على أم رأس عمر !
لا تحسب آهات اليتامى دعاء الفيت
إن هذه الصيحات هى رعود الحق المهلكة
إننا جائعون ! ، إننا جائعون ! اعطنا ولو لقمة خبز ...
اسكتوا يا أبنائى ، كل شئ على ما يرام ، سينضج الطعام الآن !
إذهب وأخبره هكذا ؟ أنا لا أستطيع أن أتسول ؟
من يكون عمر هذا ؟ إن أبى كان أكرم منه
أهلك ، ولا أتدلل لخليفتك ! ...
ونزلت هذه الكلمات الأخيرة على عمر مثل الصاعقة
أنت على حق يا خاله !
إلهى « سلى » هؤلاء الأطفال ، وسوف أذهب الآن وأعود فى الترت (١).

١٠

Çocukların bu sefer yükselince feryâdı,
Kadın, tehevvrü artık cünûna vardırdı.*
— Şu nevhalar ki çıkar tâ bulutların içine;
Ömer! Savâik-i tel'in olur, iner tepene!*
Yetimin âhını yağmur duâsı zannetme:
O sayha ra'd-ı kazâdır ki gönderir ademe!*"
— Ağız! Ağız! Bize bir lokma olsun ekmek ver...
— Susundu yavrularım, işte oldu, şimdi pişer!
Gıdıp de söyliyeyim hâ?... Dilencilik yapmamı!
Ömer de kim? Benini ondan kerim adamdı babam,
Olur de yüz suyu dökmem sizin Halifenize!...
Ömer vuruldu bu son sözle...
— Haklısın, teyze!
Avut çocukları, ben şimdicek gider gelirim.

Mehmed Akif Ersoy :Safahat,s 96 - 97

والخليفة أيضا يجب أن يتصف بالخشية وأن يسارع في العمل على مرضاة الله بتوفير أسباب الراحة للرعية حتى ولو كلفه ذلك الكثير من الجهد والمشقة . والخليفة كذلك مسئول عن توفير الأمن والأمان لكل رعاياه حتى بهائم الأنعام . كما إنه مسئول عن رفع الظلم وإرساء العدل وإفشاء السلام .

ومضى الخليفة أمامي وهو محطم ، يشعر بالذنب ومنفعل ونادم

وخرجنا من الخيمة وأنا أتبعه في أسوأ حال

وكان الضوء قد بدأ يظهر مع تباشير الصباح

وكانت كلاب البلدة تهاجم مثل الأقاعي

كانت لاتدعنا نفضي في طريقنا ، ولكن من يبالي بهذا ؟

وولجنا في شوارع المدينة المنحنية

وعدنا حتى أتينا مخزن الغلال والأغذية

وفتحه الخليفة ودخل ودخلت أنا أيضا بناء على أمره

وجال بنظره في كل مكان واسرع بإيقاد شمعة

أترى جوال الدقيق الوحيد هذا ! هيا أحمله على

وهذا الرعاء ملئ بالسمن ، بمقدورك أن تحمله

وخرجنا من المخزن والخليفة يحمل الجوال وأنا أحمل الزيت

وأغلقتنا الباب وعدنا لتونا من نفس الطرق السابقة ^(١)

١- Halife önde, bitik, suçlu, münfail, nâdim;
Ben arkasında, perişan, çadırdan ayrıldık.
Sabâha karşı biraz başlamıştı aydınlık.
Köyün köpekleri ejder misâli saldırıyor?
Bırakmıyor bizi yoldan, fakat kim aldırıyor?
Medine'nin dalarak münhanî sokaklarına;
Dönüp dönüp hele geldik zahire anbarına.
Halife girdi açıp, ben de girdim emriyle.
Arandı her yeri, bir mum yakıp alel'acele.
— Şu tek çuval unu gördün ya! Haydi yükle bana;
Bu testi yağ doludur, elverir o yük de sana.
Çuval Halife'de, yağ bende, çıktık anbardan;
Kilitleyip geri döndük deminki yollardan.

ونظرت فوجد أن المسافة طويلة ، والحمل ثقيل ، وعمر جريح ،
فقلت

هلا أعطيتني الجوال ... لأحمله أنا ؟

لا ، لا تساعدني ، ليس فقط عندما يصيبني التعب ، ولكن حتى إذا مت
إن الذنب هو ذنب ابن الخطاب ...

ماذا قالت المرأة يا عباس ، ألم تسمع منذ قليل ؟
غدا في الحضرة الإلهية فإن أحدا

لن يشارك عمر في خيبته (إثمة) حتى ولو ليوم واحد ؟

نعم ، ما كان له أن يقبل الخلافة حين عرضت عليه
لو أن ذنباً نهش حملاً عند حافة دجلة

فإن العدل الإلهي سوف يسأل عمر عن ذلك

إن هذه العجوز ، لا أحد لها ، فيسأل عنها عمر

وتنهمر دموع الحسran من مآقي اليتامى ، فيسأل عنها عمر

لو أن أحداً أسال قطرة دم على الأرض بطريق الغدر

فإن هذه القطرة تصبح دوامة بفرق عمر (١)

1- Mesâfe, bakım, uzun; yük yaman; Ömer yaralı;
Dedim ki:
— Ben götüreydim... Verir misin çuvalı?
— Hayır, yorulsa değil, ölse yardım etme sakın:
Vebâli kendine âiddir İbnî Hattâb'ın.
Kadın ne söyledi, Abbas, iğitmedin mi demin?
Yarın, huzûr-i İlâhîde, kimseler, Ömer'in
Şerik-i haybeti olmaz, bugünlük olsa bile; "
Evet, hilâfeti yüklenmiyeydi vaktiyle.
Kenâr-ı Dicle'de bir kurt aşırca bir koyunu,
Gelir de adl-i İlâhî sorar Ömer'den onu!
Bir ihtiyar karı bi-kes kahr, Ömer mes'ul!
Yetimi, girye-i husran alır, Ömer mes'ul!"
Zenûne gadr ile bir damla kan dökünce biri:
O damla bir koca girdâp olur boğar Ömer'i!

عندما يكون عمر هر الخليفة فمن سواء يكون مسئولاً ؟
يا إلهى ماذا يفعل عمر (أن الإنسان لظلم جهول) (١)
إن ما يطلب من النبى محمد مثله من عمر
يا عمر ... يا عمر كيف حملت على كاهلك هذا الحمل الثقيل (١)
إن الخليفة لابد أن يكون عادلاً مهما كانت الأسباب وإن الإنسان ليروم العدل المطلق
ولكن العدل المطلق هذا ليس فى مقدور بنى البشر
نعم إذا كنت تخيل العدالة « المطلقة »
ليس عمر ، كن من تكن ، دع عنك هذا فهو صعب المنال
إن البشر لو تخيل العدالة المطلقة
فإنه يرى آماله وقد حكم عليها بالفشل كل حين
أنت يا عمر لست ملائكاً ولست بالأمير الظلم
ولكن ماذا فى مقدورك أن تصنع فأنت بالفطرة بشر مظلوم (٢)

* - إشارة إلى الآية القرآنية « وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً » سورة الأحزاب رقم ٧٢ .

- ١- Ömer Halife iken başka kim çıkar mes'ul?
Ömer ne yapsun, Uâhî, beşer zalûm ü cehûl!"
Ömer'den isteniyor beklenen Muhammed'den...
Ömer! Ömer! Nasıl aldın bu bârı sırtına sen?

Mehmed Akif Ersoy :Safahat,s 98-

- 2- Evet, adaleti «mutlak» hayal edersen eğer,
Ömer değil ya ne olan bırak ki hepsi heder!
Beşer, adaleti «mutlak» tahayyül eylesen,
Görür ümidini mahkûm her zaman ye'se.
Sen ey Ömer, ne melkain, ne bir emîr-i zalûm.
Fakat elinde ne var? Fitraten beşer mazlûm!

Mehmed Akif Ersoy :Safahat,s 98-

إن جميع نجوم أبراج السماء ترى
عمر وهو بنو بهذا الحمل في ذلك العالم المظلم
وعندما تبعث أمام الحق بجبينك الذي عقره الدقيق هذا
فأت ليس بالأرض فقط ولكنى حتى بالسماء لتكون شاهداً عليك^(١)
وتقضى المنظومة لتقص كيف أن عمر بصفته خليفة المسلمين ، كيف شعر بمسئوليته
الجسام تجاه رعاياه . فنجدته يقوم بنفسه بحمل الدقيق والزيت والسكر إلى بيت العجوز
ويقوم بإعداد الطعام ويطعم الأبناء الجوعى بيده ثم يجرى على العجوز راتباً من بيت مال
المسلمين لتستعين به في قضاء حوائجها وحوائج أطفالها . وهكذا تتجلى الرحمة والعدالة
في أحسن صورها .
وفي قصيدة أخرى بعنوان « Dirvas » ديرواز نجد عاكف يعدد لنا بعض الصفات
التي يجب أن يتحلى بها الخليفة أيضاً وذلك من خلال الحوار الذي يدور بين الطفل ديرواز
وبين الخليفة هشام بن عبد الملك . فالخليفة يجب أن يستمع لأراء الصغار والكبار معاً ،
ولا يجب أن يستهين برأى الصبية كما يجب أن يكون حليماً واسع الصدر .

يقول :

ويقول « هشام » أصمت أيها الطفل فعندما يوجد كبار

أيجوز أن يصدر من الصغار أبداً أى كلام ؟

حين ذلك يعيد ديرواز الكلام

ويقول ساخراً : ما هذا التوبيخ !^(٢)

١- "Görür burûc-i semânın bütün sitâreleri,"
Zalâm içinde, yük altında inleyen Ömer'i!"
Huzûr-u Hakka çıkarken bu unlu cephenle,
Değil zemîni, getir şahid âsûmânı bile!

Mehmed Akif Ersoy :Safahat,s 98 .

2 -

Der: Sus a çocuk, büyük dururken,
Söz sâdır olur mu hiç küçükten?
Dirvân o zaman kelâmı tekrar
Teshir ile der: «Nedir bu âzâr!

Mehmed Akif Ersoy :Safahat,s 114 .

هل السن مقياس للذكاء
 اتحسب أن ديرواز طفل
 استمع إليه أولاً ثم احكم عليه هل هو طفل أم لا
 ما هو العدل والإنصاف أليس عندكم منه شيء ؟
 دعنى ياسيدى أتحدث
 وأن إسكاتى رهن اشارتك يا سيدى ^(١)
 والخليفة لابد وأن يشرك المسلمين فى ما أنعمه الله عليه من ثروة وأن يكون متواضعاً .
 يقول عاكف فى نفس القصيدة :
 إننا نرى أيها الأمير العادل
 ولا سبيل إلى الإنكار
 إن الثراء والاحتشام الذى عندك لانهاية له .
 أما نحن فجمع من البؤساء المساكين
 ومعنى هذا أن هناك وفرة فى جانب
 ووا أسفاه هناك قحط فى الجانب الآخر
 إذن فالأمر يتطلب بعض التوازن
 فاسمع إلى أولاً ثم اعطنى الحق ^(٢)

١- Mikyası mıdır zekâvetin sîn?
 Dirvâs'ı çocuk mu zannederain?
 Bir dinle de sonra gör çocuk mu?
 İnaâf nedir o sizde yok mu?
 Ben söylüyeyim de bir efendim,
 Susturmak elindedir efendim.*

Mehmed Akif Ersoy :Safahat,s 114 .

2- Görmekteyiz ey Emîr-i Âdil,
 — İnkârı bunun değil ya kaabil —
 Yok sendeki ihtisâma pâyân;
 Bizlerse alay alay sefilân!
 Bir yanda demek ki fazla var çok;
 Hayfâ ki öbür tarafta hiç yok.
 Öyleyse biraz tevâziin ister.
 Evvel beni dinle, sonra hak ver:

Mehmed Akif Ersoy :Safahat,s 116 .

من أين لك هذه الثروة ؟
 أهى ملك للخلق أم ملك لك أم ملك للخالق
 فإذا كانت هذه الثروة ملك للخالق
 فطالما نحن أيضا عباد الله
 فلا بد أن لنا الحق كل الحق أن نطلب قسطا منها
 وإن من ينكر هذا الحق لا يكون عادلا
 وإذا كانت هذه الأموال التى لا نهاية لها ملك للخلق
 فأعط ولا تأكل حقوق الغير
 فإذا لم تكن كذلك
 وإنما هى أموالك ملك لك ونظراً لأنها تزيد على حاجتك الآن
 فتصدق بها على الفقراء (١)
 وعاكف يقف دائما بالمرصاد لكل من تسول له نفسه أن يستبد بالرعية . فالحاكم فى
 رأيه لابد أن يكون منصفاً غير ظالم فنجدّه ينتقد مظفر الدين شاه ويندد باستبداده وظلمه
 فيقول :

١-
 Nerden buldün bu ihtigâmı?
 Halkın mı, senin mi, Hâlik'in mi?
 Allahın ise eğer bu servet,
 Bizler de onun kuluyken, elbet
 Bir pay talebinde hakkınız var.
 İnsâf olamaz bu hakkı inkâr.
 Halkınsa şu bi-nihâyet emvâl;
 Ver, etme hukûk-u gayrı pââmâl.
 Yok; böyle de olmayıp da kendi
 Mâlin ise — çünkü fazla — şimdi,
 Hi-vâyelere tasadduk eyle...

Mehmed Akif Ersoy :Safahat,s 116.

لا تظن أن هذا العويل المخيف سوف يجعل إيران تشن دائماً
 إن جميع الأصوات التي تقول إنك « مظفر » هي خائنة فلا تتخذه
 من ذاك الذي انتصرت عليه ؟ فكر ولو مرة واحدة ، أهي الأمة ؟
 ضرب قوم أو أمة تريد العدالة ، أهو نصر ؟
 أليست لديك ولو ذرة من الإنسانية ؟
 كيف لا تبالي بصراخات الأمة التي تشق أعنان السمان
 ثق تماماً إن زفرات كل هؤلاء المظلومين
 سوف تنزل على أم رأسك في يوم ما لعنات الله
 إن ظلم القصر العظيم الذي تحتمى به منيع جداً
 إنك واهم فهدم ليس بالحصين ولا بالمنيع
 ملجأ الغادرين بقدرة القهار المطلقة
 سوف يجتث من أساسه (جذوره) ويسوى بالأرض في لحظة
 إن ذلك القصر الذي بنيت على انقاض كثير من البلاد
 ألن يصبح خراباً يبابا ؟ في الوقت الذي يصبح فيه كل إيران مقبرة
 نعم لقد حولت إيران إلى مقبرة واهلكتها (خربت)
 ومزقت آمال الغرباء أرباً أرباً وجعلت منها أكفأاً (١)

١ - Bu mübiş velvelen İran'ı dâim inletir sanma.
 «Muzaffersin!» diyen sesler bütün hâindir, aldanma."
 Zafer-yâb olduğun kimdir? Düşün bir kerre, millet mi?
 Adâlet isteyen bir kavmi vurmak gâlibiyyet mi?"
 Nasîbin yok mudur bir parça olsun âdemiyyetten?
 Nasıl aldırımıyorsun yükselen feryâda milletten?"
 Emîn ol bunca mazlûmun yüreklerden kopan âhı,
 Tependen indirir elbette birgün lânet-ullâhı!"
 Sığınmış olduğun şevket-sarây-ı zulmü pek muhkem
 Hayal etmekteisin... Lâkin ne bârûlar, ne müstahkem
 Penâh-ı bi-amanlar, heybet-i Kahhar-ı Mutlakla,
 Kökünden devrilip bir anda yeksân oldu toprakla!"
 O, bir çok memleket vîran edip yaptırdığın eyvan
 Harâb olmaz mı? Kabristâna dönmüşken bütün İran?"
 Evet, İran'ı kabristâna döndürdün, helâk ettin;
 Kefen yaptın giribân-ı ümûdi çâk çâk ettin!"

بينما يقولون « إن قطرة دم واحدة كثيرة بالنسبة لهذا العالم ، أنت
 قد أجريت سيولا من الدماء الطاهرة لهذه الأمة المعصومة
 أنت نزعت برقع الحياء والعزم عن وجهك
 وأفصحت للدنيا عن هويتك وحقيقتك
 على حين أن غاية الإسلام هي حرية لواء الحمد
 فإن هذا اللواء المقدس قد وطأته أقدام الظلم والاستبداد
 لقد قمت بجلب القازاق حتى روسيا واستبعدت السادة
 فلتهنأ روح اليزيد .. أنا واثق من ذلك فات أسعدتها
 تجرأت ووطأت الآلاف من بيوت الله
 وتوقعت وأمرت بشنق كثير من رجال الله
 فلم تستع من الله ولم تخجل من الرسول
 هدمت كعبة الدين العليا وسويتها بالتراب
 والقيت القبض على أصحاب النخوة والحماسة من أبناء الأمة وقتلتهم واحداً واحداً
 وأبكيت الشرق بصفة عامة وأضحكت الغرب بصفة عامة
 لا أحد يضحك فرحاً لما تفعل حتى أن ضمير الغرب يتألم لما يحدث
 بعد أن رأى الأرض الإيرانية وهي عبارة عن معرض لأجساد المظلومين (١)

١- «Bütün dünya için bir damla kan çoktur» diyorlar, sen,
 Şu mâsum ümmetin seller akıttın hûn-i pâkinden!¹
 Yüzünden perde-i temkini artık kaldırıp attın:
 Ne mâhiyyet, nasıl fitrattasm, dünyâya anlattın!²
 Livâ-ül-hamd-i hürriyyet iken İslâm için gâyet,
 Nedir pââmâl-i istibdâdın olmak öyle bir râyet?³
 Kazak celbeyleyip tâ Rusya'dan, sâdâtı çiğnettin;
 Yezidin rûhu şâdolsun... Eminim çünkü şâdettin!⁴
 Şehâmet gösterip binlerce beytullâhı bastırdın;
 Şecâat arz edib birçok ricâlullâhı astırdın!⁵
 Ne Allah'tan hayâ ettin, ne Peygamber'den âr ettin:
 Devirdin kâ'be-i ulyâ-yi dini, hâk-sâr ettin!⁶
 Hamâset-perverân-ı kavmi tuttun bir bir öldürdün.
 Umûmen Şarkı ağlattın, umûmen Garbı güldürdün.⁷
 Hayır, hiçbir gülen yok, sızlıyor Garbın da vicedânı,
 Görüp ecsâd-ı mazlûmine meşher hâk-i İran!⁸

إن إيران التي أخرجت سعدى وحافظ والفردوسى والغزالى والرازي
قطب الدين ، سعد الدين والقاضى البيضاوى
وكذلك عرفى وغيرهم من شمس العرفان
الذين استضاءت بنورهم جميع البلاد
إنها اليوم (أى إيران) مقهورة ومستعبدة من جماعة جاهلة قطاع طرق
لا أدرى ما هى الأسرار الخفية للخالق فى كل هذا (الحكمة)
لا فلا معنى من ارجاع كل هذا إلى المعبود
- حاشا أن المولى سبحانه وتعالى لا يمكن فى أى وقت من الأوقات أن يتستر على
الجانى

أيها الشاه صاحب الشهامة إننا فى زمان لا يتحمل فيه أحد الظلم
إذا كنت تقول « لن يبالى بذلك أحد » فأنت مخطئ
كفى فلتضع حدا لهذا الظلم ، ذلك لأنهم
يقولون أن المستقبل مظلم ولكن الأمر عيان بيان وعاقبته الزوال ^(١)

١- O Sa'dîler, o Hâfızlar, o Fırdevsî, o Râzî'ler,
Gazâlî'ler, o Kutbüddîn, o Sa'düddîn, o Kaadîler
Yetiştirmiş; o Örfî'nin, o birçok şema-i irfânın
Ziyâsından tenevvür eylemiş; iklimi dünyanın,
Bugün makhûr-u nâdânîsidir bir fırka haydûdun!™
Nedir pinhan olan esârı bilmem, bunda Ma'bûd'un.
Hayır, Ma'bûd'a ircâında yoktur bunların mânâ:
Yataklık eylemez cânîye —hâşâ— bir zaman Mevlâ.™
Şehâmet-perverâ, Şâhâ! Zaman, bi-dâdı kaldırmaz;
Halâ etmekteyin şâyed diyorsan «Kimse aldırma»™
Bu istibdâda artık bir nihayet ver ki: istikbâl
Karanlık derler amma işte pek meydanda: İZMİHLÂL!™

وفى قصيدة بعنوان الشرق نجد عاكف ينتقد أحوال المسلمين وينعى تخلف الشرق بعد أن كان مهداً للحضارات كما يجده يشعر بالحزن والأسى العميق لأن الأمة الإسلامية أصبحت بلا زعامة تقودها فى صراعها ضد الهجمة الصليبية الشرسة .
يقول :

لقد غشى أبصارنا كابوس الغرب الدامى وحال دون النظر
فمنذ قرون شل عقل المسلم وساعده

يسألوننى : « إنك طفت بالشرق فماذا رأيت فيه ؟ »

رأيت بلاداً خربة وأسرّاً منكوبة وأثماً بلا رأس

وجسوراً متهدمة وقنوات معطلة وطرقاً من غير سابلة

ورجوها مجمدة وجهاً لاتندى بعرق وسواعد عاطلة

وظهوراً مقوسة ورقاباً نحيلة ودماً ، منطفئة الحمية

ورؤوساً غير مفكرة وقلوباً غير أبهة وضائراً صدئة (١)

١

Musallat, hiç göz açtırmaz da Garb'ın kanlı kâbüsu.

Asırlar var ki, İslâm'ın muattal, beyni, bârûsu.

«Ne gördün, Şark'ı çok gezdin?» diyorlar. Gördüğüm:

yer yer,

Harap iller, serilmiş bânûmanlar, başsız ümmetler;

Yıkılmış köprüler, çökmüş kanallar, yolcusuz yollar;

Buruşmuş çehreler, tersiz aınlar, işlemez kollar;

Bükülmüş beller, incelmüş boyunlar, kaynamaz kanlar.

Düğünmez bağlar, aldırmaz yürekler, paslı vicdanlar;

Mehmed Akif Ersoy :Safahat,s 449 .

موقف عاكف من إلغاء الخلافة :

عرضنا موقف عاكف الحماسى المدافع عن مجد الإسلام المنادى بوحدة الأمة الإسلامية ، وقد نظم في ذلك قصائد حماسية ملتهبة ومعظمها إن لم تكن جميعها تتغنى بمجد الشرق الإسلامى وتطالب بضرورة توحيد كلمة المسلمين ، وكما ذكرنا فإن عاكف لم يكن معارضا لمبدأ الخلافة فى الإسلام بل إنه طالب دائما بضرورة وجود خليفة قوى قادر على توحيد كلمة المسلمين .

إن مسلك عاكف الإسلامى فى الشعر دفعه فى حملته للاتضمام إلى الثورة التى قامت فى الأناضول ضد استيلاء الجيش اليونانى . حيث ألف نشيد الاستقلال ، كما كتب فى أنقرة عاصمة الجمهورية التركية الجديدة قصائد عديدة ضمنها الجزء الأخير من ديوانه (١).

وقد انتخب الشاعر فيما بعد نائبا فى البرلمان الجديد بأنقرة وظل فيه إلى أن قطعت حكومة أتاتورك شوطا بعيدا فى تطبيق الانقلاب الاجتماعى الذى اقتبسته من الغرب ، وقامت حكومة الثورة بإصدار قرار بإلغاء الخلافة وإصدار بعض القوانين الأخرى التى لم تلق قبولا من الشاعر مما جعله يفضل الهجرة إلى مصر حوالى عام ١٩٢٤م (٢).

والواقع أن عاكف الذى نظم قصائد حماسية كثيرة إبان الحرب العالمية الأولى التى شهدت تمزق أوصال الإمبراطورية العثمانية حيث ترنم فى تلك القصائد ببطولة الجيش التركى مما يتضح لنا أنه ينظر دائما خلال حمم إلهيت فى قلبه بعشق الإسلام . وحينما رأى بلادا مسلحة وجبهة حرب مسلحة وجريحا مسلما إنكفا عليه وانتحب دون أن ينفذ فى بواطن الشئون الإسلامية (٣).

وهكذا نجد أن عاكف لم ينظم شعرا صريحا ينتقد فيه التغيرات التى قامت بها حكومة أتاتورك فعندما نقلب القصائد التى يضمها الجزء المعروف باسم الظلال وهى آخر ما كتب من أشعار لا نجد فيها نقدا للتغيرات التى أجرتها حكومة أتاتورك ولكن أشعار هذا الجزء تتحدث عن مرارة الهجرة وحزن الوحدة وذكريات الماضى ، فهى بذلك لا تتناول موضوعا منسقا وموجها إلى هدف معين صريح كما هو الواقع فى معظم أجزاء (صفحات الأخرى) ومع هذا فإن قصائد الظلال لا تغلو من ومضات تفصح لنا عما يختلج بقلب الشاعر من

١ - الظلال : ترجمة إبراهيم صبرى ص ١٩ .

٢ - المرجع السابق ص ٨ .

٣ - المرجع السابق ص ٢٠ .

رفض لما يجرى من تغيرات وإحساس التجلد إيذاء ماضى طال أمده قضاء الرجل فى سبيل مبادئه لا يعيد عنها .

يقول فى قصيدة بعنوان حسام أفندى خوجه :

لقد انقضت خمس وخمسون سنة وأنا أمضى فى هذا السبيل
الذى قطعت فيه شوطاً كبيراً من حياتى وأنا مازلت بعيداً من نهايته
فإذا ما رجعت فهى الطامة الكبرى (١)

وهنا نجد بشير على لسان الأستاذ حسام إلى موقفه من المثل العليا التى آمن بها طوال حياته وأنه ليس على استعداد للتخلى عن مبادئه بأى ثمن .

ثم يمضى الشاعر فيعبر عن الأمة التى يشعر بها كلما فكر فى مصائب العالم الإسلامى وخيبة أمله فى إصلاح حال المسلمين ورفضه لما جد على الساحة بعد اتجاه حكومة أتاتورك إلى سياسة التغريب وإلغاء الخلافة ، فنجد اضطراب الشاعر يبلغ ذروته حين يزلف فى حلوان القصيدة المسماة « صنعت كار » أى « الفنان » وقد طلب فيها إلى الأمة التركية المثلة فى شخص الفتاة أن لا تربة دموعها قائلاً :

أنا فى زورق متداع يندفع بى فى عرض البحر
ولعلى لن أستطيع العودة إلى شاطئ الحياة !

هؤلاء أعز أهلى إلى جوارى

أجد السلوى فى رفقتهم وإذا بعاصفة

تهب فتقضى على الزورق

الذى تحطم وطارت أشلاؤه .. (٢)

1- Ben elli beş senedir teptiğim yegâne yolun,
Henüz sonundan uzakken, tükendi gitti ömür;
Tutup da bir geri döndüm mü, yandığım gündür!

Mehmed Akif Ersoy :Safahat,s 493 .

2- Sularla engine düğüğü bir eski teknedeyim;
Hayâta avdetimin, galiba, yok imkânı.
Nedir ki, âilemin en muazzez erkânı,
Yanımdalar ya, ne olsak beraberiz... Derken,
Kopan borayla bizim tekne ayrılır da hemen,
Birir birir dağılır her çatırdayan kemiği.

Mehmed Akif Ersoy :Safahat,s 515 .

رابتعد الزورق عنى على أمواج القدر
 حيث لا يرى شبحه فى الأفق
 فمالى أكافح فى المحيط الذى بقيت فيه ؟
 كل ما استمسكت به هو قطعتان من الخشب
 كيف أقاوم بهما جبال الأمواج ؟
 إن السحب تطبق على كأنها كابوس !
 والفضاء يمتلئ بأحلك ظلمات الليل :
 يمينى وشمالى وخلفى وقدامى غريق فى الظلام ..
 لست أدرى ما غايتى ؟ مكانى ؟ ما وجهتى ؟ وما جهاتى ؟
 مازلت أدور فى اليأس ولا أستطيع الخلاص !
 أنا كمسكين دفن فى القبر حيا ،
 تارة تنسفى الأمواج العاتية
 وطوراً تهوى معى الهوة الجهنمية
 التى تفتح أمامى فتملأ الفضاء أنيئاً !
 وتارة يدوى الرعد المختفى تحت السحاب
 ويمزق الظلمات ويكشف عن منظر سمج ،
 يجعلنى أسأم الحياة فأقول : (١)

١- Kaza sürüklüyedursun hayâl olan gemiyi...
 — Hayır, hayâli de yok gör ki şimdi meydanda! —
 Şu ben ne uğraşırım kaldığım bu ummanda?
 Taşunduğum iki bîçâre tahta parçasıdır,
 Nasıl bu dağ kesilen dalgalarla çarpışılır?
 Bulutların yayılır perde perde kâbûsu;
 Çöker fezâlara artık leyâlin en koyusu.
 Sağım, solum, önüm, arkam yığın yığın zulmet;
 Ne gâye belli, ne mevki, ne vechâ var, ne cihet.
 Döner döner çıkamam, ye's içinde kıvranırlım;
 Mezâra canlı giren bir zavallıyım sanırım!
 Zaman olur, kabaran dalgalarla savrulurum;
 Zaman olur, açılan bir cehennemî uçurum,
 İner benimle beraber fezâyı inleterek;
 Zaman olur, bulut altında gizlenen şimşek,
 Deşer de zulmeti, bir sahne gösterir ki, inan,
 Bütün bütün beni bîzâr eder hayatundan:

“ إن القدر لا ينازل وإذا ما انتظرت الموت
فلا بد من أن أطرح حطام الخشب هذا !
وحسبى ما كان من كفاحى ... ” ولكن لا أقدر ،
وأنحمل أشنع العذاب فلا أقدم على الانتحار :
فأنا أغرق ثم أظهر وهكذا دواليك
- ألم أقل لك يا أمير ،
إنه دم الأنبياء الذى يسيطر على روحك ؟
- أجل أغرق ثم أظهر بلأجدوى
بهذه الأعواد التى تسمينها جناحا
أما هذه الأعواد التى فى يدي فهى ليست
إلا أنقاضاً بقيت من شبابى الحرب ..
كنا نريد أن نستمتع بالغروب يا للخسارة !
ذلك اللون الوردى إن هو إلا خيال فى المغرب ..
وقد استولى حزن الليل على الآفاق اليتيمة
فجعلها كصدور عليها الحداد ، أدبرى رأسك وانظرى :^(١)

١- «Haderle pençeleşilmez; ecelse beklediğim,
Şu tahta parçalarından tecerrüd etmeliyim...
Yeter boğuştuğum artık...» derim... Hayır, duramam,
Taş olsa baş vururum, intihâra baş vuramam!
Batar, çıkar, giderim...

— Söyledim, ya, gindi, Emîr,

Nebilerin kanı rûhunda hükmeden tesir.

— Evet, batar, çıkarım —galiba— ilerlemeyen,

Senin «kanad» dediğin tahtalarla hâlâ ben!

O tahtalar ki, bir onlar elimde, varsa, kalan.

Yıkık şebâbımın enkaz-ı târumârından.

— Gurubu seyredecektik, demin, değil mi? Yazık:

O pempelik bile Mağrib'de bir hayal artık!

Yetim ufuklara çökmüş de akşamın hüznü,

Açıklı sineye dönmüş, çevir de bak yüzünü.

إن يد الشفق تواسى الآن تلك الآفاق اليتيمة ..
 وسرف تواسيها النجوم حينما ينتطفئ الشفق ..
 أما العذور ذات الحداد فلن تلبث أن تشرق عليها الشمس ...
 ليس لآفاق ليلتى المظلمة
 ضوء ولا صوت تحت هذه القبة
 مالها من نصيب سوى تلك الظلمات الخائرة السرمدية
 وإذا رجعت إلى قرارة نفسى اقشعر بدنى ...
 إذ كل أثر أصادفه إن هو إلا بقية من غروب !
 أجل ، أثر من غروب ولكنه عميق عمق العدم
 فلن تطلع شمسى الغاربة إلا يوم الحشر !
 ولكن مالذى أثارك أنت ولم هذه الدموع على خديك ؟
 لا تؤلمينى أيتها الرفيقة وأنا على وشك الفراق .
 والله يشهد ليس صدر يطبق - ولو كان حجراً -
 هبوب العاصفة المظرة التى تدور فى عينيك !
 كلا ! لا أطيق نار إحساسك بآلامى
 أتركينى أبك وحدى ، ذرىنى ...
 أفى هذه الدنيا مصيبة لم أرها ؟
 دعبنى ولأمض قبل أن أرى هذه العبرات !^(١)

١- — «Yetim ufuklar» ı okşar durur şu anda şafak,
 Şafak sönünce de yıldızlar okşayıp duracak;
 «Acıklı sine» yi dersen, güneşlidir yarına.
 Fakat, benim gecemin simsiyah ufuklarına,
 Şu kubbeden ne ziya var, ilâç için, ne sada,
 Bütün nasîbi o ıssız, o sermedi yeldâ!
 Harim-i kalbime indim mi, titrerim tır tır,
 Adım başındaki iz, çünkü bir gurûb izidir.
 Evet, gurûb izi, lâkin, ademî misâli derin,
 Tulû'u mahşere kalmış batan güneşlerimin!...
 Neden, fakat, heyecanın? Nedir yüzündeki yağ?
 Sonunda yolcunu incitme, ey güzel yoldaş!
 Hudâ bilir ki dayanmaz, taş olsa bir sine,
 O gözlerinde dönen sağnağın dökülmesine.
 Hayır! Yakar beni derdimle aşına çıkmam,
 Bırak, ben ağlıyayım, sen çekil de karşımdan.
 Belâ nu kaldı ki dünya evinde görmediğimi?
 Bırak, şu yaşları, hiç yoksa, görmeden gideyim!

وهكذا فإن عاكف الذى لم يزج بنفسه فى معارك السياسة لم يكن سلبى ولكنه قاوم كل ما كان يراه منافياً لتعاليم الإسلام ومناهضاً لوحدة المسلمين وإن كانت هذه المقاومة قد جاءت رمزاً لا تصريحاً .

الخاتمة



الخاتمة :

أرد في البداية أن أشير إلى أن قضية الجامعة الإسلامية وقضية الخلافة هما قضية واحدة متكاملة . إذ أن الخلافة لازمة من لوازم الجامعة الإسلامية ، ولقد رأينا أنه طالما كانت هناك دولة إسلامية واحدة بدءاً من عهد الخلفاء الراشدين حتى نهاية الدولة العثمانية كان يوجد على رأس الدولة خليفة للمسلمين ، وهو في نفس الوقت بمثابة رأس الدولة وحاكمهم وسلطانهم ، وعلى ذلك فإن تناول قضية الجامعة الإسلامية بالدراسة والبحث كان يستوجب أيضاً أن نعرض على مسألة الخلافة والبحث والدراسة ، ولقد عرضت في الفصول السابقة أن محمد إقبال ومحمد عاكف قد عاشا في فترة تدهور الدولة العثمانية دولة الخلافة الإسلامية وأن الشاعرين قد تفاعلا مع الأحداث التي مر بها العالم الإسلامي ، تأثرا بجمال الدين الأفغاني في دعوته إلى اتحاد المسلمين تحت لواء الجامعة الإسلامية ، كما تأثرا بأفكار الإمام محمد عبده تلميذ جمال الدين الأفغاني ، ولقد لقيت فكرة الجامعة الإسلامية قبولا منها وتحملاً ذلك في أشعارهما وإن كانت معالجة كل منهما للقضية كانت مرآة لشخصية وثقافة كل منهما ، كان وقع إلغاء الخلافة مدوياً بالنسبة لهما ، وقد قام كل واحد منهما بالتعبير عن موقفه بشكل جاء متفقاً أحياناً ومختلفاً أحياناً أخرى .

ولقد رأينا أن إقبال قد تفاعل مع الأحداث والقضايا التي ظهرت على سطح الأحداث في العالم الإسلامي .

ف نجد أن إقبال قد عالج هذه القضايا بشكل يميل إلى الفلسفة فنلاحظ أن إقبال قد ابتكر مذهباً فلسفياً أطلق عليه فلسفة الذات ، فإقبال يلاحظ أن الشعوب الإسلامية مع أنهم يمتلكون النظام الإسلامي العظيم إلا أن هذا النظام قد ضاع من ذاكرتهم تماماً واعتقدوا في النظم الأجنبية ، ويؤكد إقبال أن الرجوع إلى الإسلام يأتي بالرجوع إلى الذات ، فنلاحظ أن فكرة الذات وردت عند إقبال في البداية في شكل فكرة اجتماعية وثورية ، ولكن بمرور الوقت على مظاهر الانحطاط وفقدان الهوية بين الشعوب الشرقية وخاصة المسلمة والمحن والمصائب ، ومعرفة الأسباب وطرق العلاج وقد رسخت هذه الفكرة في ذهن إقبال^(١) .

المقصود هنا أن إقبال قد أرجع كل شيء إلى الذات فإذا فسدت الذات فسد كل شيء وإذا صلحت صلح كل شيء فعن طريق الذات تستطيع التوصل إلى حلول المشاكل الموجودة عندنا .

١ - آشنا ، آية الله خامنه اي ، اقبال در مبان ما ، العدد السابع ، مهر وآبان ١٣٧١ .

لذا نجد إقبال يؤكد على بناء الذات ويرى أن الحب هو أحد العوامل التى تبنى الذات .
يقول :

النقطة المضينة التى اسمها الذات هى شرارة الحياة تحت أرضنا

بالمحبة تصبح أكثر ثباتاً واستقراراً وأكثر حياة وحباً ورضياً^(١)

وحاول إقبال إحياء احساس الذات أى الشعور الهوية الإنسانية وذلك فى الفرد والمجتمع المسلم وفى نفى الذات نجد إقبال يؤكد على أنه لا ينبغي حصر الأفراد حول أنفسهم فقط منفصلين عن الآخرين ويعيشون بأنفهم بل يجب نفى هذه الأنفس ذاتها وحياتها فى وسط مجموعة فى مجتمع واحد أى أن الذات لابد أن ترتبط بالمجتمع^(٢).

أما الشاعر التركى محمد عاكف فيمكن أن نوجز الأفكار العامة التى تناولها فى أشعاره فى محورين أساسيين .

أولاً : يمتلك المجتمع الإسلامى مقومات الحضارة وأسباب الوحدة ، فهو مهد الحضارات وهو الذى علم الدنيا شتى أنواع المعارف وما أصاب العالم الإسلامى من تدهور وانحطاط إنما يرجع إلى البعد عن تعاليم الإسلام والفهم الخاطئ للمبادئ الإسلامية .

ثانياً : لن يتكمن العالم الإسلام من مواكبة ركب الحضارة الحديث وتحقيق كيانه إلا بالثقة وإحياء أمجاد الإسلام والاتحاد أمام تكتل قوى الاستعمار الحديث^(٣).

إقبال والقومية :

هاجم إقبال القومية بشدة وأوضح أن هذه الفكرة بدعة جديدة من شأنها أن تعمل على الفرقة ، وأن الإسلام دين لا يدعو إلى هذه الفكرة بل إنه يرفض تفاضل الناس بعضهم على بعض باللون والجنس بل أن التفاضل فى الإسلام يكون قائماً على الإيمان ، ودرجة إيمان كل فرد هى التى ترجح كفته عند الله .

وعلى هذا يمكننا القول أن إقبال كان ينادى بالروح العالمية أى الروح العالمية للإسلام ، فهو دين للناس كافة . إذ أنه يذكر الإنسانية بأن الإسلام قد اعترف منذ البداية بأن أى مجتمع يقوم على أساس القومية الإقليمية لابد وأن يكون بعيداً عن الاستقرار ، لقد أرسى الإسلام قواعد المجتمع الإنسانى على أساس وحدانية الله فمحا بذلك جميع الحواجز الجغرافية ودعا إلى أخوة البشرية^(٤).

١ - الأسرار والرموز ص ١٨ .

٢ - أشنا : آية الله خامنه اى العدد السابع مهر وآبان ١٣٧١ هـ . ش .

٣ - محمد عبد اللطيف هريدى : الأدب التركى الإسلامى ، ص ٢١٢ .

٤ - مقال ، الحركة الإسلامية عند إقبال ، محمد حسين الملحق الصحفى لسفارة باكستان بالقاهرة

وكانت أشعار إقبال زاخرة بالرموز الإسلامية والتقاليد الثقافية الإسلامية ومن هذه الرموز ينطلق إقبال إلى الوحدة الإسلامية لأن المجتمع الإسلامي هو أخصب تربة لهذه الفكرة لأنه يتفق في أهم شيء من شأنه أن يقيم وحدة حقة وهو عنصر الدين .

عاكف و القومية :

ولمجد أن عاكف أيضا ينحو منحى إقبال في ضرورة وحدة المسلمين وأن الإسلام لا يعرف القوميات العرقية من صرب وبلغار وارناؤط وعرب وترك بل أن كل المسلمين سواسية لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى وأن رسول الله ﷺ لعن كثيراً فكر القومية العنصرية الذي يبث بذور الفرقة بين المسلمين .

وقد وردت أشعار عاكف التي نتحدث عن هذا الموضوع في الفصل الأول من الباب الثاني من القسم الثاني موضوع الدراسة .

إقبال والوحدة الإسلامية :

كان إقبال يؤمن بأن الهندي والتركي والأفغاني والإيراني والعربي كلهم أعضاء في أسرة واحدة ، أي أنه يؤمن بالوحدة الإسلامية كما كان يرغب في رؤية مختلف أقطار العالم الإسلامي وقد أصبحت أعضاء في مجتمع متحد فيما يشبه رابطة الشعوب الإسلامية وإن هذا الاتحاد لن يتأتى إلا إذا بدأت بتنظيم نفسها واتحدت اتحاداً منتظماً .

ولقد كان يحز في نفسه أن يرى تدهور المجتمع الإسلامي بهذا الشكل ذلك المجتمع الذي تمكن في بدايته أن يكون قوة كبيرة وأن يشيد إمبراطورية واحدة وأن يقدم للعالم وللحضارة الإنسانية أعظم الرجال .

لذا نلاحظ أن مهمة محمد إقبال كانت تشبه مهمة الشيخ جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده بل وكانت امتداداً لها .

فكانت محاولاته تقوم على الأسس التي قامت عليها محاولات جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده واشترك الثلاثة في أنهم جميعاً كانوا يعتبرون الاجتهاد ضرورة إنسانية دينية تقتضي من المسلم العصري أن يعيد النظر في النظام الإسلامي بأسره دون الانفصال عن الماضي ، ويرى إقبال أنه لكي تتحقق الوحدة الإسلامية يجب تحرير كل بلد إسلامي من الاستعمار أي تحرير ذاته ثم بنائه وتطويره من جديد ثم ضمه إلى أسرة الوحدة الإسلامية في نظام فيدرالي .

يقول في ذلك :

" إن الوحدة الحية الحققة ليس من اليسير تحقيقها بمجرد وجود سلطة عليا رمزية بل تتجلى حقاً في تعدد الوحدات الحرة المستقلة الى تقضى على ما بينها من تنافس في الجنس والأصل وتنمى بينها روابط من وحدة الأمل الروحاني المشترك ^(١) .
أما عاكف فلقد قامت نظرتة للمجتمع العصري على ركنين أساسيين هما المعرفة والفضيلة .

أما المعرفة فيعنى بها العلوم والتكنولوجيا ويطالب عاكف بأخذ هذه العلوم والتكنولوجيا من أوروبا لأنه يرى أن مدارس العالم الإسلامي ظلت بعيدة عن تلك العلوم منذ ثلاث مائة عام مما أدى إلى تخلفها أما الفضيلة فهي تعنى عند عاكف المعدن الأصيل بالنسبة للإنسان المسلم وما يحتويه في قيم اخلاقية ودينية ويقول عاكف أن طريق الرقى والتقدم إنما يتأتى عن طريق انصهار المعرفة والفضيلة ^(٢) .

وكما ورد في البحث لمجد أن محمد إقبال أهد السيد جمال الدين الأفغانى في دعوته إلى الجامعة الإسلامية ولكن إقبال كان يرى أن طرق تحقيق هذا الاتحاد يتأتى بتقوية كل بلد على حدة ويرى أن لفظ Pan islamism يوحد جميع المسلمين ولا يفرق في الجنس والنوع واللون والعرق وأن تعبير Pan islamism سيظل باقياً لأن الرسول قد حثنا على الوحدة ، ولكن إقبال يرى كما ذكرت من قبل أن لفظ Pan يجب اسقاطه من المقطع المذكور لأن الإسلامية تعبير يؤدي تماماً نفس المعنى ^(٣) .

ولقد انضم عاكف إلى إقبال في قضية وحدة المسلمين واهتز قلب كليهما دون تميز عرقي حيث أرادا نهضة المسلمين في العالم فقد خاطب عاكف الأتراك المسلمين مثلما خاطب إقبال مسلمى الهند ^(٤) .

١ - محمد إقبال : مجاهد التفكير الدينى في الإسلام ، ترجمة عباس محمود ص ١٨٢ .

٢ - R Hüsam eddin Erolem , Mehmed Akif De Tefekkur . Mehmed Akif Armagon , - ٢ s . 92 .

٣ - أحمد ماهر البقرى : الفكر الإسلامى في أدب إقبال ص ١٢٦ .
4-Dr. Erkan Turkmen. Muhammed İkbâl ve Mehmed Akifî Hurriyet Fikri , Mehmed Akif Ersoy'a Armagan - Konya 1986 . S.68.

قال عاكف :

إذا لم تستبـبـقـظ وتـدرك الـهـدف المقصـود
فـانظـر هل هـناك أثر لهـؤـلا . النـابـهـين الـيـقـظـين فـي الطـرقـات^(١)

وإقبال نفس الرسالة في أشعاره ، يقول :

أقول لمسلم : ما فيك صدر لأنفاس بها حر النشور
ومزقت الجيوب وأنت خال جرنى - لا ألومك - فى قصور^(٢)

ولا يختلف عاكف كثيراً عن إقبال في كيفية تحقيق الوحدة الإسلامية ، وكل ما بينهما من خلاف إنما ينحصر في أن إقبال يرى ضرورة أن يتقوى كل بلد إسلامي على حدة بينما يرى عاكف أن كل بلد إسلامي ينهض من خلال اتحاد وتعارفه مع البلاد الأخرى في إطار وحدة إسلامية جامعة .

وعاكف وهو يدعو إلى وحدة المسلمين لا يهمل الدعوة إلى الوحدة الشعرية أى وحدة الأحاسيس والمشاعر فهي البناء المعنوى الذى يدعم البناء المادى . فنجد في قصيدة له تحت عنوان « وحدت » أى الوحدة ، يستلهم سير الصحابة ويقص ما حدث مع حذيفة العدوى حين وجد ابن عمه بين الجرحى يشن طالباً الماء وما أن بهم بإعطائه حتى تعالى أنين من موضع آخر فطلب منه ابن عمه أن يعطى الماء لم يشن وهكذا تداول الجرحى الإناء دون أن يشربوا . هذه هي الوحدة الشعرية التى يريد بها الشاعر^(٣) .

ولقد استخدم كل من إقبال وعاكف كلمة الوطن بمعنى الوحدة الإسلامية ، ولقد بشر ونادى من أجل الوحدة الإسلامية ، وليست الوحدة الوطنية ويتجلى هذا فى شعر كل من عاكف وإقبال .

يقول إقبال : لست أفغانيا ولا تركيا ولا تتريا

فأنا ابن حديقة الإسلام

ويقول عاكف فى هذا الموضوع

إن عقيدتك هي الإسلام فما هي العرقية إذا

يجب أن ترتبط بقوة وطنك الإسلام

Menzile maksuda vormaz sim uy on maz son eger .

varmi bak , yallorda hisbilar olsn lardem eser .

٢ - محمد إقبال : ضرب كليم ، ترجمة عبد الوهاب عزام ص ٣٥ .

٣ - عبد اللطيف مريدى : الأدب التركى الإسلامى ، ص ٢٢٣ .

وعلى هذا فإن فكر الشاعرين لا يلتقى فقط فى حرية بلد اسلامى بعينه ولكنهما يتفقان فى ضرورة وحدة العالم الإسلامى اجمع فبينما لجد إقبال يشيد بعظمة أبناء الأتراك أثناء حربهم من أجل الاستقلال وتقديره لهم :

حين يقول :

العثمانى قائد فى بلاده

قلبه يقظ وعينه ساهرة

لجد محمد عاكف وهو يمتدح مسلمى الهند بقوله :

إنه لا يميل إلى التقليد مثل القروى

إن الشعور الوطنى محكم ومتين يزداد ولا ينقص .

وإذا كان قد أخذ عن العرب علمه فقد أخذه فقط

تنظر فتجد يده ماهرة مبدعة ولكن بلا مخالف

لا يعرف البغاء ولا يشرب الخمر ، همته عالية وتنوع

إن احترامه وتعظيمه للشرع المبين يفرقنا

إن هذا هو مستقبل الأمة التى تعلم الأبناء

لقد استحققت أن تحصل على الاستقلال

إن لم يكن هذا غداً فسيكون تأكيداً بعد غد .

إذا كان قد بعد فما الضير ؟ إن هناك مستقبلاً يلوح فى الأفق فانظر إليه^(١)

أما الموضوع الثانى الذى تناوله إقبال وتناوله أيضاً عاكف فى شعرهما هو قضية الخلافة .

فكما ذكرت فى الفصول السابقة أن إقبال وعاكف قد عايشا أزمة الخلافة الإسلامية إلى أن تم القضاء عليها بالغائها على يد مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٤ م .

فلقد أيد محمد إقبال مصطفى كمال أتاتورك فى بداية حربه التى خاضها للاستقلال وامتدحه ، وقد وضع ذلك فى أشعار إقبال التى ذكرتها من قبل ثم بعد ذلك أيد إقبال مصطفى كمال أتاتورك فى إلغائه الخلافة العثمانية لأنه قد وجد أن الدولة العثمانية قد فقدت سيطرتها و فقد السلطان كذلك سيطرته على البلاد التى كان يحكمها بصفته خليفة للمسلمين ، ولكن حين وجد إقبال أن مصطفى كمال قد ابتعد بتركيا وعن الإسلام والتى

كان يراها إقبال نموذجاً يجب أن تحتذى به البلاد الإسلامية عن الإسلام . وقام بعملية علمنة الدولة والذي وضع جلياً في الدستور التركي الذي وضعه مصطفى كمال والذي بناه عليه قام باغلاق التكايا وتحويل الخط العثماني إلى الخط اللاتيني وحذف التعاليم الإسلامية من المدارس فإن إقبال قام بتوجيه خطاب إلى مصطفى كمال في ديوان « پیام مشرق » ينتقد فيه كل هذه الأفعال ، وقد وردت ترجمة لهذا النص في الفصل الخاص بإقبال والخلافة الإسلامية .

أما محمد عاكف فنجده قد حذا حذو محمد إقبال في تأييده لمصطفى كمال في حربه ضد الاستعمار حتى استقلت تركيا وأنتخب عضواً نائباً في البرلمان التركي الأول الذي أسسه مصطفى كمال .

وحين وجد أن مصطفى كمال قد ابتعد عن الإسلام ترك عاكف استانبول واكتفى بالتعبير عن رفضه لما قام به مصطفى كمال من أعمال بالهجرة إلى مصر وقد ورد ذلك في فصل محمد عاكف والخلافة الإسلامية.

وكان لإقبال وأى في وجود الخلافة الإسلامية بإقبال يرى أن وجود الخلافة ليس ضرورياً . فرمز الخليفة في رأى إقبال من الممكن أن يكون في رئيس أو ملك أو سلطان أو مجلس ، وقد برهن على ذلك في كتاب تجديد التفكير الديني .

في حين كان محمد عاكف يرى وجوب وجود خليفة وكان يردد في أشعاره حافظوا على رأس الدولة أو الخليفة وقد أوردت ذلك في الفصل الخاص بالخلافة عند عاكف وبالتحديد في الأبيات التي حذفت منها كلمة خليفة أو رأس الدولة أو السلطان .

وحين ارتفعت الأصوات تنادى باحياء الخلافة الإسلامية من جديد وخاصة دعوة الملك فاروق في إحياء الخلافة الإسلامية في مصر عارض إقبال هذا بوضوح في ديوان أرمغان حجاز . ويقول له أن الخلافة الحققة كانت في عهد الخلفاء الراشدين ويضرب مثلاً بالفاروق عمر .

أما محمد عاكف فقد التزم الصمت يرجع هذا إلى أنه كان موجوداً كضيف في مصر فلم يستطع أن يعبر عن رأيه في هذا الموضوع بصراحة .

و كمتبين لنا تاجر الشعارين بالاحداث التي عايشاها فقد تاجر كل منهما بالآخر ، و لكنني اري تاثير اقبال في عاكف كان اقوي ، و ربما يرجع هذا الي ان عاكف كان يجيد الفارسيه مما ساعده علي قراء اعمال اقبال و التاثير بما فيها من افكار خاصه تلك التي

تتعلق بقضيه الجامعة الاسلامية و الخلافة ، و قد بلغ تأثير اقبال في عاكف الحد الذي جعل عاكف يستشهد احيانا في اشعاره ببعض اقوال وافكار اقبال ، وقد تجلّى تأثير اقبال في عاكف خاصة في المرحلة الاخيرة من حياته وهي المرحلة التي عارض فيها عاكف اجراءات الثورة الكمالية واستقر به المقام في مصر حيث ألف الجزء الاخير من ديوانه صفحات وهو الجزء المعروف باسم «الظلال» ، فقد غلبت على اشعار هذا الجزء النزعة الفلسفية في رؤية عاكف للاحداث، بينما كانت النزعة العاطفية الجياشة هي الغالبة علي اجزاء الديوان الاخرى.

وعلى هذا يمكن أن نوجز كما ماسبق في أن إقبال كانت تغلب على أشعاره الروح الفلسفية وعاكف كانت تغلب عليه روح الوطنية الحماسية ، فإن قضية الجامعة الإسلامية والخلافة كانتا كما رأينا تشغل حيزاً كبيراً من فكر إقبال وعاكف لأن الاثنين كانا ينتميان إلى نوع واحد من الثقافة وهي الثقافة الإسلامية وكان أمراً طبيعياً أن تشغل قضية الجامعة الإسلامية والخلافة حيزاً من تفكيرهما لأن قضية الجامعة وقضية الخلافة كانتا من القضايا الجوهرية للإسلام وستظل كما كانت موضوع اليوم والغد إلى أن تتحقق وحدة العالم الإسلامي .

وأرجو أن يكون الصبح ليس بعيداً .

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر الفارسية:

- ۱ - محمد إقبال : ارمغان حجاز ، الطبعة الثامنة ، لاهور ، ۱۹۶۴ م .
- ۲ - محمد إقبال : اسرار ورموز ، الطبعة السادسة ، لاهور ، ۱۹۶۴ م .
- ۳ - محمد إقبال : پس چه باید کردای اقوام شرق ، الطبعة الخامسة ، لاهور ۱۹۶۴ .
- ۴ - محمد إقبال : پیام مشرق ، الطبعة العاشرة ، لاهور ۱۹۶۳ م .
- ۵ - محمد إقبال : جاوید نامہ ، الطبعة الخامسة ، لاهور ۱۹۶۴ م .
- ۶ - محمد إقبال : زبور عجم ، الطبعة السابعة ، لاهور ۱۹۵۶ .
- ۷ - محمد إقبال : کلیات اشعار فارسی اقبال لاهوری ، تهران ، چاپ سوم ۱۳۷۰ هـ.ش .

المصادر الفارسية المترجمة:

- ۱ - محمد إقبال : پیام مشرق (رسالة المشرق ، ترجمة : عبد الوهاب عزام ، کراچی ، ۱۹۵۱ م .
- ۲ - محمد إقبال : الأسرار والرموز ، ترجمة : عبد الوهاب عزام ، دار المعارف ، مصر ، ۱۹۵۵ م .
- ۳ - محمد إقبال : جاوید نامہ ، ترجمة : محمد السعيد جمال الدين (رسالة الخلود) القاهرة ، ۱۹۷۴ م .
- ۴ - محمد إقبال : ارمغان حجاز ، ترجمة : سمير عبد الحميد ، لاهور ، ۱۹۷۶ م .

المراجع الفارسية:

- ۱ - ابراهيم تيمورى : تحريم تنباکو ، تهران ۱۳۶۱ ، چاپ سوم هـ . ش .
- ۲ - أبو الفضل نبئی : اقبال لاهورى منادى وحدت اسلامى ، در شناخت اقبال ، مجموعة مقالات كنكره جهانى بزرگداشت علامه اقبال لاهورى ، تهران ، اسفند ۱۳۶۴ هـ . ش .
- ۳ - احمد كسروى : تاريخ مشروطه ايران ، مؤسسه انتشارات امير كبير ، تهران ، ۱۳۶۳ هـ . ش .

- ۴ - اکبر هاشمی رفسنجانی : امیر کبیر ، دفتر انتشارات اسلامی ه . ش .
- ۵ - جاوید اقبال : اتحاد عالم اسلام و جهان سوم ، در شناخت اقبال ، مجموعه مقالات کنگره جهانی بزرگداشت علامه اقبال لاهوری ، تهران ، اسفند ۱۳۶۴ ه . ش .
- ۶ - رابرت گرانث واتسون : تاریخ ایران دوره قاجاریه ، ترجمه : وحید مازندارنی ، چاپ سوم ، چاپخانه سپهر ، تهران ، ۱۳۵۴ ه . ش .
- ۷ - سید جلال الدین مدنی : تاریخ سیاسی معاصر ایران ، ۲ جزء ، دفتر انتشارات ، تهران ، ۱۳۶۱ ه . ش .
- ۸ - سید محمد دامادی : فارسی عمومی ، تهران ۱۳۷۰ ه . ش .
- ۹ - سید مرتضی بن داعی الرازی : کتاب تبصره العوام فی معرفة مقالات الأنام ، تهران ۱۳۱۳ ه . ش .
- ۱۰ - عباس اقبال : خاندان نویختی ، طهران ، طبعه مجلس ۱۳۱۱ .
- ۱۱ - عبد الرحمن طالبوف : سفینه طالبی با کتاب احمد ، استانبول ۱۳۳۲ .
- ۱۲ - عبد الرضا هوشنگ مهدوی : تاریخ روابط خارجی ایران ، تهران ، مؤسسه انتشارات امیر کبیر ، ۱۳۴۹ ه . ش .
- ۱۳ - عبد الشکور أحسن : اقبال و وحدت جهان اسلام ، در شناخت اقبال ، مجموعه مقالات کنگره جهانی بزرگداشت علامه اقبال لاهوری ، تهران ، اسفند ۱۳۶۴ ه . ش .
- ۱۴ - عبد الله رازی : تاریخ کامل ایران ، از تأسیس سلسله ماد تا انقراض قاجاریه ، تهران ۱۳۷۱ .
- ۱۵ - فریدون آدمیت : اندیشه ملی طالبوف تبریزی ، تهران ، الطبعة الثانية ۱۳۶۳ ه . ش .
- ۱۶ - فریدون آدمیت : فکر دموکراسی اجتماعی ، در نهضت مشروطیت ایران ، تهران ۲۵۳۵ ش . ش .
- ۱۷ - محمد عثمان صدقی : سید جمال الدین افغانی : پیشوای انقلاب شرق ، کابل ۱۳۵۵ ه . ش .
- ۱۸ - ناظم الإسلام کرمانی : تاریخ بیداری ایرانیان ، انتشارات بنیاد فرهنگ ، ایران

۱۳۴۶ هـ . ش .

- ۱۹ - لحجف قلی حسام معزی : تاریخ روابط سیاسی ایران بادنیا ، از هخامنش تا تحولات اخیر ، جزء ۲ فی ۲ مجلد ط ۱ تهران ۱۳۲۴ هـ . ش .
- ۲۰ - یحیی ارین پور : از صباتانیم ، تهران : شرکت سهامی کتابهای جیبی ، ۱۳۵۰ هـ . ش .

المراجع الفارسیة الفارسیة المترجمة:

- ۱ - آية الله مرتضى المطهری : الإسلام وايران ، ترجمة محمد هادی الیوسفی الفروی ، تهران ، ۱۳۶۰ هـ . ش .
- ۲ - بطروشوفسکی : الإسلام فی ایران ، ترجمة : السباعی محمد السباعی ، الطبعة الثانية ، دار الزهراء للنشر ، القاهرة ، ۱۹۹۳ م .
- ۳ - جلال نوری : اتحاد المسلمين ، ترجمة : حمزة طاهر ، عبد الوهاب عزام ، القاهرة (ب . ت) .
- ۴ - حسن گمشاد : النشر الفني فی الأدب الفارسی ، ترجمة : ابراهيم الدسوقي شتا ، القاهرة ، ۱۹۸۹ م .
- ۵ - حمید عنایت : الفكر السياسي الإسلامي المعاصر ، ترجمة : ابراهيم الدسوقي شتا ، القاهرة ، ۱۹۸۸ م .
- ۶ - عباس إقبال : تاريخ ایران بعد الإسلام ، ترجمة : محمد علاء الدين منصور .
- ۷ - میرزا اطف الله خان : جمال الدين الأسد الأبادی ، ترجمة : صادق نشأت ، عبد المنعم حسنین ، القاهرة ، ۱۹۵۷ .
- ۸ - هیهولت درنیفوس : تاریخ امریهائی ، ترجمة میرزا منیر زین ، میرزا عزیز الله خان . مطبعة السعادة ۱۳۴۱ هـ / ۱۹۲۲ م .

المعاجم الفارسیة:

- ۱ - علی اکبر دهخدا : لغت نامه ، طهران ، ۱۳۴۲ هـ . ش .

المصادر التركية:

- 1- Mehamed Akif Ersoy : Safahat , Istanbul 1991.

المصادر التركية المترجمة:

- ١ - محمد عاكف « الظلال » : ترجمة ابراهيم صبرى ، القاهرة (ب . ت) .

المراجع التركية:

- 1- Erkan Türkmen : Muhammed İkbāl ve Mehmed AKİF'te Hürriyet Fikri .(Ölümünün 50 . Yilinda Mehmed Akif Ersoy'a Armagan , Konya , 1986) .
- 2 - Esref Edip : Said Nursi Hayati Eserleri Meslegi , Istanbul , 1957.
- 3 - Faruk K. Timurtas : Mehmet Akif ve Cemiyetimiz . Ankara , Kültür ve Turizm Bakanligi yayinlari , 1987 .
- 4-Husameddin Erdem,Mehmed Akif de Tefekkür (Ölümünün 50 . Yilinda Mehmed Akif Ersoy'a Armagan , Konya , 1986 .)
- 5- Nihad Sami Banarlı : Resimli Türk Edebiyatı Tarihi . Istanbul . 1987
- 6 - Tarhan Feyzioglu : Atatürk yolu . Ankara , 1987 .
- 7 -Tarhan Feyzioglu : Atatürk ve Milliyetçilik . Ankara , 1987 .
- 8 - Vasfi Mahir Kocatürk : Türk Edebiyatı Tarihi . Ankara , 1970 .
- 9 - Yasar Yuca , Ali sevim : Türkiye Tarihi , Ankara , 1992 .
- 10 - Zeynep Korkmaz : Kemal Atatürk Nutuk 1919 - 1927 , Ankara 1991 .

المراجع التركية المترجمة:

- ١ - السلطان عبد الحميد : مذكراتي السياسية ، ترجمة : كمال خوجه ، بيروت ،

١٩٧٩م.

٢ - بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة : أحمد السعيد سليمان ،
١٩٥٨ م .

٣ - مذكرات السلطان عبد الحميد : ترجمة محمد حرب سلسلة كتاب الهلال ١٩٨٥ م .

الدوريات والعربية:

- ١ - سبيل الرشاد : محمد عاكف العدد ٢٣٠ ، المجلد ٩ ص ٣٧٥ .
- : محمد عاكف العدد ٣٣٢ ، المجلد ١٤ ص ٣٣١ .
- ٢ - الصراط المستقيم : محمد عاكف ، العدد ٧٨ ، المجلد الثالث ص ٤٠٩ .

المصادر الأردنية:

- ١ - محمد إقبال : ارمغان حجاز ، الطبعة الثامنة ، لاهور ، ١٩٦٤ م .
- ٢ - : بال جبريل ، الطبعة الرابعة عشر ، لاهور ، ١٩٦٥ م .
- ٣ - : بانگ درا ، الطبعة الثانية والعشرين ، لاهور ١٩٦٣ م .
- ٤ - : ضرب كلیم ، الطبعة الثانية عشر ، لاهور ١٩٦٥ م .

المراجع الأردنية:

- ١ - معین الدین عقیل : تحریک آذادی مین اردو تا حصہ ، کراچی ١٩٧٦ .

المصادر العربية:

- ١ - الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري : صحيح مسلم ، دار الريان للتراث ، القاهرة ١٩٨٧ م .
- ٢ - جمال الدين الافغانى محمد عبده: العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى. تحقيق صلاح الدين البستاني الطبعة الثالثة ١٩٩٣ .
- ٣ - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٨٨٦ م .

المراجع العربية:

- ١ - أبو خلدون ساطع الحصرى : ماهى القومية « أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات » بيروت ، ١٩٨٥ م .
- ٢ - أحمد السعيد سليمان : التيارات الدينية والقومية فى تركيا المعاصرة ، القاهرة ، دار المعرفة ، ١٩٦١ .
- ٣ - أحمد أمين : المهدي والمهدية . القاهرة ، دار المعارف للطباعة والنشر ، ١٩٥١ .
- ٤ - : زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
- ٥ - أحمد تيمور باشا : اليزيدية ، القاهرة ، الطبعة السلفية ١٩٥٢ هـ / ١٩٣٣ م .
- ٦ - أحمد فهد بركات الشوابكة : حركة الجامعة الإسلامية ، الطبعة الأولى الزرقاء : مكتبة المنار ، ١٩٨٤ .
- ٧ - أحمد ماهر البقرى : الفكر الإسلامى فى أدب إقبال (ب . ت) ، (ب . ن) .
- ٨ - أحمد محمود الساداتى : تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .
- ٩ - : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .
- ١٠ - أحمد معروض : العلامة محمد إقبال حياته وآثاره ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .
- ١١ - إسماعيل العربى : الإسلام والتيارات الحضارية فى شبه القارة الهندية ، الدار العربية للكتاب ، (ب . ت) .
- ١٢ - السباعى محمد السباعى : النشر الفارسى منذ النشأة حتى نهاية العصر القاجارى ، القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٧ .
- ١٣ - السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى : روائع إقبال ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٦٨ م .
- ١٤ - حافظ وهبة : جزيرة العرب فى القرن العشرين ، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٥ .
- ١٥ - حسين آل ظهر : البهائية نقد وتحليل ، لاهور ، باكستان ، إدارة ترجمان ، ١٩٨٤ .
- ١٦ - حسين مجيب المصرى : تاريخ الأدب التركى ، القاهرة ، ١٩٥١ م .

- ١٧ - خالد عباس أسدى : محمد إقبال قصائد مختارة ودراسات ، مدهولى ، القاهرة (ب . ت) .
- ١٨ - خليل الرحمن عبد الرحمن : إقبال المفكر الإسلامى العملاق ، الرياض ١٩٨٦ م .
- ١٩ - رحاب خضر عكارى : جمال الدين الأفغانى حكيم الشرق ، بيروت ، ١٩٩٣ .
- ٢٠ - سعد محمد حسن : المهدية فى الإسلام منذ أقدم العصور حتى اليوم : دراسة وافية بتاريخها العقدى والأدبى والسياسى ، القاهرة ، مكتبة الخالجي ، ١٩٥٣ .
- ٢١ - سليم الصوص : أتاتورك منقذ تركيا وبانى نهضتها الحديثة ، مطبعة شنلر ، الأردن ، الطبعة الأولى ١٩٧٠ م .
- ٢٢ - سمير عبد الحميد ابراهيم : إقبال والعرب ، مكتبة دار السلام ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ .
- ٢٣ - صادق نشأت ، مصطفى حجازى : صفحات عن إيران ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- ٢٤ - صالح عبد الله كامل ، أمية الصاوى : أضواء على البهائية الفكرة والعقيدة ، القاهرة : دار مصر للطباعة ، ١٩٨٥ .
- ٢٥ - صلاح الدين محمد شمس الدين الندوى : الاتجاه الإسلامى فى شعر محمد إقبال الدار السلفية ، بمبائى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
- ٢٦ - طه حسين وآخرون : كتاب تذكارى بعنوان « محمد إقبال » يشتمل على خطب ألقاها صفوة من رجال الفكر فى مصر عن إقبال ، جمعت ونشرت فى هذا الكتاب ، القاهرة ، (ب . ت) .
- ٢٧ - عارف تامر : الإمامة فى الإسلام ، بيروت .
- ٢٨ - عباس محمود العقاد : مقال القائد الأعظم ضمن كتاب القائد الأعظم محمد جناح تأليف حسين المهنزانى ، القاهرة ، ١٩٤٨ .
- ٢٩ - عبد الرحمن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٧٨ م .
- ٣٠ - عبد الحميد متولى : الإسلام على هو دين ودولة ، القاهرة : مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٦٥ .
- ٣١ - عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة مفترى عليها أربعة أجزاء ، الجزء الأول ١٩٨٤ ، الأجزاء الثلاثة ١٩٨٦ .
- ٣٢ - عبد الكريم البافى : محمد إقبال فيلسوف الذات وشاعر العشق نداء إقبال بدمشق ، دار الفكر ، دمشق ١٩٨٥ م .
- ٣٣ - عبد الكريم مشهدانى : العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية فى تركيا ،

الرياض - دمشق ، ١٩٨٣ .

٣٤ - عبد اللطيف الجوهري : مع إقبال شاعر الوحدة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨٦ م .

٣٥ - عبد الرهاب عزام : محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره ، باكستان ، ١٩٥٤ .

٣٦ - عبد المنعم النمر : كفاح المسلمين في تحرير الهند ، القاهرة ، ١٩٩٠ .

٣٧ - غزوة عبد الرحمن الصاري : على منبر السليمانية القاهرة ، الزهراء ، ١٩٨٨ .

الظلال ، القاهرة ، الزهراء ، ١٩٨٨ .

٣٨ - على عبد الرازق : الإسلام وأصول الحكم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣ م .

٣٩ - قدرى قلجى : جمال الدين الأفغانى : الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٩٣ .

٤٠ - محمد المخزومى : خاطرات جمال الدين الأفغانى ، المطبعة العلمية ، بيروت ، ١٩٣١ م .

٤١ - محمد حسن الأعظمى : القائد الأعظم وقصة الباكستان

٤٢ - محمد رشيد رضا : الخلافة ، القاهرة ، الزهراء للإعلام العربى ، ١٩٨٨ .

٤٣ - محمد على الزغبى : الماسونية في العراق ، بيروت ١٩٨٨ .

٤٤ - محمد ضياء الدين الريس : النظريات السياسية الإسلامية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٧ .

٤٥ - محمد عبد اللطيف هريدى : الأدب التركى الإسلامى ، السعودية ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، ١٩٤٨ .

٤٦ - محمد عبد المنعم أحمد النمر : البابية والبهاية النحلة اللقيطة تاريخ ووثائق ، القاهرة ، مكتبة التراث الإسلامى ، ١٩٨٩ .

٤٧ - محمد عبد المنعم الشرقاوى ، محمد محمود الصياد : ملامح الهند وباكستان ، ١٩٥٢ .

٤٨ - محمد عمارة : الإسلام وفلسفة الحكم ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٩ م .

٤٩ - جمال الدين الأفغانى منقذ الشرق وفيلسوف الإسلام ، الطبعة الثانية

، القاهرة ، ١٩٨٨ .

- ٥٠ - : معركة الإسلام وأصول الحكم ، دار الشروق ، القاهرة ١٩٨٨ م.
- ٥١ - محمد فريد : تاريخ الدولة العلية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٨٩٦ .
- ٥٢ - محمد محمد إبراهيم زغروت : دور يهود الدوق في إسقاط الخلافة العثمانية ، القاهرة ، ١٩٩١ م .
- ٥٣ - نجاح عطا الطائي : الفكر القومي إسلامياً وتاريخياً ، معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي ، مطبعة سپهر ، إيران ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

المراجع الإنجليزية:

- 1 - Bernard Lewis : The Emergence of Modern Turkey . 1960 .
- 2 - Daviol Kushner : The Rise of Turkish Nationalism . 1876 - 1908 . London , 1922 .
- 3 - Iqbal Centenary Papers: vol 2. Lahore ,1977 : Parveen Shaukat Ali : Iqbal and pan islamism .
- 4 - Sheikh Ata Ullah Ed : Iqbal Nama , Lahore 1951 .
- 5 - Syed Abdul Vahid : Thoughts and reflections of Iqbal , Lahor , 1964 .
- 6 - Zafar Iman : Muslims in India New Delhi , 1970 .

المراجع الإنجليزية المترجمة:

- ١ - آرنست آرامزور : تركيا الفتاه وثورة ١٩٠٨ ، ترجمة : صالح أحمد العلي ، بيروت ١٩٦٠ م.
- ٢ - هويد شيفر : القومية عرض وتحليل ، ترجمة : جعفر خصباك ، وعدنان الحميري ، بيروت ١٩٦٢ م .

- ٣ - جب هاملتون وآخرون : وجهة الإسلام نظرة فى الحركات الحديثة فى العالم الإسلامى ، ترجمة : محمد عبد الهادى أبو ريده . القاهرة ١٩٣٤ م .
- ٤ - دونالد ولير : إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة : عبد النعيم محمد حسنين . القاهرة ١٩٧١ م .
- ٥ - روبر مانتيران : تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة : بشير السباعى ، القاهرة ، ١٩٩١ م .
- ٦ - كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة : منير البعلبكي وآخرون . بيروت ، المطبعة السلفية ، ١٩٧٧ م .
- ٧ - لوثراب ستودارد : حاضر العالم الإسلامى ، ترجمة : عجاج نويهض ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م .
- ٨ - محمد إقبال : تجديد التفكير الدينى فى الإسلام : ترجمة عباس محمود ، القاهرة ١٩٥٥ م .

المراجع الأوربية:

1 - Bernrad Lewis : Islam Et laicité La naissance de la Turquie moderne , Librairie Arthème Fayard , pour l'édition en langue française , 1988

الرسائل العلمية:

أ- الماجستير:

- ١- فتحي عبد المعطى النكلاوى: محمد عاكف حياته واثاره ، عين شمس ١٩٧١ .
- ٢- فوزيه عبد العزيز الصباح: بانگ درا محمد اقبال، دراسه وترجمة ، القاهرة ١٩٨٣ .
- ٣- عزة عبد الرحمن الصاوى : القومية فى أدب ضيا گوك آلب ، رسالة ماجستير غير منشورة . .

ب- الدكتوراة:

- ١ - أحمد فؤاد متولى : حركات التجديد فى الأدب التركى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، ١٩٧١ م .
- ٢- هاجر رمضان أحمد : الاتجاهات السياسية فى الشعر الأوردى الحديث . رسالة دكتوراة غير منشورة ١٩٩٥ .

الدوريات الفارسية:

- ١ - آشنا : آية الله خامنه إي ، : إقبال بيننا ، السنة الثانية ، العدد السابع ، مهرن ، آبان ١٣٧١ هـ . ش .

الدوريات العربية :

- ١ - الرسالة : عبد الوهاب عزام ، « مقال بعنوان : شاعر الإسلام محمد عاكف »
العدد ١٨٩ فبراير ١٩٣٧م
- ٢ - : عبد الوهاب عزام « محمد عاكف » عدد ١٩٩ - ٢ مارس ١٩٣٧م
- ٣ - : عبد الوهاب عزام « محمد إقبال » عدد ٢٥٦ - ٣٠ مايو ١٩٣٨م .
- ٤ - مجلة أوراق الشرق الأوسط : السباعي محمد السباعي : المسألة الإيرانية « النظام السياسي والدور الأقليمي » . ، العدد الرابع عشر . أبريل - يوليو ١٩٩٥ م
- ٥ - مجلة إقباليات : العدد الأول ١٩٩٢ ، أكاديميه اقبال ، لاهور .
- دوائر المعارف :**
- ١ - دائرة المعارف الإسلامية : القاهرة ، مطبعة الشعب ١٦ مجلد .
- 2 - Islam Ansiklopdisi cilt 10,13 . Istanbul : Oevlet Kitaplari , 1988 .
- 3 - Turk Ansiklopedisi cilt 4 : Istanbul , Kültür ve Turiryn Bakanligi , 1986 .

المحتوى

المقدمة:

١

القسم الاول

الباب الاول: الاوضاع السياسية و العقائدية و الادبية في العالم الاسلامي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين

الفصل الاول: الوضع السياسي في شبه القارة الهندية و ايران و الدولة

العثمانية ٨

الفصل الثاني: الخلفية المذهبية ٤٩

الفصل الثالث: التيارات القومية و الحياة الادبية ٨٠

الباب الثاني: فكرة الجامعة الاسلامية و صلتها بقضية الخلافة

الفصل الاول: ظهور فكرة الجامعة الاسلامية و دعوة جمال الدين الافغانى

و مظاهر لنجاح الفكرة ١١١

الفصل الثاني: قضية الخلافة و موقف السلطان العثماني عبد الحميد ١٤١

الفصل الثالث: موقف أوروبا من الجامعة الاسلامية و قضية الخلافة ... ١٤٥

الفصل الرابع: تعثر فكرة الجامعة الاسلامية ١٥٣

القسم الثاني

الباب الاول: فكرة الجامعة الاسلامية و قضية الخلافة في أدب محمد اقبال

الفصل الاول: موقف اقبال من حركة الجامعة الاسلامية ١٦٦

الفصل الثاني: موقف اقبال من قضية الخلافة ٢١٠

الباب الثاني: فكرة الجامعة الاسلامية و قضية الخلافة في أدب محمد عاكف

الفصل الاول: موقف عاكف من حركة الجامعة الاسلامية ٢٣٩

الفصل الثاني: موقف عاكف من قضية الخلافة ٢٨٦

الخاتمة ٣١٦

المصادر و المراجع ٣٢٤